

# الإمام علي

سيرته الذاتية وفكره الحضاري

عبد الحميد المهاجر

منشورات

مؤسسة الأمل للطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب. ٧١٢٠



[www.haydarya.com](http://www.haydarya.com)





# الأمم العربية

سيرته الذاتية وفكره الحضاري

# الأمم والعليّ

سيرته الذاتية وفكره الحضاري

عبد الحميد المهاجر



الجزء الثاني

منشورات

مؤسسة الأعلیٰ للطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

٣٥/٧  
١٩٩٢ م  
٨ ألف  
٢٤

الطبعة الأولى  
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف  
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

مؤسسة الأعلمي للطبوعات:  
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب. ٧١٢٠٠  
الهاتف : ٨٣٣٤٥٣ - تليفاكس : ٨٣٣٤٤٧ .

## الليلة السادسة والعشرون

### منهاج التربية في مدرسة أمير المؤمنين

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾<sup>(١)</sup> .

الإمام عليّ عليه السلام أولى مسألة التربية أهمية كبيرة ، فسخر لها كل معارفه في العلوم النفسية والاجتماعية وشتى مجالات الحياة ، والمرتكزة على إيمانه الراسخ بالله وبرسوله . ومن أهم الموضوعات التي تناولها في منهاجه التربوي :

#### المتلقي والمتلقى :

المتلقي في نظر الإمام علي عليه السلام أهم من المتلقى ، فهو الأساس .. وقد يكون المتلقي إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً ، وكذلك المتلقى ...

لتوضيح الأمر نقول : إذا رغبت أن تعطي إنساناً ما شيئاً ما ، فإن المتلقي (وهو هنا الإنسان) قد يكون على جانب من الوعي والفضيلة والوفاء ويثمن بالتالي عطاءك ؛ وإذا ما كان ناكراً للجميل فإنه لن يهتم لا بعطائك

(١) سورة السجدة ؛ الآيتان : ١٦ - ١٧ .



ولا حتى بك شخصياً .

وهكذا ، المطرُ والأرض . المتلقي هنا هو الأرض والمطر هو المتلقي ، أو المعطى . فالأرض الطيبة تنبت زرعاً غلباً بينما الأرض السبخة لا تنبت إلاّ الأشواك ، الماء هو نفسه الذي ينزل من السماء ، لكن المتلقي (الأرض) تختلف نوعاً بين مكانٍ وآخر . أيضاً المطر نفسه ينزل في الأصداف ليتحول إلى درّ بينما في بطون الأفاعي يؤول إلى سُمّ زعاف :

كَقَطْرِ صَارَ فِي الْأَصْدَافِ دُرّاً      وَفِي بَطْنِ الْأَفَاعِي صَارَ سُمّاً

ولا شكّ بأن وَقَعَ الحسنة على الحرّ غير وقعها على اللثيم ، فالأول تملكه بإحسانك والآخر يتمرد ويحسب ذلك واجباً عليك وحقاً له ، وبتيه زهواً وعجرفة ولؤماً :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته      وإن أنت أكرمت اللثيم تمردا

أو :

أرى الإحسان عند الحرّ ديناً      وعند العبد منقصة وذمّاً

الحرّ هو الإنسان المتحرر من غرائزه وشهواته ، هو كريم أريحي غيور ، ذو نجدة وإقدام ومبادرة . . . هو عبدٌ لله . بينما اللثيم أو الدنيء هو عبد لنزواته وأهوائه ومصالحه الشخصية .

وتجدر الإشارة هنا ، إلى أنّ الإمام عليّ عليه السلام ، بتركيزه على اختلاف النتائج باختلاف المتلقين ، لا يعني بالضرورة حصول نتيجة إيجابية يقابلها نتيجة سلبية إذا ما اختلف المتلقي . مثلاً : النفخة على الشمعة تؤدي إلى إطفائها بينما النفخة على الجمرّة تلهبها وتوهجها ، وهكذا لا نجد في التيجتين المذكورتين أي ضير أو سلبية خصوصاً إذا كان قصدنا من النفخ على الشمعة إطفاءها وعلى الجمرّة توهجها . ومع ذلك فالإمام عليّ في منهاجه التربوي يركز أساساً على الإنسان ليرشده سواء السبيل . وهو حين يصعد المنبر يعطي من فكره وإيمانه لعامة الناس ، للبرّ منهم وللفاعر ، إنه

يتوجه إلى الجميع بدون تمييز، مثله كمثل الشمس تعطي دفتها ونورها لبني البشر وللحيوان والنبات ، أيضاً دون تمييز . . لكن الإمام عليه السلام كان في الوقت نفسه يركز ويعمل بدأب على عدد من الناس ليطور وعيهم ويزكي إيمانهم وليجعل منهم نموذجاً متميزاً ، وأناساً مفعمة قلوبهم بالإيمان بالله وبرسوله وليكونوا قدوة حسنة . إن الإمام بهذا التوجه يصنع المتلقي ، يهيئه .

ويؤكد الإمام عليه السلام أن المؤمن الحق هو الذي في قلبه نور ، إذ لا يكفي الإنسان كثرة التعلم كي يصبح مؤمناً ويصبح شريفاً . ولو كان الأمر كذلك لكان إبليس أشرف خلق الله ، لأنه بلا شك عالم جليل يعرف بدقة وجهة سيره وغرضه . إنه عالم بحقيقة الإنسان وبنقاط ضعفه وكيفية النفاذ إليه .

لو كان في العلم من دون التقى شرف لكان أشرف خلق الله إبليس لذلك نرى الإمام علي عليه السلام يتوجه بندائه الخاص المتميز إلى كميل : «يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها» ويقول أيضاً : «الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعا» . ويعود ليؤكد لكميل : «يا كميل ليس العلم بكثرة التعلم ، وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يحبه» .

إن الحياة صراع بين الخير والشر ، فالإنسان عنده العقل والقلب والفتنة والإيمان والملائكة ، لذلك يبعث له الله الأنبياء لتحريك عقله . . كما أن الإنسان عنده الغرائز والشهوات ، لذلك خلق الله الشيطان لتحريك ما بنفسه . ﴿قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾<sup>(١)</sup> و ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾<sup>(٢)</sup> . أما قول الله عز وجل : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾<sup>(٣)</sup> فإنه يعني بأن الله قد أكرم

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٦ .

(٢) سورة ص ؛ الآية : ٨٢ .

(٣) سورة الحجر ؛ الآية : ٤٢ .

عباده وخلقهم أحراراً ، من شاء منهم فليؤمن ، ومن شاء فليكفر . وإذا كان الله قد خلق شيطاناً واحداً فإنه خلق أيضاً آلاف الأنبياء : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (١) . قال أبو مَرَّة : الله أرسل مائة وأربعة وعشرين ألف نبي . وبعض الروايات تقول ثلاثمائة ألف نبي ؛ وفي رواية أُخرى : مليوناً وخمسمائة ألف نبي . فالحقيقة إذاً أن الله لم يخلق الشيطان حتى يكفر الإنسان ويدخله جهنم ، إنما وجود الشيطان مناسب لوجود الشر في الإنسان ، كما أن وجود العقل والفطرة والملائكة مناسب لوجود الخير فيه . ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٢) .

هكذا يكون الصراع على أشده . الله وهبك القدرة والعزيمة والعقل ، وترك زمام الأمور بين يديك . فإذا ما استعنت بالله فإن النصر سيكون حليفك .

إذا كان أمير المؤمنين قد اعتبر المتلقي (الإنسان) هو أساس في منهجه التربوي ، لأنه هو الذي يقبل ، وهو الذي يرفض ، فإما أن يكون مؤمناً وإما أن يكون كافراً . لذلك ركز اهتمامه عليه لبنائه وتوجيهه الوجهة السليمة ، وعمل ما بوسعه لتوجيه طاقاته نحو خالقه لا نحو مصالحة الأنانية الضعيفة . في كل عمل نقوم به يجب أن يكون خالصاً لوجه الله ، فكثير من الذين يُصَلُّون لَا تُقْبَلُ صَلَاتُهُمْ ، وكثير من الذين يتبرعون أو يدفعون حسنة ، فإن تبرعهم وحسناتهم مرفوضة ، وكثير من رواة الحديث يرتكبون الإثم ولا يستحقون المكرمة عند الله . . . لماذا؟ لأن في أعمال ومواقف هؤلاء شوائب لا يرضى عنها الله ولا رسوله . . . ولأن فيها الأنانية والرغبة في الشهرة يقول الإمام علي عليه السلام «يا كميل ؛ ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق ولكن الشأن أن تصلي بقلب نقي وعمل مرضٍ عند الله لأن ما خرج من القلب وقع في القلب ، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الأذن .

(١) سورة فاطر ؛ الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الشمس ؛ الآيتان : ٧ - ٨ .

يا كميل لا خير في الحياة إلا لرجلين ، رجل أذنب ذنباً فهو يستغفر الله سبحانه وتعالى ويتوب إليه . ورجل عمل حسناً فازدادت حسناته» . «يا كميل ليس في العيش خير إلا لرجلين» ، أي لمستمع واعٍ وناطق رباني . الوعي يبلغ بالمؤمن أعلى الدرجات ، لذلك يؤكد الإمام علي عليه السلام على أهمية الوعي ودوره في تسامي الإنسان وعلو قدره ودفعه نحو الخير والإيمان ، فيقول : «اعقلوا الخبر عقل رعاية لا عقل رواية ، فإن رواة العلم كثير ورعائهم قليل» . وقوله : «اختبروا منازل شيعتنا على قدر معرفتهم لحديثنا ، فإن الدرايات للروايات هي المعرفة لحديثنا ، وبالدراية للرواية يعلو المؤمن أعلى درجات الإيمان» .

وفي نهج البلاغة يقول عليه السلام : «حديث تدريبه خير من ألف حديث ترويه» . إذاً ، بقدر ما يركّز الإمام علي عليه السلام على الصلاة والصوم والإحسان ، يركز على أن يتم ذلك بقلب مفتوح ونية صادقة . وبقدر ما لرواية الحديث من أهمية ، فإن الأكثر أهمية رعايته أي درايته .

وبوجه عام فإن الرياء متى دخل في العمل ، بطل العمل نفسه . من دخل الحرب ليأسر امرأة ليتزوجها فعمله لغير الله ؛ ومن يساهم في التبرع لبناء حسينية أو جامع أو مدرسة أو شق طريق ويصرّ على إبراز اسمه في لوحة التدشين أو الافتتاح ، فلا حسنة له ؛ ومن أطال الركوع ليوهم الناس بإيمانه فهو آثم ، فضلاً عن أن إطالة الركوع في صلاة الجماعة غير مستحبة . يقول الإمام علي عليه السلام : «صَلُّوا فِي النَّاسِ صَلَاةَ أَوْعَافِهِمْ» توكيداً لحديث الرسول إلى علي عندما أرسله إلى اليمن : «يا علي صلوا بالناس صلاة أضعفهم ولا تكونوا فتانين» .

وهكذا فإن مطلق عمل مهما كان حجمه أو نوعه ومهما كانت فائدته ، إذا لم يكن خالصاً لوجه الله نقياً صافياً من أي غش أو خداع أو مخالطة ، فإنه غير مقبول لأن الله عليم بذات الصدور .

والإمام علي عليه السلام يعرف حق المعرفة بأن الإنسان لا يمكن أن يكون

مطلقاً في أعماله ، أي أنه لا يمكن أن يكون صالحاً بالمطلق ، فالله وحده هو المطلق في الحق والخير والقوة والعظمة والجبروت والعلم والمعرفة والجمال والعدل و . . الخ . لذلك نجد الإمام يؤكد على مبدأ محاسبة النفس . فالمؤمن الحق هو الذي يرجع دائماً إلى نفسه وإلى الله ليظهرها من أي غش أو خطأ . فبمحاسبة النفس تستوي أعمال المؤمن ، فيطور وعيه ويزداد خيراً وتواضعاً ونكراناً للذات وبالتالي يقترب أكثر فأكثر من الله . وليس في محاسبة النفس منفعة للمؤمن نفسه وحسب إنما في ذلك منفعة للغير . . لأبنائه ولجيرانه ولمعارفه ، لأنه بقدر ما يصلح نفسه بقدر ما تستقيم علاقته بالناس ويصير بالتالي مهياً للتلقي بصورة سليمة أي يستطيع أن يستوعب ما يُلقى عليه ويصبح قادراً على نقل المعرفة إلى الآخرين . هذا هو ما يبتغيه الإمام علي وما يركز عليه .

نستنتج مما ورد بأن من أهم سمات مدرسة الإمام علي في منهجه التربوي هي : الوضوح والعمق . فعندما يتناول الإمام مسألة من المسائل فإنه يعالجها من مختلف جوانبها ويأخذ في الاعتبار الإنسان نفسه المعني بالمسألة ، أي المتلقي : ثقافته ، نفسيته ، وضعه الاجتماعي ، حالته الصحية ، الظروف المحيطة به ؛ كما يأخذ بالاعتبار المكان والزمان بشكل عام ؛ هذا لأن الإمام عليه السلام يدرك بعمق أن أي اختلاف أو تبدل في واحدة مما ذكرنا أعلاه من شأنه أن يؤثر في مختلف جوانب المسألة ولو اختلافاً بسيطاً . . . بمعنى آخر إن المؤمنين ليسوا كلهم متساوين في إيمانهم وبشكل متطابق ، وليسوا على القدر نفسه من الوعي ولا حتى مستوى الصدق والصفاء . . . إنهم مؤمنون ، ولكن بدرجات . والأمر كذلك بالنسبة للسيئين من الناس فمنهم الخسيس ومنهم الخائن ومنهم الأناني ومنهم قليل السوء . . . هؤلاء وإن كانت تجمعهم صفة السوء إلا أنهم أيضاً على درجات .

إذاً ، عندما يغوص الإمام علي عليه السلام في عمق المسائل فإن ذلك يكسب أسلوبه غنى في المعرفة ، وهو لكي يشيد منهجه التربوي على أسس

راسخة وثابتة فإنه يتوخى الوضوح والدقة لكي يوصل الحقيقة إلى الإنسان - المتلقي وبالتالي لينشئه التنشئة الصحيحة . فالتعمق في المسائل ليس كافياً إذا لم يترافق ذلك مع الوضوح ، وحتى لا يترك مجالاً للالتباس في فهم الأمور وتعلمها وتنفيذها .

غاية الأمر ، فإن ركيزة التربية عند الإمام علي عليه السلام تتمثل في إيجاد المتلقي وتوعيته وتنشئته بصورة سليمة .

لا شك أيها الأخوة المؤمنون بأن الإنسان بحاجة إلى توجه في حياته ، وبحاجة إلى توجيه أي إلى مرشد يهديه سواء السبيل ، لذلك قال الله في كتابه العزيز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ . . . ﴾<sup>(١)</sup> . إن وجود الإنسان في هذا العالم ، الذي لم يستطع كل العلم الحديث واكتشافاته القيمة أن يكتشف سرّه ، أي سرّ هذا الوجود وبدايته ونهايته ، من شأنه أن يغرقه في دوامة الضياع للبحث عن الحقيقة . لذلك نرى العلماء والأساتذة في شتى مجالات العلوم يجرون الاختبارات العلمية ويضعون النظريات في كل باب ثم ينقلونها إلى التلامذة المتخصصين ، كلٌّ في حقله ، عبر مختلف الوسائل المتيسرة . . هكذا تنتقل المعارف والعلوم الإنسانية من العالم المكتشف أو الباحث المفكر في أي علم ، في الفلسفة ، في الاقتصاد ، في التاريخ الاجتماعي ، في الطب والهندسة والفيزياء . . . تنتقل إلى أعداد هائلة من طلبة العلم ، فضلاً عن أنها تنتقل إلى عامة الناس على صورة أجهزة استخدام في المكاتب والمؤسسات وفي البيوت وفي الطرقات ، في المصانع وفي المعامل . . . وفي كل مكان . .

أما حقائق عالم الغيب فإن الله قد بعث برسله ليرشدوا الناس إلى طريق الإيمان والهداية ويرسموا لهم طريقهم في الحياة وطريقهم إلى

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

الآخرة . كما دعا الله الناس إلى إطاعة أولي الأمر كالأئمة وعلماء الدين والعمل بتوجيهاتهم واجتهاداتهم .

إن من أعقد المسائل التي يواجهها الإنسان هي نظرتة إلى الوجود . ويمكن اعتبار وجود نظرتين متناقضتين إلى العالم ، وتتلخص النظرة الأولى بما يلي : بتبسيط شديد يختصر أصحاب هذه النظرة تفسيرهم للوجود ، بأن مسيرة الإنسان تبدأ في الأرحام وتنتهي في القبر . ينزل الإنسان من بطن أمه ، يرضع ثديها ، ينمو ، يصارع الحياة على امتداد عشرات من السنين ثم يُدسُّ في التراب فتأكله الديدان . . . هكذا إذاً تكون النهاية . . لا جنة ولا نار ولا حساب . . . أي لا دين وبالتالي لا إله .

النظرة الثانية تتناقض جذرياً مع الأولى وتقول :

الإنسان من عالم الذر في عهد مع الله ، منه الروح والوجود وإليه الرجوع ، وما بينهما انتقال ومرور بعالم الأرحام ومقارعة الحياة . ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾<sup>(١)</sup> .

كيف يمكننا مناقشة هاتين النظرتين ؟ :

لا شك بأن الإنسان قد قطع شوطاً هائلاً في ميدان الاكتشافات العلمية لدرجة تذهل معظم بني البشر . فالعقول الالكترونية التي أخذت تحتل مختلف مواضع ومواضيع العمل اليومي وتختصر الزمن واليد العاملة ، واختراق عباب الفضاء ومجاهل البحار والمحيطات والتطور العالي في ميدان الطب وكثير من الاكتشافات والتطور في شتى ميادين المعرفة . . . كل هذه جميعاً تعكس الطاقة الجبارة للإنسان ولعقله النير . إلا أن ما يستوقفنا هنا ، ورغم كل الإبداع الإنساني في الفكر وفي العمل ، حقيقة أن الإنسان لم يستخدم من عقله إلا جزءاً من مليار من الجزء من الثانية . إذاً كيف يمكننا

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٧٢ .

أن نتصور أن عقلاً خلاقاً وعظيماً كهذا العقل الإنساني ينتهي بكل بساطة في التراب وكأن شيئاً لم يكن ؟ ! ألا يسترعي انتباهنا مثل هذا التصور ؟ ! ألا يدفعنا إلى التساؤل عن مدى صوابية هذا التصور ؟ ! عقلاً بشرياً ، لم يُستخدم منه سوى ذرة واحدة تقريباً من ملايين الذرات ، استطاع أن يبدع كل هذا الإبداع الذي نشاهده . . ويسقط دفعة واحدة في التراب . . هكذا بكل بساطة ! ؟ .

اعتقد أيها الأخوة أن في مثل هذه النظرة إلى الحياة سطحية شديدة وتبسيطاً مبتدلاً ورؤية قاصرة إلى تفسير العالم والوجود . وإذا ما أعملنا الفكر والنظر في الوجود الطبيعي لزداد استهجاننا واستخفافنا بتلك النظرة . يقول عالم الذرة آينشتين إن مجرة درب التبانة مجرة متواضعة من حيث الحجم ، طولها ٢٠٠ سنة ضوئية أي : طولها = ٣٠٠ ألف كلم/ثانية (سرعة الضوء) × (٣٦٥ × ٢٤ × ٣٦٠٠) عدد الثواني في السنة الواحدة × ٢٠٠ سنة = ؟ هذه مجرة درب التبانة (والأرض كوكب منها) ، وتحيط بها ملايين المجرات الهائلة في الكبر . ! ؟ ! هل يمكنكم أيها الأخوة أن تتصوروا عالماً كهذا ؟ ! حدّه الأدنى ملايين المجرات . . وقد يكون بلا فرار . . ما أعظم خلق الله وما أعظم حكمته ! عالم يسير ويتحرك بسرعات مختلفة ومذهلة وفق قوانين وأنظمة . . مجموعات من الكواكب لاعدّها ولا حصر تتوزع تشكيلات في منتهى الدقة والنظام والوظائف ! ؟ .

يقول الإمام علي عليه السلام: «هذه الكواكب فيها خلق ما عصوا الله طرفه عين» . ويشير في قوله إلى وجود شعوب وأجيال في كواكب أخرى ، قد بكتشفها العلم الحديث ، وقد لا يستطيع . . فهناك أمور غيبية غير مرئية ، وإنما يستطيع الإنسان أن يكتشف وجودها ويستطيع أن يثبت من وجودها من خلال ما تتركه من أثر في جوانب عديدة . فالشمس ترسل مثلاً أشعة لا نراها هي الأشعة فوق البنفسجية التي من خصائصها قتل أنواع كثيرة من الميكروبات والجراثيم التي تدخل في الجسم أو التي تقع على الأواني



المنزلية . . فالشمس في الفقه الإسلامي هي من المظهورات ، كما هي حال الأرض كذلك . أيضاً هناك الأشعة تحت الحمراء التي تأتينا من الشمس أيضاً ومن الجاذبية ونحن لا نراها ، فضلاً عن عالم الجن وعالم الملائكة وعوالم أخرى عديدة لا نراها ولكنها كلها موجودة تظهر بحالات مختلفة وتؤثر بمستويات متباينة .

أمام عظمة الخلق هذه ، وما تخلقه في نفوسنا من رهبة ، يزودنا الإمام علي عليه السلام بحكمة فيها من الورع والتقوى والتواضع أمام القدرة اللامتناهية لله ، وفيها حثٌ دائم على عمل الخير والصلاح ، كما فيها الزهد وعدم الطمع في الحياة وتقديسها . . يقول الإمام عليه السلام : اعمل لديناك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً . إن الإمام يدعونا إلى حب الحياة والعيش بتفاؤل وأمل بالمستقبل ، والكد في سبيل رفاهيتنا وفرحنا وأمننا ، ولكنه في الوقت نفسه يدعونا لكي يكون عملنا صالحاً نقياً خالصاً لوجه الله ، لأن الموت قد يكون غداً . . لذلك علينا أن نعمل لآخرتنا كأننا نموت غداً . لاحظوا أيها الأخوة هذا الربط المنطقي السليم بين الحياة والموت كذلك بين عملنا لذاتنا وبين صلاحه في الآخرة . فما دمنا نعيش في الحياة الدنيا فذلك نعمة من الله علينا الإفادة منها ، ولكن علينا أن نحسب حساب الموت الذي قد يفاجئنا وننتقل إلى عالم الآخرة . فليكن إذاً عملنا خيراً لنكسب الدنيا والآخرة معاً .

ولكي تكون إنساناً صالحاً ، فإن من سمات ذلك ، أو من شروطه ، أن تعمل بهدي قول الإمام علي : «إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك» لأن العدل والانصاف هما من سمات المؤمن ، وعندما يجعل المرء من نفسه ميزاناً فيما بينه وبين غيره فإنه يكون قدوة للعمل الصالح ومثالاً يحتذى لإحقاق الحق . وإذا لم يكن المرء كذلك فحسابه عند ربه عسير منذ أن يدخل القبر حتى يأوي إلى جهنم ، فحساب القبر للإنسان المنحرف فيه من العذاب ما لا تقوى الكلمات على تصويره أو وصفه . لذلك نجد عند الإمام علي عليه السلام أدعية كاملة للاستعاذة بالله من القبر . حتى أن الإنسان

السيء الأخلاق مع عائلته، الذي لا يتسم ولا يساير ولا يعطف ولا يهتم فإن نصيبه سيكون عذاب القبر أو ضغطة القبر .

إنني أيتها الأخوة المؤمنون ، أدعوكم في شهر رمضان المبارك هذا أن تستعينوا بالله من ضغطة القبر ، في كل يوم ؛ علينا أن نستغل هذه الليالي المباركة والساعات الطيبة لنصفي نفوسنا ، لأن أعظم توجه للتوبة هو في ليالي رمضان . . فاكثروا من الحسنات واكثروا من أدعية الإمام علي للاستعاذة بالله من القبر ، واحسنوا معاملة زوجاتكم وأبنائكم وبناتكم لتتفادوا ضغطة القبر .

يقول ابن حنبل في مسنده : عليّ قسيم النار والجنة . ماذا يعني هذا القول ؟ في الأخبار الواردة عن أهل البيت أن أمير المؤمنين عليه السلام يحضر ساعة الاحتضار والموت وحضوره رحمة للمؤمن ونقمة على الكافر ، ومضى حضر تنحى ملك الموت ، والملائكة يقفون . والأنس الذي يحصل للمؤمن بحضور علي عليه السلام يعجز اللسان وتعجز الكلمات عن وصفه ، وعندما يقبل يشع من وجهه وعينيه نور عظيم ، ويشير بيده إلى اليسار ليدخل الكافر من نافذة النار والعذاب ، وإلى اليمين ليدخل المؤمن من نافذة الجنة . . . إنها بستان فيه أنهار وزقزقة عصافير وقرّة الأعين أي الحاجات الجسدية كلها من فاكهة وحمور عين وأنهار غسل ولبن وخمر لذة للشاربين (أي العصير) ، وفي الجنة أيضاً زوجات لا تستطيع وصف جمالهن . بالمناسبة نذكر كم بالدعابة اللطيفة لرسول الله عندما أقبلت عليه عجوز ، وكان بلال حاضراً . قال : العجائز لا يدخلن الجنة ولا السود يدخلونها . فصارت العجوز تبكي وبلال كذلك . قال الرسول موضحاً : العجوز تدخل الجنة وعمرها ثمانى عشرة سنة وكل الوجوه هناك كالأقمار المشرقة وبرفقة سيدي شباب أهل الجنة . . .

اللَّهُمَّ أعفُ عنا وافرح قلوبنا جميعاً . . . والفرحة الكبرى أيتها الأخوة تكون على سُرى متقابلين في الجنة . لذلك للصائم فرحتان : فرحة عند

الإفطار وفرحة عند لقاء ربّه . عند الإفطار تكون جائعاً وعطشاً وترى أهلك قد هياوا لك الماء البارد والطعام الطيب . . لا شك بأنها فرحة عظيمة . . . وأعظم منها لقاء رب العالمين . . لأن المقاييس تختلف هناك . في الدنيا تطال الحاجات الجسدية وفي الآخرة تطال الحاجات الجسدية والروحية معاً . كل الحاجات الجسدية تتأمن بالنية ولا حاجة لأي جهد أو عناء . أمّا رضوان الله فهو أعظم وأكبر وأهم من كل الطعام وأنواعه وكل الحاجات الجسدية . ولقاء علي أمير المؤمنين في الجنة أهم من كل حور العين والطيبات . . . فاتعظوا أيها الصائمون المؤمنون ولتكن لنا في حادثة الزهراء بنت رسول الله خير موعظة وتقوى في هذا الشهر المبارك :

دخل رسول الله على الزهراء وكان لها ولولديها الحسن والحسين مدة ثلاثة أيام صائمين يفطرون على الماء القراح . كانت شاحبة الوجه تطحن بالرحى . دمعت عينا الرسول وقال لها : بنية تجرعي مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة . رجع إلى المسجد فوجد أعرابياً يدخل عليه وينادي يا محمد يا محمد واللات والعزى لولا أن يقول عني قومي أني عجلت عليك لأضربن عنقك بسيفي هذا . فقام عمر وقال : سأقتله . قال الرسول لعمر : إجلس يا أبا حفص فإن الحلیم كاد أن يكون نبياً . لنرى ما عنده . قال الأعرابي : نحن من بني سليم ، مئة ألف ، كلنا أشداء . الخ . فسأله الرسول ماذا تريد ؟ أجاب : لا شيء . كان سلمان الفارسي جالساً إلى جانب الرسول فقال للنبي : إن الرجل جائع ونفسه عزيزة ولا يريد الإفصاح عن حاله . قال الرسول لسلمان : إذهب إلى بيت فاطمة وهيء له طعاماً . جاء سلمان إلى بيت فاطمة وأخبرها بالأمر . أحضرت فاطمة درعاً وسلمته إلى سلمان وقالت : لا تبع هذا الدرع . إذهب إلى شمعون اليهودي ودع الدرع أمانة لديه واطلب منه أن يقرضني صاعاً من التمر وصاعاً من الشعير وسأدفع الثمن إن شاء الله . بكى شمعون اليهودي عندما جاءه سلمان وعرض عليه الدرع . سأله سلمان لماذا تبكي ؟ أجابه شمعون : يا سلمان هذه أخلاق موسى

موجودة عندنا في التوراة (طبعاً ليس المقصود بالتوراة المتداولة حالياً فهذه مزيفة) . أضاف شمعون : يا سلمان هذا هو الزهد ، يا سلمان هذا نور النبوة ، يا سلمان . . . ودموعه تجري . . . وإذ بالناس قد اجتمعوا وشاهدوا شمعون يصيح ويتكلم ويبيكي ، وسلمان واقفاً والدرع بيده . قال : يا سلمان هذا هو الحق . . أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . . ثم أعطاه الصاعين ورد إليه الدرع . حضرت فاطمة الطعام وحمله سلمان إلى المسجد بعد أن رفضت طلبه بأخذ رغيف واحد للحسن والحسين ، وقص على الرسول ما حدث . فأكل الأعرابي وهياً له عمار بن ياسر راحله ، وآخر هياً له لباساً وودّعهم الأعرابي وعاد إلى أهله .

قام الرسول ودخل على ابنته فاطمة والدموع في عينيه ، وسألها عن الحسن والحسين . قالت كانا يرتجفان من الجوع فناما كفرخين منتفخين . أيقظهما رسول الله وحضنهما ، وإذ بعلي قد جاء ، وصار الرسول يدعو : اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . دخلت فاطمة إلى الحجرة ، فماذا فعلت ؟ يقول الرسول : توجهت إلى الله . . اللهم إني أقسم عليك بحبيبك محمد وبحق علي أمير المؤمنين والحسن والحسين وبحقي عليك يا رب العالمين إلا ما انزلت علينا مائدة من السماء . وإذ قد نزلت عليها قصعة تفوح منها رائحة القدر أزكى من المسك والعنبر . قال علي من أين هذا يا فاطمة . قال الرسول : يا أبا الحسن لا عليك ، يا أبا الحسن الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في ابنتي ما جرى لمريم البتول . يا علي إن ابنتي لتقف في محراب صلاتها فيصلّي عليها سبعون ألف ملك ويخاطبها جبرائيل يقول : يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا علي إن ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين . فهنياً لك بها زوجة ، وهنياً لها بك بعلاً طيباً .

هذه هي الرواية أيها الأخوة فلنتعلم من رسولنا ومن أئمتنا طريق الفضيلة والشجاعة والإيثار . . ها هم أهل البيت قدوة حسنة لنا فلنسترشد بهم ولنسرّ على خطاهم .

أخيراً ، أحسب أيها المؤمنون أننا عرفنا الموضوع ، وأحسب أننا  
بإذن الله أصبحنا متلقين جيدين جاهزين للدخول بوعي وإيمان في مناهج  
التربية عند الإمام علي عليه السلام ، وأنا سنوجه طاقاتنا وجهودنا ومؤهلاتنا وعمرنا  
في سبيل الله سبحانه وتعالى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## الليلة السابعة والعشرون

### رؤية الامام علي في المحكم والمتشابه

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾<sup>(١)</sup> .

أحياناً يبقى الإنسان حائراً إذا أراد أن يدخل في موضوع أو يتحدث عن مسألة أو يسمع بحثاً . وسبب الحيرة أنه يلتقي صوراً مختلفة للموضوع نفسه ، صوراً تحتمل التفسير ، بحيث إنها قد تحمل أكثر من تفسير .

الله سبحانه وتعالى لما أنزل القرآن الكريم ، أنزله للأجيال كافة معجزة الإسلام ومعجزة الرسول الخالدة ، فما دامت السماوات والأرض ، ما دام القرآن يعطي عطاءً لا حدود له ، والإنسان العاقل كلما فكّر وتأمل في القرآن أخذ معاني أعمق وأخذ عطاءً أكثر .

وهذه الآية الكريمة التي تقدّمت كلّها نور ، جاءت لتوضح للمؤمنين كيف يتعاملون مع القرآن ، وهي قسمت آيات القرآن إلى قسمين : فهناك آيات في القرآن تسمى محكمات ، وآيات أخرى تسمى متشابهات . فما

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧ .

معنى المحكم وما هو المتشابه ؟ .

الآية المحكمة هي التي إذا سمعناها فهمناها فوراً ، بحيث لا تحتاج إلى شرح ولا إلى تفسير ، ولا تحتاج إلى قرينة كقوله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾<sup>(١)</sup> فهذه الآية الكريمة هل تحتاج إلى تفسير ؟ إنها من الآيات الواضحة السهلة الفهم . وكذلك قوله تبارك وتعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٢)</sup> فهي أيضاً لا تحتاج إلى تفسير . ومثلها قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(٣)</sup> . فهذه الآيات تسمى آيات محكمة . إنها واضحة لا تحتاج إلى كثرة شرح وتفسير . ولكن هناك آيات تعتبر غامضة يمكن أن تحتل أكثر من تفسير فإذا قرأتها أو سمعتها فإنك تحتاج إلى تفكير عند تفسيرها لتوضيح الغامض منها ، تحتاج إلى قرينة ؛ مثل هذه الآيات تسمى آيات متشابهة . لنوضح أكثر .

في القرآن الكريم آيات في العقيدة مثلاً : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ هذه ألف ولام التعريف للقرآن الكريم . هذا القرآن : ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٤)</sup> .

يعني المحكمات . فالأم يعني الأصل . الأم مأخوذة من الأمومة ، يعني شيئاً نرجع إليه . الطفل مثلاً يرجع إلى صدر أمه ، وهكذا . . . أم الكتاب معنى ذلك أن الآيات المتشابهات أو المشابهات إذا أردنا أن نعرفها نرجع بها إلى الآيات المحكمة وكأن القرآن كله محكم .

لنوضح :

في القرآن الكريم نقراً ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾<sup>(٥)</sup> هذه

(١) سورة يونس ؛ الآية : ٤٤ .

(٢) سورة الإخلاص ؛ الآية : ١ .

(٣) سورة النساء ؛ الآية : ٤٠ .

(٤) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧ .

(٥) سورة القيامة ؛ الآيتان : ٢٢ و ٢٣ .

الآية محكمة أم متشابهة ؟ إنها متشابهة . لماذا ؟ لأنها تحتاج إلى تفسير .  
فما معنى قوله تبارك وتعالى : ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ؟ أيعني ذلك أن هذه  
الوجوه ترى الله أمامها ؟ هل يرى الناس الله يوم القيامة ؟؟ .

إذن إذا أردنا أن نعرف معنى هذه الآية نرجع بها فوراً إلى الآيات  
الأم ، أم القرآن ﴿هَنْ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ نبحت عن آية محكمة تفسّر الآية  
المتشابهة . فقوله تبارك وتعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ : أي حلوة . أما قوله :  
﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فلا بدّ من العودة إلى آية أخرى محكمة تفسرها فنجد أن الله  
يقول : ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾<sup>(١)</sup> إذن الآية المتشابهة صارت محكمة لماذا ؟  
لأن الآية المحكمة قالت :

﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ . فقوله : ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يعني : ناظرة إلى  
رحمة الله ، ناظرة إلى عدل الله ، ناظرة إلى حساب الله ، ناظرة إلى قدرة  
الله . أظن أن الصورة أصبحت واضحة .

آية أخرى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مَتْرَفِيهَا فَتَسْقُوا فِيهَا﴾<sup>(٢)</sup>  
فهل هذه الآية محكمة أم متشابهة ؟ إنها متشابهة . لماذا ؟ . إذا أردنا أن  
نفسرها فوراً يأتينا من يقول ويسأل : وما ذنب هؤلاء ؟ ! الله يقول : ...  
أمرنا مترفيها ففسقوا فيها . إذا كان الله تبارك وتعالى يأمرهم بالفسق فكيف  
يحاسبهم ولماذا ؟ ! نرجع إلى آية محكمة : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾<sup>(٣)</sup>  
لاحظوا . إن الله في هذه الآية لم يأمرهم بالفسق ، وإنما هذا بحذف  
المضاف ، من باب قول الطبيب : أمرتك فعصيتني . يعني أمرتك بالطاعة  
باستعمال هذا الدواء فعصيتني .

نسوق لكم أيها الأخوة أمثلة أخرى حتى تكون الصورة واضحة . نقرأ

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١٦ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٢٨ .



في سورة يوسف : ﴿ولقد همت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾<sup>(١)</sup> فقوله تبارك وتعالى : ﴿ولقد همت به وهمَّ بها﴾ يدعو إلى التساؤل . إنه نبي فكيف يكون ذلك ؟ لكن قوله : ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ يعني أن الله خلّصه . وبالعودة إلى المحكم في آيات يوسف نجد : ﴿قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾<sup>(٢)</sup> .

آية أخرى : ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾<sup>(٣)</sup> .

آية ثالثة : ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾<sup>(٤)</sup> إذن الخطأ أين أصبح ؟ عند زليخة ، ويوسف بريء .

﴿وقال الملك أئتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم الدينا مكين أمين﴾<sup>(٥)</sup> ﴿قال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم﴾<sup>(٦)</sup> ﴿قال ما خطبُكنَّ إذ راودتن يوسف عن نفسه قلنَ حاشا لله ما علمنا عليه من سوء﴾ هذه محكمة . انتبهوا . ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾<sup>(٧)</sup> .

نلاحظ أن هذه الآيات واضحة فهي محكمة . لكن من الذي يتبع المتشابه من الآيات ؟ المؤمن المستقيم الذي يخلو قلبه من الغفل والحقن والزيغ والاعوجاج يتبع المحكم من الآيات ، فإذا صادف آية متشابهة يرجعها فوراً إلى المحكم فيظهر معناها جلياً دون لبس . ولذلك فإن الإمام الرضا عليه السلام يقول : «ردّ المتشابه إلى المحكم تصل إلى الحقيقة ، تُهدى إلى

(١) سورة يوسف ؛ الآية : ٢٤ .

(٢) سورة يوسف ؛ الآية : ٥١ .

(٣) سورة يوسف ؛ الآية : ٣٢ .

(٤) سورة يوسف ؛ الآية : ٢٩ .

(٥) سورة يوسف ؛ الآية : ٥٤ .

(٦) سورة يوسف ؛ الآية : ٥٠ .

(٧) سورة يوسف ؛ الآية : ٥١ .

فمن الذين يتبعون المتشابه في القرآن إذن ؟ إنهم الذين في قلوبهم زيغ . ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾<sup>(١)</sup> . الزيغ هو الميل والاعوجاج عن الحق .

﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾<sup>(١)</sup> لماذا ؟ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله حسب أهوائهم . فالذي في قلبه زيغ عندما يقرأ في قصة يوسف : ﴿ولقد همت به وهمَّ بها﴾ ، يفسر الآية تفسيراً خبيثاً ، مجرداً يوسف من نبوته وعصمته ، يصوره وقد انهزم أمام الغريزة الجنسية ابتغاء ماذا ؟ ابتغاء الفتنة . وهكذا أيها الأخوة فالذي يريد أن يقرأ القرآن عليه أن يُقبل عليه بقلب طاهر نقي السريرة ، نقياً تقياً فاضلاً مؤمناً واضعاً نصب عينيه أن القرآن كلام الله تبارك وتعال .

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(٢)</sup> هذه الآية محكمة أم متشابهة ؟ إنها متشابهة . لماذا ؟ لأنها تحتاج إلى تفسير . فما معنى قوله تبارك وتعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ؟ هل يعني أنه جالس على عرشه كما نجلس نحن ؟ إننا نحتاج إلى آية محكمة لتفسير هذه الآية . والآية المحكمة ﴿ليس كمثله شيء﴾<sup>(٣)</sup> فالقرآن ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾<sup>(٤)</sup> لذلك فالناس الذين يريدون أن يضلوا الشباب أين يذهبون ؟ يذهبون إلى متشابه القرآن .

﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾<sup>(٥)</sup> إذا كان الله يضلُّك والله يهديك ، إذن ما قيمتنا نحن ؟ هذا المتشابه ، وبالرجوع إلى المحكم نرى

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧ .

(٢) سورة طه ؛ الآية : ٥ .

(٣) سورة الشورى ؛ الآية : ١١ .

(٤) سورة فصلت ؛ الآية : ٤٢ .

(٥) سورة المدثر ؛ الآية : ٣١ .

﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾<sup>(١)</sup> ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾<sup>(٢)</sup> ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾<sup>(٣)</sup> . فاسق ، ظالم ، كافر ، بعيد عن الهداية . لمن الهداية ؟ ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾<sup>(٤)</sup> ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾<sup>(٥)</sup> . لاحظوا الآيات المحكمات .

أيها الأخوة ، اعتقد أن الصورة واضحة تماماً ، فصاحب القلب الأعوج يفسر كلامك تفسيراً أعوج لأنه هو أعوج من الأصل ولا يتغني سوى الفتنة بين الناس ، وما أكثر هؤلاء ، إنهم المشاؤون بالنميمة .

أيها الأخوة ، أول كلمة نزلت في القرآن الكريم كلمة الرب ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾<sup>(٦)</sup> . لم يقل اقرأ باسم الله لأن الربوبية مشتقة من التربية .

﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾<sup>(٧)</sup> فالاجتباء يعني جمع الشيء . قال : ربك ، ولم يقل : خالقك فالقضية قضية تربية الإسلام ، والإنسان المسلم يجب أن ينعكس إيمانه على سلوكه اليومي .

الشيخ الأنصاري - رحمة الله عليه - يقول : لا يهمني أن يغتابني الناس ، لكنني لا أسمح لهؤلاء الذين يدعون القداسة أن يغتابوني ، هؤلاء يفسقون لأن الشيطان يقبع في نفوسهم ، إنهم أشرار ﴿قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد﴾<sup>(٨)</sup> .

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ١٠٨ .

(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ٣٧ .

(٣) الأنعام ؛ الآية : ١٤٤ .

(٤) سورة التغابن ؛ الآية : ١١ .

(٥) سورة محمد ؛ الآية : ١٧ .

(٦) سورة الفلق ؛ الآية : ١ .

(٧) سورة يوسف ؛ الآية : ٦ .

(٨) سورة الفلق .

فكلمة الرب الخالق وردت مرة واحدة في هذه السورة . لكن لما يأتي إلى موضوع الناس والوسواس الخناس يعود ثلاث مرّات بالله فيقول : ﴿قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله النار﴾<sup>(١)</sup> ثلاث مرّات يطلب الاستعاذة بالله . لماذا ؟ من شرّ الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس . ففي بعض الأحيان الإنسان يتحول إلى شيطان رجيم ويبدأ يوسوس لك ليقتل الصفاء الموجود في قلبك .

إذا أحببت شخصاً وكنت ضعيف الإيمان يأتيك الشيطان فيوسوس لك : يظهره لك بأبشع صورة ، يكيل له النعوت الخبيثة ، فتتقاد له فإذا بك وقد أصبحت تكره هذا الذي تحبه . وليعلم الجميع أن من ذكر أخاه بقصد تحطيمه يخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان . ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾<sup>(٢)</sup> .

### سبب وجود الآيات المتشابهات في القرآن :

يحق لكل واحدٍ منكم أن يسأل : لماذا جعل الله آيات متشابهات في القرآن الكريم ؟ ولماذا لم يجعل كل القرآن آيات محكمات ويريحنا ؟ فمثلاً ألا نستطيع أن نقول : . . . وما يعلم تأويله إلا الله وأهل البيت ، بدل ﴿والراسخون في العلم﴾ ؟ نعود إلى السؤال : لماذا جعل المتشابه في القرآن ؟ الحقيقة أنه جعله لسببين :

السبب الأول أن القرآن كتاب جاء لإثارة العقول . ولذلك فالمطلوب من الذي يقرأ القرآن أن يتفاعل مع هذه القراءة ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾<sup>(٣)</sup> . لو كانت كل آيات القرآن محكمات أي واضحة بسيطة لا تحتاج إلى إعمال فكر لماتت حيوية العقل ، والدليل أن علم

(١) سورة الناس ؛ الآيات : ١ - ٣ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧ .

(٣) سورة محمد ؛ الآية : ٢٤ .

الرياضيات بعكس غيره من العلوم يعطي قدرة للطالب على البحث والتقيب ، فلا يقدم له المسائل محلولة وإنما يعطيه معادلات ويحثه على التفكير فيها إلى أن يصل إلى حلها . فالحل هو الذي يثير العقول . إذن فالقرآن الكريم كتاب حياة ، جاء ليحيي الناس وعليه ، يجب أن يكون فيه إثارة للعقول وإثارة للقلوب أيضاً لأنه جاء للاختبار والامتحان . فوجود الآيات المتشابهات تحوّل القرآن إلى كنز لا يفنى ، إلى نبع دائم العطاء والتجديد .

أما السبب الثاني فالقرآن ليس وحده الذي نزل على الحبيب المصطفى محمد ﷺ وإنما نزل القرآن ومع القرآن الرسول والعترة الطيبة . فالرسول لم يترك القرآن فقط للأجيال ، وإنما خلف الثقلين : كتاب الله والعترة الطاهرة .

إذن وجود العترة لماذا ؟ إن وجودهم هنا لمعرفة القرآن وتفسيره تفسيراً صحيحاً . فلو كان القرآن كله واضحاً لكان الذين قالوا بعد وفاة الرسول ﷺ : «حسبنا القرآن» لكان كلامهم صحيحاً . في حين أن الذي صاح : «حسبنا القرآن» لم يستطع الإجابة عندما سئل عن معنى الكلالة . لقد ضرب يده على لحيته متأثراً وهزّ هذه اللحية ثلاث مرّات وهو يقول : الكلالة . . . الكلالة . . . الكلالة . . . ما معنى الكلالة ؟ لم يستطع الإجابة حتى جاءت حفصة وأنقذت موقفه قائلة : أنا سمعت رسول الله يقول إن الكلالة قضية لها علاقة بالميراث (أولاد العم الذين يرثون . . . ) .

أيها الأخوة ، يجب أن تعلموا أن أهل البيت هم العدل للقرآن . يعني لا يمكن أن تفسّر القرآن من دون آراء أهل البيت عليهم السلام . فالحسكاني يقول : هناك خمسمائة آية في القرآن في علي بن أبي طالب متناثرة داخل سورة . تقرأ مثلاً آية بسم الله الرحمن الرحيم . . سليمان يطلب من وزرائه وشخصياته أن يحضروا له عرش بلقيس فيقوم له عفريت من الجن . يقول سليمان : «يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي

أمين»<sup>(١)</sup> قال : هذه مدّة طويلة . ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ .  
لاحظوا هنا تبعض يعني علم من بعض الكتاب وهو آصف بن برخيا وزير  
سليمان ، وصي سليمان ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل  
أن يرتد إليك طرفك﴾ . في نفس اللحظة رآه مستقراً عنده . ﴿فلما رآه  
مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر﴾<sup>(٢)</sup> .

لاحظوا المسألة : إذا كان سليمان نبي ليس من أولي العزم ، فهناك  
أنبياء أعظم من سليمان هم أولو العزم ونبينا أعظم من أولي العزم جميعاً  
وهو محمد ﷺ . إذن لاحظوا التفاوت العظيم في أولي العزم . فإذا كان  
إبراهيم عنده وصي ، وموسى عنده وزير ، وكذلك عيسى وزيره أعظم من  
آصف به برخيا لأن أولي العزم أعظم من سليمان . فإذا كان النبي أعظم  
حتى من أولي العزم فهذا معناه أن وصي رسول الله ﷺ يكون أعظم من  
سليمان ومن وزير سليمان .

نعود للمتشابهة لتحدث عن الإمام الحسين عليه السلام فهو يوم عاشوراء  
يخاطب أهل الكوفة : «أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي هذان سيدا  
شباب أهل الجنة ؟ فإن كذبتوني فإن فيكم من إذا سألتموه عن ذلك  
أخبركم . سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبا سعيد الخدري ، وسهل بن  
سعد ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة  
عن رسول الله» .

بعد ذلك يقول : «أما في هذا رادع لكم عن سفك دمي وانتهاك  
حرمتي ؟» .

نقول : إذا كان هذا كله متشابه الكلام معكم يا أهل الكوفة ويا بني  
أمية ، إذا كان هذا الكلام متشابهاً وإذا كانت الأحاديث غير صحيحة «أليس

(١) سورة النمل ؛ الآية : ٣٨ و ٣٩ .

(٢) سورة النمل ؛ الآية : ٤٠ .

الحسين ابن بنت نبيكم؟» هل عندكم إشكال بذلك؟ أليس هذا الحسين آية محكمة؟ وهل هناك من يشك أن الحسين ابن بنت رسول الله؟ وهل يشك أحد أن علياً بن أبي طالب هو أعظم الخلق بعد رسول الله؟! وأشجع الناس، وأطهر الناس، وأعبد الناس، وأزهذ الناس، وأتقى الناس؟... كلاً، لا يوجد إشكال في ذلك. إذن هو وجوده آية محكمة ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون﴾<sup>(١)</sup> لماذا تختلفون في علي بن أبي طالب؟ إنه آية محكمة. ألم تروه؟ ألم تنظروا إليه في ساحات الحرب؟ في الحكم، في العدالة الاجتماعية بين الناس؟ الله أعطاه قدرة. وإذا كان الله أعطى قدرة لأصف بن برخيا وزير سليمان أن يحضر عرش بلقيس؟، ألا يتمكن الله من أن يعطي القدرة لعلي بحيث إذا استنجدت به وقلت يا علي، كما كان الرسول يقول، ألا يحضر عندك وهو باب من أبواب الله؟ إنه شيء طبيعي.

أيها الأخوة: ليلتان ويأتي العيد، أعاده الله عليكم بالخير والسعادة والبركات، إنها ليالي عظيمة قضيناها معاً، فتعالوا الآن كي نصفي حسابنا مع أنفسنا ومع الشيطان، لتوجه جميعاً إلى الله تبارك وتعالى نطلب المغفرة، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سورة النبأ؛ الآيات: ١-٣.

## الليلة الثامنة والعشرون

### علي وعلم النفس

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا من إذا عدت مناقب غيره      نجحت مناقبه وكان الأفضلا  
إني لأعذر حاسديك على الذي      أولاك ربك ذو الجلال وفضلا  
إن يحسدوك على علاك فإنما      متسافل الدرجات يحسد من علا

﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ (١) .

الحسد أيها الإخوة صفة من صفات القبح في الإنسان ، وقديماً قيل :  
الحسود لا يسود . فالحسود أناني بطبعه يريد كل شيء لنفسه . والحقيقة أنه  
ما من إنسان في الوجود توجهت إليه سهام الحسد مثل الإمام علي بن أبي  
طالب عليه السلام . فاسمعوا ماذا يقول الإمام الشافعي في هذا الخصوص ،  
يقول : ماذا أقول في رجل كتم أحباؤه فضائله خوفاً على أنفسهم ، وكتم  
أعداؤه فضائله حسداً له ، ثم كان قد انتشر بين ذين وذيين من الفضائل ما  
ملا الخافقين في كل العالم .

إن قضية حسد الإمام علي بن أبي طالب لها جذورها في القرآن

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٤ .



الكريم ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم﴾  
لاحظوا القرينة التي تبين أن هذه الآية خاصة بالإمام علي . فمن هم آل  
إبراهيم ؟ آل إبراهيم هم : الرسول وأهل بيته ، لأن الرسول من ولد  
إسماعيل ، الرسول وأهل البيت من ولد إسماعيل ، فالإبراهيم يعني محمد  
وأهل بيته ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾ فالكتاب يعني التشريع  
والأحكام الظاهرة . والحكمة هي أسرار القرآن ، وأسرار القرآن موجودة عند  
علي والزهراء وهذا شيء ثابت لا جدال فيه . فالزهراء في خطبتها المشهورة  
تقول : «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي» . طبعاً  
لا يستطيع أحد أن يجيبها فهي أعرف بأسرار القرآن ، وهي تدرك تماماً من  
هو أبوها ، وما علاقته بربه ، وهي تدرك تماماً من هو زوجها ، وما علاقته  
بأبيها .

هذا الموضوع له أهمية كبيرة في كل البحوث التي طرقتها وتعرضنا  
لها بالشرح والتحليل في الليالي المنصرمة ولذلك سنوضحه الآن وسنقف  
على حقيقته كما هي لا كما أشار إليها الكتبة والمؤرخون الذين يكتبون كل  
على ليلاه .

ما الحسد ؟ هل تشترك كل الكائنات في الحسد ، أم أن الإنسان  
وحده الذي يحسد ؟ أكثر من ذلك ، مَنْ الذي يحسد ؟ هل كل الناس  
يحسدون أم هناك نوع خاص من الناس يتصف بهذه الصفة ؟ .

الحقيقة أن الكائنات لا تشترك مع الإنسان في الحسد ، فالإنسان  
وحده الذي يحب هذه الدنيا ويحب أن يتعلق بها ، يحب ذلك بعقله ووعيه  
وشعوره ولذلك يحسد من هو أغنى منه ، ومن يستطيع الوصول إلى مراكز  
عالية فيها ، بينما الحيوانات والكائنات الأخرى لا تعي هذه الأمور ، من  
أجل ذلك لا يحسد بعضها بعضاً . إن الحسد لا يوجد إلا عند الإنسان وهو  
نتيجة غريزة اسمها الغضب ، وللغضب عند علي بن أبي طالب غريزتان :  
الحقد والحسد . والغضب من الله سبحانه وتعالى ، لكنه خلقه فينا كي  
نستخدمه من أجله ، نغضب لله ولا نغضب لهذه الدنيا الفانية . إذا غضبنا

وجب علينا أن نستعمل عقلنا ، وعقلنا فيه شفاء غضبنا ، وهو يدعوننا إلى أن نكظم الغيظ . قال الله تبارك وتعالى : ﴿والكاظمين الغيظ﴾ لم يقل والفاقدين الغيظ ، لاحظوا الدقة . فالغيظ موجود لكننا مأمورون بكظمه ، إن المبادئ الإسلامية تنصّ على ذلك تدعوننا إلى التروي فتقول لنا إنك إذا كنت قائماً في حالة الغضب عليك أن تقعد ، وإذا كنت قاعداً فقم أو اضطجع أو جدد وضوءك ، فالغضب حالة شيطانية وعلينا أن نُبعد وسوسة الشيطان عن أذهاننا ، الغضب جمرة من الشيطان ، الوضوء يطفئها ، والحركة تضعفها ، والعقل يزيلها ، فإذا لم يستعمل الإنسان عقله في مثل هذه الحالات فربما ينتقل به الشيطان من خطأ إلى خطأ ومن ذنب إلى ذنب ومن إثم إلى إثم ومن جريمة إلى جريمة .

أي شيء يهدى غضبنا وغيظنا ؟ : ذكر الله ، قراءة القرآن ، السيرة النبوية ، سيرة أهل البيت ، الصوم ، تذكر الموت وتذكر الآخرة ، وعدم حبّ الدنيا إلا إذا كان هذا الحب من أجل الآخرة . فالإسلام لا يريد منا أن نكون رهباناً ، اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً . ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ (١) .

هذه ملاحظة يجب أن نلتفت إليها ونعطيها حقها من التقدير . «حب الدنيا رأس كل خطيئة» فالحسد يأتي من الإنسان الذي لا يملك فضيلة إلى إنسان يملك الفضيلة . يعني من الإنسان الضعيف إلى الإنسان القوي ، من الإنسان الناقص الإيمان ، إلى الإنسان المؤمن . هذه قاعدة الحسد . هل سمعتم أن عالماً حسد جاهلاً ؟ وهل سمعتم أن كريماً يحسد بخيلاً ؟ وهل سمعتم أن شجاعاً يحسد جبناً ؟ .

لكن ، انتبهوا ، من يحمل علماً أقلّ يمكن أن يحسد من يحمل علماً

---

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٧٧ .

أكثر ، ولكن عند مَنْ ؟ عند غير الربانيين . فالعلماء غير الربانيين يحسدون العلماء الربانيين ، أما علماؤنا ، هؤلاء المرتبطون بأهل البيت فهم منزهون عن الحسد ، والحمد لله ، لأن فضائلهم كثيرة ، بل يعلمون جيداً معنى الفضيلة ، ويعلمون جيداً أن الحاسد إنسان ضعيف : ضعيف علمياً وثقافياً ودينياً وعقلياً وأخلاقياً . . . وهو بالتالي لا يعي موقفه ولا يفقه مكانته ؛ في ظنه أنه يمكن أن يؤثر في نفس المحسود لكن الحقيقة غير ذلك ، لأن المحسود المؤمن مصان من الله تعالى ، المحسود المؤمن مظلوم والله سبحانه وتعالى يدافع عن المؤمنين المظلومين كما دافع عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فالقضية تعود على الحاسد نفسه . ألا قال الله الحسد .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لسان حسود  
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عَرَف العود

### المعتصم ووزيره الحسود :

لا شك أنكم تسمعون بقصة المعتصم ووزيره الحسود . ملخصها أن المعتصم كان له وزير ، وكان هناك أعرابي فطن لبيب محدث ، يروي الشعر وأيام العرب ، ينظر إليه المعتصم نظرة إعجاب وتقدير ويقربه إليه الأمر الذي كان يغيظ الوزير ويضايقه كثيراً فصمم على الإيقاع به . دعا الوزير الأعرابي إلى مأدبة وأكثر فيها من مادة الثوم . وعند الانتهاء من الأكل قال الوزير : أيها الأعرابي ، يا أخا العرب إذا جلست غداً بجانب المعتصم ضع على فمك ومنخارك منديلاً كي لا تنتشر رائحة الثوم فالمعتصم يتضايق من هذه الرائحة . فشكر الأعرابي للوزير نصيحته وقال إنه سيعمل بموجبها .

وحتى تتم المكيدة ، ذهب الوزير في الحال إلى المعتصم وقال له إن هذا الأعرابي المكرم لديك أساء سمعتك لدى الناس مدّعياً أن لفمك رائحة نثنة لا تُطاق والدليل على ذلك أنه سيتعد عنك غداً وسيضع على فمه ومنخاره منديلاً كي لا يشم رائحة الثوم .

في اليوم التالي جاء الأعرابي ملثماً فتنحى بعيداً عن المعتصم .  
وعندما أيقن المعتصم من صدق ما قاله وزيره كتب رسالة إلى أحد عمّاله  
يطلب فيها قطع رأس حاملها ، وقال للأعرابي هذا كتاب إلى أحد عمالي  
في البصرة طلبت لك فيه جائزة مالية قيمة فانتقل به إليه .

عندما أخذ المسكين الكتاب وانطلق به فرحاً مسروراً طلبه الوزير ،  
فلما روى له ما فعل المعتصم قال له : لا أريد أن أتعبك بالسفر إلى البصرة  
فأنا في مهمة ضرورية إلى هناك فاعطني الرسالة وإليك مني جائزة المعتصم  
حال رجوعي فالخليفة لا يستغني عنك وعن حديثك الممتع طيلة أسابيع .

المعتصم لم يقل في رسالته أقطع رأس الأعرابي ، وإنما قال أقطع  
رأس حاملها . انطلق هذا الحسود إلى البصرة يريد الجائزة السنية لنفسه ،  
وعندما فتح عامل البصرة الرسالة نفذ أمر الخليفة وقطع رأس حاملها بناء  
لطلبه الذي لا يردّ .

نعود إلى الأعرابي الذي طيّب رائحة فمه بكثرة ما أكل من النعناع  
فزالت رائحة الثوم نهائياً ، وفي مجلس المعتصم جلس كعادته إلى جانبه ،  
فرحب به الخليفة وسأله عن الوزير وعن عدم وضع المنديل على فمه فقال  
له : دعاني الوزير البارحة إلى مائدة طعام وأكثر فيها الثوم وفهمت منه عند  
الانتهاء من الأكل أنكم تتضايقون كثيراً من رائحة الثوم فوضعت المنديل  
الذي شاهدته البارحة على فمي حتى لا أكون سبباً في إزعاجكم . .

قال المعتصم : ويلك ! أين الكتاب ؟ .

قال الأعرابي : أخذه مني الوزير بعدما وقف على حقيقة الجائزة ،  
وقال لي أنا أتيك بالصلة . فضرب المعتصم كفاً بكفّ وقال : قاتل الله  
الحسد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله .

هذه القصة ، بغض النظر إذا كانت صادقة أو غير صادقة ، هي أعظم  
درس لنا ، يمكن أن يفيد منها كل إنسان فهي تشير بصورة واضحة إلى

النهاية التي يمكن أن يصل إليها كل حسود ، إنها نهاية الحياة لا أكثر ولا أقل ، فالحسود مؤذٍ ، وخبيث ، وغشاش ، وناكر للجميل ، وأناني وطامع ، ... تصوّروا مثل هذه الصفات إذا اجتمعت في إنسان ما فكيف تكون نفسيته ؟ .

اقرأوا القرآن أيها الأخوة ، ففيه العبر ، وفيه أجوبة على كل تساؤلاتنا ، يقول في آخر سورة الفلق : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ... من شر حاسد إذا حسد ﴾<sup>(١)</sup> .

إذا حَسَدَ : أي إذا أظهر حسده . لأن الحسد في بعض الأحياء يستتر ولا يظهر فتجتمع عوامل في أوقات معينة فتظهره . فما هي هذه العوامل ؟ إنها حب الدنيا ، وحب الجاه والرئاسة ، وحب المال ، وحب الشهرة ، وحب التزعم ، وإلى جانبها فراغ رهيب في الأخلاق ، وحققد دفين في القلب ، ومكر وخداع وغش ... إنها تجتمع كلها في شخص ما لتكون منه رجلاً خبيثاً لثيماً . ومعلوم أن الرجل الخبيث اللثيم لا يقدر أن يسيطر حتى على حسده فهو يتمرد حتى إذا كافأته ، ولذلك قال الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته      وإن أنت أكرمت اللثيم تمرّدا  
وقال أيضاً :

إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه      فكل رداء يرتديه جميل  
وهذا صحيح ، فإن أقبح الصفات هي الحسد الذي يأتي بمعنى اللؤم ، لأن الحسود هو الذي يسعى دائماً لإيقاع الفتنة بين الناس ، من أجل ذلك تُكتب التعاويذ لردع أذاه وإصابة عينه .

### الحسد لا ينفع مع الامام علي :

كان علي بن أبي طالب عليه السلام يحسد كثيراً على أحاديثه عن رسول الله

(١) سورة الفلق ، الآيات : ١ - ٥ .

ﷺ ، فاخترعوا له أبا هريرة ، أبو هريرة هذا ، له آلاف الأحاديث تتناول كل شؤون الحياة . طيب ، إذا كان أبو هريرة له هذا العدد من الأحاديث ألا يحق لنا أن نتساءل : وأين أهل البيت ؟ أين الحسن ؟ أين الحسين ؟ أين الزهراء وأين الصحابة ؟ بل أين علي بن أبي طالب ، وأين ابن عباس ، وأين أبو ذر ؟ ! أحاديث هؤلاء جميعاً لا تساوي عدد أحاديث أبي هريرة وحده . هل نصدق هذا ؟ هل هذا معقول ؟ .

قال له معاوية : أتعرف هذا الحديث الذي يقول : أنا مدينة العلم وعلي بابها ؟ هل يمكن أن يجعل لأبي يزيد ؟ قال والله لا أتمكن من ذلك لأنه من الشهرة بحيث لا يستطيع أحد أن يلصقه بك . قال : ادخلني في الحديث بأي شكلٍ شئت . في هذه الأثناء شرحبيل يسمع ، قال : الحديث هو : أنا مدينة العلم وعلي بابها . نستطيع أن نضع عالي بدل علي فيصبح الحديث على الشكل التالي : قال رسول الله ﷺ : أنا مدينة العلم وعالي بابها . هنا ضجَّ الحاضرون بالضحك . فقال معاوية : الأحسن أن تدخلني أنا في الحديث . وبين زيادة كلمة من هنا وحذف كلمة من هناك أصبح الحديث : أنا مدينة العلم وعلي بابها ومعاوية مفتاحها . ونحن نتساءل : بالله عليكم ، إذا ضاع هذا المفتاح من أين يحصل عليه معاوية ؟ .

المهم أن كل الحسد من علي بن أبي طالب لم يغيّر في الأمر شيئاً ، إن علياً بن أبي طالب بقي يُسبّ على المنابر ثمانين سنة ، يبدأ الخطيب بسبّه وينتهي بشتمه ، وهو يزداد احتراماً من الناس ، والمؤمنون الطاهرون يلهجون بذكره ، ويسمّون أولادهم باسمه ، ويكفيه شرفاً ما قاله فيه النبي ﷺ : «يا علي لولا إني أخشى أن تقول فيك فئة من الناس ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك مقالة ، ألا تمرّ على أحد من الناس إلا وأخذوا التراب من تحت قدميك» .

هذا هو علي برأي محمد ﷺ فما ينفع حسد الحاسدين ؟ قال ابن أبي الحديد وهو يتحدث عنه وعن عظمته :

«لقد أنسى الناس ذكر من كان قبله ومحا اسم من يتأتى بعده ،  
ومقاماته في الحروب مشهورة تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة ، فهو  
الشجاع الذي ما فرّ في موقف قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحداً إلا  
قتله ولا ضرب ضربة واحتاج إلى الثانية فكانت ضرباته وتراً» .

نعم ، ماذا ينفع حسد الحاسدين ؟ وعلي بن نفسه يقول : «سلوني قبل  
أن تفقدوني ، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين  
الساعة ، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها  
وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ، سلوني عن كتاب الله ، فوالله الذي لا  
إله غيره ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار . أم بسهل أم جبل»  
يחסدون عليّ لأن المنزلة التي وصل إليها لا يمكن لأيّ إنسان أن يصل  
إليها بشجاعته وتقواه ودفاعه عن الإسلام وحبّه للنبيّ ﷺ . يمكن لأي  
إنسان أن تكون عنده صفة جيدة ، فضيلة ، مكرمة ، لكن الفضائل التي  
اجتمعت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لا يمكن أن تجتمع في  
إنسان ؛ من أجل هذا فإن ضعاف النفوس كانوا يحسدونه ويتمنون إزاحته ،  
فالحسد لا يأتي إلا من إنسان فيه علة ، أما المؤمنون ، أما العلماء الربانيون  
هؤلاء الذين يتصفون بالصفاء ، هؤلاء الذين تخرجوا من مدرسة أهل البيت  
والذين نذروا أنفسهم للإسلام ولقضايا المسلمين هؤلاء لا مكان للحسد في  
قلوبهم .

يقول الإمام الباقر في حديث له : إبليس حسد آدم فأورث حسده عليه  
اللعنة ، وأورث لآدم الاصطفاء ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً﴾<sup>(١)</sup> .

إبليس أخذ اللعنة من الحسد ، والمحسود آدم ، الذي اصطفاه الله  
تبارك وتعالى . إنها قاعدة عامة ، لذلك يجب ألا نفسح في المجال للحسد  
حتى يدخل إلى قلوبنا ، فإذا عوّدنا أنفسنا على التربية الصالحة نكون قد  
انتصرنا على كل الصفات القبيحة التي تغزو قلوب الضعفاء ومنها الحسد

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٣٣ .

الذي هو أخطرها ، ولنبدأ بتربية نفوسنا وتهذيبها من بيوتنا .

يقول الإمام علي عليه السلام : «إقلع أشواك الحسد من نفوس أبنائك» قيل له : وكيف نقلعها يا أبا الحسن ؟ قال : إذا كنتم مع أولادكم في بيوتكم فاعدلوا معهم ، لأن الله يحب أن تعدلوا بينهم حتى في القبل . فإذا قبل الوالد ابناً له ولم يقبل الآخر الذي يرى المشهد أمامه ويرى حنان أبيه يتدفق على أخيه فإنه يمهد للحسد كي يغزو قلبه .

وكذلك الرجل الذي يمدح امرأة عند زوجته ويكرّر ذلك في مناسبات كثيرة ويسكت عن زوجته فكأنه يجرّها إلى الحسد جرّاً خاصة إذا كانت هذه الزوجة تعرف الممدوحة جيداً . وليعلم الجميع أن الحسد لا يكون بيننا وبين من هم بعيدون عنا ، كلاً ، فالذي في كولومبيا لا يحسدني وأنا هنا في الكويت . من يحسدني هو ابن محلّتي ، هو زميلي في الوظيفة ، الحسد يكون عادة بين من هم في عمل واحد ، من أجل ذلك كان علينا أن نتحلّى بالوعي الكامل ، وأن نعرف ما هي مسببات الحسد . فالشخص المتعلم الذكي يعرف كيف يعالج الأمر ويعرف كيف يربي أولاده تربية صالحة تبعدهم عن الغيرة والحسد ، وكذلك فالأم الصالحة المؤمنة المتعلمة لها دور فعّال في إبعاد أبنائها عن الغيرة والحسد ، وهذه مهمة من مهماتها اليومية في بيتها لأنها الوحيدة التي تمكث مع أولادها وقتاً طويلاً في النهار والليل وتعرف خبايا نفوسهم فتزرع فيهم الفضيلة إن كانت فاضلة وتدفعهم إلى الرذيلة إن كانت فاجرة . من هنا التركيز على دور المرأة في المجتمع . فالمرأة المؤمنة التي نهلت من ينابيع أهل البيت ووقفت على سيرة الزهراء وزينب ، مثل هذه المرأة التي تشبعت بسيرة الأطهار لا يمكن أن تكون حسودة في يوم من الأيام ، لأن المؤمن التقي الصالح الطاهر تصفو نفسه ويطمئن قلبه وتخلص سريره فيصبح إنساناً أريحياً يرتاح لعمل الخير ويتصرف بضمير حيّ ولا يعيش على الإطلاق أجواء الحسد والغيرة اللذين يشدان المرء إلى التعلق بهذه الدنيا ولذاتها ومباهجها وزخرفها ، بينما



الإيمان والتقوى يشدان الكائن البشري باتجاه السماء للعيش الهنيء في ظلال الله تبارك وتعالى .

التربية الصحيحة التي تبعدنا عن الحسد والغيرة تبدأ من البيت ، مع الأطفال الصغار ، هؤلاء الذين يتلقون منكم كل شيء ، إنهم المرآة التي تنعكس عليها صوركم ، فاعطوهم من حنانكم وابعدوهم عن الحسد والغيرة بتصرفاتكم الصحيحة معهم . فالرسول ﷺ كان عندما يبدأ بتوزيع الهدايا على الناس أو غيرها من الأشياء يبدأ بالأطفال الصغار ، لماذا ؟ لأنهم أرق أفئدة ، لا يحتملون الصبر وليس لهم طاقة عليه .

كان يبدأ بالصغار ثم بعد ذلك يأتي دور الكبار . نحن بالعكس ، نهتم دائماً بالكبير ، قائلين : على الصغير أن يحترم الكبير ، صحيح ، لكن هذا الصغير الذي تراه أمامك هو إنسان عظيم ، أنه كبير في حجم صغير .

### الحسد في قصة يوسف :

إن مشاعر الأطفال أسرع وأقوى وأعمق من مشاعر البالغين ، الأطفال يختزنون معلوماتهم ويفرزونها في وقت ما . ولذلك يُقال إن السبب في حسد أخوة يوسف له أن يعقوب كان يقدم يوسف عليهم ويفضله أكثر ، ويعقوب لم يكن على خطأ لأنه كان نبياً معصوماً ، لكن يوسف كان جميلاً وذكياً وعظيماً . . . كان عمره تسع سنوات وأخوته عصبة والعصبة كبار وأشداء لا يحتاجون إلى عطفٍ وحنان كما يحتاج يوسف الصغير ، ومع ذلك فقد حسدوه . اجتمعوا وقرروا أن يقتلوه . رموه في البئر كما تعلمون ، لاحظوا فعل الحسد في النفوس ، يعمي القلوب والبصائر ويجعل الإنسان في ظلام ، يدفعه إلى الجريمة ، ومع من ؟ مع الأخ والشقيق . جاؤوا عشاءً ليكون إلى أبيهم ومعهم قميصه الملوّث بدم كاذب . ذبحوا نعجة ولطخوا القميص بدمها . ﴿يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ (١) .

(١) سورة يوسف ؛ الآية : ١٧ .

لاحظوا الحسد ، طبعاً يعقوب يعرف أن الذئب إذا افترس إنساناً ما فإنه لا يمزق جسده فقط ويترك قميصه سالمًا وإنما التمزيق يكون في الجسد والقميص معاً . وهذا القميص يبقى سرّاً من الأسرار . فهو فضح جريمتهم ، بسبب حسدهم ، وهو نفسه أدى إلى عمى يعقوب من كثرة البكاء على يوسف ، وهذا القميص نفسه أيضاً يخلص يوسف من تهمة كبرى في بيت الملك في مصر ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن ﴾<sup>(١)</sup> والقميص هذا كان سبب إرجاع بصر يعقوب قال : ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً ﴾<sup>(٢)</sup> ترى في أي جامعة من العالم تعرف هذه الأسرار . . .

هذا القميص نفسه يبقى عند يوسف ، وبواسطة هذا القميص يحكم الكرة الأرضية ويدير السياسة والاقتصاد ويستمر القميص ويبقى ، ويبقى حتى يصل إلى الإمام الحجة عليه السلام فهل نعرف هذه الأسرار ؟ ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾<sup>(٣)</sup> .

اليهود كانوا يحسدون النبي محمد ﷺ والكفار والمنافقون كانوا يحسدون علياً يقول الرسول : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله . فيخرج أحدهم من بين القوم ويقول : يا محمد (لا يقول يا رسول الله) أسألك : أهذا الأمر من عندك أم من عند الله ؟ لاحظوا الحسد . قال : والذي بعثني بالحق نبياً هذا الأمر من الله وأنا تباطأت به لكن الآن نزل عليّ جبرائيل ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾<sup>(٤)</sup> قال السائل وهو يرفع يديه : اللهم إذا كان هذا الحق من عندك فأنزل علينا صاعقة من السماء ، فأنزل الله إليه

(١) سورة يوسف ؛ الآية : ٢٨ .

(٢) سورة يوسف ؛ الآية : ٩٣ .

(٣) سورة النساء ؛ الآية : ٥٤ .

(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ٦٧ .

طيراً من سرب طيور أباييل يحمل حجراً رماه عليه فما أخطأه فمات .

إنه الحسد أيها الأخوة الذي يميت القلوب ، إنه النار التي تلتهم كل شيء . قال النبي ﷺ : إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

لنقف قليلاً هنا . تعلمون أن الحسنات أقوى من السيئات هذا صحيح . ففي القرآن الكريم : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾<sup>(١)</sup> الحسنات قوية لأنها من الله تبارك وتعالى أما السيئة فهي من الشيطان ، وهذه الحسنات على قوتها فالحسد يطالها . الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . ذكر النار ولم يذكر الإعصار مثلاً لأن الحسد من الشيطان والشيطان أصله من النار ﴿قال خلقتني من نار﴾ والنار دار بوار ، تحرق الأخضر واليابس . هذا هو الحسد إنه داء خبيث علينا تجنبه والابتعاد عنه خاصة إذا أبعدا عنا حب الدنيا والتعلق بشهواتها وملذاتها ، وخاصة إذا عرفنا أننا ندخلها عراة ونخرج منها عراة . وماذا لو غبطننا الناس بدل أن نحسداهم ؟ المؤمن يغبط والمنافق يحسد . والغبطة هي أن تتمنى دوام النعمة لغيرك وتتمنى على الله أن يعطيك مثلها . فالذين يغبطون الناس تكون قلوبهم عامرة بالإيمان والصدق والفضيلة والتقوى ، وعكس ذلك تكون قلوب الحاسدين ، فالفرق شاسع ، وشاسع جداً بين أن تغبط الناس وتحسداهم . هنا المثال في الأخلاق الفاضلة وهناك الخبث واللؤم والأنانية فاعرفوا أيها الأخوة أيّ المزايا تريدون ، وأي سلاح تريدون أن تحصنوا به أنفسكم ، وأي لباس تريدون أن يستر أجسادكم ، واعلموا أن غداً ستلاقون ربكم يوم لا تنفع شفاعاة ولا استغفار ، فازرعوا الخير لتحصدوا الخير وازرعوا الفضيلة لتحصدوا الفضيلة وساعتها يمكنكم أن تتوبوا وتستغفروا والله لن يكون إلاّ رحيماً غفوراً ، تمنّوا على الله كي يطرد عنكم حسد الحاسدين وقولوا : بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى

(١) سورة هود ؛ الآية : ١١٤ .

مَلَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قُولُوا : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَسْلَمْتُ نَفْسِي وَإِلَيْكَ وَجَّهْتُ  
وَجْهِي وَإِلَيْكَ فَوَّضْتُ أَمْرِي فَاحْفَظْنِي بِحِفْظِ الْإِيمَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ  
خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَمِنْ تَحْتِي وَادْفَعْ عَنِّي بِحَوْلِكَ  
وَقُوَّتِكَ فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

مثل هذه الأدعية تحفظكم أيها الأخوة من أعين الحاسدين وما  
أكثرهم ، هؤلاء ليس لهم نصيب من الثواب ، وليس لهم نصيب من  
الجنة ، فإذا تعرَّضوا لنا في حياتنا علينا أن نقاوم ولا نياس وخذوا العبرة من  
رائدكم الإمام علي بن أبي طالب فحين زواجه من الزهراء بدأت تحاك ضده  
المؤامرات وتفتعل المشاكل حتى وصل الأمر أن اثنين من الصحابة طلحة  
والزبير يأتیان بزوجة النبي ﷺ بحرَّضانها عليه . تصوَّروا ، من كان يظن  
أن الأمر سيصل بهما إلى ما وصلنا إليه . إنه الحسد أيها الأخوة ، الحسد  
الذي لن ينفع أحداً يوم القيامة : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ  
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> ضَعُوا نُصْبَ أَعْيُنِكُمْ الْقَوْلَ الْمَأْثُورَ : الْحَسُودُ لَا يَسُودُ ،  
لأن الحسد يجر صاحبه إلى المهالك ، وقانا الله شرَّ الحاسدين .

---

(١) سورة الشعراء ؛ الآية : ٨٨ .

## الليلة التاسعة والعشرون

### في مدرسة الامام أمير المؤمنين

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روى جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله عليه عن فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها أنها قالت : دخل عليّ أبي رسول الله ﷺ في بعض الأيام فقال لي : السلام عليك يا فاطمة . فقلت : وعليك السلام يا أبتاه يا رسول الله . قال : يا فاطمة إني أجد ضعفاً في بدني . فقلت : أعينك بالله يا أبتاه من الضعف . قال لي : يا فاطمة : إئتني بالكساء اليماني فغطيني به . قالت فاطمة ، فأتته بالكساء اليماني فغطيته به وصرت انظر إليه فإذا وجهه يتلألاً نوراً كأنه البدر ليلة تمامه وكماله . قالت فاطمة الزهراء عليها السلام فما كانت إلا ساعة وأذا بولدي الحسن قد أقبل فقال لي : السلام عليك يا أماه . فقلت : وعليك السلام يا ولدي وقرّة عيني وثمره فؤادي . فقال لي : يا أماه ، إني أشمّ عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدّي رسول الله ﷺ . فقلت : نعم يا ولدي إن جدك نائم تحت هذا الكساء . فأقبل الحسن نحو الكساء وقال : السلام عليك يا رسول الله ، أتأذن لي أن أدخل معك تحت هذا الكساء ؟ قال : وعليك السلام يا ولدي وقرّة عيني وثمره فؤادي وصاحب حوضي ، قد أذنت لك . فدخل الحسن مع جدّه تحت الكساء . قالت : فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسين قد أقبل . قال : السلام عليك يا أماه . قالت فاطمة : وعليك السلام يا ولدي ويا قرّة

عيني وثمره فؤادي . قال لي : يا أمّاه إني أشم عنديك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله . فقلت له : إن جدّك وأخاك تحت الكساء . فدنا الحسين من الكساء وقال : السلام عليك يا جدّاه يا رسول الله ، أتأذن لي أن أدخل معكما تحت الكساء . قال : وعليك السلام يا ولدي ويا قرّة عيني ويا ثمره فؤادي وشافع أمّتي ، قد أذنت لك .

لاحظوا . إنه يعطي لكل واحد منهما صفة خاصة : للإمام الحسن صاحب حوضي . وللحسين شافع أمّتي .

دخل الحسين تحت الكساء . قالت : فما كانت إلّا ساعة وإذا بأبي الحسن علي أمير المؤمنين قد أقبل فقال لي : السلام عليك يا بنت رسول الله ، السلام عليك يا فاطمة . قلت : وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين . فقال لي : يا فاطمة ، إني أشم عنديك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول الله . فقلت : هاهو مع ولديك تحت الكساء . فأقبل علي نحو الكساء وقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا من اختاره الله ، أتأذن لي أن أدخل معكم تحت هذا الكساء ؟ فقال : وعليك السلام يا أخي ووصي ووزير وخليفتي من بعدي . قد أذنت لك . فدخل علي معهم تحت الكساء . قالت فاطمة : فدنوت من الكساء ، فقلت : السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل معكم تحت هذا الكساء ؟ قال : وعليك السلام يا ابنتي ويا بضعي ، قد أذنت لك . قالت فاطمة : فدخلت معهم تحت الكساء . تقول فاطمة : فلما اكتملنا جميعاً تحت الكساء أخذ أبي رسول الله ﷺ بطرفي الكساء وأوماً بيده اليمنى نحو السماء وقال : اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحماتي ، لحمهم لحمي ، ودمهم دمي ، يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم ، أنا حرب لمن حاربهم وسلّم لمن سلّمهم ومحب لمن أحبهم وعدوّ لمن عاداهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك عليّ وعليهم واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

ثم جاءت أم سلمة وقالت : وأنا منهم يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنك إلى خير ، أو على خير .

تقول فاطمة : فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى ملائكته وسكان سماواته ، قال : يا ملائكتي ويا سكان سماواتي وعزتي وجلالي ، إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ، ولا فلکاً يدور ، ولا فلکاً يسري ولا بحراً يجري إلا لأجل هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء .

يعني حسب كل موازين القرآن ، لأن هؤلاء الخمسة إذا لم يكونوا موجودين فلماذا هذا الكون ؟ ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾<sup>(١)</sup> والعبادة لا تتحقق إلا بوجود هؤلاء الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وإلا بمن تتحقق العبادة ؟ بمعاقبة أم بعمر بن العاص ؟ بيزيد أم بالوليد بن يزيد ؟ بمن تتحقق العبادة ؟ ببني أمية أم بالعباسيين ؟ بالظلمة وأعوان الظلمة ؟ بالفجرة ، بالفسقة ؟ بمن تتحقق عبادة الله ؟ إنها لا تتحقق إلا بهم ، هؤلاء : بمحمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

تقول فاطمة : نزل الأمين جبرائيل فقال : ومن يا ربّ تحت الكساء ؟ (الحديث في الملاء وفاطمة تسمعه وتنقله إلى العالمين) قال : هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة هم فاطمة وأبوها وبعلاها وبنوها . لاحظوا . إن فاطمة هي المحور لأنها الكوثر ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ والكوثر هو المحور لرسول الله ﴿فصلّ لربك وانحر إن شانك هو الأبر﴾<sup>(٢)</sup> .

تقول فاطمة : فقال الأمين جبرائيل : يا رب أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون لهم سادساً . قال : نعم قد أذنت لك . فهبط الأمين جبرائيل فوقف أمام الكساء وقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا من اختاره الله ، أتأذن لي أن أكون معكم . . . العليّ القدير الأعلى يقربك

(١) سورة الذاريات ؛ الآية : ٥٦ .

(٢) سورة الكوثر .

السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول وعزتي وجلالي . . . وقد أذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون سادساً ، فهل تأذن لي أنت يا رسول الله ؟ .

لاحظوا قوله : «أتأذن لي أنت يا رسول الله» هذا يعني أن طاعة الرسول واجبة كطاعة الله ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾<sup>(١)</sup> .

تقول فاطمة : فدخل جبرائيل معنا ، فرأيناه جميعاً : الرسول وعلي والحسن والحسين وأنا ، شاهدناه وسمعناه وهو يقرأ قول الله تبارك وتعالى : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾<sup>(٢)</sup> فالتفت الإمام أمير المؤمنين إلى رسول الله وقال : يا رسول الله ، ما لجلوسنا هذا تحت هذا الكساء من الفضل عند الله ؟ تقول فاطمة : فقال أبي رسول الله : يا علي ، والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة إلى أن يفرقوا .

قال علي : إذن والله فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا ورب الكعبة .

تقول فاطمة : فقال أبي ثانيةً : يا علي ، والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا ، وفيهم مهموم إلا وفرج الله هممه ، ولا مغموم إلا وفرج الله غمه ، ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته .

أسأل الله أن يفرج عن همومكم جميعاً ، خاصة وأن هذه الليلة هي آخر ليلة من شهر رمضان ، فاطلبوا من الله حوائجكم : يا الله : اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإني أتوجه إليك بوجه حبيبك محمد ووجه حبيبك علي ، ووجه حبيبك فاطمة ، ووجه حبيبك الحسن ، ووجه

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .



حبيبك الحسين ، اللهم اعفُ عنا يا مولاي ، لا ينقضي شهر رمضان إلا وأنت قد غفرت لنا ذنوبنا ورزقتنا خيراً الدنيا والآخرة وقضيت حوائجنا يا الله ، اللهم لا تحرمنا منهم ، اللهم لا تحرمنا من شفاعتهم ، اللهم إنا نرغب إليك بحبهم وشفاعتهم ، اللهم بهم نتوسل إليك يا أرحم الراحمين .

أيها الأخوة : الآن وأنتم تذكرون أهل البيت تشعرون بأن قلوبكم تتحرك نحوهم ، نسأل الله ألا يحرمكم من رؤيتهم أبداً رجالاً ونساءً . صدقوني أيها الأحبة أن الليالي التي أمضيناها مع الإمام علي بن أبي طالب كانت قليلة ، وقليلة جداً ، إننا لن نغرف إلا أقل من قطرة من بحره الواسع . كان يجب أن نصول ونجول أكثر في أحاديث أهل البيت ، لأنهم بحر عظيم مهما أخذت من جواهره تشعر بأنك بحاجة أكثر للغوص في الأعماق حتى تلتقط الدرر . ونساءل : لماذا التركيز على حديث الكساء ؟ والسبب أن التوحيد الخالص الصافي لا يوجد إلا عندهم ، ولأن علاقة الإنسان بالله صافية معهم ، ولأن الأسرة الطيبة الفاضلة تنبثق من أسرة فاطمة وعلي ، ولأن الفرد المؤمن يُصنع بحبهم وتوجيههم وإرشادهم ، ولأن الله يرضى لرضاهم ويغضب لغضبهم ، ولو كانوا يخطئون لما كان الله يرضى لرضاهم ، وما كان الله يغضب لغضبهم إنهم طاهرون مطهرون :

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

هؤلاء هم أهل البيت ، أهل الكساء ، إنهم الصفوة الطاهرة ، والأسرة الفاضلة ، والأخلاق النبيلة ، والعقول النيرة ، والإيمان الذي لا يُحد ، والحنان الدافق ، والعاطفة الرقيقة ، فلنجعلهم قدوة لنا في سلوكنا وأعمالنا ، ولنذكرهم في صلاتنا وصيامنا ، ولنعتبرهم مثلاً أعلى في حياتنا لأنهم أساتذة العالم في الفضائل والمحامد والمكارم .

**أجوبة على بعض الأسئلة :**

أيها الأحبة ، في ختام هذا المجلس أحب أن أُجيب عن بعض

أسئلتكم الكثيرة التي وردتني وذلك لضيق الوقت وكلها تدل على وعي وفهم وعمق إيمان والحمد لله وخصوصاً من الشباب والفتيات ، لقد جمعتها الآن في ذهني وأجوبتها ستكون في سياق حديثي هذا فانتبهوا .

● يتفكر أحدكم ويتساءل : أنا مخلوق ، هذا المنبر مخلوق ، النور مخلوق ، كل الأشياء مخلوقة ، وكل مخلوق وله خالق ، وكل مصنوع له صانع ، ، إذن كل ما في العالم من خلق الله . فمن الذي خلق الله ؟ إن هذا التفكير يدل على عدم إيمان ، وقد يرتجف البعض منكم إذا راوده مثل هذا التساؤل الذي يوسوسه له الشيطان وينفث في صدره مثل هذه السموم . ولكن إذا فكر المتسائل بالحل المبني على الإيمان وانطلق في تفكيره من قناعة إيمانية فإنه يستطيع أن يصل إلى جواب شافٍ مقنع عقلائي . انتبهوا أيها الأحبة إلى هذه المغالطة في طرح السؤال : إذا قلنا : من خلق الله ؟ معنى ذلك أن الله صار مخلوقاً ، وهذا لا يجوز ، فقبل قليل قلنا بأن لكل مخلوق خالقاً ، وقلنا بأن هذا الخالق هو الله تبارك وتعالى . فكيف نقول : من خلق الله ؟ ذلك يعني أن الله صار مخلوقاً وليس خالقاً ، إذن هو يحتاج إلى خالق آخر ، وذلك الخالق الآخر يحتاج أيضاً إلى خالق ثالث ، والثالث إلى رابع والرابع إلى خامس ، وهكذا ، إلى ما لا نهاية ، وهذا باطل في المنطق والفلسفة ، وقع فيه دارون وماركس وانجلز ودوركايم وهيغل ، ووقع فيه كل علماء الإلحاد في العالم .

عندما قال دارون أن الحياة بدأت بخليّة ، سأله : من أين جاءت الخلية ؟ قال : جاءت من كوكب آخر . قالوا : كيف استطاعت هذه الخلية أن تعبر طبقات الجوّ ، وكيف استطاعت أن تقاوم تكاثف الأشعاعات والحرارة ؟ قال : بقدرة قادر . ومن هو هذا القادر ؟ قال : لا أدري . وهكذا بقي هذا العالم يدور ويدور ويدور ، وعندما توصل إلى الحقيقة ، كتب رسالة إلى صديق له يقول فيها : إن كل شيء في الوجود خلقه الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي ليس له بداية وليس له نهاية ، ووقع عليها .

● نأتي الآن إلى الماديين الذين ينصحوننا بترك فكرة الله والدين والصلاة والصوم . . . قال ماركس إن الدين سببه الخوف والذعر والقلق ، والاضطراب ، فإذا كان ذلك صحيحاً فمعنى ذلك أن شعوب أفريقيا كلها يجب أن تكون متطرفة في التدين ، ثم إذا كان ذلك صحيحاً فإن جميع المتدينين يجب أن يكونوا جبناء ، والعكس هو الصحيح ، فإن الذين رفعوا لواء الدين هم أشجع الناس وأشدّهم بأساً والدليل على ذلك الإمام علي بن أبي طالب ، والحسن ، والحسين ، والإمام السجاد ، والإمام الصادق وكل أئمة الهدى ، هؤلاء الذين لم يكونوا يخافون إلا من الله وحده ، فمن يخفّ عليه أن يراجع إيمانه ، هذه قاعدة عامة ، هؤلاء الماديون ، ومنهم هيجل ، قالوا : إن المادة أزلية ، أعطوها صفة الإله ، قالوا إن المادة موجودة من الأزل ، ونسوا أن قانون الحرارة الديناميكية في الفيزياء يؤكد علمياً أن الأجسام في الكون تسير من حرارة أشدّ إلى حرارة أقلّ ، فلو كان الكون أزلياً ولو كانت المادة أزلية لفقدت حرارتها منذ زمن بعيد . إذن وجود هذا القانون أبطل نظرية الشيوعيين كما أبطلهم وأسقطهم وأسقط كل نظرياتهم في العالم وإلى الأبد .

لكن النظرية المقبولة المعقولة التي نؤمن بها هي التي تقول : إن كل ما في العَرَض لا بدّ أن ينتهي إلى ما في الذات . بعني هذا المنبر من خشب . ومنّ جاء بالخشب ؟ النجار . والنجار من أين جاء به ؟ من الغابة . والغابة من أين لها الخشب ؟ من الشجر . فهل تستطيع أن تقول والشجرة من أين لها الخشب ؟ ! الشجرة هي المصدر . انتبهتم ؟ .

تجلس مثلاً في مكان ، ترى أن هذه السجادة التي تجلس عليها رطبة . تقول : هذه السجادة رطبة فيها ماء . من أين جاءت الرطوبة ؟ من قربها من الحوض . والحوض من أين جاءت الرطوبة ، لأن فيه ماء . فهل تستطيع أن تقول والماء من أين جاءت الرطوبة . ! ؟ كلاً . إنه المصدر ، وكل ما في العَرَض لا بدّ أن ينتهي لما في الذات . إنها أمثلة بسيطة وواضحة أيها الأخوة .

تقول : هذا الطعام مالح . لماذا ؟ لكثرة الملح الذي وُضع فيه . فهل تقدر أن تقول : لماذا الملح مالح ؟ ! كلاً ، فالملوحة ترجع إلى الملح . إذن كل ما بالعَرَض لا بدّ أن ينتهي إلى ما في الذات .

كيف عالج أهل البيت هذه المسألة ؟

الإمام أمير المؤمنين يقول : لا تفكروا في ذات الله ، بل فكروا في خلق الله . لماذا ؟ لأن العقل الإنساني لا يستوعب المسألة ، ونحن لا نستوعب كيفية تركيب أجسامنا وعمل أعضائها . نحن نجلس إلى المائدة نمدّ أيدينا فنضع اللّقم في أفواهنا ونتركها فتتحوّل إلى أكثر من تسعين عنصراً من عناصر الحياة التي تعطينا قوة وطاقة ، لكن هل نستطيع أن نعرف كيف تمّ ذلك ؟ هذا الدم ، كيف يُصنع وأين يُصنع ؟ خلايا العظام كيف تعطينا الطاقة والحيوية وعلى أي أساس ؟ الكلّيتان اللتان تقومان بعملية خفر السواحل فتصفيان الجسم من السموم والبكتيريا وتحفظان الاحتراقات الكيماوية كلّها وتسربها مع الفضلات بواسطة البول ، هذه العملية كيف تتمّ ؟ هل استطاع العلم أن يخلق جناح بعوضة ؟ كلاً ، لماذا ؟ لأن جناح البعوضة فيه حياة . يستطيع الإنسان أن يصنع جناح طائرة وجناح الطائرة ليس فيه حياة كما تعلمون ، إنه من الألمنيوم والحديد وغير ذلك من المواد التي هي من خلق الله تبارك وتعالى .

● في العام الماضي كنت راجعاً من رحلة قمت فيها للتبليغ ، وأنا في الطائرة سألتني مضيقة هندية إن كنت أريد شيئاً ، فطلبت منها تهيئة مكان مناسب للصلاة ، وكان الوقت فجراً ، فقامت بالواجب خير قيام وأرشدتني إلى مكان في مؤخر الطائرة ، وهناك ليس ضرورياً أن تبحث عن اتجاه القبلة نظراً لصعوبة ذلك ، لكن إذا استطعت تحديده بواسطة البوصلة مثلاً ، خاصة إذا كانت الطائرة تسيّر في اتجاه واحد معروف ، يكون ذلك مفيداً جداً . المهم أنني استطعت تأدية الصلاة مخمناً اتجاه القبلة لأننا كنا قادمين إلى الشرق الأوسط معنى ذلك أننا في اتجاه القبلة ، فالمسألة هنا

تحتاج إلى أعمال فكر والتوكل على الله تبارك وتعالى .

● أما بالنسبة لرؤية الله ، فنحيلكم إلى ما قاله الإمام علي بن أبي طالب في أول نهج البلاغة ، قال : الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي لا يبلغه بعد الهمم ، ولا يناله عوض الفطن ، الذي ليس لصفته حدّ محدود ، ولا نعت موجود ، ولا أمد ممدود ، ولا وقت معدود ، فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ، ووتد بالصخور ميدان أرضه . . . أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به .

هذه هي معرفة الله ، وليس عليك أن تعرف أين يجلس الله وأين يتواجد وأين يذهب . . . إنه ليس كمثل شيء ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾<sup>(١)</sup> فالبصر إذا أدرك الله صار الله مقدوراً وصار بصر ك قادراً ، فهل يصحّ أن يكون البصر أعظم من الله ؟ معاذ الله من ذلك ، فعظمة الله أنه لا تدركه الأبصار . فأول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه . فمن وصف الله فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزّاه ، ومن جزّاه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد عدّه ، ومن عدّه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد ضمّنه ، ومن قال علام فقد أخلى منه ، ومن قال فيم فقد ضمّنه .

تقول : الله في أي مكان ؟ يعني تضمّنه وتجعله ضمن مكان ما . وتقول على أي مكان ؟ على العرش ، يعني تخلي منه الأرض بينما هو في كل مكان موجود ، هو أقرب إلينا من الدم في مجرى عروقنا ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾<sup>(٢)</sup> .

● الاسم غير المسمّى . إن لله تسعاً وتسعين اسماً فلو كان كل اسم

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة ق ؛ الآية : ١٦ .

يشير إلى المسمّى لكان معنى ذلك أن لنا تسعاً وتسعين إله . يقول الإمام الصادق إلى هشام بن الحكم : هكذا حدّثنا أبونا الباقر عن أبيه عن أبيه عن جدنا أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ يقول له : يا هشام الخبز اسم للمأكل ، والماء اسم للمشروب ، والثوب اسم للملبوس ، والنار اسم للمحروق ، أفهمت يا هشام ؟ قال : نعم . قال : إذن الاسم غير المسمّى بينما الله واحد ، هو الله الذي لا إله إلا هو وصف نفسه بهذه الأسماء ، فمن عبد الاسم دون المسمّى فقد أشرك وكفر بالله ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر لأنه عبد اثنين : الاسم والمعنى ، عبد الرحمن وعبد الله ، عبد الرازق وعبد الله ، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك هو التوحيد .

هذه الفلسفة ، وهذا التحليل ، وهذا الشرح لن تجدوه والله إلا عند أهل البيت .

● كيف أعرف الله بالله ؟ الإمام زين العابدين يقول : بك عرفتك وأنت دللتني عليك ، ولولا أنت لم أدري ما أنت . . .

أنت الذي أعطيتني الفطرة والعقل وجعلتني أتوجه إليك يا رب العالمين .

والإمام أمير المؤمنين في دعاء الصباح أيضاً يشير إلى هذا الجانب ، والإمام الحسين كذلك . علي يقول في دعاء الصباح : الحمد لله الذي دلّ على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته وجلّ عن ملاءمة كفيّاته . أمّا الإمام الحسين فيشرحها شرحاً مفصلاً في دعاء عرفة إذ يقول : كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك . إنها طلعة فكرية رهيبه من أبي عبد الله الحسين ، إذ الأثر يدل على المؤثر ، صحيح أنه من الخلق تستدل على الله ، لكنه يبيّن أن هذا الاستدلال ناقص الإيمان فوق الدليل وفوق البرهان .

كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك فيكون هو المظهر لك ؟ عميت عين لا تراك عليها

رقية ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك . لاحظوا التوحيد .

«هو الأول بلا أول كان قبله ، والآخر بلا آخر يكون بعده» فالإنسان إذا أراد أن يتعمق إيمانه عليه أن يفكر بما أوجده الله في هذا الكون ، وعليه أن يفكر كيف يتقرب إلى الله بالعبادة وبالأنس عندما يشعر بلذة العبادة بينه وبين الله ولا يسمح للشيطان أن يوسوس في قلبه وفي صدره ويبعده عن الله سبحانه وتعالى لأن العقل لا يمكن أن يتوصل إلى الله العلي القدير . فالله ليس كمثله شيء وقدرته فوق قدرة الجميع .

● لماذا يكون العيد بعد شهر رمضان ؟ .

ليس العيد لمن لبس الجديد ، بل العيد لمن خاف يوم الوعيد . يكون العيد بعد شهر رمضان لأنك كنت في هذا الشهر المبارك في رحلة استمرت ثلاثين يوماً وأنت صائم تصارع الشيطان وتقاتل الشهوات وتقاتل الهوى على كل الجبهات حتى نجحت وانتصرت ، وهنا أراد الله تبارك وتعالى أن يهب لك كأس الانتصار ألا وهو العيد السعيد . وركاة الفطرة من هذا القبيل تدفعها عنك وعن أهل بيتك الذين تعولهم ، وكذلك الخدم والحشم الذين هم بعهدتك ، ويجب أن تُؤدى هذه الفطرة ليلة العيد بعد غروب الشمس إذ هذا هو الوقت الأنسب لتأديتها .

إنها ساعات عظيمة أيها الأخوة نقضوها معكم في ختام هذا المجلس وأواخر ليالي رمضان المبارك فلتتجه جميعاً إلى الله تبارك وتعالى ولنتوب إليه توبة نصوحة بترك الكذب والنفاق والغش والنميمة ولنسلك الطريق المستقيم فإن الله يغفر الذنوب جميعاً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وبعد أن فرغنا من ليالي شهر رمضان المبارك سوف نذكر بعض المحاضرات التي تخص الإمام علي عليه السلام لتكون الفائدة كاملة وتامة .

## في ولاية الامام علي عليه السلام (\*)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾<sup>(١)</sup> .

لكل شيء في القرآن جانبان يشيران إلى نقطتين رئيسيتين في عقيدة المؤمن بالله سبحانه وتعالى . الجانب الأول اسمه «التولي» والجانب الثاني اسمه «التبري» . ولهذين الجانبين وجود في كل سورة من القرآن الكريم . مثلاً ، عندما تقول في سورة الحمد : ﴿إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فإنك تبرى من المغضوب عليهم ، وتتولى الذين أنعم الله عليهم . وكذلك في آية الكرسي ، عندما تقول : ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله . . .﴾ فثمة من يتبرى من الطاغوت ويتولى الله . فالتولي والتبري قانون أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وفي نفس كل منا توجهان متناقضان ، ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾<sup>(٢)</sup> . فإما أن تتولى أهل الجنة ، وإما أن تتولى أهل النار .

(\*) أقيمت هذه المحاضرة في ليلة ٦ محرم سنة ١٤٠٥ هـ .

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٥٥ .

(٢) سورة الشمس ؛ الآيتان : ٧ و ٨ .



## الحفاظ على العقيدة :

يأمرنا القرآن الكريم بالحفاظ على عقيدتنا ، لماذا ؟ لأن العقيدة غذاء الروح والعقل والفكر . وأنت مسؤول أمام الله عن سلامة وفائدة ذلك الغذاء . فكيف يجوز لنا أن نحرص على تغذية أجسادنا بالأطعمة النظيفة اللذيذة الطازجة ، ولا نهتمّ بطعام أرواحنا وعقولنا؟ قال الإمام الحسن عليه السلام : «عجبت لمن يفكر في طعام جسده ، ولا يفكر في طعام روحه» . ﴿فليُنظر الإنسان إلى طعامه﴾<sup>(١)</sup> . وقد فسّر لنا الإمامان الصادق والباقر عليهما السلام هذا القول ، بقولهما : «فليُنظر الإنسان إلى علمه الذي يأخذه ، عمّن يأخذه» . وفي ذلك مسؤولية كبرى . إن المسلمين جميعاً متفقون على أنّ مرجعهم الأوّل الذي عنه يأخذون ، هو القرآن الكريم . ففيمّ الخلاف إذن ؟ الخلاف في الثقل ، عدل القرآن عليّ بن أبي طالب . الخلاف في «التولي» . هل أتولى عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام ، أم أتولى معاوية ؟ هل أتولى الحسين عليه السلام أم أتولى يزيد ؟ فمن المستحيل أن يجتمع علي ومعاوية ، أو الحسين ويزيد في قلب واحد . ومن يحاول ذلك يوجّه ضربة قاصمة لأحكام القرآن ومسلّمات الفكر الإسلامي .

قد يُقال : ما لنا ولعليّ عليه السلام ولمعاوية ، وهما في ذمّة التاريخ ؟ لماذا لا نصبّ اهتماماتنا على شؤوننا وشجوننا الحالّية ؟ نردّ على ذلك بالقول : لا يمكن للمؤمن أن ينسلخ عن تراثه العقيدي ، إنّ نهج معاوية لا يزال موجوداً ، وكذلك نهج ابنه يزيد . والشمر الذي ذبح الحسين عليه السلام استمرّ في ملايين البشريعيث في الأرض فساداً . إنّ القرآن الكريم بين أيدينا ، وهو يطلب إلينا أن نهج منهجاً صحيحاً . لسنا حاقدين على أحد ، ولسنا متعصّبين ضدّ أحد ، فالإنسان المؤمن لا يتعصّب ولا يحقد ، بل يعيش كريماً محترماً

(١) سورة عبس ، الآية : ٢٤ .

متجرّداً من الوسوس الشيطانيّة والترسّبات الجانيّية ، دأبه البحث عن الحقّ . أنا مسلم وأريد أن أعرف أين الحقّ ؟ الحق واضح بين . أما أولئك الذين يطّبّلون ويزمرون وينفثون السموم في صدور الناس وينشرون الضباب الكثيف أمام الأعين . هؤلاء مغرضون مدسوسون لا علاقة لهم بالإسلام والقرآن ، لا من قريب ولا من بعيد . المسألة واضحة وضوح الشمس في قلب النهار ، القرآن موجود ، وكتب الإسلام متوافرة في المكتبات . خذ أيّ كتاب منها يعطك الحقيقة ناصعة لا لبس فيها . لا فرق بين كتب السنّة وكتب الشيعة ، فكلّها تؤكّد لنا أنّ «القرآن مع أهل البيت» .

### من هم أهل البيت ؟ ومن هم في الاسلام ؟ :

لقد حدد الرسول ﷺ أهل البيت تحديداً لا غموض فيه ولا إشكال ، إنهم وبحسب هذا التحديد : عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . . . غاية ما في الأمر أن يطمئن قلب الإنسان ، ولكن أنى يكون له ذلك وهو يحمل رأساً فارغاً ؟ وكيف لهذا الرأس أن يمتلئ بالعرفان الصحيح وصاحبه ضحية لإعلام فاسد مضلل . يترقبون شهر محرّم الحرام لينشروا في أعمدة الصحف كلمات ومقالات ، إن دلت على شيء ، فإنّها تدلّ على أنها صادرة عن رؤوس فارغة . يحدث ذلك حتّى في الصحف المعتمدة ، في عداد الصحف المحترمة ، فما بالك بالصحف غير المحترمة ؟ . من أين تأتي الثقافة الصحيحة ؟ هل تأتي من أقنية التلفزيون وهي تتبارى في عرض مشاهد الخلاعة والمجون ، إن في أفلامها وإن في مسلسلاتها ، وإن في دعاياتها ؟ الشاب المؤمن المتحمس لعقيدته يطالع ويدرس ويباحث العلماء . لكنّ الشاب الذي يقضي أيامه ويسهر ليلاليه في مشاهدة الخلاعة أو ممارستها ، من أين له أن يعرف شيئاً عن الإسلام ؟ وأولئك الذين يتنطحون لتوجيه الأمة الإسلاميّة ، ماذا يعرفون عن الحقائق التاريخيّة ؟ .

والله لا أستثني كتاباً من كتب المسلمين ، لقد درست الصحاح كلّها ،

صحاح البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه ، كما درست ألف كتاب  
وكتاب إسلامي . هذه الكتب تحتضن في طياتها أحاديث الرسول ﷺ ،  
وفي بعضها يحدّد أهل بيته الطيّبين الطاهرين . ولكنّ من عشّشت في  
نفوسهم الأمراض والأغراض الخبيثة ، لا يعودون لهذه الكتب ، وبالتالي لا  
يستطيعون نقل الحقائق إلى الناس ، ويزعم هؤلاء أنهم مسلمون . من ركائز  
الإسلام أن يتقيد المسلم بسنة الرسول ﷺ قولاً وعملاً . قال الرسول  
ﷺ : «صلّوا كما رأيتموني أصلي ، حجّوا كما رأيتموني أحجّ ، توضّأوا  
كما رأيتموني أتوضّأ . . . خذوا مناسككم عني» . وليس بينك وبين الكتاب  
أيها المسلم إلا أن تتناوله وتقرأ فيه ، وتبيّن للناس أن عدل القرآن ، ورفيق  
القرآن ، هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وليس معاوية وعمرو بن العاص .

بالله عليكم أيها الناس ، أليس من السخريّة والذل أن أستمع إلى  
الإذاعات الإسلاميّة والعربيّة شهوراً بل سنيناً ، ولا أسمع منها حديثاً للرسول  
ﷺ يأتي مسنداً إلى أهل البيت وهم الذين كانوا في حجره ؟ يأتي  
الحديث مسنداً إلى أبي هريرة . ومن هو الحسين عليه السلام ليسند إليه الحديث ؟  
أبو هريرة هو أبو الإسلام . أن تسمع حديثاً مسنداً إلى فاطمة عليها السلام ، هذا  
غير وارد . فما لا تسمعه مسنداً إلى أبي هريرة ، تسمعه مسنداً إلى شرحبيل  
أو إلى سمرة بن جندب . ثم يعقب المذيع بالقول : متفق عليه ، يا حضرة  
المذيع ، الإسناد إلى سمرة بن جندب ، متفق عليه ؟ أليس سمرة هذا ، هو  
الذي قتل في يوم واحد ثلاثين ألف مسلم من أهالي البصرة ؟ فكيف تأخذ  
أحاديث رسول الله ﷺ عن سفاك يبلغ في دماء المسلمين ؟ كم هورائع  
وصادق أن تقول : قال الحسين بن عليّ عليه السلام : «سمعت جدّي رسول الله  
ﷺ يقول . . .» ألا ترى معي أن هذا القول ينزل في القلب نزول الغيث  
في الأرض العطشى ؟ لماذا كلّ هذا العداوة للحسين عليه السلام ؟ أم تحسب أنك  
تحافظ على إيمانك بابتعادك عن سيّد الشهداء وعن أمّه الزهراء وعن أبيه  
عدل القرآن ؟ إن موقفك هذا ليس من الإسلام في شيء . فالإسلام  
الصحيح هو أن تأخذ دينك من مصادره الصحيحة ومنابعه الصافية المحصورة

في القرآن الكريم وأهل البيت . فاسمع ماذا يقول الرسول ﷺ في أهل بيته ، لتعرف علاقته بهم . قال ﷺ : «من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ومن مات على بغض آل محمد ، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله» وقال ﷺ : «إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى» . وقال ﷺ : «إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله كان آمناً، من دخله غفر الله له» . هذا غيض من فيض مما قاله الرسول ﷺ في أهل بيته . فلماذا لا تأخذون بهذه الأحاديث في صحفكم وإذاعاتكم يا أذعياء الإسلام ؟ .

### لماذا نتولى أمير المؤمنين الامام علياً بن أبي طالب عليه السلام:

إننا نتولى علياً أمير المؤمنين عليه السلام لأسباب كثيرة . فهو نفس النبي ، غذاه طفلاً ، ورباه صبيّاً ، وثقفه وعلمه فتىً بطلاً شجاعاً . يقول علي عليه السلام : «علمني رسول الله ألف باب من العلم ، يفتح لي بكل باب ألف باب» . ثم نصّبه إماماً للمتقين وخليفة للمسلمين . قال ﷺ : «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه . اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيثما دار» . وهذا الحديث مثبت في صحاح المسلمين جميعها . فإذا أتينا إلى شخصية وحياة أمير المؤمنين ، رأينا فيه جميع مواصفات الإنسان العظيم . فقد تميّز الإمام علي عليه السلام بشجاعة فذة . وهل هناك إنسان يضارعه في الشجاعة ؟ الحروب تشهد ، والمسلمون كلّهم يشهدون بذلك ، أما عن علمه فحدث ولا حرج . فمن يجرؤ غيره على القول : «سلوني قبل أن تفقدوني» ؟ وكيف لا يقول ذلك وقد خصّه الرسول ﷺ بقوله : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» . أما عن تعامله مع الآخرين فاسمع وتأمل : اشترى عبداً أسود ، ثم أعتقه . ولكنّ العبد بقي ملازماً له . فقال له الإمام عليه السلام : لقد أعتقتك فانت حرّ طليق ، إرجع إلى أهلك ، أين أهلك ؟ ولكنّ العبد أبي أن يعود إلى أهله وظلّ ملازماً لسيدته أمير المؤمنين عليه السلام . وبعد سنوات مات النجاشي ملك

الحبشة ، فجذأ أولو الأمر من الأحباش في البحث عن ولده الذي اختلسه بعض البحارة وباعوه للنخاسين . وبعد البحث تبين لهم أن الولد الذي يبحثون عنه ، لم يكن إلا العبد الذي اعتقه الإمام عليه السلام . فجاؤوا وطلبوا إليه أن يعود إلى بلاده ليتربّع على عرش أبيه . فأجابهم قائلاً : «والله لن أفارق علياً ولو للحظة واحدة، حتى ولو كان ذلك من أجل الملك والزعامة» .

تلك هي الأخلاق والمثل التي كان يتحلّى بها أمير المؤمنين عليه السلام ، عندما بويع بالخلافة وانتقل إلى الكوفة . لم يسكن في قصر الإمارة ، بل سكن في كوخ بسيط من سعف النخيل والقصب . أيّ حاكم في العالم فعل أو يفعل ذلك ؟ . يخرج إلى حاجاته كسائر الناس ، ويتعامل مع الناس وكأنه رجل عادي لا يميّز بشيء . قال عمّار بن ياسر : «دخلت السوق ذات يوم فرأيت علياً وبيده سيفه وهو يقول : «أيها الناس ، أيكم يشتري سيفي ؟ !» فقلت له : يا أمير المؤمنين أنت بأمر الحاجة لهذا السيف ، فكيف تبعه وأموال بيت المال بين يديك ؟ فأجابني أمير المؤمنين قائلاً : إنني محتاج إلى شيء من المال يا عمّار ، ويمكنني الاستغناء عن هذا السيف ، إنه سيفي أتصرف به . أما الأموال الطائلة في بيت المال ، فهي ملك المسلمين ولن أمدّ يدي إليها» . أليس تصرف الإمام درساً لكل حاكم ؟ . يقول عمّار بن ياسر ، لقد تصرف أمير المؤمنين هكذا أكثر من مرّة .

عندما قرّر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الهجرة إلى المدينة، وكانت قريش قد تأمرت على قتله ، نام عليّ في فراش الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي طلب إليه البقاء في مكة حتى يردّ الودائع التي كانت عند الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أصحابها ، وهجمت عليه قريش وهو ملتف ببردة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، يصحّ ما قاله أحد الشعراء فيه :

فرقدت مثلوج الفؤاد كأنما يهدي القراع لسمعك التغريدا  
رصدوا الصباح لينفقوا كنز الهدى أو مادروا كنز الهدى مرصودا

لقد تصدّر المهاجمين خالد بن الوليد وكان لا يزال مشركاً . كما أنّ أبا جهل لم تفته هذه المناسبة ، وقد اقترح قائلاً : لا تقتلوه . . . أيقظوه من نومه حتى يكون الضرب أشدّ إيلاًماً له . فلما رفعوا البردة ، إذا بهم أمام الجبل الأشمّ علي بن أبي طالب عليه السلام . فلم يجدوا أمامهم إلا التراجع . وقال أبو جهل غاضباً : أين ابن عمك ؟ فردّ عليه علي عليه السلام غير آبه لغضبه : وهل تركتموني رقيباً عليه ؟ وتقدّم المهلع وهو عبد لأبي جهل ليتحرّش بالإمام عليه السلام . إلا أنه تراجع خاسئاً مذعوراً . وتقدّم خالد بن الوليد ليفعل ما عجز عنه العبد . يقول المؤرخ الكبير الطبري في هذا الخبر :

«فأمسكه علي عليه السلام من يده وجعله يرقص كالطير المذبوح» . فانسحب المشركون المتآمرون خائبين محسورين . نهض الإمام عليه السلام فردّ الودائع إلى أصحابها . ثم حمل ظعينة الفواطم ، وقبل أن يسلك طريقه إلى المدينة ، تحدّى قريشاً قائلاً : «يا معشر قريش . لا تحسبوا أنني خائف أنتظر الليل حتى أهاجر تحت جناح ظلامه . ها أنذا أمامكم علي بن أبي طالب . والفواطم في هذه الظعينة ، فمن أحبّ منكم أن أفري لحمه بدمه فليتبعني» . فلزم المشركون الصمت وجمدوا في أمكتهم كأنّ علي رؤوسهم الطير . هكذا كانت مواقف علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم . يوم أحد ، من كان يصول ويجول ويحوم حول النبي ؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينفكّ يناديه قائلاً : يا عليّ إحمل عليّ تلك الكتيبة . . يا عليّ ردّ تلك الكتيبة . . يا عليّ ادفع هؤلاء القوم . وعليّ عليه السلام يقوم بكلّ ذلك ، ويحوم منافحاً عن الرسول بعد أن انكسر المسلمون وانسحبوا . كذلك كانت مواقفه يوم بدر ، ويوم حنين ، وفي واقعة خيبر ، وفي غزوة الخندق حيث قتل عمراً بن ودّ العامري ، وفي جميع المعارك التي خاضها رافعاً راية الإسلام . فعل كلّ ذلك وكان لما يتجاوز العشرين من عمره . تلك هي الفتوة الإسلاميّة . ونحن إذ نذكر تلك الوقائع إنّما نذكرها لا لنستشهد بها وكفى ، وإنما لتأملها جيّداً ، ونأخذ منها العبر والدروس ، فالتاريخ لا ينقل لمجرد القراءة بل للعبرة والعظة لقوم يتفكّرون .

بعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى . جلس الإمام عليه الصلاة والسلام ، للتعليم والإفتاء . نعم جلس يعلم المسلمين أصول دينهم ، ويفتيهم فيما أشكل من قضاياهم . وما كان أحد من الصحابة ، بل من المسلمين كافة بغنى عن تعليمه وإفتائه . وهذا منطقي ، ألم يقل الرسول ﷺ : «عليّ أفضاكم بعدي» . «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» . ؟ وما كان الرسول ينطق عن الهوى . وكان إذا اتخذ عليّ ﷺ مجلسه ، حضر إليه الناس وأنصتوا واستمعوا .

يروى أن الخليفة الثاني ، وبينما كان ذات ليلة سائراً في الطريق ، سمع من أحد البيوت كلاماً ألقى في نفسه الشبهة ، فتسوّر الدار ليرى ما الأمر . فرأى اثنين على فاحشة (أعوذ بالله) . ويبدو أن المرأة كانت صفيقة لا تستحي ، فما سمحت للخليفة باتخاذ أي إجراء ، فقال الخليفة : إلبثا في مكانكما ، حتى أعود إليكما بالحكم المناسب وفي المسجد ، وبعد أن صلى صلاة الصبح ، صعد إلى المنبر وسأل الحاضرين قائلاً : ما تقولون ، هل لأمير المؤمنين ، إذا رأى اثنين على فاحشة أن يقيم عليهما الحدّ؟ فأجابه عليّ ﷺ قائلاً : إن ذكر أمير المؤمنين اسميهما ، أقمنا عليه الحدّ . قال الخليفة : وكيف يا أبا الحسن ؟ . قال عليّ ﷺ : لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾<sup>(١)</sup> . وأنت تقول أنّ الذي رأهما هو أنت فقط . فأنت بحاجة إلى ثلاثة شهود آخرين لتقيم عليهما «الحدّ» . فقال الخليفة : «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن» . فتأملوا الروح الإسلامية العظيمة .

**الرسول وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين :**

﴿فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا

(١) سورة النور ؛ الآية : ٤ .

وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» (١) .

لما أراد الرسول ﷺ أن يباهل نصارى نجران ، من أهل بيته الذين أخرجهم معه ؟ لقد أخرج معه فاطمة الزهراء والحسن والحسين والإمام عليّ ﷺ . فلما رأى العاقب ، وهو زعيم نصارى نجران وراهبهم ، تلك الوجوه الكريمة ، قال لقومه : «والله لئن باهلتهم محمداً ليضطرم الوادي عليكم ناراً» . ثم انكفأ مع قومه . فقال الرسول ﷺ : «لو باهلوني لاضطرم عليهم الوادي ناراً ، ولمسخوا قردة وخنزير» .

يذكر بعض المؤرخين ، أن الرسول ﷺ ، كان إذا دخلت عليه فاطمة الزهراء ﷺ ، ربّما قام إجلالاً لها وترحيباً بها . وربّما تفيد التقليل . وزادوا على ذلك قائلين ، وربّما أخذ يدها فقبلها قائلاً : «مرحباً بأم أبيها» وكان عليه الصلاة والسلام . إذا أراد الدخول إلى دار فاطمة ﷺ ، يقف على باب الدار قائلاً : «يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة أتأذنون لمحمد بالدخول ؟» . فتجيبه الزهراء ﷺ قائلة : «البيت بيتك ، والكريمة كريمتك» فيدخل قائلاً : «بنيّتي فاطمة إنّ ربّي أمرني أن أستأذن» . وكان يمر بدار فاطمة في أوقات الصلاة فينادي من في البيت قائلاً : يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة الصلاة الصلاة ، فيقومون إلى الصلاة ، ولما سئل عن قوله تعالى : ﴿ لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ (٢) . من القربى يا رسول الله ؟ أجاب قائلاً : «عليّ وفاطمة والحسن والحسين» . وكان كثيراً ما يداعب الحسن والحسين ويحملهما على ظهره ، وذات يوم رآه أبو بكر على هذه الحال فقال للحسن والحسين : «نعم الجمّل جملكما» . فعقب الرسول ﷺ قائلاً : «ونعم الراكبان هما» . لم تكن علاقة الرسول ﷺ بالحسن والحسين ﷺ مجرد علاقة جدّ بحفيديه . وإنما كانت إعداداً

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

(٢) سورة الشورى ؛ الآية : ٢٣ .



للقيادة الإسلامية ، ومن هنا اعتبار هذه العلاقة مسألة مبدأ وعقيدة ، قال عليه السلام : «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» . وقال في الحسين عليه السلام : «حسين منّي وأنا من حسين ، أحبّ الله من أحبّ حسيناً» . «حسين منّي ومن نسلي ومن ذريتي ، وأنا من حسين . . . بقاء شريعتي والإسلام والقرآن ببقاء أبي عبد الله الحسين» . وفي القول الأخير يقول الإمام محمد عبده شارحاً : «لولا الحسين بن عليّ لما بقي لهذا الدين من أثر» . وهذا قول حقّ وشرح صحيح . لأن بني أمية كانوا يريدون محق الإسلام والعفاء عليه نهائياً .

### كتاب بني أمية وكتاب القرآن وأهل البيت :

نعم كما كان للأمويين كتاب يكتبون عنهم ما يريدون كتابته ، فإن لهم في زماننا كتاباً يتابعون المهمّة . فليكتبوا عن مآثر يزيد وحكمه لم يزد على ثلاث سنوات يقتل في أولها ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويسبي أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقطع رؤوس أبناء رسول الله ويحملها على رؤوس الرماح مطوّفاً بها من بلد إلى بلد ، ويبيح المدينة وحرّمها الأمين المقدّس ، ويسبي أنصار رسول الله بعد وقعة الحرّة ، ثم يتوجّ فضائعه بهدم الكعبة وإحراقها . وليقل أولئك الكتاب أن يزيد قد فعل ما فعل محافظّة على الإسلام والمسلمين . وليكتبوا عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، شاعر الخمر الكبير ، الذي نصّب خليفة كيف وضع القرآن أمامه وخاطبه قائلاً :

تهدّد كلّ جبار عنيد      فهأنا ذاك جبار عنيد  
إذا ما جئت ربك يوم حشرٍ      فقل يا ربّ مزقني الوليد

ثم جعل القرآن الكريم هدفاً لسهامه فمزقه تمزيقاً .

وليكتب كتاب أهل البيت عن صفات أهل البيت وأنصارهم وهي صفات نابعة من القرآن . ليكتبوا عن ضرار أحد أصحاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . لقد دخل ضرار ذات يوم على معاوية . فقال له

معاوية : «صف لي علياً كأنني أنظر إليه» ولكن ضراراً يحزّ في نفسه ويدمي قلبه تذكّر الإمام بعد مقتله . كما يحزّ في نفسك ويدمي قلبك عندما تتذكر حبيباً من أحبائك أو عزيزاً من أعزائك قد فارقك بالموت . لذلك لم يستجب لطلب معاوية . إلا أن هذا ألحّ على ضرار ، فاندفع ضرار في وصف عليّ بهذا الوصف الرائع . قال : «كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، كان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلّب كفيه ثم يبكي ، كان يعظّم أهل الدين ويحترم المساكين ، لا يطمع القويّ في ضيمه ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وكان فينا كأحدنا ، يجينا إذا سألناه ، ويدنينا إذا أتينا . ولكن مع قربه إلينا وقربنا إليه ، ما نكاد نرفع رؤوسنا أمامه لهيبته» . بعد هذا الوصف يسكت ضرار ، فيقول له معاوية : «يا ضرار لماذا سكت ؟ تابع حديثك» . فأخذت ضرار العبرة وقال : «والله يا معاوية ، لقد رأيت في إحدى الليالي ، وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، رأيت واقفاً في محرابه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم (المسوع) ، ويبكي بكاء الحزين ويقول : يا دنيا غرّي غيري ، أبي تعرّفت أم أليّ تشوّقت أو تشوّفت . . هيهات هيهات لقد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك . . ثم يقول : آه آه من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق» . نعم صدق ضرار ، فهذا هو عليّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه . فليشمر كتاب أهل البيت عن سواعدهم ، وليكتبوا عن حياة أهل البيت ومآثرهم الشريفة الخالدة . وكم هو رائع أن تكون سيرة أهل البيت مادة أساسية في الكتب التي نضعها بين أيدي أجيالنا . وفي وسائل الإعلام التي توجّه ناشئتنا . فسيرة أهل البيت معين تربوي لا ينضب ، وبحور من المثل الإسلامية لا تحدّ . ووضعها أمام أعين الناس وفي أسماعهم خدمة جلّي للإسلام والمسلمين .

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون

الزكاة وهم راكعون﴾<sup>(١)</sup> .

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٥٥ .

فالله يأمرنا أن نوالي علياً وتبرأ من أعدائه . فهذه الآية نزلت في الإمام عليّ عليه السلام . ذات يوم ، وبينما كان الإمام عليه السلام يصلي في المسجد ، دخل إلى المسجد فقير محروم ضعيف يستعطي ، وكان الإمام عاكفاً على صلاة النوافل ، وكان دأبه أن يطيل الركوع . فخشي أن يخرج السائل قبل أن ينتهي من صلاته ، فأشار إليه كي يأخذ خاتماً كان في إصبعه ، علماً بأن لهذا الخاتم قيمة جلية لأنه هدية من رسول الله . فتقدم السائل واستل الخاتم من إصبع أمير المؤمنين عليه السلام . وبعد لحظات هبط جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الآية : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ . وقد نزلت الآية في عليّ بلفظ الجمع تكريماً لعليّ عليه السلام ومراعاة لشعور بعض الحساد والمنافقين . فلو نزلت الآية بصيغة المفرد ، لتمزق هؤلاء غيظاً وحسداً . ولكن القرينة على نزول الآية في عليّ عليه السلام دون غيره ، واضحة : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ . ومن غير عليّ عليه السلام تصدق بخاتمه وزكى وهو راع ؟ هذا هو العطاء ، وهذه هي التربية الإسلامية التي تربي المؤمن على العطاء والإنفاق في سبيل الله . ولو عدنا إلى كتاب «أسباب التنزيل» للعالم الكبير الجليل ، الواحدي ، لوجدنا عشرات الآيات التي نزلت في عليّ عليه السلام . منها : ﴿ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . فالناس مسؤولون عن ولاية عليّ عليه السلام . وكذلك في كتاب «شواهد التنزيل» للحسكاني قرابة سبعمئة آية نزلت في عليّ عليه السلام . لذلك كله نتولى علياً . ومهما يعمل الإنسان من أعمال الثقلين ، فلا فائدة له فيها بدون ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

هذا ما يقوله القرآن والرسول . ولست أنا من يقوله من عنده . اللهم إنك تعلم أنني ما ذكرت هذا الكلام إلا لأتقرب إليك به . قال الإمام السجاد عليه السلام : «أئذن لي أن أصعد هذه الأعواد ، فأتكلم بكلمات فيهنّ لله رضا

(١) سورة الصافات ؛ الآية : ٢٤ .

ولهؤلاء الجالسين أجراً وثواباً .

## قسيم النار والجنة :

روى أبو بكر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يجوز أحد على الصراط إلا من كتب له عليّ بذلك صكاً » . ومن أسماء الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام « قسيم النار والجنة » . « فعليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ » والحقّ واحد لا يتجزأ . ولا يمكن أن يكون مع الواحد وخصمه . ولما كان الحقّ مع عليّ عليه السلام ومع الحقّ . فإنّ خصم عليّ على باطل وهو ضد الحقّ . أليس هذا هو المنطق السليم ؟ .

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾<sup>(١)</sup> .

إنّ القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأمين يرتكزان على تميّز أهل البيت تركيزاً كبيراً . ويجمع المسلمون على أنّ الرسول ﷺ ذات يوم بسط رداءه على عليّ وفاطمة والحسن والحسين وقال : « هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي ، لحمهم لحمي ، ودمهم دمي ، يؤلمني ما يؤلمهم ، ويحزنني ما يحزنهم ، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم ، فاجعل اللهم صلواتك وبركاتك عليهم ، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » . بعد قول الرسول ودعائه مباشرة ، نزل جبريل بالآية : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ . وفي كلّ الصحاح أنّ أم سلمة كانت موجودة حين بسط الرسول رداءه على فاطمة وعليّ والحسن والحسين وقال : « هؤلاء أهل بيتي » فقالت أم سلمة : « يا رسول الله وأنا منهم ؟ » فقال الرسول : « لا ، ولكنك على خير » . هذا على مكانة أم سلمة وجلال قدرها . فأهل البيت محدّدون مميّزون بأحكام خاصّة بهم دون غيرهم . يوم حُمل الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الشام والجامعة في عنقه

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

بأمر يزيد بن معاوية ، وقد أعلن أهل الشام ذلك اليوم عيداً .. ولم يكن الصحابي سهل بن سعد يعرف ما القضية ، فاعترض سبيل مازين وسألهما قائلاً : «يا أهل الشام ، ألكم في الشام عيد لا نعرفه» ؟ . فأجاباه قائلين : «يا هذا ، نراك غريباً» . فقال سهل : «أنا سهل بن سعد ممن رأوا محمداً وسمعوا حديثه» . فقال الشاميان : يا سهل ، ما أعجب أمرك ، أنظر فالسما لم تنطبق على الأرض ، والأرض لم تخسف بأهلها !! قال سهيل ولم يكن ذلك . قال الشاميان : أنظر ذلك رأس الحسين بن عليّ وتلك عائلته . فلما تحقق سهل من صحّة قولهما تيقن من صدقهما ، فهذه رؤوس أهل البيت ، وهؤلاء أطفال وعائلة رسول الله . . . وها هو الإمام زين العابدين والجامعة في عنقه . وبينما كان موكب السبايا والضحايا من أهل البيت يمرّ أمام المسجد ، خرج شاميّ وقد صلّى وحمل القرآن في يده ، ولتزكية إيمانه وتثبته ، وقف عند الإمام زين العابدين عليه السلام وقال : الحمد لله الذي قتلكم وأراح البلاد من رجالكم . التفت إليه الإمام وسأله قائلاً : «هل قرأت القرآن يا شيخ ؟ قال الشاميّ : «نعم ، هذا هو القرآن ، فما علاقتكم به لتسألني عنه ، أنتم خوارج لا علاقة لكم بالقرآن» . قال له الإمام السجّاد ، والجامعة في عنقه وأوداجه تشخب دماً : «هون عليك أيها الشيخ ، إنني أسألك هلى قرأت القرآن؟» . فقال الشيخ ، نعم قرأته . فقال الإمام هل قرأت الآية التي تقول : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ ؟ . قال الشيخ : «نعم قرأت هذه الآية» . قال الإمام : فهل قرأت قوله تعالى : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ ؟ قال الشيخ : نعم ، قرأتها ، هذه الآيات في أهل البيت ، فما علاقتكم بهم ؟ ، قال الإمام : «يا شيخ ، نحن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ونحن القربى يا شيخ» . فبهت الشيخ ووقف ساكناً متألماً ثم قال للإمام : «سيدي بالله عليك ، أنتم هم» ؟ فقال الإمام : «نعم يا شيخ ، إنا نحن هم ، وحقّ جدنا رسول الله إنا نحن هم» . فرمى الشيخ المسنّ عمامته أرضاً ، وانطلق بين الناس يلطم رأسه

ويقول : «أيها الناس ، شاهت الوجوه ، هؤلاء أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة . . هؤلاء هم الذين كان يخدمهم جبريل» . مشيراً إلى الخبر الذي يقول إن جبريل نزل يوم مولد الحسين وهزم مهده بيده .

وعندما دخلت السبايا إلى مجلس يزيد ، التفت زين العابدين إلى يزيد وقال له : يا يزيد ، أسألك ما ظنك بجدنا رسول الله لو رآنا على هذه الحالة والصفة ؟ . فقام يزيد وأمر بالرجال التي تقيد السبايا فقطعت ، ودعا بمبرد فجعل يبرد الجامعة من عنق الإمام . فلما سقطت الجامعة من عنق الإمام سألت الدماء الغزيرة من أوداجه . في سبيل من سألت تلك الدماء ؟ في سبيل من ضحى أهل البيت وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ؟ في سبيل من قدّموا الشهيد تلو الشهيد ؟ . لقد فعلوا ما فعلوا في سبيل الله والإسلام . لقد ضحوا بأموالهم وأرواحهم من أجلك وأجلي وأجل الإنسانية جمعاء . لذلك يطلب منا القرآن مودّتهم في قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ والمودة تعني المحبة والطاعة . فالمحبة وحدها لا تكفي ، والطاعة العمياء مرفوضة . تحبهم فتنزلهم في قلبك ، ثم تطيعهم لأن القرآن والرسول يأمران بطاعتهم ، فهم سفينة النجاة . وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيهم : «هؤلاء كسفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهو» .

### المؤمن لا يخاف إلا الله :

أن تتولّى أهل البيت يعني أن تقتدي بأخلاقهم وآدابهم وسلوكهم . وأبرز شيمة في أهل البيت هي الشجاعة والصراحة في الحق ، وعدم التلكؤ في نصرة الحق . يصف القرآن الكريم أمير المؤمنين الإمام علياً بقوله : ﴿الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾<sup>(١)</sup> .

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٧٣ .

فما أحوجنا إلى الشجاعة في أيّامنا العصبية . والمؤمن الجبان ليس بمؤمن ؛ فليلق بإيمانه في البحر وليرجع إلى فراشه لينام . المؤمن لا يخاف إلاّ الله ، هذه إحدى ركائز التربية الإسلامية . فالمعادلة الإسلامية هي : أنت مؤمن إذن أنت شجاع وباسل ومقدام ، لذلك لن يجد الخوف إلى قلبك سبيلاً . أنت مؤمن ، إذن أنت شجاع في الحق ، مستعد للتضحية بنفسك ومالك في سبيل الله . تماماً كما فعل أهل البيت، وكما ضحّى الرسول الأعظم وسائر الأنبياء ، كما ضحّى الحسين وزين العابدين وغيرهما من الأئمة الطاهرين . والذي يضحي بنفسه وماله لا يخاف . ولو خاف الأنبياء والأولياء والأئمة ما جاء الحق وزهق الباطل .

أما خوف موسى عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾<sup>(١)</sup> . أو خوف إبراهيم عندما رأى ميكائيل وجبرائيل ، فهو غير الخوف الذي ينتاب الإنسان العادي . وخوف موسى يفسره علي أمير المؤمنين بقوله : «خاف الضلال على قومه» . أي أن موسى خاف أن يضلّ قومه من بعده . قال الرسول الأعظم عليه السلام : «إنّ الله يحبّ المؤمن الشجاع ولو يقتل حيّة» . فالمؤمن لا يخاف . لأنّ الإيمان والخوف لا يجتمعان في قلب . المؤمن لا يخاف إلاّ الله . وهو مستعدّ ليواجه آية قوّة في الأرض مهما طغت ، وهو بإيمانه يستطيع أن يسحقها بأقدامه . قال الله تعالى : ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله﴾<sup>(٢)</sup> . ويقول «فلا تخافوهم» أي لا تخافوا الطواغيت والظالمين والمجرمين والسفّاحين والمنافقين . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾<sup>(٣)</sup> .

ثم يشير إلى حالة نفسية خطيرة بقوله : ﴿ذلكم الشيطان يخوف

(١) سورة طه ؛ الآية : ٦٧ .

(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٩ .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٧٥ .

أوليائه ﴿﴾ . فإحساسك بالخوف يعني تسلل الشيطان إلى قلبك . قال تعالى : ﴿أعوذ بربّ الناس ، ملك الناس ، إله الناس من شرّ الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس﴾ . يقول الإمام الرضا عليه السلام : «إن الشيطان يحاول أن يوقعك في المأزق مباشرة . فيوسوس لك بالخوف والتلكؤ والتراجع . فمتى عرفت أن ذلك من وسوسة الشيطان ، خنس الشيطان وابتعد عنك» . كما أن في نفس الإنسان قوّة خاصّة . قال تعالى : ﴿ونفس وما سوّأها ، فألهمها فجورها وتقواها﴾<sup>(١)</sup> والفجور في النفس يعني الاستجابة لوسوسة الشيطان .

الموت حقّ ، فليمت الإنسان مطيعاً لله ، أسأل الله حسن العاقبة .

### الاسلام دين اللين والسلام :

الإسلام العظيم دين القوّة والشجاعة في سبيل الحقّ ، وهو دين اللين والسلام في سبيل الحقّ أيضاً . فالإسلام يرفض العنف بكل أنواعه ، ولكنه لا يسمح بدخول ذرّة من الخوف إلى قلب المؤمن . . . ﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى﴾<sup>(٢)</sup> . وفي آية أخرى : ﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً﴾<sup>(٣)</sup> . أن يكون عدوك في قمة الطغيان وتكون أنت في قمة اللين ، هذا هو اللاعنف . بعد أن بويع الإمام عليّ عليه السلام بالخلافة واستقرّ في الكوفة ، كان المنافقون لا ينفكّون يتظاهرون ضده . وكان ابن الكوّاء وهو أخو المنافقين من الخوارج يسبّ الإمام عليّاً ويقرأ : ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك﴾<sup>(٤)</sup> . والإمام عليّ لا يأبه له ، بينما يتمزّق أصحاب الإمام غيظاً وغضباً ويستأذنون الإمام في القضاء على المنافق ابن الكوّاء . فيقول لهم برحابة صدر : كلاً دعوه فالإسلام

(١) سورة الشمس ؛ الآية : ٩١ .

(٢) سورة النازعات ؛ الآية : ١٧ .

(٣) سورة طه ؛ الآيتان : ٤٣ - ٤٤ .

(٤) سورة الزمر ؛ الآية : ٦٥ .



أكبر . وكذلك كان يفعل رأس النفاق الأشعث بن قيس . كان له مسجد يخطب فيه ضد عليّ عليه السلام . وما أن ينزل عن المنبر حتى يستأنف تهجّمه على أمير المؤمنين ، تؤازره في ذلك ثلّة من المنافقين أمثاله . والإمام عليّ عليه السلام لا يأبه لهم . ويوم عاشوراء لم يبدأ الحسين بالقتال ، وكان يقول : «إني أكره أن أبدأهم بقتال» ، إنه يرفض العنف . ولكنّ الأمويين وقد أسكرهم العنف فأقدموا على تلك الفعلة الشنيعة وقتلوا الإمام الحسين عليه السلام . ومع إيمان الإمام عليّ باللاعنف ، فإنّ سيفه ظلّ مشهوراً من أجل إقامة الحقّ ، من أجل صيانة حقوق المحرومين والمظلومين والمستضعفين . كما أنّ الإمام الحسين عليه السلام ومع عدم رغبته في الابتداء بالقتال . فإنّه لم يجبن عندما بدأه الأعداء ، وضخّى بروحه في سبيل الحقّ . وتلك هي سيرة أهل البيت كافة .

### المودة لأهل البيت واجبة على كل مؤمن :

إنّ الله تعالى يأمرنا بمحبّة أهل البيت والحرص على مودّتهم . قال تعالى : ﴿ لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ <sup>(١)</sup> . ولما سئل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، من القربى يا رسول الله ؟ أجاب قائلاً : «علي وفاطمة والحسن والحسين» .

قال الشافعيّ :

يا آل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله  
كفاكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

عندما تقول : «اللهم صلّ على محمد وآل محمد» . فإنك تصلي على عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . فالإمام عليّ داخل في آل محمد دون غيره ، لماذا ؟ - لأنّ الإمام عليّاً أخو النبي وابن عمه وزوج الزهراء وأبو السبطين ؛ الحسن والحسين . فكلّ المسلمين ، في مشارق

(١) سورة الشورى ؛ الآية : ٢٣ .

الأرض ومغاربها ، عندما يصلّون على النبي ، يصلّون على آل النبي أيضاً .  
لما نزلت الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾<sup>(١)</sup> . سأل ابن عباس رسول الله قائلًا :  
كيف نصلي عليك ؟ فأجابه الرسول قائلًا : أن تقولوا «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى  
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ» ويقول صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كما ورد في صحيح البخاري : «لا  
تصلّوا عليّ الصلاة البتراء» . كأن يقول الرجل : صلّى الله عليه وسلّم»  
ويقف عند هذا الحد . لماذا ؟ وأين الصلاة على آل محمد ؟ يقول الرسول  
<sup>صَلِّ عَلَى آلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ</sup> : «صلّوا عليّ وعلى أهل بيتي» . فلماذا لا تقرن الصلاة على  
الرسول <sup>صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ</sup> بالصلاة على أهل بيته ؟ أبينك وبينهم عداوة وبغضاء ؟ !  
ولتكون صلاتك كاملة متكاملة يجب أن تقول : «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وعلى آل محمد» .

### كيف نعرف المؤمن الموالي لأهل البيت :

إنّ الله عزّ وجلّ أمرنا أن نوالي أهل البيت وأن نتبرأ من أعدائهم ، إذا  
أردنا أن نعبر الصراط . كيف يُعرف الإنسان الموالي لأهل البيت ؟ - يعرف  
بإيمانه ، ومتى كان الإنسان مؤمنًا والى أهل البيت وكان مؤتمنًا على الأرواح  
والأرزاق والأعراض ، يُعرف الموالي لأهل البيت بصدقه وحسن معاملته  
للناس ، كما يعرف بشجاعته وبسالته . قال الإمام زين العابدين عليه السلام يصف  
جدّه الإمام عليّاً بن أبي طالب عليه السلام : «إنّه أسد باسل يطحنهم في الحروب  
إذا اشتبكت الأسنان واقتربت الأعنة طحن الرحى» . يقول الرسول <sup>صَلِّ عَلَى آلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ</sup> :  
«المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف» . ضع هذه  
القاعدة في ذهنك : «عندما ترى إنساناً ترتعد فرائصه ، ويقع في أول  
الطريق إذا صادفته بليّة ، إعرف أنه لا يملك الإيمان» . فالمؤمن أكبر من  
الخوف . والقلب العاثر بالإيمان أقوى من الجبال .

دخل سعيد بن جبيرة على الحجاج بن يوسف الذي أضمر أن يقتل

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية ٥٦ .

سعيداً . فسأله الحجّاج قائلاً : ماذا تحفظ من أحاديث عليّ بن أبي طالب وأحاديث رسول الله . فقال سعيد أحفظ حديثاً لرسول الله يقول فيه : «إنّ الله في جهنم حياث كالجبال ، وعقارب كالتلال ، يسلطها على كلّ حاكم جائر مثلك» . هذه هي الشجاعة في الحقّ . لم يتزلف سعيد للحجّاج وهو يعرف أنّه يضمّر قتله . لم يقل له أعذرني يا أمير المؤمنين ولن أقوم بعد الآن إلاّ بما فيه مرضاتك . لم يرتجف أمامه طالباً العفو . بسعيد وأمّاله من الشجعان في الحقّ ، حُفظ الإسلام وحفظت المثل الإنسانية . هل أتاك حديث ابن السكّيت ؟ كان ابن السكّيت عالماً كبيراً يقوم على تأديب أبناء المتوكّل العباسي . فأراد الحساد أن يوغروا صدر المتوكّل على العالم ابن السكّيت ، فقَالوا له : «إنّ ابن السكّيت يحبّ علياً والحسن والحسين» . وكان المتوكّل يفتاظ جداً إذا سمع بمثل ذلك . فأرسل إلى ابن السكّيت ، وأمّام جمع كبير ، قال له : يا ابن السكّيت ، أيهما أحبّ إليك ولداي هذان ، أم الحسن والحسين ؟ عرف ابن السكّيت إلام يرمي المتوكّل ، فأجاب قائلاً : «والله لنعل قبر خادم الحسن والحسين أفضل عند الله وعندي منك ومن ولديك هذين» !! هذا معنى الولاية لأهل البيت ، إنّها عقيدة لا تقبل المساومة ، وهي تحكم سلوك المؤمن في كلّ صغيرة وكبيرة . يسألني أحدهم : لماذا لم يلجأ حجر بن عدّيّ إلى التقيّة أمام معاوية ؟ لماذا بقي متصلّباً في موقفه الأمر الذي جعل معاوية يأمر بقتله ؟ . وأنا أجيب السائل : إنّ للتقيّة مواضع خاصّة . فحجر بن عدّيّ رفض أن يتبرأ من علي بن أبي طالب ، لأنّه رأى في ذلك مزيداً من الضياع للإسلام والمسلمين ، واستشهاده أحلّه في قلوب المسلمين إلى يوم الدين . كذلك الأمر بالنسبة للذين كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام وقد جمعهم خطّ الولاء لسيد الشهداء . كان الحرّ بن يزيد الرياحيّ في صفوف يزيد ، ولكنّه في اللحظة الحاسمة عمل فكره فرأى أنّه مقدّم على قتال الإمام الحسين عليه السلام فقال في نفسه : كيف ذلك ؟ أيكون الحسين على باطل ؟ كلاً لا يمكن ذلك ، فالحسين على حق . فلكرز جواده وانضمّ إلى صفوف الحسين عليه السلام ووقف

أمامه منكساً رأسه استحياء من آل الرسول . هكذا علمنا الحرّ درس الحرية ، وأنا أردّد هذا القول دائماً . يجب أن نتعلّم كيف نكون أحراراً . يقول الإمام الحسين عليه السلام : «كونوا أحراراً في دنياكم» . سلّم الحرّ على الحسين ، فردّ الحسين عليه السلام وقال له : «من أنت ؟ إرفع رأسك» . فقال الحرّ «أنا الذي جمععت عليكم في الطريق وحبستك عن الرجوع ، أنا الذي أرعبت قلوب الفاطميّات» ، نعم ، أنا الذي روّعت زينب وسكينة وسائر بنات رسول الله ، . وما ظننت أن القوم يصل بهم الأمر إلى هذا الحدّ سيّدي أنا تائب فهل ترى لي من توبة ؟ قال الحسين عليه السلام : «أجل . . تبت فقد تاب الله عليك ، انزل إلى الأرض» . فقال الحرّ : «أنا لك فارساً خيراً مني لك راجلاً ، وإلى النزول يكون آخر أمري» . ثم امتشق سيفه وراح يقاتل قتال الأبطال حتى سقط عن جواده مثخناً بالجراح صائحاً بأعلى صوته : «عليك مني السلام يا أبا عبد الله» . يذكر المهاجر بن أوس أنه سأل الحرّ عندما رآه يفكّر في الانضمام إلى صفوف الحسين : «ويلك ، أراك أخذتك مثل الرعدة ، ولو سُئلت من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك ، فما هذا الذي أراه منك» ؟ فاجابه الحرّ قائلاً : «أنا أخير نفسي بين الجنّة والنار» . هذا هولّب الموضوع ، إنه يخير نفسه بين جنّة الولاية وبين نار عدم الولاية ، إنّه قانون «التولي والتبري» . ولكنّ الرجل له كلمة وبشجاعة قالها : «والله لا أختار على الجنّة شيئاً» . لما رأى الإمام الحسين عليه السلام الحرّ وقد سقط مجندلاً على الأرض ، ركب جواده واقتحم المعركة فكشف القوم سمّاطين ، ولما وصل إلى مقربة من الحرّ ، ترجّل ووضع خده على خدّ الحرّ حتّى أن دموعه اختلطت بدموع الحرّ . كان الحرّ على آخر رمق ، فخاطبه الحسين قائلاً : «أنت حرّ في الدنيا سعيد في الآخرة ، ما أخطأت أمّك إذ سمّتك حرّاً» . تأملوا حنان الحسين عليه السلام ، ينقل خده الكريم من خدّ الحرّ إلى خدّ جون الزنجي إلى خدّ الغلام التركيّ إلى خدّ الجابريين . واسمعوا الغلام التركيّ وهو في النزاع الأخير يهتف قائلاً : «من مثلي وابن رسول الله واضح خده على خدي ؟ !» كانوا يتسابقون إلى الشهادة .

حبيب بن مظاهر الأسدي اقتحم المعركة ، وفي ليلة عاشوراء اجتمع مع أصحابه وأهل بيته وخطب فيهم قائلاً : غداة غدٍ تدعون إلى القتال ، فهل تتقدمون بني هاشم ، أم تدعون الهاشميين يتقدمونكم ؟ ! أبو الفضل العباس يخاطب بني هاشم قائلاً : تتركون الأنصار يتقدمونكم إلى القتال ، أم أنتم الذين تتقدمونهم ؟ ! . هكذا يتسابقون إلى الجنة . زهير بن القين يتحدث مع برير ويقول له قولاً فيه دعاية ، فيقول له برير مستنكراً : «أليست هذه ليلة عاشوراء ؟ ! فإردّ عليه زهير قائلاً : «لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل أبداً . ولكنني مسرور أضحك لأنّ ليس بيننا وبين الحور العين إلاّ سواد هذه الليلة» . حبيب بن مظاهر يقف على رأس مسلم بن عوسجة وعنده الإمام الحسين عليه السلام . وكان ابن عوسجة يلفظ أنفاسه ، فيخاطبه ابن مظاهر قائلاً : « يا مسلم ، لولا علمي بأنني ماضٍ في أثرك لأحببت أن توصيني . فاستجمع مسلم قواه وردّ على حبيب قائلاً : «أما أنا فعندي وصيّة ، فهل أقولها لك ؟» قال حبيب : «ما هي وصيتك ؟» . قال مسلم : «الله الله بهذا الغريب» . وأشار إلى الإمام الحسين عليه السلام . ثم استأنف وصيته قائلاً : «أنا لا أوصيك بأهلي وعلالي وداري أبداً . ! إنما أوصيك بأبي عبد الله الحسين :

قربت يا بن ظاهر منيَّتي      وإن كان نيتك مثل نيتي  
أنا أريد إنك تجاهد سويَّتي      بالحسين وعلاله وصيَّتي .  
مرّت لحظات على الإمام الحسين . وقف أمام القوم التفت يميناً  
وشمالاً فلم ير أحداً من أصحابه ، فصاح منادياً : «يا مسلم بن عقيل . . . يا  
هاني بن عروة . . . يا حبيب بن مظاهر . . . يا مسلم بن عوسجة . . . يا  
برير بن خضير . . . ما لي أناديكم فلا تجيبون ؟ وأدعوكم فلا تستجيبون ؟ !  
هل أنتم نيام ؟ أم حالت مودتكم لإمامكم . هبوا من نومكم أيها الكرام ،  
وادفعوا عن حرم رسول الله هؤلاء الطغاة اللثام . . . يا معشر الأنصار ! قوموا  
من نومكم ، حاموا عن المخدرة العقيلة زينب . . . حاموا عن بنات رسول  
الله . . . لقد صرعكم والله ريب المنون ، وغدر بكم الدهر الخؤون ، وإلا  
لما كتتم عن نصري تقصرون . . . فإنّا لله وإنا إليه راجعون» .

## علي في مواجهة الطغاة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ آتِنِي اللَّهُ أَجْرَهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ»<sup>(١)</sup> .

### صفات الحكام الطغاة المنافقين :

قبل أن نشرح الفكرة التي تطرحها الآيات الكريمة التي أوردناها ، لا بد من التذكير بالحديث الشريف المعروف : «الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا» . فهذا الحديث مقدمة ضرورية لدخولنا في مدرسة الحسن والحسين . . .

إن في القرآن الكريم مفاتيح عظيمة لمعرفة طبيعة النفس البشرية وملامحها . وهذه الآيات تظهر خفايا النفس البشرية ، كما تنبّه إلى التناقض بين الخفايا والظواهر ، بين المنظر والمخبر . وهذا التناقض يوجد عند المنافقين ، لأن المؤمن مظهره ومخبره سواء ، فظاهره سليم وباطنه سليم ،

(١) سورة البقرة ؛ الآيات : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

وقلبه على لسانه . أما المنافق فإنه يعطيك من طرف اللسان حلاوة ، حتى إذا كشف عن مكنونات نفسه وجدت فيها الكذب والنفاق والتداعي والانحلال .

والذي يكشف عن مكنونات النفس هو سلوك الإنسان ومعاملاته مع غيره . فالمنافق الذي يتحدث عن الأخلاق والإيمان والتقوى سرعان ما تظهر حقيقته عند احتكاكه بالناس وامتحان صدقيّة دعواه .

هذا على مستوى الأفراد العاديين . أما إذا كان النفاق على مستوى القيادة والسلطة ، فإنه يظهر بشكل ظلم وعسف ، وتكون نتائجه الدمار والخراب والقتل ، وطريقه الفسق بكل أنواعه وأشكاله . . . ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾<sup>(١)</sup> .

إن القرآن الكريم يصوّر لنا الطاغية ، وما هي نفسيته ، وكيف ينشأ ويولد طغيانه ، كما أنه يبيّن لنا كيفية التصدي للظلمة وكيفية مواجهتهم . وما سيرة الحسن والحسين إلا مدرسة في مواجهة الطغاة . . . ونقول بأنها مدرسة لأنها ليست حدثاً عابراً ينتهي بانتهاء وقته وزمانه وأبطاله ، وإنما هي مدرسة لمواجهة الطغاة على مرّ العصور . ففي كل عصر طغاة مثل معاوية ويزيد ، وفي كل عصر حسينيون وحسينيون في مواجهة هذا الظلم . . . وبنفس المعنى نقول : في كل عصر كربلاء . . .

وقضية الإمام الحسن عليه السلام هي من القضايا الغامضة على كثير من الناس ، وذلك أن التاريخ الأمويّ المزور قد شوّه صورة الإمام الحسن وأظهره بصورة المتخاذل الذي يكره المواجهة ويؤثر السلامة . ولذلك نحن نخصص مثل هذه المجالس كرامةً للإمام الحسن وإنصافاً له وانتصاراً لقضيته .

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ١٦ .

أما صفات الطغاة المنافقين فيوضحها القرآن الكريم على النحو التالي :

أولاً : ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ أي أن كلامه صحيح في الظاهر ، وحديثه طليّ محبّب ، ولسانه ذلق ، ومنطقه صحيح . . . لذلك يعجبك قوله .

وهذا الأمر نجده على مستويات متعدّدة : نجده لدى الأفراد ، لدى العالم ، لدى الحاكم ، في وسائل الإعلام في صحيفة أو مجلة أو إذاعة أو تلفزيون . . . والحاكم الظالم بيده جميع هذه الوسائل وغيرها ليغطي حقيقة أمره ويضللّ الناس .

ثانياً : ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ فهو كثيراً ما يقسم بالله ليصدّقه السامعون : ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ (١) .  
ولذلك يعجبك مظهره وظاهر كلامه : ﴿وإذا رأيتهم تُعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ (٢) . . . وذلك أن هؤلاء المنافقين يموهون حقيقتهم بأيمانهم : ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ (٣) .

ثالثاً : ﴿وهو اللدّ الخِصام﴾ أي أنه على حقيقته أشدّ الخصوم وأكثرهم أذى للمؤمنين لأنه وراء قناعه اللطيف يخفي ثعالب وذئاباً .

رابعاً : ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنَّسْلَ والله لا يحبُّ الفساد﴾ أي أنه إذا تولى أمور الناس وحكم فيهم ، فإنه يسعى في خراب الأرض فيهلك الحرث والنَّسْلَ .

والحرث هنا هو الزرع نفسه ، وهو أيضاً الأرض التي تُستتبت بالبذر

(١) سورة المنافقون ؛ الآية : ١ .

(٢) سورة المنافقون ؛ الآية : ٤ .

(٣) سورة المنافقون ؛ الآية : ٢ .



والنوى والغرس . ومن هنا قوله تعالى : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ (١) أي هن مكان زرع  
الولد . والنسل تعني الشباب والأجيال الطالعة .

إذن فإن هذا الحاكم الظالم المناق يُفسد الأجيال ويدمرها بالاستهتار  
والميوعة والخلاعة ، وإذا لم يكفه ذلك أهلك الأرض ومن عليها بالدمار  
والحروب والصواريخ . . . . .

خامساً : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ . وهذه هي الصفة  
الخامسة من صفات الحاكم الظالم . فهو أمام الموعدة والإرشاد وتبيان  
خطئه وانحرافه تأخذه الحمية والأنفة ، وتعمي بصره وبصيرته القوة والغلبة ، فيتجبر  
ويعتو ، ويستكبر ويظلم . . إنه من ذلك الصنف الذي يقول : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ  
الْأَعْلَى ﴾ (٢) .

فهذا الظالم العاتي الذي يعتز بالإثم والعدوان ﴿ حَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ  
المهاد ﴾ أي أن مهاده وفراشه ومستقره الذي ينام فيه هو جهنم . . . هذا في  
الآخرة .

وأما في الدنيا، فإن القرآن يشير إلى المؤمنين الذين يتصدون لهؤلاء الظلمة  
العتاة المنافقين، بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ  
وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣) .

فالأيات الأولى التي رأيناها تبين لنا صورة الطاغية ومواصفاته ، وهذه  
الآية الأخيرة تشير إلى الذي يقف بوجه الطاغية الظالم . . .

والذين يقفون بوجه الطغاة إنما هم عليّ وأبناؤه . لأن هذه الآية نزلت  
في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ليلة ليلة مبيتته على فراش النبي . . .  
في تلك الليلة نزل جبريل عند رأس الإمام ، ونزل ميكائيل عند قدميه ،

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٢٣ .

(٢) سورة الفذاعات ؛ الآية : ٢٤ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧ .

وقال له جبريل : «بَخِ بَخِ ، من مثلك يا ابن أبي طالب !!» إن الملائكة يغبظون علياً على هذه النعمة التي اختصه بها الله ، وهي المبيت في فراش النبي ليلة أرادت قريش قتله . . . فإله هنا يباهي به الملائكة .

## أين وكيف ينشأ الطغاة الظالمون ؟ :

الحكام الظالمون ينشأون في المجتمع الفاسد المتهالك . أما المجتمع النظيف الطاهر المستقيم فلا وجود للطغاة فيه .

إن المجتمع البعيد عن الصلاة والصوم والعفة وأحكام الله هو مجتمع بعيد عن المعروف غارق في المنكر ، لذلك يحكمه الأشرار ويسيطر عليه الفساد : «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤلئ عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم» .

## نوعان من الطغاة :

هناك نوعان من الطغاة الظلمة : نوعٌ يمثله معاوية بن أبي سفيان ، ونوعٌ يمثله يزيد بن معاوية .

ولعلنا نسأل هنا : كيف وأين نشأ معاوية ، وكيف سيطر على بلاد الشام مدة أربعين سنة ؟؟ .

بلاد الشام كانت بلاد الروم . افتتحها المسلمون بعد معركة اليرموك وسلموها إلى معاوية ورجعوا إلى المدينة . . . هذا ملخص المسألة . . . ولكن كيف كان التفصيل ؟ .

كان جيش الروم في اليرموك قرابة المليون ، وكان جيش المسلمين لا يتجاوز الأربعين ألفاً ، فكيف كان ذلك النصر ؟ .

لقد كان مجتمع الرومان مجتمعاً فاسداً متهاكماً في أواخر أيامه . ولقد وصل الرومان إلى مرحلة من الفساد والضياع ليس لها مثيل في التاريخ . لذلك انتصر عليهم المسلمون بسرعة فائقة برغم قلة عددهم وعتادهم ، في

حين كان الرومان يملكون أكبر جيش في العالم ، ويملكون أكبر وأغنى  
خبرة قتالية في الحروب . . .

بعد مرور شهر كامل من الهزائم أمام جيش المسلمين ، اجتمع قائد  
القوات المسلحة في جيش الروم بضباطه وقواده وبعض الجنود ، وألقى  
فيهم خطبة قال فيها ما معناه : ويلكم !! المسلمون قلة ونحن كثرة ، وعندنا  
السلاح والعدد والعدّة ، فلماذا يتصر المسلمون كل يوم ونهزم أمامهم كل  
يوم ؟؟ ! تحركوا ! قاتلوهم ! ردّوهم على أعقابهم ! . . .

وبينما كان هذا القائد يكلم جنوده وقادته ويوبخهم بشدّة وغضب ،  
دخل عليه أحد الخدم وقال : أيها القائد ، أنا أعرف سرّ انتصار المسلمين  
عليكم ! - قال له : ويلك قل ما عندك . . . قال : لا تتعب نفسك مع  
هؤلاء ، فالنصر كتبه الله للمسلمين وليس لكم . . قال القائد : كيف تقول  
ذلك ، ومن أين لك هذا الكلام ؟ ! - قال : أقول ذلك من حال المسلمين  
وحالكم . . فأنتم مجتمع فاسد . . أقول هذا وأعلم أنكم تقتلونني ، ولكنني  
مستعد أن أقتل بعد أن أقول الحقيقة : قبل أن أعمل خادماً عندكم كنت  
أرعى الغنم أنا وطفلي الذي كان في السابعة من عمره . . ذات يوم تركته  
مع الغنم وذهبت إلى البيت لأحضر له الطعام . . مرّ جنودكم فأخذوا منه  
الغنم ، فصار بيكي ، فصفعوه على وجهه . . ولما زاد بكاؤه مالوا عليه  
وقتلوه . . ثم إنهم هاجموا داري ونهبوها وأحرقوها ، وداسوا شرف زوجتي ،  
فخرجت في العراء هائمة على وجهها فاقدة عقلها . . وهكذا في لحظة  
واحدة وجدت نفسي بلا ولد ولا زوجة ولا دار . . ثم أوثقوني وجأؤوا بي  
إلى هنا لأكون خادماً عندكم !! إنكم بهذا الفساد والتفسّخ الخلقي لن  
تستطيعوا الانتصار على المسلمين .

سكت القائد قليلاً ثم قال له : أتعرف الذين قاموا بهذا الإجرام  
ضدك ؟ قال : أعرفهم ، ومنهم أحد ضباطك في هذه الخيمة . . قال : من  
هو؟ - قال : لا أريد أن أتعجل مقتلي ، لأنني إذا ذكرت اسمه فسوف

يتدحرج رأسي عند باب هذه الخيمة بعد لحظات قليلة . . . ولكنني أريد أن أوفر حياتي قليلاً لأشهد انتصار المسلمين ودخولهم فاتحين يترنمون بآيات القرآن ، وكلهم أخلاق وشرف وعفة ، فيما أنتم غارقون في الفساد حتى شعور رؤوسكم !!

ولم يتم ذلك الخادم كلامه حتى تدحرجت رأسه .

هذه الحادثة تبين لنا مدى الفساد والانحلال الذي كان عليه المجتمع الروماني في بلاد الشام ، حين أصبح معاوية والياً على تلك البلاد في خلافة عمر بن الخطاب .

لقد كان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب متشدداً جداً مع ولاته ، يحاسبهم على أصغر هفوة تصدر عنهم ؛ لقد عاقب خالد بن الوليد في حمص لأنه أخذ شيئاً من الأموال ، فضربه بالسياط تحت أشعة الشمس بعد أن أوقفه على رجل واحدة . وكذلك فعل بأبي قريرة لما سرق الأموال من البحرين ، فضربه بالدرّة على رأسه وأدماه . ولكن الأمر الغريب الذي ألاحظه هو أن عمر على تشدده كان هيناً ليناً متسامحاً مع معاوية بن أبي سفيان . فكان معاوية يبتني القصور ويلبس الحرير والديباج ويسرف في الإنفاق على مظاهر الأبهة والعظمة . ولما ذهب عمر إلى الشام واستقبله معاوية بتلك المظاهر لفت نظره إلى ذلك ، فقال معاوية : إننا هنا في بلاد الرومان ، وقد اعتاد الناس على هذه المظاهر من قاداتهم ، وإنني لا أريد أن أصغر من أنفسنا أمامهم . . . فسكت عمر ، ولم يعد يسأله عن ذلك .

إذن بقي معاوية وحده في بلاد الشام يدير مجتمعاً فاسداً ورثه عن الأمبراطورية الرومانية المنحلّة . ولذلك فإن أي إنسان مؤمن متمسك بأحكام الإسلام وقيمه ، أمر بالمعروف ناه عن المنكر ، سوف يشكل خطراً على معاوية في ذلك الوقت ، فيطرده معاوية من الشام . وهكذا فعل معاوية بأبي ذر الغفاري الذي كان يدعو إلى مقاييس ومفاهيم الإسلام ويحذر المترفين والفاسقين ، وينتد بالذين يكتزون الذهب والفضة ، حتى أقص

مضجع معاوية فأخرجه إلى حمص ، ثم منها إلى المدينة ، ثم نفي إلى الربذة حيث مات جوعاً في أيام الخليفة الثالث .

هؤلاء الحكام ملث بطونهم من الحرام . والحرام عندما يدخل الجسم يؤثر في النطفة وفي الجنين فينتج مولوداً مشوّه النفس والأخلاق . هذا أمرٌ نحن نؤمن به ، وهو من العلوم الغيبية التي أخبرنا بها الرسول . . أما العلماء الماديون فإنهم لا يؤمنون بذلك ، والمسائل عندهم سواء : فسواء لديهم أن تأكل لحم الخنزير أو لحم بقرة مذكى ؛ وسواء لديهم أن تدخل في جوفك طعاماً حلالاً أو طعاماً مغتصباً حراماً . . . هذا هو المنطق المادي البعيد عن الله . ولكن من يعرف الله يعلم أن الحرام يؤثر في النطفة . . ولذلك فإن ابن الزنا يحنّ دائماً إلى الحرام .

وفي الفقه الإسلامي هناك كراهة شديدة أن يلتقي الرجل بزوجه وفي ذهنه صورة امرأة أخرى . فمجرد التفكير في هذا الأمر مكروه ، وكراهته تصل أحياناً إلى درجة الحرمة ، وذلك أن النطفة التي تنعقد في رحم زوجتك أثناء تفكيرك بواحدة أخرى إنما تخرج عرجاء ملساء خبيثة ، والطفل بعدها يحنّ إلى الحرام . . . . . ولذلك فإن الفقه الإسلامي يدعو إلى أن تكون المعاشرة على وضوء وبعد صلاة ركعتين . وفي ليلة الزفاف يجب أن يكون الشاب والفتاة على طهر ويصليان ركعتين ويتجهان إلى الله قبل المعاشرة حتى تكون النطفة طاهرة .

نحن نقول إن معاوية هو ابن نطفة نجسة . وهل كان أبو سفيان وهند على طهر حين تكوّن معاوية في رحم أمه ؟ !! وإن مجتمع الشام الذي اعتاد على الانحلال والفسق لم يكن لينقاد لمعاوية وأبنائه إلا لأن هؤلاء لم يكونوا في يوم من الأيام يميزون بين حلال أو حرام .

إن هذا المجتمع ينتج عادة لونين من الطغاة لا ثالث لهما : طاغية ماكر فطن خبيث مثل معاوية ، وطاغية غبيّ نزق مستهتر مثل يزيد . وجميع الطغاة على مرّ الأزمان لا يخرجون عن هذين اللونين .

والطاغية الماكر مثل معاوية له حالتان ووجهان : وجه الحرب ووجه السلم . أي أنك يمكن أن تقابله في حالة السلم أو في حالة الحرب . والإمام الحسن عليه السلام أراد أن يكشف هذين الوجهين لمعاوية .

ويصوّر الإمام عليّ هذا اللون من الطغاة في نهج البلاغة بقوله : «والله ما معاوية بأدهى مني ؛ ولكنه يغدر ويفجر» . فالإمام عليّ في هذه الكلمة يصوّر هذا الصنف الأول من الطغاة في حالتي الحرب والسلم : إنه يغدر ويمكر في الحرب ، وإنه يفجر في السلم . وهذه حقيقة مدهشة يكشفها الإمام عليّ في نهج البلاغة . فنحن نرى أن حروب معاوية كلها قائمة على الغدر والمكر والخداع ، خاصة إذا كان بجانبه رجل مثل عمرو بن العاص .

وأما في السلم فهو فاجر خائن . ولقد أراد الإمام الحسن أن يكشف هذين الوجهين لمعاوية ، فحاربه ثلاث مرّات وأثبت للناس أن معاوية في الحرب يغدر ويمكر ، ويشترى ضمائر الناس بالأموال . ثم تصالح الإمام معه ليظهر فجوره :

صالحه الإمام عليّ شروط وقّع عليها معاوية : أولها أن يمشي على كتاب الله وسنة نبيّه ، وثانيها أن يرفع الشتم والسباب عن أمير المؤمنين ، وثالثها أن يكفّ عن مطاردة شيعة أهل البيت . . . وغيرها من الشروط التي وقّع عليها معاوية .

غير أن حقيقة فجور معاوية ظهرت في نفس المجلس . إذ صعد معاوية المنبر وخطب في الناس . وأطال في كلامه ، فقال الناس : مالت الشمس إلى الغروب ولم نصل الظهر بعد ! فقال معاوية : «والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا أو تزكوا ، وإنما قاتلتكم لأنأمركم عليكم . . . وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون . . . وقد أعطيتُ الحسن بن عليّ شروطاً وما هي كلها تحت قدمي هاتين» .

لاحظوا الفجور في موقف معاوية ! إنه لم ينتظر حتى يجفّ حبر

توقيعه ، ولم يتكلف حتى التظاهر بحفظ التعهد ، وإنما سارع إلى الفجور ، لأن هذه هي أخلاق الطغاة الذين ينحدرون من نطفة نجسة . ثم إن معاوية أكمل غدره وفجوره بقتله الإمام الحسن .

ولنرجع أيضاً إلى كلمة الإمام عليّ في معاوية : «ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس !» . لماذا ذكر الإمام هنا كراهية الغدر ولم يذكر الفجور ؟ لأن الإمام لم يقابل معاوية في وجه السلم ، بل إن مقابلاته له كانت في الحرب حيث يبرز وجه الغدر في معاوية . . . ولقد كان بإمكان الإمام عليّ أن ينتصر بسرعة على معاوية لو أراد اللجوء إلى الغدر ، فيمنع ماء الفرات عن معاوية . ولكنه لم يفعل ذلك لأنه لا يريد انتصاراً بالطرق الملتوية وأساليب الغدر والخداع .

أما الصنف الثاني من الطغاة فهو الذي يمثله يزيد بن معاوية . إنه الطاغية الفاسق الفاجر المستهتر .

ولهذا الصنف من الطغاة أيضاً وجهان : وجه في الحرب ووجه في السلم .

فهو في الحرب شرس لا يقيم وزناً لشيء . يقتل ويسفك الدماء ويهتك الأعراض دون رادع من دين أو أخلاق أو قيم ؛ وفاجعة الطفّ أكبر دليل على هذا الوجه . وهو في السلم مستهتر غارق في الفجور إلى رأسه ؛ فقد أرسل إلى المدينة جيشاً وهتك الأعراض ، وأرسل إلى مكة جيشاً ضرب الكعبة بالمنجنيق ودكها حجراً حجراً .

وفي مقابل هذين اللونين من الطغاة كان هنالك الحسن بن علي الذي واجه الطاغية معاوية وفضحه ، وكان هنالك الإمام الحسين الذي واجه الطاغية يزيد بن معاوية وفضحه . . . ولذلك يقول الرسول الأعظم : «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» .

### **الأئمة أوجه متعددة لحقيقة واحدة :**

إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى رسوله الكريم بأن المعصومين أربعة

عشر ، ولكل واحد منهم دور يضطلع به في عصره ، وهذا الدور يكون حسب مقتضيات العصر : فالإمام الصادق كان يحارب على جبهة الفقه والفكر ، ولذلك أطلق تلك المدرسة الفكرية الكبرى في العالم . والإمام السّجاد كان له دور يقاتل فيه على جبهة الأخلاق والصمود والتعبئة فكانت الصحيفة السّجادية العظيمة التي هي أيضاً مدرسة كبرى شامخة في تراث الإسلام المقاوم . . . وهكذا . فلو كان الإمام الحسين في زمن الصادق لقام بنفس دور الإمام الصادق ، والعكس صحيح . والمسألة هنا ليست افتراضاً وتخميناً ، إنما هي تقدير من الله عزّ وجلّ لإنقاذ الأجيال والشعوب . ولذلك نقول إن ثورية الإمام الحسن لا تقل أهمية عن ثورية سيّد الشهداء .

هناك قصة تُروى في هذا المجال . يقول أحدهم :

دخلت على الإمام الحسين يوم عرفة فوجدته صائماً وأصحابه صائمون يقرأون القرآن والدعاء بانتظار وقت الإفطار . يقول : ثم ذهبت إلى خيام الإمام الحسن في عرفات ، وإذا الخيام مضيف : الإمام يطعم الطعام لكل الناس وهو مفطر معهم . يقول : فتعجبت ، فجئت الإمام الحسن وقلت له : سيدي هل هناك اختلاف بينك وبين الحسين ؟ الإمام الحسين وأصحابه صائمون ، وأنت سيدي وأصحابك مفطرون !! . . . التفت إليه الإمام الحسن وقال : يا فلان ، أنا وأخي الحسين للناس كافة ، والناس فيهم الصائم وفيهم المفطر ؛ فالحسين إمام الصائمين ، وأنا إمام المفطرين .

أراد الإمام أن يقول لهذا السائل : نحن في عرفة ، وصيام عرفة مستحبّ . من الناس من يصوم فيه ، ومنهم من لا يصوم ؛ ولا بد من استيعاب جميع الناس ! . . .

أحد العلماء ينقل حادثة جرت بين الشيخ الأنصاري وأستاذه صاحب الجواهر الشيخ محمد الحسن النجفي . كان الشيخ الأنصاري زاهداً بالحياة بشكل عجيب : بيته في النجف متواضع ، وهو عبارة عن غرفة صغيرة فيها



حصير فقط . وطعامه بسيط متواضع . وهو في هذه الحال يدرّس وينشر العلم . . . أما الشيخ النجفي فقد كان يلبس أفخم الثياب ، وله بيت فخم هو أشبه بالقصر ، والموائد مفروشة دائماً أمام ضيوفه .

دخل رجل يوماً على الشيخ الأنصاري ووجدته على حاله تلك ، فقال له : ذاك أستاذك النجفي وقد رأيناه في حال من الرفاه والنعيم يحسد عليه ، وأنت في هذا الضنك من العيش ، فلماذا ؟ - قال له الشيخ الأنصاري : إن الإسلام ليس له وجه واحد . . . فالشيخ النجفي يظهر عزّة الإسلام وأنا أظهر زهد الإسلام . .

لاحظوا هذا الجواب الذكي . . . والغريب أننا نرى من يأتي ويقول : هذا الشيخ يركب سيارة جديدة ، وعليه مظاهر اليسر والبجوحة ، إننا لا نصلي خلفه !! . . . فهل على رجل الدين أن يكون فقيراً حافي القدمين حتى يكون رجل دين موثقاً ؟ ؟ ! أو ليس لرجال الدين الحق في الحياة والعيش الهنيء ؟ ؟ .

هذه الصور موجودة في الواقع ، ونظرتها لرجل الدين غير صحيحة وغير واعية لحقيقة الإسلام .

في بعض الأحيان عندما أسافر إلى البلاد الأوروبية أرى أولئك القسس كيف يلبسون ، فأتعمد أن ألبس أجمل ما أملك من لباس : عمامة نظيفة ، وعباءة من هذا النوع النجفي ، وذلك حتى أقابل هذا المبشر المسيحي أو ذاك بشكل لائق ، وحتى أظهر له عظمة الإسلام .

ولكن كيف تكون عظمة الإسلام ومن أين نعرفها ؟ إنما نعرفها من خلال أهل البيت : الإمام عليّ عليه السلام يقول : «والله لقد رقت مدرعتي حتى استحييت من راقعها» . والإمام الحسين كان يلبس جبّة الخرز ، وقميصه الذي كان يلبسه ويتصدق به على الفقراء كان ثمنه خمسمائة دينار ! وحتى في يوم عاشوراء كان الحسين يلبس أفخر الثياب وأجملها . . . لماذا هذا التباين ؟ إن أمير المؤمنين يبيّن وجه الإسلام للناس بعد الخليفة الثالث ،

فلقد كان للإمام دور خاص ؛ والإمام الحسين يبين جوانب أخرى من الإسلام ؛ فلا يوجد اختلاف بين الأئمة عليهم السلام . الإمام أمير المؤمنين كان بيته في الكوفة من جريد النخل ، والإمام الحسن كان بيته في المدينة من أكبر البيوت وأفخمها . ونراه يقول لذلك الرجل الشامي : «مِلْ إلينا ، فإن لنا بيتاً واسعاً وجاهاً عريضاً في المدينة» .

إن الإسلام لا يريدنا أن نتعد عن ركوب السيارة أو أن لا تكون لدينا الثياب الجميلة النظيفة ، بل على العكس فإن القرآن يقول : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾<sup>(١)</sup> ، ويقول : ﴿لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾<sup>(٢)</sup> فهذه الحياة أصلاً لمن ؟ إنها للذين آمنوا في الحياة الدنيا . . .

والإسلام هو دين الحياة ، وهو لا يريد أن يحرم المؤمنين من طيبات هذه الحياة . فهو يريد أن تكون لك دار واسعة ودابة سريعة وزوجة مطيعة . . . ولكن للأسف فإن البعض يفهم الإسلام بطريقة معكوسة . فالإسلام ليس له جانب واحد ، كما أن النفس البشرية ليس لها وجه واحد .

مثال : هناك شخص كريم يتبرع بمائة دينار ، فهذا نفسه كريمة ، وهناك نفوس صبغتها الكرم : ﴿صَبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً﴾<sup>(٣)</sup> وهناك آخر يتبرع بألف دينار ، وثالث يتبرع بمليون دينار ، وهكذا ؛ فكل هؤلاء كرماء ، ولكن بين الواحد والآخر مسافة واسعة . لماذا ؟ لأن أحدهم تكون هذه الصفة متعمقة عنده أكثر من الآخرين .

وعلى العكس من ذلك ، إذا يمكن للإنسان أن يعصي الله بدرهم واحد ، كأن يدفع رشوة لشاهد زور أو نحو ذلك .

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٣٢ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٨٧ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ١٣٨ .

إن النفس البشرية باستطاعتها الارتفاع والتسامي عن ارتكاب المحرمات ، وتستطيع أن تقوى أمام المغريات . ولقد عبّر الإمام علي عن قمة هذا التسامي والترفع بقوله : «لو أُعطيَت الأقاليم السبعة وما تحت أفلاكها علي أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت» . لذلك نحن لا نعرف عن حقيقة نفسية هؤلاء الأئمة إلاّ القليل . إننا نكاد لا نعرف شيئاً عن نفسية الإمام علي بن أبي طالب . . . إن جبريل لم يستطع أن يعرف كل فضائل الإمام عليّ . . . . .

الرسول الأعظم يحدثنا ويقول : «ليلة المعراج نظرت إلى إبل تحمل فضائل الإمام عليّ ، ما عرفت أولها ولا آخرها : فسألت جبريل قلت له : يا جبريل ما هذه الإبل ؟ قال : يا رسول الله ، هذه الإبل تحمل فضائل الإمام عليّ . قلت له : يا جبريل ، هل تعرف أولها وآخرها ؟ قال : يا حبيبي يا محمد ! والذي بعثك بالحق نبياً واصطفاك بالرسالة نجياً ، إنني ما عرفت أولها ولا آخرها . . . إن الله وحده يعرفها» .

إن الأئمة وأهل البيت بحر من الفضائل لا ساحل له ، ولذلك نحن نتمسك بهم . ونحن مسؤولون أمام الله أن نرفع من أفكار مدرستهم ونعلي كلمتهم ، وبذلك ننتقم من الظالمين أمثال معاوية ويزيد .

إن الآية الكريمة التي أشرنا إليها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ نزلت في الأخنس بن شريق الذي دخل على النبي فأسمعه كلاماً طيباً ، ثم خرج من عنده ليحرق الحرث والنسل ، ولكن معنى الآية عام ينطبق على جميع المفسدين الظلمة المنافقين ، أمثال معاوية ويزيد . . . ثم إن الآية التي بعدها جاءت لتعين أولئك الذين يتصدون لهؤلاء الطغاة : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ .

هاتان الآيتان كلفتا معاوية بن أبي سفيان مائتي ألف درهم دفعها لأبي هريرة حتى يصعد المنبر ويحدث الناس بأن الآية الأولى نزلت في علي بن

أبي طالب ، والثانية نزلت في معاوية !!! ... فانظروا إلى هؤلاء الذين  
﴿يريدون أن يطفئوا نورَ الله بأفواههم﴾ (١) .

### المجالس الحسينية وزيارة قبر الحسين عليه السلام:

إن وجودنا هنا في هذه المجالس والتفافنا حول أهل البيت يزودنا  
بالنور والقوة . ولذلك ركّز الأئمة على زيارة الحسين عليه السلام .

يدخل رجلٌ من أهل البصرة على الإمام الصادق عليه السلام فيسأله الإمام :  
أتزور جدي الحسين مرة في اليوم ؟ - قال : لا - قال : في الأسبوع مرة ؟ -  
قال : لا ، ولكن ربما في الشهر مرة . قال الإمام : «زر الحسين يا هذا ،  
فإن في زيارة الحسين نوراً . من زار الحسين كتب الله له ألف حجة وألف  
عمرة مع رسول الله ، ورفع له ألف درجة ، وأعطاه ألف حسنة ، ومحا عنه  
ألف سيئة» . طبعاً المراد بذلك الحجّ المستحبّ . . . إذ ربما يأتيك أحدهم  
ويقول : هؤلاء الشيعة يفضلون زيارة الحسين على الكعبة !! .

الإمام الهادي عليه السلام يشجع الناس على زيارة الحسين ويقول لأبي  
هاشم الجعفري : «خذ الأموال هذه وادفعها لفلان ، وقل له أن يذكرني عند  
الحائر الحسيني» .

إن الله سبحانه وتعالى أعطى الإمام الحسين عطاءً كبيراً ، فجعل  
الإمامة في ذريته ، والشفاء في تربته ، والدعاء يستجاب تحت قبته . اقرأوا  
كتاب «وفاء الوفاء» لعالم كبير من علماء أهل العامة ، فهو يقول فيه : إن  
تراب المدينة كل المذاهب الإسلامية تتبرك به للشفاء حيث فيه جسد رسول  
الله . . . وأما كربلاء فإن فيها جسد الحسين ، والحسين هو ابن رسول الله  
الذي يقول فيه : «حسين مني وأنا من حسين . أحبّ الله من أحبّ  
حسيناً» . . . بل إن وجود المدينة ومكة وبقاءهما هما ببركات الحسين  
وكربلاء . . . لذلك ينظر الله سبحانه لزوار الحسين ثم إلى أهل عرفة .

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٣٢ .

لماذا؟ لأنه لولا الحسين لما بقيت عرفة أبداً!

إن الحسين عليه السلام هو الذي يتولى العطاء والشواب، لأنه باب من أبواب الرحمة. ولذلك عندما تطوف بقبر الحسين أنشد مع الشاعر:

وظفتُ بقبرك طوف الخيال	بصومعة الملهم المبدع
وخِلْتُ وقد طارت الذكريات	بروحي إلى عالم أرفع
كأن يداً من وراء الضريح	حمراء مبتورة الإصبع
تمدّ إلى عالم بالخنوع	والضيم ذي شرق مترع
لتبدل منه جديب الضمير	بآخر معشوشب ممرع
وتدفع هذي النفوس الصغار	خوفاً إلى حرمٍ أمتع
فيا ابن البتول وحسي بها	ضماناً على كل ما أدعي
ويا ابن التي لم يضع مثلها	كمثلك حملاً ولم يرضع
ويا ابن البطين بلا بطنية	ويا ابن الفتى الحاسر الأنزع
ويا غصن هاشم لم يفتح	بأزهر منك ولم يفرع

إلى أن يقول:

وما ذاك أروع من أن يكون جسمك وقفاً على الموضع  
وإن تطعم الموت خير البنين من الأكهلين إلى الرضع

لذلك عندما يطوف الواحد منا بقبر أبي عبد الله الحسين فليذكر إخوانه ممن لا يستطيعون الذهاب. وهنيئاً لمن يستطيع زيارة الحسين. وأنا رأيت هناك زواراً يأتون من أندونيسيا ومن الهند، وبمجرد أن يصل الواحد منهم وتقع عيناه على قبر الحسين حتى يصاب بحالة إغماء من شدة البكاء... هذه الحالة تصيبننا لأننا نتذكر أطفال الحسين الذين كانوا يحومون حول عمتهم زينب التي كانت تقوم من مصرع لتقع على مصرع آخر... نتذكر حالة خروج الحسين من المدينة مع أهل بيته في يوم التروية، ومن ثم خروج السبايا من كربلاء إلى الكوفة... ثم نتذكر الحسين في كربلاء وهو واقف ينادي: «ألا هل من ناصرٍ ينصرنا!»، فنجيبه: لبيك داعي الله! إن

كان لم يجبك بدني عند استغاثتك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري . . .  
هذا كله تشعر به بمجرد دخولك إلى كربلاء .

والشيء المحزن الذي يسبب انكسار القلب ولا نساها هو خروج عائلة  
الحسين من المدينة إلى مكة ، ثم منها إلى كربلاء ، ومن ثم رجوع السبايا  
إلى المدينة . . . فهذه الليلة تصادف دخول السبايا إلى الشام .

### خروج الحسين من المدينة :

لما عزم الحسين عليه السلام على الخروج من المدينة ، خرج ليلاً . ثم إنه  
أرسل أخاه العباس إلى زينب ليخرجها من دارها ، فخرجت مع أبنائها .

يُقال إنها لما رجعت استقبلها عبد الله بن جعفر وسألها ، قال : يا  
زينب ! بلغني أنه عندما قُتل أبناؤك لم تخرجي من الخيمة ، ولكن خرجت  
عندما قتل عليّ الأكبر ! . . قالت : خرجت لأجل أخي الحسين . فحين  
قتل أبنائي لم أخرج لأنني خفت على الحسين أن يتألم إذا رأي ، فتركته  
وحده . ولكن لما وقع عليّ الأكبر خرجت من الخيمة . . لأنني إذا لم  
أخرج وأصيح : وا ابن أخياه ! واحبيب قلباه ! لكان الحسين يموت على  
مصرع ولده عليّ الأكبر ! . . .

لما خرج الحسين ليلاً ، سأله محمد بن الحنفية : سيدي لماذا  
خروجك بالليل ؟ . . .

« يا حسين سلطان البلد لو عزم يشيل

تطلع الناس تشييعه وتسرج له الخيل

وانت يا سلطان المدينة طالع بليل !! »

وخرج محمد بن الحنفية في دموع وبكاء . . وكذلك أم سلمة

خرجت تبكي وتتنحب ؛ فهي التي ربّت الحسين في حجرها . . خرجت  
تنادي : ولدي حسين ! لا تفجعني بنفسك ! .

ولما خرج الحسين من المدينة ترك صبيّةً من جملتهم فاطمة

العليلة . . . هذه الطفلة كانت تعدو خلف أبيها الحسين تنادي : أبه يا حسين ! قف لي يا نور عيني !! . . . التفت الحسين وإذا به يرى فاطمة العليلة تقوم وتقع من شدة الألم والمرض . . . قال لها : بُنيّة ما عندك حبيبتي ! أنا إنما تركتك هنا مع أم سلمة وأم البنين ومع عمك محمد بن الحنفية رحمةً بحالك . . . قالت : أبه ! أنا لا طاقة لي على فراقكم . . . . .

### دخول السبايا إلى مجلس يزيد :

والصورة الأخرى التي نتذكرها في هذه الليلة التي تصادف أول صفر ، هي صورة دخول عائلة الحسين إلى مجلس يزيد بن معاوية . . .

أدخلت السبايا ومن بينهنّ فاطمة بنت الحسين وعمتها زينب ، وكنّ مربّطات بالحبال يقودهن جلاوزة يزيد . وكان بجانب يزيد واحدٌ من أتباعه من أجلاف أهل الشام . لما وقع بصره على فاطمة ، التفت إلى يزيد وقال له : هَبْ لي هذه الجارية ! . .

تقول فاطمة : خفت وارتعدت فرائصي ، ولذتُ بعمتي زينب . قالت : يا عمّته ! أوتِمتُ<sup>(١)</sup> وأستخدمُ بعد أبي الحسين !!! قالت زينب للشاميّ : إن هذا لا يكون لك ولا لأميرك هذا الجالس بجانبك !! .

قال يزيد غاضباً : لا بل إنه لي ، ولو شئت أن أفعل لفعلت ! .

قالت : إلّا أن تخرج من ديننا وتدين بغيره ! .

قال : إنما خرج من الدين أبوك وأخوك !! .

قالت : إنما بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك إن كنتَ مسلماً !! .

قال : إيّاي تستقبلين بهذا الكلام يا عدوة الله !! .

---

(١) أي أصبحت يتيمة .

هنا حزنت الحوراء زينب حزناً شديداً ، وبكت بكاءً مراراً . . . هل كان  
أحد يجرو أن يقول لها «يا عدوة الله» بوجود أبي عبد الله الحسين والحسن  
وأبي الفضل العباس أو بوجود أبيها عليّ أمير المؤمنين ؟؟ ! .

. . . لذلك بكت الحوراء زينب . . . وسالت دموعها على خديها ،  
وقالت : أنت أمير ظالم تقهر بسطانك ، وأنا اليوم لا والد لي ولا عمّ ألوذ  
به ، وما بقي لي أخ أرجوه وذورحم . . . . .

إنّا لله وإنا إليه راجعون !



## نظريّة الامام علي في التربيّة

### بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون﴾<sup>(١)</sup> .

تحدّد الآية الكريمة المراحل التي تتألي في خلق الإنسان والأطوار التي تمرّ بها حياته في الحياة الدنيا . ولعلّ أول سؤال تثيره الآية المباركة هو التالي : لماذا هذا التدرّج في الخلق ؟ أليس الله سبحانه وتعالى بقادر على خلقنا كما خلق آدم من التراب مباشرة ؟ لا شكّ في قدرته على ذلك . ﴿إنّ الله على كل شيء قدير﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾<sup>(٣)</sup> .

لاحظوا هذا التدرّج في الآية الكريمة حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿هو الذي خلقكم من تراب ، ثم من نطفة﴾ فأصل النطفة تراب ، وفي التراب طاقة الحياة ، ومن هذه الطاقة يكون النبات ، ومن النبات والحيوان

(١) سورة غافر ؛ الآية : ٦٧ .

(٢) سورة الطلاق ؛ الآية : ١٢ .

(٣) سورة يس ؛ الآية : ٨٢ .

الذي يغتذي بالنبات ! تتغذى أجسامنا وتتولد فيها النطفة ، والنطفة تتحول إلى علقة ، والعلقة هي البداية التي ينطلق منها تكوين الجنين الذي يكون في بطن أمه إنساناً كاملاً متكاملًا . ﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾ . وكلمة طفل يمكن أن تطلق على الجمع أيضاً كما في الآية : ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾<sup>(١)</sup> وبعد مرحلة الطفولة تأتي مرحلة الشباب وهذا ما عناه بقوله تعالى : ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ وقال ﴿أشدكم﴾ لأن الشباب هو قمة الشدة والنشاط والقوة في حياة الإنسان ، ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي الشيخوخة ﴿ثم لتكونوا شيوخاً﴾ . هكذا يمر الإنسان بعد ولادته بالمراحل الثلاث : طفولة فشباب فشيخوخة . ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ . أي أن الموت يمكن أن يدرك الإنسان قبل أن يكون شيخاً ، أي في إحدى المرحلتين السابقتين للشيخوخة . ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمى﴾ ، فلكل إنسان أجل لا يخطئه لحظة واحدة لا زيادة ولا نقصاناً ﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾<sup>(٢)</sup> . فأنت ضيف في هذه الدنيا وستخرج منها شئت هذا أم أبيت . تغادرها كما جئت إليها دون أن يكون لك إرادة في الحالين . جاء شاب إلى الإمام الحسين عليه السلام وقال له : «يا أبا عبد الله ، انصحنى كيف ابتعد عن المعصية» ؟ فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً : « إذا جاء ملك الموت لقبض روحك فارفض ذلك وابعده عنك ، واعص الله ما شئت» . فقال الشاب : «لا يمكنني فعل ذلك» .

إذن نحن نأتي إلى الدنيا بغير إرادتنا ، ونغادرها بغير إرادتنا بل بإرادة الله . وشاء الله أن يعطينا الإرادة بين مجيئنا إلى الدنيا وبين مغادرتنا إياها . وحرية إرادة الإنسان في الحياة الدنيا منحة من الله وهي لا تعجزه ولا تخرج عن إرادته ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ ﴿ومنكم من

(١) سورة النور ؛ الآية : ٣١ .

(٢) سورة يونس ؛ الآية : ٤٩ .

(١) سورة الإنسان ؛ الآية : ٣٠ .

يُتوفى من قبل وتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون ﴿١﴾ . فالآية تبين الحكمة من تدرّج مراحل خلق الإنسان وتوالي أطوار حياته . ﴿ولعلكم تعقلون﴾ . أي تعملون عقولكم ، كنتم في الأصل تراباً ثم تحوّلتم إلى نطفة ثم إلى علقة ثم أخرجتم أطفالاً لتبلغوا أشدكم ، ثم صرتم شيوخاً ، ومنكم من يُتوفى من قبل . إن أول مرحلة من مراحل الخلق ، أي مرحلة الانتقال من التراب ، إلى النطفة ترينا ارتباط الإنسان بكلّ قوانين الكون والطبيعة . فالشمس تبث الإشعاع والنور الذي يحتاجه الإنسان . وهي التي تبخر مياه البحر فيكون من ذلك السحاب الذي يحمل الماء إلى الأرض ومن الماء كل شيء حي ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (١) . ومتى نزل الماء على الأرض اهتزت وربت . ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ (٢) فالماء متفاعل مع العناصر الكيماوية في الأرض ، وهذه متفاعلة مع بعضها بتأثير الماء الذي أنزله الله ، تتحول من أرض بلقع جرداء إلى جنات تزخر بصنوف النباتات والخضار والبقول والثمار ، وهذه الصنوف مشحونة بالطاقة تغذي أجسامنا وتغذي الأنعام التي تتغذى بها أيضاً . والإنسان عاجز عن فعل ذلك ، ولكن ما يعجز الإنسان لا يعجز الله الذي يصنع كل شيء بقدرته . وفي قدرة الله تتساوى المخلوقات صغيرها وكبيرها على حدّ سواء . فخلق النملة كخلق المجرات ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ (٣) وقد لخص الله تعالى في الإنسان كل شيء في الكون . وفي هذا ، خاطب الإمام علي عليه السلام الإنسان بالقول :

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر . ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ (٤) لاحظوا هذه الدقة في التعبير عن رحلة الجنين إلى مرحلة الطفولة . ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة

(١) سورة الأنبياء؛ الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الحج ؛ الآية : ٥ .

(٣) سورة يس ؛ الآية : ٨٢ .

(٤) سورة النحل ؛ الآية : ٧٨ .

ضعفاً وثيبة»<sup>(١)</sup> فالشباب قوة بين ضعفين . ﴿ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مستمى ولعلكم تعقلون﴾ فالغاية من رحلة الحياة هي أن نحيا بعقلنا وإدراكنا ، والحقيقة التي يريد الله أن نعقلها وندرکہا هي أن الحق باق والإيمان به هو الحيّ الحقيقي الواحد في هذا الكون . والإنسان المؤمن هو الإنسان الحيّ حقاً .

### النصر للرسل وللمؤمنين في الدنيا والآخرة :

﴿إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾<sup>(٢)</sup> . فانتصار الرسل والمؤمنين في الدنيا والآخرة أمر لا ريب فيه . قد يقول قائل : وأين نصر الأنبياء والرسل في الدنيا وقد عانوا فيها من القتل والعذاب والتشريد والتحريق بالنار ما لم يعان منه إنسان ؟ . من هذا التساؤل ينفذ الشيطان إلى قلوب قصار النظر من بني الإنسان الذين يقارنون بين آلام وعذابات الأنبياء والرسل والأولياء وبين النعيم الذي يتقلب فيه الظلمة من أمثال يزيد والحجاج وابن زياد وغيرهم من الطغاة البغاة . نحن في مدرسة الحسن والحسين عليهما السلام لا بد لنا من وعي وفهم يوفران لنا تربية إسلامية صحيحة . ومتى توافرت لنا هذه التربية سلمت عقولنا من الشكوك والشبهات وحفظنا عقيدتنا من كل زيغ ولاقينا وجه ربنا بقلب سليم . ولتحافظ على عقيدتك يجب أن تعرف عدوك : ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾<sup>(٣)</sup> . وكما قلنا فإن قصار النظر الذين تسلل الشيطان إلى قلوبهم يقولون : أين نصر الله للرسل والأنبياء والذين آمنوا وهم مضطهدون مشردون ، مقتولون معذبون محرومون ؟ . وقد صحّ في قصار النظر هؤلاء قوله تعالى :

(١) سورة الروم ؛ الآية : ٥٤ .

(٢) سورة غافر ؛ الآية : ٥١ .

(٣) سورة فاطر ؛ الآية : ٦ .

﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾<sup>(١)</sup> .  
 إنّ الله عزّ وجلّ يريد منا أن ننظر إلى الأمور نظرة شموليّة تتخطّى حدود  
 الزمان والمكان ، وحينئذ نرى أنّ الرسل والذين آمنوا هم المنتصرون في  
 الدنيا والآخرة . لقد ألقى الذين كفروا إبراهيم عليه السلام في النار ، فهل يعني  
 هذا أن إبراهيم عليه السلام قد انهزم أمام الكفار ؟ أم أنّه كان منتصراً ؟ . إنّ إلقاء  
 إبراهيم عليه السلام في النار كان قمة الانتصار عنده ، ثم انتصر ثانية عندما نجا من  
 النار بأمر الله ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾<sup>(٢)</sup> فالذي ينظر  
 إلى تاريخ الإنسانية وحاضرها ومستقبلها يرى أنّ الشهداء هم المنتصرون ،  
 إنهم منتصرون بانتصار رسالتهم وبخلودهم في القلوب المؤمنة والبصائر  
 والأبصار التي تتخطّى حدود الزمان والمكان . وأعظم شهيد في تاريخ  
 الإنسانية وبإجماع العقلاء هو الإمام الحسين عليه السلام : إنّ الشهيد الذي حرك  
 الضمائر في النفوس وأثار مكان الحبّ والتعاطف في القلوب ، وأسأل  
 العبرات من العيون . إنّهُ حقاً أعظم شهيد . لأنّ قضيتَهُ واستشهاده لا يمكن  
 أن يتكرّرا في الوجود . وإلّا لما تلاهما جبرائيل على آدم وإبراهيم وموسى  
 وعيسى عليهم السلام أجمعين . إن عظمة شهادة الحسين عليه السلام وقدسيتَهُ قضيتَهُ من  
 أبرز ما يجمع عليه المسلمون . وهناك ، ومن غير المسلمين ، من يعظم  
 شهادة الإمام الحسين عليه السلام ويتعاطف مع قضيتَهُ ويثور لما أصابه من ظلم .  
 اذهبوا إلى الهند في أيام محرّم الحرام عامّة ، وفي عاشوراء خاصّة ، لثروا  
 بأمّ أعينكم أولئك الذين يعبدون النار والبقر ، كيف يحيون ذكرى استشهاد  
 أبي عبد الله الحسين عليه السلام بالتعاطف والتعظيم . ألا يعني هذا أن استشهاد  
 الإمام الحسين عليه السلام كان انتصاراً له ؟ ولو كانت الكلمة العليا في المجتمع  
 الإسلامي لسعاة الخير وأهل العطاء ، لنشرنا الإسلام باسم الحسين عليه السلام في  
 مشارق الأرض ومغاربها ومهبّات رياحها الأربع . فالإمام الحسين عليه السلام أعظم

(١) سورة الروم ؛ الآية : ٧ .

(٢) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٦٩ .

قوة في الإسلام . ولذلك فإن رسول الله ﷺ جعل حب سيد الشهداء الإمام أبي عبد الله عليه السلام علامة مميزة للمؤمن . قال ﷺ : «حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً» .

فاستشهد الحسين عليه السلام كان ولا يزال وسيبقى قمة انتصاره . وهذا هو المعنى الذي ضربت به الحوراء زينب عليها السلام وجه يزيد عندما قالت له : «أظننت يا يزيد ، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وأفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تُساقُ الإماء . أن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة ؟ ! وأن ذلك يعظم خطرك عنده ؟ ! فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك جزلاً مسروراً ، حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسعة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا . فمهلاً ، مهلاً ، لا تطش جهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾<sup>(١)</sup> .

لاحظوا كيف وضحت العقيلة زينب عليها السلام حقيقة انتصار الإمام الحسين عليه السلام . ليدرك الناس أن الانتصار الحقيقي لا يكون إلا لأهل الحق والإيمان .

### «إنهم أرق أفئدة وأسرع إلى الخير» :

إننا في مدرسة الحسن والحسين ، وهما سيّدا شباب أهل الجنة ، إذن يجب أن نتكلم عن الشباب ، قال الرسول ﷺ لأحد أصحابه وكان عائداً من مهمة تبليغ وتبشير : «كيف رأيت إقبال الناس عليك ؟ . فقال الصحابي : «سيدي ، إن الناس يتباطأون في قبول هذا الأمر» . ومن هذه الإجابة عرف الرسول ﷺ أن الصحابي لم يتصل بالشباب ، بل قصر

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٧٨ .

تبليغه على الشيوخ والعجائز ، وهؤلاء يكونون أكثر تمسكاً بما ورثوه من عقائد وعادات وأعراف . قال الرسول ﷺ للصحابي : «أين ذهبت؟ ولمن وجهت خطابك» ؟ . قال الصحابي : «ذهبت إلى الشيوخ وإليهم وجهت خطابي» . قال الرسول ﷺ : «لا ، عليك بالشباب ، عليك بالأحداث فإنهم أرق أفئدة وأسرع إلى الخير» . بالله عليكم لاحظوا الإعجاز العلمي في هذا الحديث : «إنهم أرق أفئدة» . أي أنهم أصفى قلوباً وأنقى فطرة . فعندما يبلغ الإنسان سنّ الرشد تتفجر طاقاته ، وتنطلق طاقة الفطرة في نفسه فيكون أكثر استعداد لعمل الخير وتلبية النداء إليه . هذا ما يفترضه الإسلام في الشباب ، فلنا بعد ذلك أن نعجب من ذهاب بعضهم إلى دور السينما وأماكن اللهو . لأن القاعدة الأساسية في الإسلام هي أن يكون الشباب بعد فراغهم من أعمالهم ، في المساجد والحسينيات والمكتبات . فالشباب الذي بلغ سنّ الرشد اكتملت قواه ونضج عقله . والرشد ملكة يدير ويوجه بها طاقاته . ومن هذه الطاقات قوة الحافظة . فهل يعبئها بالأغاني والترهات وبكل ما هو باطل ؟ أم يعبئها بالعلم والفكر ؟ وإذا أراد أن يعبئها بالعلم والفكر ، فأى كتاب يقرأ ؟ هل يقرأ أيّ كتاب يقع في يده ؟ أم يختار الكتب المفيدة له ؟ ومتى اختار الكتب التي تنوره وتهديه ، شبّ في طاعة الله ، ومن شبّ على شيء شاب عليه . وكما ترون فإنّ ثلثي مجلسنا هذا من الشباب . وكبار السنّ المؤمنين من الشباب . لأن الشباب هو شباب الإيمان ، ألم يقل سبحانه وتعالى في أهل الكهف : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾<sup>(١)</sup> لقد وصفهم بالفتوة مع أنهم شيوخ ولكنّ إيمانهم لم يشخ ، إنهم شباب بإيمانهم .

لقد أولى الرسول ﷺ الشباب اهتماماً كبيراً . ونحن على هدي الرسول ﷺ لا بدّ أن نهتم بالشباب ونوجههم إلى سواء السبيل .

(١) سورة الكهف ؛ الآية : ١٣ .

لقد انطلق الرسول الأعظم ﷺ بالإسلام بقوة الحق وقوة الشباب وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. والإمام علي عليه السلام - روعي فداء - كان المنتصر في بدر وأحد وحنين وخيبر والخندق وجميع المعارك التي خاضها دفاعاً عن الإسلام وإعلاء لرايته . وعلي عليه السلام كان المنتصر يوم بات في فراش الرسول فوقه بنفسه فنزل فيه قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾<sup>(١)</sup> إنها حقيقة يريد الله تعالى أن يوجهنا ويهدينا إليها .

قال رسول الله ﷺ : «يُسأل المرء يوم القيامة عن أربعة أشياء ؛ عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله مم اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن حبنا أهل البيت» .

لاحظ كيف أن الله سيسألك فيم صرفت طاقة شبابك ، وكيف أكتسبت أموالك ومن أين ؟ وكيف صرفت طاقة شبابك وأموالك ؟ هل صرفتها في معصية الله أم في طاعته وحبّه ؟ وإذا دخل حبّ الله إلى نفس الإنسان سما بها إلى أرفع المستويات ، نظر الرسول ﷺ إلى مصعب بن عمير وقد لبس إهاب كبش (أي جلد كبش) . بعد أن كان يرفل في الدمقس والحريير . فقال عليه الصلاة والسلام : «إني نظرت إلى هذا الشاب مصعب وأبواه يغذيانه . والآن أنظر إليه كيف دخل حبّ الله في قلبه» . ولندرك إلى أي مدى كان الرسول ﷺ يعتمد على الشباب ، يجب علينا أن نعود إلى التاريخ لنرى كيف أن رسول الله ﷺ أمر أسامة بن زيد وهو شاب لما يتجاوز التاسعة عشرة من عمره ، على جيش أرسله لمحاربة الروم . وقد قال الرسول ﷺ في شأن ذلك الجيش ، «لعنة الله على من تخلف عن جيش أسامة» .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧ .



## كيف نحفظ هؤلاء الشباب ؟ :

إذن الشباب طاقة خلاقية وهم أسرع إلى الخير من غيرهم ، وليست أحداث الصين وأمثالها في مختلف أرجاء العالم إلا برهاناً على صحّة ما نقول . ها هم شباب الصين ، وبلا موجه أو مرشد ، يتدفقون بالآلاف إلى الساحة الكبرى في بكين ، ينادون بالحرية ويرفعون أعلامها ، ولكن دبابات السلطة سحقتهم تحت جنازيرها ، هكذا تهضم حقوق الإنسان وتداس بالأقدام .

إن ما فعله شباب الصين الوثنيون إنما فعلوه بدافع الفطرة الخيرة في نفوسهم . فماذا يفعل الشباب عندما يتلقى تعاليمه من منبر الإمام الحسين عليه السلام ، من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل البيت عليهم السلام ؟ صدقوني أيها الأخوة ، أننا لو احسنا توجيه الشباب وانتقلنا بهم إلى أحضان الإسلام ، فإن معالم الجريمة تختفي من المجتمع الإسلامي . فالشباب الذين انحرفوا وانغمسوا في الموبقات من دعارة وخمور ومخدرات ، إنما فعلوا ذلك لأنهم لم يجدوا الأجواء الطيبة التي تحتضنهم ولا القلوب الرحيمة المؤمنة التي تحذب عليهم ، ولا العقول النيرة والمساعي الخيرة التي توجههم . بل العكس هو الذي حدث ، فقد سلّطت على أبصار الشباب وبصائرهم فنون من الإعلام الخبيث المدمر . والغريب أن تقف السلطات الإسلامية بمعظمها مكتوفة الأيدي أمام ما يعرضه على شبابنا ذلك الإعلام الخبيث من أفلام ماجنة ، وما يبثه على أسماعهم من أغان خليعة . ولعل أكثر وسائل الإعلام شيوعاً وتأثيراً هو التلفزيون . وشأنه شأن معظم المخترعات التي يمكن أن تستعمل لخير الإنسانية وتقدمها ، كما يمكن أن تستعمل لتدمير الإنسانية والعودة بها إلى أدنى دركات الحيوانية . فالتلفزيون يمكن أن يكون منبراً للإرشاد وهادياً إلى الخير ومعلماً للحقائق . ويمكن كما هو حاصل اليوم ، أن يكون وسيلة بأيدي القوى الشيطانية والصهيونية التي تهدف إلى تشويه الإسلام وتدمير الطاقات الإسلامية ، والشباب كما نعلم أهم هذه الطاقات . لذلك تغرقه وعن طريق التلفزيون والفيديو بأفلام رعاة البقر (الكابوي) والجنس

المسعور والجريمة المنظمة والعنف المجنون . فأين أرباب الأسر في المجتمع الإسلامي ؟ ومن منهم الذي ألغى البرامج التلفزيونية الخبيثة ، فوضع في بيته فيديو ينقل إلى شاشة التلفزيون المحاضرات والمجالس والأفلام الإسلامية ؟ أين أثرياء المسلمين وعقلاؤهم وممثلوهم الذين نادوا إلى إنتاج الأفلام والمسرحيات الإسلامية ؟ وهل يجوز أن نحضر المجالس الإسلامية لشهر واحد ونترك بقية أشهر السنة للتلفزيون ؟ وهو على ما هو عليه اليوم ، ولو كان الأمر مسألة محطة تلفزيونية واحدة لهان ولكن المشكلة في آلاف المحطات التلفزيونية التي تبث برامجها عبر الأقمار الاصطناعية ، وهكذا وبينما تكون الفتاة في خدرها أو على سريرها ، تنهمر عليها أفلام الجنس والدعارة والاستهتار ، أليس هذا هو البلاء بعينه ؟ لماذا لا نكتب في الصحف ، ونبث في الإذاعات وعلى شاشات التلفزيون ما يقف سداً بوجه الإعلام الضالّ المضللّ ؟ إننا نحن المسلمين ، أفراداً وجماعات ، مجتمعات وسلطات ، مسؤولون أمام الله سبحانه وتعالى ، فمتى نشعر بهذه المسؤولية ونقدرها حق قدرها ؟ . فاسمعوا وعوا . في أحد البلدان وباللغة العربية عُرضت مسرحية تحكي عن أسرة يهودية تربي طفلاً اسمه مصطفى - لاحظوا اختيار الاسم - تدخل هذه العائلة ذات يوم في بستان ، ولكنها بعد قليل تفتقد مصطفى ، وتجد في البحث عنه ، فتجده في اسطنبول للخيل والبغال كان في البستان ، وعندما سألته عن سبب تواجده في الإسطنبول ، أجابها قائلاً : هنا يجب أن أعيش وأصلي . ثم باشر بالصلاة بين الحمير والبغال . هذا غيظ من غيظ ، فإليكم المزيد ، في سنة كمب ديفيد ، كنت في الولايات المتحدة في مهمة تبليغ . وكان التلفزيون الأميركي ، ولتقريب وجهات النظر بين أبناء الديانات الثلاث في فلسطين المحتلة من جهة ولإعطاء فكرة عن الديانات الثلاث من جهة أخرى يعرض فيلماً وكانت مدة الفيلم ساعة مقسومة على الشكل التالي : خمس وأربعون دقيقة للحديث عن اليهود واليهودية ماضياً وحاضراً ، من إبراهيم عليه السلام الذي يزعمون أنهم جميعاً من سلالة مروراً بدعوة موسى عليه السلام فخروجهم من مصر ، فاحتلالهم

لفلسطين ، فسبي بابل ، فخراب الهيكل ، فالشتات ، فالاضطهاد الذي تعرّضوا له ، فعودتهم إلى ما يزعمون أنها أرضهم ، يلي ذلك حديث عام عن المسيحية لا يستغرق أكثر من عشر دقائق . ثم يأتي دور الإسلام ولم يبق من البرنامج غير خمس دقائق ، يظهر فيها رجل يمتطي جملاً في صحراء ، وعلى هدير الجمل ورغائه يقول المذيع : هنا وُلد محمد ؛ ويكون هذا المشهد كل شيء عن الإسلام . فتأملوا .

بعد يومين يُعرض فيلم عن الصلاة عند المسلمين ، طبعاً لن يعرضوا الصلاة العظيمة التي تُقام في الحجّ ، حيث تصلي الملايين في صفوف منتظمة وبقلوب خاشعة وأصوات ضارعة ، ولن يعرضوا الصلوات التي تُقام في المساجد الإسلامية الكبيرة، ولن يعرضوا الصلاة التي يؤديها مليون مصلي وفي منتهى الخشوع والإيمان ، كما رأيت في نيجيريا . ماذا عرضوا إذن ؟ عرضوا فيلماً زعموا أنه مصوّر في الريف المصري ، وفيه يظهر مسجد متداع ، يتوافد إليه عجائز طاعنون في السن ، يجرون أقدامهم وأسمالهم ، بعد أن يتوضأوا في مياه آسنة ودون أيّ مراعاة لأصول الوضوء حتى إذا دخلوا المسجد تكوّموا على فرش من الحصير المهترى ، أما إمامهم فشيخ رعش لا يقلّ عنهم عجزاً وقذارة وفقراً ، حتى إذا أقاموا صلاة الجماعة لم يتجاوزا صفين في مسجد صغير ، وقبل الصلاة وأثناءها تهاجم المصلين وإمامهم أسراب الذباب فتحطّ على وجوههم وأيديهم وأرجلهم ، وقد وجدت فيها ما تشده من مطارات واسعة وبؤر من القذارة تفرز فيها خراطيمها ، وإمعاناً في الخبث والنوايا السيئة كان المصوّر يسلط عدسته على أرجل الذباب وخراطيمه العابثة بما انكشف من أجسام المصلين . هذه هي صلاة المسلمين كما يصوّرها الإعلام الأميركي الصهيوني ، فماذا فعلنا نحن بالمقابل ؟ أين وسائل الإعلام الإسلامية التي تردّ على تلك المزاعم والأباطيل ؟ أين أثرياء المسلمين الذين يمولون حملة إعلامية توضح للعالم حقيقة الإسلام ونبل وقدسّية أهدافه وشعائره ؟ . أنى لهم أن يفعلوا ذلك ، وقد تركونا نحن سعاة الخير ودعاة الإصلاح نرزع تحت الديون التي ترتبت

علينا نتيجة لسعيينا إلى الخير ودعوتنا إلى الإصلاح .

إن إعلاماً إسلامياً قوياً ومنظماً وحده قادر على حفظ الشباب المسلم من التشويش والانحراف . إن هؤلاء الشباب أمانة في أعناقنا وعلينا أن نتقي الله في هذه الأمانة . كثيراً ما أستلم رسائل من شباب يسألون فيها ، هل هم على حق فيما يفعلون أم على ضلال ؟ إنهم يعيشون في حالة من التشويش والضياع . لأن الإعلام الخبيث عبث بضمائرهم وعقولهم . فهل ماتت الضمائر الحيّة وخرست أقلام الحق ، فخلا الجوّ لأصحاب الضمائر الميتة والأقلام المأجورة الذليلة ؟ !! . لا ، لا نستسلم ، ولن نسكت عن تلك الضمائر والأقلام التي عينت الظلام والظلام ؛ فخافت من إظهار الحقائق التي ننادي بها والتي هي أولاً وآخراً حقائق الإسلام الخالدة .

### رسالة المنبر :

إننا نصعد المنابر لندعو إلى وحدة المسلمين . والمنبر بحد ذاته يجمع المسلمين . والإسلام أوسع وأشمل من المذاهب والطوائف . والقرآن يدعو حتى أهل الكتاب إلى كلمة سواء بينهم وبين المسلمين . ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾<sup>(١)</sup> . الإسلام لا يعترف بالمذهبية والطائفية ، وهو يؤكد أنّ المسلم أخو المسلم . وهذه هي رسالة المنبر ، وهذه هي رسالتنا ودعوتنا مع كلّ العلماء الذين سلمت نياتهم وصفت قلوبهم فأمنوا أن الدين لله وحده . وإذا كانت الدعوة إلى وحدة المسلمين هي رسالتنا ، فهل نسكت عن الأفلام والكتب والمجلات والدعوات المنحرفة ؟ . لقد أنتج بعض الضالين المضللين فيلماً يصور جوانب من حياة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام . وكيف كانت تستقبل العشاء والمغنين والراقصين ، فهل يجوز أن لا أصعد إلى المنبر وأفند هذه الافتراءات التي ترمي إلى تمزيق المسلمين ؟ هل يجوز أن أصعد على

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦٤ .

المنبر ولا أفصح المساعي الشيطانية التي يقوم بها من باع لسانه ويده وقلبه لأعداء المسلمين ؟ لماذا ، مثلاً ، لا يتجنون فيلماً عن حياة رملة بنت معاوية ؟ لماذا يتجنون فيلماً مخزياً عن سكينه بنت الحسين بالذات ؟ سكينه ، هذه التي كان يخاطبها أبوها الإمام حسين عليه السلام بقوله : يا خيرة النساء . هل يجوز أن يصعد على المنبر ولا أفند مزاعم بعض الأقلام المأجورة ودسائسها وخزعلاتها في حق الرسول وأهل بيته ؟ فإذا سكت ، معاذ الله ، أنهي علاقتي بالحسين عليه السلام الذي لم يكسب على باطل ، فعلى كل من يصعد منابر الإسلام أن يكون مخلصاً لله وللإنسانية أيضاً . قال الإمام زين العابدين عليه السلام ليزيد : «إئذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهنّ لله رضا ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب» . هذه هي رسالة المنابر وإلا أصبحت أعواداً لي إلا . نحن مسؤولون أمام الله تعالى ، يكبنا على وجوهنا في النار يوم القيامة ، إن لم نبين الحقائق للناس ، وإن لم نفضح المنافقين والدجالين وعبيد الدرهم والدينار والدولار .

ونحن إذ ندعو إلى وحدة المسلمين ، لا نطلب من الشافعيّ أو الحنفيّ أو الحنبليّ أو المالكي أن يترك مذهبه إلى المذهب الجعفريّ ، فهذا أمر عائد إليه . ونحن المسلمين جميعاً نتوجّه في صلاتنا إلى الله سبحانه وتعالى . ونحن في دعوتنا إلى وحدة المسلمين إنما ندعو إلى الحفاظ على جوهر الإسلام ولبه ، إنما ندعو للإلتفاف حول الذين يجمعون كلمة المسلمين ، وهل هناك أعظم من محمد وأهل بيته عليهم السلام في الإسلام ؟ هل هناك من هو أقدر على جمع كلمة المسلمين من الرسول وأهل بيته كما حدّدهم هو ، علي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام ؟ وقد أجمع المسلمون على محبتهم لأنها من محبة الله سبحانه وتعالى ، فدع القال والقييل وردّد معي قول رابعة العدوية في محبة الله :

فليتك تحلو والحياة مريرة      وليتك ترضى والأنام غضاب  
وليت الذي بيني وبينك عامر      وبينني وبين العالمين خراب

والعالمين هنا هم الضالون من أمثال أبي جهل وأبي سفيان ومن لفّ  
لقهما .

﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾<sup>(١)</sup> إنما لا ننفك ندعو إلى وحدة  
المسلمين ، ومع ذلك فهناك من لا ينفك يهاجم الشيعة ويتحامل عليهم  
فيقول إنَّ عندهم مصحف آخر ، ويقصد مصحف فاطمة . وإنهم يؤمنون  
بأنَّ المهديّ غاب في سرداب ، ويعتقدون أنَّ القرآن محرّف وفيه نقصان .  
فيقرأ شبابنا هذه الافتراءات والمزاعم الكاذبة فترسم في ذهنه علامات  
الإستفهام حول عقيدته .

فإذا سألت أولئك الذين يزعمون تلك المزاعم ، من أين عرفتم أنَّ  
الشيعة يعتقدون بأنَّ القرآن محرّف وفيه نقصان ؟ أجابوك قائلين : إنَّ الشيخ  
الطوسي ، ومنذ سبعمائة سنة ، يقول في كتابه «فصل الخطاب في تحريف  
كتاب ربّ الأرباب» إنَّ «في القرآن نقصاً وتحريفاً» . هكذا يأخذ رأي شيخ  
واحد ويترك آلاف المجتهدين والعلماء والفقهاء ، ول بعضهم تفاسير للقرآن ،  
كما يترك اعتقادنا كلنا ، سنّة وشيعة ، بأنَّ القرآن الذي نؤمن به جميعاً هو  
القرآن الذي بين أيدينا وهو لم ينقص حرفاً واحداً . فكلنا يؤمن بقوله  
تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾<sup>(٢)</sup> وبقوله جلّ وعلا في  
القرآن : ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾<sup>(٣)</sup> . ومما يثير  
العجب أنَّ الذين يفترون على الشيعة ليسوا من عامّة الناس ، بل ممن  
أصابوا حظاً كبيراً من العلم والفقّه ، ولن أذكر أسماءهم كي لا أعطيهم أكثر  
مما يستحقّون ، ولن أردّ على كلّ افتراءاتهم بل سأكتفي الآن بالردّ على  
زعمهم أنَّ الشيعة يعتقدون بأنَّ القرآن محرّف وناقص ، لأدلل بالبرهان على  
أنَّ الكتاب الذين يروّجون لتلك الافتراءات والأضاليل إنّما يقصدون بعملهم

(١) سورة الصف ؛ الآية : ٥ .

(٢) سورة الحجر ؛ الآية : ٩ .

(٣) سورة فصلت ؛ الآية : ٤٢ .

الشائن إثارة الفتنة بين المسلمين ليس إلا . لذلك ولأننا لا نسكت ، ولن نسكت على باطل ، وحفاظاً على وحدة المسلمين أقول لأولئك الدسّاسين : إن هناك أيضاً كثيراً من علماء السنّة يقولون أنّ القرآن قد تعرّض للتحريف والنقص . وإذا كنتم علماء حقّاً ، فلا يجوز أن تعودوا إلى رأي الشيخ الطوسي فقط ، وتعاموا عمّا ورد في صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، ومسند ابن حنبل ، في شأن تحريف القرآن ونقصه ، كيف تعودون إلى كتاب طُبِع طباعة حجرية منذ سبعمائة عام ، وتتجاهلون كتب الصحاح الحديثة الطبع المتقنة التحقيق والتدقيق ؟ . وكى لا يقول قائل . بأني أتكلّم عشوائياً فإنني أورد المراجع السنّية التي ورد فيها القول بتحريف القرآن ونقصه ، وزيادة في التسهيل والدقة سأحدّد الصفحات التي ورد فيها ذلك القول ، وبذلك لا يجد من يريد التحقق آية صعوبة . فهاكم المصادر والصفحات :

١ - في السيرة الحلبية - لابن هشام - الجزء الرابع في الصفحة ٦٥٨ - ينقل ابن هشام عن عبد الله بن عباس وعن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أنّ آية في رجم الزاني قد حذفت من القرآن ، كما أنّ آية نصّها : ﴿ لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ﴾ قد حُذفت أيضاً . وهذا يعني بوضوح أنّ القرآن الذي بين أيدينا ناقص .

٢ - في مسند ابن حنبل - الجزء الثاني في الصفحتين ٤٧ و ٥٥ حديث منقول عن عبد الله بن عباس ، وعن عبد الله بن مسعود . وعن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وهذا الحديث يقول أنّ القرآن ناقص لأنّ هناك آيات قد حُذفت منه .

٣ - في صحيح البخاري - في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، في الجزء الثامن - باب رجم الحُبلى ، في الصفحات ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ - الطبعة الجديدة ، رواية عن عبد الله بن مسعود ، وعن حبر الأمة عبد الله بن عباس ، وعن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وعن بعض

أصحاب النبي ﷺ . عن هؤلاء جميعاً أنهم قالوا : «إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب . فكان مما أنزله آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، وعمل بها رسول الله فرجم ، وعملنا بها فرجمنا بعده» . يقول الخليفة عمر في هذا الصدد : «أخشى إن طال بالناس الزمان أن يقول قائل : «والله لا نجد آية الرجم في كتاب الله ، فأين آية الرجم» .

٤ - في صحيح مسلم ، في كتاب كراهة الحرص على الدنيا - في الجزء السابع ، من الصفحة ١٣٨ إلى الصفحة ١٤٠ . رواية عن عبد الله بن عباس وعن أبي موسى الأشعري تقول إن آيات كثيرة قد سقطت من القرآن . وأنّ سورتين كاملتين ، الواحدة بقدر سورة التوبة ، والأخرى بقدر سورة الجمعة ، قد سقطتا من القرآن ، ويُنقل عن أبي موسى الأشعري قوله في هذا الصدد : «كنا نحفظهما وهما الآن غير موجودتين» . كما ينقل عنه قوله : «كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة بسورة براءة ، فأنسيتهما ، غير أنني أحفظ منها : «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب» . وينقل عنه أيضاً قوله : «وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبّحات فأنسيتهما ، غير أنني حفظت منها : «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة» . انتهى القول المنسوب إلى أبي موسى الأشعري . أما «المسبّحات» فتعني السور التي ورد فيها تسيح الله كما في سورة الأعلى وفي أول آية منها ﴿سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وكما في الآية (٢٤) من سورة الحشر : ﴿يَسْبِّحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ .

إنّ تلك الروايات غير محقّقة وجميع المسلمين لا يعتقدون بصحتها . إنما هي أمور مكتوبة في الكتب ، وليس كل ما هو مكتوب صالح للنشر بين يدي الشباب والأجيال المتشوّقة إلى جمع كلمة المسلمين .

أما الذين يروّجون لمثل تلك الافتراءات فهم يعملون بقصد أو بدون



قصد على تمزيق المسلمين ، فيجب على جميع المسلمين أن يبنذوهم لأن الإسلام بريء منهم . وأنا أكتفي الآن بهذا القدر من التنفيذ والرد ، أما تنفيذ بقية الافتراءات والرد عليها فلهما حديث آخر . علماً بأن قضية الإمام المهدي قضية إسلامية عامة وكل المسلمين يؤمنون بها . فلا تسمعوا لأي لغو أو تهريج أو دسّ أبداً ، إذهبوا إلى مساجد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تروا السنّي يصلي إلى جانب الشيعي ، إذهبوا إلى الأزهر الشريف تروا أن فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام يدرّس كما يدرّس فقه المذاهب السنية الأربعة وفي ذلك كما في تعدد الاجتهادات توسعة للمسلمين في أمور دنياهم ، ولا أقول في أمور دينهم لأنه لا خلاف في جوهر الدين وأساسه .

### الإمام الحسين عليه السلام والشباب يوم عاشوراء :

كان للإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء موقف مميّز من الشباب . فقد كان يُهرع إلى نجدتهم حتى إذا استشهدوا أخذهم في أحضانه وبكى عليهم كما يبكي الأب على أبنائه . ولم لا وقد جاهد الشباب إلى جانب أبي عبد الله عليه السلام كما جاهد آباؤهم ، وكم من أب استشهد في عاشوراء فحل في موقعه ابنه وجاهد حتى استشهد . . يرى ذلك الإمام حسين عليه السلام فتجري من عينيه دموع الرحمة والحنان ، هذا مع قوة شخصيته وجلال هيته . ولكن قلبه الكبير كان يسع الإنسانية جمعاء . لذلك حلّ في قلوب الناس أجمعين .

يوم خروج الإمام أبي عبد الله إلى العراق ، خرج زهير بن القين من مكة حتى لا يرى ذلك الخروج ولا يشارك فيه . ولكن رسولاً من الحسين جاء زهيراً وقال له : «أجب الحسين يا زهير» تقول دَلَّهُمْ بنت عمر زوجة زهير : «عندما سمعنا ذلك وكنا نأكل . ران علينا الصمت والسكون وكأن على رؤوسنا الطير» . ولكن دَلَّهُمْ خرجت على ذلك الصمت والتفتت إلى زوجها قائلة : «ابن رسول الله يدعوك ، اذهب وانظر ما عنده» . . تقول دَلَّهُمْ : ذهب زهير ، وبعد برهة عاد بغير الوجه الذي ذهب به ، فقد عاد

مستبشراً متهلاً ثم قال لأصحابه : «لقد قررت اللحاق بالحسين بمجرد رؤيتي له ، هذه زوجتي عودوا بها إلى أهلها» . فسأله أصحابه : «ماذا قال لك الإمام الحسين حتى غيرت رأيك ؟» . فأجابهم قائلاً : «لقد غيرت رأيي وقررت اللحاق بالحسين بمجرد رؤيتي له ، فقد رأيت نور رسول الله في وجهه ، فتذكرت جدّه رسول الله ، فقررت أن لا أتركه أبداً» . ثم ودّع أصحابه وزوجته بعد أن دعا أصحابه للحاق بالإمام الحسين عليه السلام . ولكن زوجته لحقت به وقالت له : «هل أسأت إليك يا زهير ؟» فأجابها قائلاً : «كلاً فأنت نعم الزوجة» . فقالت له : «إذن ، وكما قررت أن تربط مصيرك بمصير الحسين ، فدعني أربط مصيري بمصير زينب وعائلة الحسين ، فأكون مع زينب حيثما تكون» . ولما استشهد زهير نادى زوجته ولدهما ، وكان يتجاوز العاشرة قليلاً ، وقالت له : ما وقوفك إلى جانبي ، إذهب وبيض وجهي عند فاطمة الزهراء ، ثم أخذته وذهبت به إلى الحسين عليه السلام . وقالت لأبي عبد الله عليه السلام : «أتشكل أمك الزهراء بولدها ولا أأكل بولدي ؟» أرجوك يا أبا عبد الله ، دع ولدي يقاتل بين يديك ، ذلك الغلام الذي كان يجاهد إلى جانب أبيه ، فلما استشهد أبوه ، نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى الغلام وقال في نفسه : «لعل أمه تكره أن يتابع القتال بعد أن قتل زوجها» . ثم استدعاه وقال له : «عد إلى أمك يا بني ، لعلها تأنس بك» فقال الغلام : «إن أمي هي التي أرسلتني مع والدي للقتال بين يديك يا أبا عبد الله» . ثم اقتحم المعركة وهو ينشد هذا النشيد الذي يجب أن يكون محفوراً في قلب كل شاب :

أميري حسين ونعم الأمير      سرور فؤاد البشير النذير  
عليّ وفاطمة والداه      فهل تعلمون له من نظير؟  
له طلعة مثل شمس الضحى      له غرة مثل بدر منير

واستمرّ في القتال حتى نال شرف الشهادة .

وها هو القاسم بن الحسن يقتحم الصفوف وقد بدا عليه العطش

الشديد ، فرق له قلب عمّه الإمام الحسين عليه السلام ، فاستدعاه وسأله قائلاً :  
«أي بني قاسم كيف تجد القتال دوني» ؟ قال القاسم : «والله يا عم ، إن  
القتال دونك أحلى من العسل» . فأخذه عمّه واحتضنه واعتنقه ، فهو ذكرى  
من أخيه الحسن الزكي ، الذي كان لا ينفك يوصي أخاه الحسين بأولاده ،  
ثم أستأنف القاسم الجهاد وهو يقول :

إن تنكروني فأنا نجل الحسن      سبط النبي المصطفى والمؤمن  
هذا حسين كالأسير المرتهن      بين أناس لا سقوا صوب المزن

وبينما هو في قلب المعركة ينقطع شمع نعله ، فيأبى أن يقاتل وشع  
نعله مقطوع ، فانحنى ليربطه ، فانتهز العدو الفرصة وغدر بالقاسم إذ جاء  
من ورائه وضربه بالسيف على رأسه الكريم فهوى قائلاً : «عليك مني  
السلام ، عمّ أبا عبد الله» فأقبل الإمام الحسين عليه السلام وحمل ابن أخيه على  
صدره . قال حميد بن سلم : «نظرت إلى الحسين وقد حمل الغلام على  
صدره ، ورجلا الغلام تخطان في الأرض» .

وكذلك عليّ الأكبر شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اندفع في القتال على مرأى  
من أبويه ، وحانت من أمه ليلي التفاتة إلى الإمام الحسين عليه السلام فرأت تغيراً  
في لون وجهه ، فقالت له : «يا أبا عبد الله ، أرى وجهك قد تغير» . فقال  
لها الإمام : «نعم يا ليلي ، لقد برز إلى ولدك من يخاف عليه منه» . قالت  
: «ماذا أصنع» ؟ قال لها الإمام عليه السلام : «أدخلي إلى خيمتك وادعي الله ليرد  
لك ولدك ، فإن دعاء الأم بحق ولدها مستجاب» . فدخلت ليلي إلى  
خيمتها ، ونشرت شعرها ، واتّجّهت إلى الله سبحانه وتعالى قائلة : «يا رادّ  
يوسف على يعقوب ، يا مفرّج همّ أيوب ، إلهي ، بغربة الحسين ، أردد  
عليّ ولدي عليّ» . فاستجاب الله دعاءها وردّها إليها ولدها عليّاً الأكبر الذي  
عاد وهو يقول : «إنّ العطش قد قتلني ، وإنّ ثقل الحديد قد أجهدني ،  
فهل من شربة ماء ، أتقوى بها على الأعداء» . فقال الإمام الحسين عليه السلام :  
«من أين لنا الماء يا بنيّ ؟ تصبر فإنّ الله مع الصابرين» .

تلك هي بعض الصور عن ملحمة الشباب في عاشوراء ، فلنحفرها  
في قلوبنا وعقولنا ، ولنتوجّه إلى الله وإلى سيّد الشهداء الإمام أبي عبد الله  
الحسين عليه السلام . فإنّه طريقنا إلى الله . ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي  
العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

\* \* \*

## الامام علي والايمان (\*)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (١)

حين يقف أحدنا ، لأول مرة في مكان مظلم ، في بيت أو غابة أو وادٍ أو نفق ، فيماذا يشعر على عتبة هذا المكان المظلم ؟ لا شك أنه يشعر بوحشة وفزع ؟ لماذا ؟ هل هو خوف من الظلام ؟ وهل يكون الظلام دائماً سبباً من أسباب الخوف ؟ كثيراً ما نكون ليلاً وحيدين في منزلنا ، فينقطع التيار الكهربائي فجأة وبعم الظلام ، ومع ذلك فإننا لا نخاف ، إذن ليس الظلام دائماً سبباً للخوف ، إنما سبب وحشتك وخوفك على عتبة مكان مظلم تدخله لأول مرة ، هو جهلك بما في هذا المكان ، هل فيه جنّ أو إنس ؟ هل فيه ملائكة أم شياطين ؟ هل فيه حيوان أليف تأنس إليه أم فيه حيوان مفترس يتربص بك ؟ أم أنّ فيه بشراً عميقة ستهوي فيها ؟ هذه الاحتمالات هي التي تخيفك وتبعث في نفسك الهلع والاضطراب . والذي

(\*) أقيمت هذه المحاضرة في ليلة ٨ صفر ١٤١٠ هـ .

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٧٧ .

يدفع إلى هذه الاحتمالات هو جهلك لحقيقة ما في المكان المظلم . وليس الظلام بحد ذاته . فالجهل من أهم دواعي الخوف . فلتتذكر هذا دائماً .

إنّ المثال الذي سقناه مثالاً مادّيّ، فالغاية والنفق والوادي والبيت، كلّ ذلك أشياء مادّيّة، ولكنّ القرآن الكريم يتخطّى حدود المادّة ويضفي على الفكرة أبعاداً روحية وثيقة الصلّة بالعقيدة . إنه يضع الإنسان المؤمن في عالم من النور، ابتداءً من الله سبحانه وتعالى : ﴿الله نور السموات والأرض﴾<sup>(١)</sup> فالإنسان المؤمن يحمل في ذاته شعلة نور هي الإيمان الذي ينير وجوده ﴿كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وجعلنا له نوراً يمضي به في الناس﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾<sup>(٤)</sup> . فالمؤمن يسير في حياته على هدى ونور ينبعان من الإيمان الذي يعمر به قلبه . أما الكافر أو المنافق فإنه يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض . فالكافرون والمنافقون يعيشون في عالم من الظلام ، إن في أنفسهم ، وإن من حولهم . ﴿والذين كذبوا بآياتنا صمّ وبكم في الظلمات﴾<sup>(٥)</sup> . ﴿ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾<sup>(٦)</sup> . فالكافر يعيش في هلع ورعب دائمين وهو مضطرب القلب مشمئز النفس حتى من ذكر الله . ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾<sup>(٧)</sup> . بينما يطمئن قلب المؤمن لذكر الله ﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾<sup>(٨)</sup> . ضع هاتين الآيتين في قلبك ونصب عينيك لتفهم أصول النظرية الإسلامية في

(١) سورة النور ؛ الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٢ .

(٣) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٢ .

(٤) سورة النور ؛ الآية : ٤٠ .

(٥) سورة الأنعام ؛ الآية : ٣٩ .

(٦) سورة البقرة ؛ الآية : ١٧ .

(٧) سورة الزمر ؛ الآية : ٤٥ .

(٨) سورة الرعد ؛ الآية : ٢٨ .

الإيمان والكفر . فالكافر في اضطراب نفسيّ كامل ﴿وأفشدتهم هوا﴾<sup>(١)</sup> ، يسير في حياته خبط عشواء ، لأنه يعيش في عالم من الظلام ، ولذلك فهو في رعب دائم ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾<sup>(٢)</sup> . وهو مرتبك أبداً ، يكذب إذا حدث ، وينقض العهد إذا عاهد ، ويخون الأمانة إذا أوّتمن .

### الانفصام الانساني :

إنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من مادة وروح ، المادة من التراب ، أما الروح فمن روح الله ونوره ، والجانب الماديّ يتمثل في البدن بحواسه الخمس التي يطلّ بها الإنسان على محيطه الماديّ ، فيرى ويشمّ ويتذوّق ويسمع ويلمس ، أمّا الجانب الروحيّ فهو مستور ومرتبطة بالغيب ارتباطاً وثيقاً . واضطراب الإنسان فرداً أو جماعة ناجم عن الانفصام بين جانبه الماديّ وجانبه الروحيّ . وما نلاحظه من ارتباك في الحضارة الإنسانية ، إنما هو ناجم نتيجة لعجزها عن إقامة التوازن بين الجانب الماديّ والجانب الروحي في الإنسان . جاءت الحضارة اليونانية . فصبت اهتمامها على الجانب الماديّ . فكان همّها إشباع الشهوات والغرائز ، وهذا المنحى الماديّ غالب أيضاً على الحضارة المعاصرة . ثمّ جاءت المسيحية فركزت على الجانب الروحيّ ، علماً بأن الله خلق الإنسان من مادة وروح وهو لم يفعل ذلك عبثاً . فالله أودع البدن غرائز وشهوات لحكمة . ولأنّ الكنيسة لم تقم توازناً بين البدن بما فيه من شهوات وغرائز وبين الروح وما فيها من نزعات مثاليّة ، حلّ الاضطراب والانفصام في الذات المسيحية . تسمع في الكنيسة المحاضرات الطويلة في إماتة الشهوات والغرائز ، وإلّا فإن الله والمسيح يرفضان من لا يحقق هذه الإماتة في ذاته . حتى إذا خرجت إلى العالم المسيحيّ وجدته غارقاً في الشهوات والغرائز إلى أذنيه ، وهو لا ينفك لاهتاً وراء الأهداف الشهوانيّة المادية وعلى مختلف المستويات

(١) سورة إبراهيم ؛ الآية : ٤٣ .

(٢) سورة النازعات ؛ الآية : ٨ .

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، إنه الانقسام بعينه ، هذا الانقسام الذي يتخطى الفرد إلى الجماعة ، ولم لا أليست الجماعة مؤلفة من أفراد ؟ فمن الطبيعي أن يصبح الانقسام الفردي انقساماً جماعياً . وهكذا تعاني الإنسانية من انقسامها إلى دول غنية تملك كل شيء ، ودول فقيرة لا تكاد تملك شيئاً . إنها سياسة الكفر بالله وبالإنسان . وفي عصر تجزئة الذرة ، ووصول الإنسان إلى القمر ، ووصول مركباته إلى المريخ ، ثمة أكثر من مليار إنسان أمي ، أي أن خمس سكان الأرض لا يعرفون القراءة والكتابة . وبينما تتلف الدول الغنية ملايين الأطنان من الحبوب ، إن بإحراقها وإن بإلقائها في البحر . وبينما تخاف أوروبا على مخزونها من المواد الغذائية أن يصيبه الفساد . فهناك أكثر من مليار إنسان لا يعرفون الشبع . وملايين الأطفال يتخطفهم الموت لسوء التغذية . ذات يوم في أفريقيا جاءني أستاذ جامعي فأخبرني عن طالب متفوق في دراسته ، وقد أبدى لي هذا الأستاذ خوفه على مستقبل الطالب ، كيف يكون هذا الخوف والطالب متفوق في دراسته ؟ لقد أخبرني الأستاذ أن هذا الطالب يتناول الطعام في يومين من الأسبوع ، بينما يتصور جوعاً في الأيام الخمسة الباقية ، لأنه لا يملك المال الذي يشتري به طعاماً يكفيه في كل أيام الأسبوع . فتأمل سياسة الكفر بالله وبالإنسان ، رأسمالية كانت أو ماركسيّة ألفت بملايين الناس في أحضان الجوع والمرض والجهل . والجهل أبو المرض والجوع . فلو أن القائمين على الأمر قرأوا وفهموا وطبقوا قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق .. اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم ﴾<sup>(١)</sup> لما بقي جاهل واحد وبالتالي ما بقي فقير أو مريض واحد . إن انعدام التوازن بين المادة والروح في الإنسان هو الذي أدّى إلى اضطراب الإنسانية وتعثرها . وبينما انصبّ اهتمام البعض على بدن الإنسان وغرائزه وشهواته . انصرف اهتمام البعض إلى ما يزعمه اهتماماً بالروح . وكقول يزعم لأن الروح عنده ليست الروح

(١) سورة العلق ؛ الآيات : ١ - ٥ .



الإسلامية التي انبعثت من الله وإليه تتطلع وتشتاق أبداً ، بل هي الروح المشبعة بالأساطير والخرافات والإسرائيليات . ولو عدنا إلى القرآن الكريم ، وإلى فكر أهل البيت عليهم السلام ، لوجدنا أنّ الإنسان بجسده وروحه كائن متوازن متكامل ، فثمة اهتمام بالآخرة ، وإلى جانبه اهتمام بالدنيا . فالإسلام هو دين الحياة كما خلقها الله ، وليس كما يتوهمها البعض .

قال الإمام عليّ عليه السلام : « ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيق » . وقال : « ما جاع فقير إلا بما متع به غني » .

وقال تلميذ الإسلام البار ، الصحابيّ الجليل ، أبو ذرّ الغفاريّ : « عجبت لمن لا يجد قوت يومه ، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه » .

إنّ الشاب الأفريقي الذي حدّثكم عنه ، والذي يعيش في زائير بالتحديد . لا يجد قوتاً له إلاّ ليومين في الأسبوع . بينما يتناول الطعام غيره من المترفين البطرين سبع مرّات في اليوم . ألا يعني هذا أن المترف يسرق طعام الفقير . وإذا كان بنهمه لا يستطيع أن يأكل كلّ ما سرقه فإنه يتلف ما يفيض عنه ، علماً بأنّ الفائض عن حاجته هو حقّ مسروق من الفقير . إنّ الأميركيّ لا ينفكّون ينادون بحقوق الإنسان . ولكنّ أعمارهم الصناعيّة التي يرسلونها في الفضاء للتجسس على الشعوب . لا تصوّر آلاف الأطفال الذين يموتون جوعاً في آسيا وأفريقيا . وبينما تُلقى أميركا في البحر آلاف الأطنان من الحليب المجفف محفوظة على سعره في أسواق البورصة ، فإنّ ملايين الأطفال يولدون فلا يجدون قطرة من الحليب . أمّا أئداء أمهاتهم فقد جفّت وتهدّلت من الجوع . فإيّة حقوق إنسان يتشدقون بها ، وأيّة حضارة يتحدّثون عنها ؟ إنها الحضارة الماديّة الآلية التي استعبدت الإنسان وقهرته وحرمته من حقوقه ، إنها الحضارة التي تضيء البيت بالذرة ، ولكنها تسلب الإنسان سعادته وتقتله جوعاً وقهراً وإذلالاً . . . تباً لتلك الحضارة ، دعونا نعش بكرامتنا على ضوء الشمعة . وإلى جهنّم وبش المصير أنتم وحضارتكم .

عندما رجع الإمام عليّ عليه السلام من صفين ومرّ بالفرات ، ضربه بسوطه

وقال : «يا كميل ، لو شئت لأخذت لكم من هذا الشلال نوراً يستضيء العالم به» . وأمير المؤمنين عليه السلام يعني ما يقول . فلنحافظ على عقيدتنا ، ولنسلك منها إلى بناء حضارة تنقذ الإنسانية . من تخبّطها ، ولا تخدعك حضارة اليوم الزائفة ، إنها هيكل عظمي فارغ من أي مضمون إنساني . نعم إن الإسلام يذمّ الدنيا عندما تُبتغى للدنيا فقط ، أما عندما تكون طريقاً للأخرة فنعم الدنيا ، فأنت تعمل في دنياك لأخرتك ، ونعم ما تعمل . فالدنيا ، هي مزرعة الآخرة .

### العمل في الإسلام شرف وواجب :

إنّ العمل في الإسلام واجب لأنّه عبادة ، وشرف لأنّه يوفر الكرامة لصاحبه . دخل رجل من الأنصار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأله رفاً . فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «من سألتنا أعطيناها ، ومن استغنى أغناه الله» . فعاد الرجل إلى بيته . وأخبر زوجته بما جرى له مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . فقالت له زوجته : «عد إليه مرّة ثانية» . ففعل بما قالت زوجته . فأعاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليه ما قاله له في المرّة الأولى . علماً بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يترع قميصه ويعطيه لمن يسأله إيّاه . ولكنه أراد أن يعطي هذا الأنصاري وأمثاله درساً في الاعتماد على الذات والحرص على الكرامة . ولكنّ الرجل عاد إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثالثة . فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «أعندك شيء يباع» ؟ . قال الرجل : «نعم عندنا قدر لا حاجة لنا به وهو يساوي درهمين» فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «إذهب وبعه ، واشتر بدرهم من ثمنه فأساً ، واشتر بالدرهم الآخر حبلاً . ثم اذهب واحتطب . فذهب الرجل وعمل بما أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليه . وبعد شهر عاد إلى الرسول وقد بدت عليه علائم الغنى . فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «نعم العون على تقوى الله الغنى» .

ومن هنا نفهم أنّ الإسلام ليس ضد الغنى ، وإنما هو ضد المترف الذي أبطره المال وأعماه نفسي الله ، فباء بغضب منه : ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحقّ عليها القول فدمرناها

ويُروى أن شاباً كان يُفرغ حُشاً (بيت خلاء) . وينشد :

وأكرم نفسي عن أمور كثيرة      ألا إن إكرام النفوس من العقل  
وما شائني مزح الكنيف وإنما      يشين الفتى أن يجتدي نائل النذل  
وأقبح مما بي وقوفي مؤملاً      نوال فتى مثلي ، وأي فتى مثلي ؟

مرّ الأصمعي بهذا الشاب فسمعه يتغنّى بهذه الأبيات . فعجب لأمره وقال له : أين إكرامك لنفسك ، ألا ترى ما أنت فيه . فضحك الشاب ، فقال الأصمعي : علام تضحك . فقال الشاب : «والله ضحكت من قلّة فهمك . بعد قليل أخرج من هذا المكان إلى ماء طيب أغتسل وأتطهّر به . وبعملي أصون نفسي من السؤال وبذلك أحافظ على كرامتي . أما إذا لم أعمل ، فإنني سأضطر إلى استجدائك واستجداء غيرك ، وهذا هو العار الذي لا يغسله ماء» .

فليس أشرف للمرء أن يعتمد على نفسه ويصون كرامته ، فيحصل رزقه بيده . قال رسول الله ﷺ : «إنّ من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلاّ الهموم في طلب المعيشة» .

### الإسلام والغريزة الجنسيّة :

إنّ الإسلام ينظم الغريزة الجنسيّة ويشبعها بالزواج الحلال . قال الرسول ﷺ : «النكاح سنّتي ، ومن رغب عن سنّتي فليس منّي» . والتركيز على أهميّة الزواج وضرورته يُشغل حيزاً بارزاً في التعاليم الإسلاميّة ، وهذا واضح إن في القرآن الكريم ، وإن في سنّة الرسول ﷺ . وإن في المأثور عن أهل البيت عليهم السلام . دخل شاب على رسول الله ﷺ وقال له : «أريد الزواج من امرأة ارتضتني زوجاً لها ، ولكنني لا أملك

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ١٦ .

صداقها» . فقال الرسول ﷺ للشباب : «اتحفظ شيئاً من القرآن؟» فقال الشاب : «نعم أحفظ سورة البقرة» . فقال له الرسول ﷺ : إذهب وعلمها إياها ، هذا هو صداقها . وقد تكرر أمثال هذه الحال مع الرسول الأعظم ، فكان يزوج هذا بتعليم سورة الحمد للزوجة العتيدة ، وكان يزوج ذلك بمهر لا يتعدى سورة الكوثر يعلمها طالب الزواج المعوز للمرأة التي قبلت به زوجاً ، ويكون ذلك برضى الأهل الذين كانوا يتسامحون في المهر عندما تتوافر في العريس صحة الدين وسلامة العقيدة واستقامة الأخلاق . وطبعاً كان الرسول ﷺ لا يقرّر تلك المهور إلا لمن توافرت فيه تلك الصفات . تلك هي سنة الرسول ﷺ وقد سار أهل بيته عليهم السلام على سنته . تلك هي المناقب الإسلامية . فأين أصبحت اليوم ؟ مع الأسف الشديد ، لقد غابت تلك المناقب السامية ، وانجرف الناس بتيار المادّة التي أعمت بصائرهم وأبصارهم . فأني غنيّ يرضى أن يزوج ابنته من شاب فقير مهما كان هذا الشاب مؤمناً وخلوقاً وتقياً . وإذا صدف وجود غنيّ لا يشترط في طالب الزواج من ابنته غير صحّة العقيدة ، فإنّ هذا الغنيّ المؤمن لا يلبث أن يصطدم بالترسبات والعادات الإجتماعية الفاسدة البعيدة عن الفكر الإسلاميّ الأصيل . وكان الناس لم يسمعوا بقول الإمام علي عليه السلام : «إعمل لديناك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» . لقد فقدوا نور الإيمان ، فحلّ الظلام في قلوبهم وعقولهم ، فعشّشت فيهما الطفيليات وتناسلت ، فاستسلموا لحبّ المال والجاه والشهرة والشهوة . وأعماهم حبّ الدنيا ، وحبّ الدنيا للدنيا رأس كلّ خطيئة ، وحسبوا أنّ الموت لن يدركهم . وكأنّهم لم يسمعوا بقوله تعالى : ﴿يذكركم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾<sup>(٢)</sup> . وكأنّهم لم يسمعوا بقول الإمام الحسن عليه السلام : «يا بن آدم ، لا زلت في هدم عمرك منذ أن نزلت

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٧٨ .

(٢) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٣٥ .

من بطن أمك» وقوله : «إن الحياة ظل زائل» . لقد نسوا كل هذه الأقوال  
الحكيمة البليغة . نعم لقد نسوها أو تناسوها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ،  
وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب  
المفسدين﴾ .

إن القول في هذه الآية الكريمة موجّه إلى قارون وأمثاله ممن أبطروا  
المال فبغوا حتى على أقربائهم . ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى  
عليهم﴾<sup>(١)</sup> . وقد تكاثرت أموال قارون وتعاضمت كنوزه . ﴿وآتيناه من  
الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة﴾<sup>(٢)</sup> . والعصبة أقلها العشرة ،  
فتصوّر رجالاً أشدّاء يحاولون حمل مفاتيح كنوز قارون فلا يستطيعون .

﴿قال له قومه لا تفرح ، إن الله لا يحب الفرحين﴾<sup>(٣)</sup> والفرح المنهني  
عنه هو الفرح بالباطل . فالله لا يريد أن تقضي عمرك حزيناً ، بل يريدك أن  
تفرح بالحقّ وله . ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من  
الدنيا﴾ فعليك أن توظف الأموال التي تملكها في سبيل الآخرة . وإلا فإنك  
تخسر الدنيا والآخرة . ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ . لأن الأموال التي  
في حوزتك إنما هي لله . والله هو الذي أعطاكها ليختبرك . وكما أن الله  
كان محسناً إليك ، فعليك أن تكون محسناً لعياله . قال الرسول ﷺ :  
«الخلق كلّهم عيال الله ، أحبّهم إليه أنفعهم لعياله» .

﴿ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ .

فهل تعرف من أين يتأتى الفساد؟ إنه يتأتى بالدرجة الأولى من  
رذيلتين : البخل بالمال أو تبذيره في طريق الشيطان .

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٧٦ .

(٢) سورة القصص ؛ الآية : ٧٦ .

(٣) سورة القصص ؛ الآية : ٧٦ .

كيف يسبب البخل الفساد؟ من المعلوم أنّ على كل مسلم أن يخرج كلّ عام خمس أمواله . قال تعالى : ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾<sup>(١)</sup> . وبما أنّ الرسول عليه وآله وسلم انتقل إلى الرفيق الأعلى ، فإنّ نصف الخمس الواجب إخراجه من المال كلّ عام حقّ لذريّة الرسول عليه وآله وسلم . وأما النصف الآخر من الخمس فإنّه حقّ للإمام المعصوم ، ينفقه في سبيل الله . ولذلك فإنّ هذا الحقّ ، وفي غياب الإمام المعصوم ، ينفق فيما فيه نفع للإسلام والمسلمين ، كبناء المساجد والمدارس والمستشفيات والحسينيات ، وطبع الكتب الإسلامية ، وتزويج الشباب المعوزين ، ومساعدة المدينين العاجزين عن وفاء ديونهم وقس على ذلك . وقل نفس الشيء بالنسبة للزكاة .

إذن إخراج الخمس والزكاة لمستحقيهما واجب شرعيّ على كلّ مسلم . ومن يبخل بإخراجهما فقد ارتكب معصية كبرى لأنه عصي الله فسرق حقّ غيره . وكيف تحفظ حرمة الإسلام وكرامة المسلمين إذا بخل المسلمون بالخمس والزكاة؟ إنظروا إلى المسيحيين واليهود كيف يتسابقون للتبرع بالأموال الطائلة كي تنفق على كنائسهم ومعابدهم وأديرتهم ومدارسهم ومستشفياتهم وبعثاتهم التبشيرية ، ومؤسّساتهم الطائفية ورجال دينهم . أمّا أغنياء المسلمين فهم في وادٍ والخمس والزكاة في وادٍ آخر . فإذا ذكّرتهم أحد العلماء بتقصيرهم وطلب إليهم أن يؤدوا ما عليهم . قالوا عنه : إنه رجل خفيف وغير متوازن . فهل العالم المتوازن هو الذي يتركهم في باطلهم يعمهون؟ وإذا صارحهم أحد العلماء بأنهم سارقون ثارت نائرتهم وأقاموا الدنيا ولم يقعدوها . علماً بأنهم سارقون فعلاً . فما الفرق بينهم وبين رجل تأتمنه على مال ترسله معه إلى عيالك ، فيخونك ويأكل المال بالباطل . أليس هذا الرجل سارقاً؟ كأنني بأولئك الأغنياء لم يسمعوا بما أنزل الله في الخمس والزكاة . كأنني بهم لم يقرأوا قوله تعالى : ﴿والذين

(١) سورة الأنفال ؛ الآية : ٤١ .

في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم»<sup>(١)</sup> . أو أنهم لم يسمعوا بالحديث القدسي : «الفقراء عيالي» . أليس الذي يأكل حقوق عيال الله سارقاً ؟ . «بل هو شرّ لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة»<sup>(٢)</sup> . فعلى الأغنياء وخصوصاً في الخليج أن يمعنوا النظر في هذه الأقوال الشريفة ويفهموها ليتصرفوا على أهوائهم وغرائزهم ، ليقهروا الشيطان ويقوموا بواجباتهم قبل أن يلاقوا ربّهم وهم يحملون أوزار خطاياهم . أليس مدعاة للاستغراب والاستنكار أن يعجّ الخليج بأصحاب الملايين ، ومع ذلك تصلنا منه رسائل المحتاجين والمحرومين الذين لا يملكون ثمناً لقوت يومهم ؟ ! وكم من مشروع إسلامي يضطر القائمون على إنشائه إلى استئانة الأموال كي ينجزوه؟ بينما تبذر ملايين الدنانير على طاولات القمار وموائد الخمر . آلاف من اليتامى المسلمين ، إن لم نقل ملايين من أطفال المسلمين فقدوا من يعيلهم ويغمرهم بقلبه الدافئ الرحيم . أفلا يجب أن تقوم المؤسسات التي تحتضن هؤلاء وترعاهم ؟ . لقد استلمت رسالة من بلاد إسلامية يخبرني فيها كاتبها أن الإرساليات التبشيرية المسيحية تأخذ يتامى المسلمين في تلك البلاد ، فتحضنهم وتنصرهم . وأغنياء المسلمين يسمعون بهذا ويرون ما يجري تحت أبصارهم . وهم لا يأبهون له . وكلّ همّهم أن يشتروا المتجعات في سويسرا ، ويتملكوا الجزر والقصور المهجورة في بريطانيا لتكون خلوات ينصرفون فيها إلى مجونهم . فأين علاقة هؤلاء بأهل البيت ؟ أين علاقتهم بالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام اللذين كانا يعيلان أكثر من ثمان مئة عائلة من فقراء المدينة ؟ أين هم من الإمام الحسن عليه السلام الذي كان يطرق أبواب الفقراء باباً باباً ليحمل الرغد إلى أناس **«يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف»**<sup>(٣)</sup> . أليس مستنكراً أن تُنفق أموال المسلمين في مرابع اللهو واللذّة ، ويتكدّس الباقي منها في المصارف

(١) سورة المعارج ؛ الآيتان : ٢٤ و ٢٥ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٨٠ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٧٣ .

الأوروبية والأميركية ، في حين أننا لا نجد بين أيدينا ثمن تذكرة السفر لداعية متطوع يرغب في نشر الإسلام ؟ ! علماً بأنّ في أفريقيا وحدها ثلاثة ملايين مبشّر مسيحيّ ، يوفر لهم البابا طائرات خاصّة تنقلهم إلى مختلف الأرجاء ، كما يوفر لهم الأموال اللازمة للقيام بمهمّتهم . بينما نحن المسلمون لا نوفر حتّى ثمن تذكرة سفر لدعاة الإسلام ومبلّغيه ! في أعماق زائير وأدغال أفريقيا عامّة ، تنتشر الكنائس ويرتفع فوقها الصليب ، حتّى ولو كانت مجرد أكواخ من القصب والقش . وأفريقيا كما تعلّمنا التاريخ لم تعرف الواحد الأحد ، ولم تنتشر فيها لغة القرآن الكريم إلّا عن طريق المسلمين الأوائل ؛ وإليها كانت الهجرة الأولى ، يوم قال رسول الله ﷺ ، للخطيب المفوّه جعفر بن أبي طالب ومعه جماعة من المسلمين أرادوا النجاة بدينهم : «إذهبوا إلى الحبشة فإنّ فيها ملكاً لا يظلم فيه أحد» .

وعندما نشر المسلمون الإسلام في أفريقيا ، لم يفعلوا ذلك تمهيداً لاستعمار يستعبد شعوبها وينهب ثرواتها ، وإنما فعلوا ذلك إعلاء لكلمة الله . ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> . يأتي شهراً صفر ومحرم كلّ عام ، وتعمّر مجالسنا بالوعظ والإرشاد والتذكير . ولكنّ مشاكلنا تبقى كما هي . فمتى تتحول هذه المجالس إلى مشاعل تبث حرارة الإيمان العملي في نفوسنا ، فتدفعنا في طريق الخير والعمل من أجل نشر الإسلام والحفاظ على المسلمين . كم هورائع أن يقوم الأغنياء ببناء بيوت للطلبة المسلمين الذين يطلبون العلم في الغرب والشرق ، وكم هو جميل أن يشرف على تلك البيوت علماء أفاضل يبيّضون الطلاب المسلمين بدينهم ، قبل أن تتخطّفهم المسيحية أو الشيوعية فتوجّههم كما تريد ، حتّى إذا عادوا إلى بلدانهم كانوا حرباً على الإسلام والمسلمين ، نعم هذا ما تفعله المسيحية والشيوعية بالكثير من شبابنا .

(١) سورة الذاريات ؛ الآية : ٥٥ .



يأمرنا القرآن الكريم بالإففاق في سبيل الله ، ومع ذلك فإن معظم أغنيائنا يجلسون فوق قناطرهم المقنطرة من المال وأيديهم مغلولة إلى أعناقهم . أما الإففاق في سبيل الله ، والتشجيع على إقامة المشاريع الإسلامية فغير موجودين في قواميسهم . وما هو أمر وأدهى ، أن بعضهم لا يكتفي ببخله وتقصيره . بل يحرض غيره على البخل والتقصير ، إنهم ﴿يرأءون ويمنعون الماعون﴾<sup>(١)</sup> . فإذا أردت أن تقوم بعمل خير وسعيت لجمع الأموال التي يستلزمها ذلك العمل : نشط أولئك البخلاء المقصرون في بث مزاعمهم الخبيثة قائلين : لا تعطوه إنه دجال ، عجباً إذا كنت لا تريد أن تنفق بعض مالك في سبيل الله ، فألى جهنم وبئس المصير ، أنت وأموالك . أما أن تمنع غيرك من الإففاق في سبيل الله ، وأن تتهم سعاة الخير بالدجل . فهذا هو الكفر بعينه ، فبعض الحياء من الله والناس ، أيها الأغنياء البخلاء .

يا إخوة الإسلام ، يا من لا يزال الإيمان ينير قلوبهم ، إن ثقتي بكم لا تتزعزع ، ولنسح جميعاً إلى كسب رضى الله تعالى ورضوانه . ولنسمع ما كان الإمام الحسن عليه السلام يردده «خلصوا أنفسكم من النار» . ولنسمعه ناقلًا قول أبيه عليه السلام : «واعلموا أن ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار» . أما الغني البخيل فهو : ﴿مناع للخير معتد أثيم﴾<sup>(٢)</sup> ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم﴾<sup>(٣)</sup> قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾<sup>(٤)</sup> فماذا أوتي قارون ؟ ﴿وآتناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة﴾<sup>(٥)</sup> . إلا أن الشيطان تسلل إلى قلب

(١) سورة الماعون ؛ الآية : ٧ .

(٢) سورة القلم ؛ الآية : ١٢ .

(٣) سورة القصص ؛ الآية : ٧٦ .

(٤) سورة القصص ؛ الآية : ٧٩ .

(٥) سورة القصص ؛ الآية : ٧٦ .

قارون فمضى في الاستزادة من الأموال والكنوز ، لا لينفقها في سبيل الله بل ليشبع نهمه إلى المال . ألم يقل الإمام عليّ عليه السلام : «منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال» . وإذا كان النهم للعلم من أشرف الشيم التي يمكن للإنسان أن يتحلّى بها ، فإنّ النهم إلى المال من أقبح الرذائل التي تفسد الإنسان . لقد رأى قارون أن قريبه موسى عليه السلام لا يقوّه على جشعه ونهمه للمال يحبسه عن الخير . فأخذ يخطط للقضاء على موسى عليه السلام فاتصل بامرأة ساقطة وأعطها عشرة آلاف دينار لتكون شريكته في المؤامرة على موسى عليه السلام . واتفقا على أن تندسّ في المجلس الذي يخطب فيه موسى ، وتعلن على الملأ أن موسى - والعياذ بالله - راودها عن نفسها . لاحظوا فيم استخدم قارون ماله . فلما صعد موسى على المنبر وكان خطيباً بارعاً ، لأن الله استجاب لدعائه : ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَأَحْلِلْ عَقْدَةَ مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ . تصدّى له قارون قائلاً : تقول أن الزاني يرحم ، فهل يطبّق هذا القانون عليك ؟ فقال موسى : «قانون الله يطبق على الجميع» . فقال له قارون : إنّ امرأة في الحاضرين تقول أنك قضيت ليلة البارحة عندها . ولدى سماع المرأة قول قارون ، وقفت ، ليعرف الحاضرون أن موسى عليه السلام قضى ليلته مع امرأة ساقطة . فالتفت موسى إلى المرأة وقال لها : يا أمة الله هل رأيتك يوماً ؟ . فقالت المرأة ، وقد استيقظ ضميرها : «حاشاك يا نبيّ الله ، إنّ قارون أغراني بالمال وطلب إليّ أن أرميك بتلك التهمة» . لم يفاجأ المؤمنون الحاضرون ببراءة موسى عليه السلام ، لأنهم يعرفون أنّ موسى مؤمن طاهر .

والمؤمنون حقاً لا يصدّقون الإشاعات والمزاعم والاتهامات الباطلة التي يفتريها الفاسقون على العلماء الأفاضل الذين يدعون إلى الله ودينه . غضب موسى من فعلة قارون غضباً شديداً ، فدعا ربّه وطلب منه أن يخلص المجتمع من قارون ومفاسده . فقال الله تعالى : ﴿يا موسى ، قد جعلت أمر الأرض بيدك﴾ فقال موسى عليه السلام : «يا أرض خذي قارون» . فانشقت

الأرض وابتلعت قصور قارون وأمواله وكنوزه . وخدمه . فصاح قارون مستغيثاً : يا موسى أسألك بالرحم ، فأنا قريبك ، صحيح أنني مجرم ، ولكن قرابة الرحم تربطني بك . وما أن تلفظ قارون بكلمة الرحم ، حتى توقفت الأرض عن ابتلاع ممتلكاته . فصاح موسى **﴿الذئب قائلًا﴾** : خذيه يا أرض ، فاستأنفت الأرض ابتلاعها لأموال قارون وقصوره وخدمه . فأعاد قارون الاستجارة بقرابة الرحم ، فتوقفت الأرض ، فصاح موسى : يا أرض خذيه ، فعادت الأرض إلى ابتلاع كل ما يخص قارون . وتكررت استغاثة قارون أربعين مرة ، وفي كل مرة كانت تقف الأرض لمجرد سماعها بكلمة الرحم . وتكرر أمر موسى لها بأن تأخذ قارون أربعين مرة . وموسى ينفذ إرادة الله في قارون ، ولكن الله الذي يريد أن ينتقم من قارون ، كان يريد أيضاً أن يبين أهمية صلة الرحم . وكان أمراً مقضياً فقد ابتلعت الأرض قارون وكل ما يعود إليه : **﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾** (١) وحالت دار قارون أرضاً بلقعاً يصحّ فيها قول الشاعر :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر .

ما هو الدرس الذي نستفيده من قصة موسى وقارون ، فالقرآن الكريم لم ينزل بالقصص للهو والتسلية وإنما للعبرة والعظة . في حقيقة الأمر إن في قصة موسى وقارون درسين . أما الدرس الأول : أن الأرض التي نحسبها جماداً ، تحسّ وتسبح الله وتقّده وتطيعه : **﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ما لها ، يومئذ تحدث أخبارها﴾** (٢) . أما الدرس الثاني فهو تبيان الأهمية التي يوليها الله تعالى لصلة الرحم فقد قال لموسى ، بعد أن ابتلعت الأرض قارون وما يخصه . **﴿وعزّتي وجلالي ، لو سألني مرة واحدة لأجبتنه ، وأنا الرحمن الرحيم﴾** . قال

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٨١ .

(٢) سورة الزلزلة ؛ الآيات : ١ - ٤ .

الرسول ﷺ : «إِنَّ الرجلَ لَيَبْقَى له من عمره ثلاث وثلاثون سنة ، فيقطع رحمه ، فتتزل ثلاثون سنة ، ويبقى له ثلاث سنين فقط ، وإن الرجل يبقى من عمره ثلاث سنين ، فيصل رحمه ، فيستمر إلى ثلاث وثلاثين» . فتأملوا كم صلة الرحم مهمة وعظيمة . إلا أن بعضهم لا يفهم أهمية وعظمة صلة الرحم ولا يقيم لها اعتباراً .

فالتاريخ يحدثنا أن علياً بن إسماعيل ، قصد بغداد ليوغر صدر هارون الرشيد على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام . وقبل أن يذهب إلى بغداد استدعاه الإمام موسى عليه السلام . وقال له علمت أنك ذاهب إلى بغداد ، لماذا ؟ فأجابه علي بن إسماعيل ، إنني أقصد بغداد لأطلب المال من هارون الرشيد . فقال له الإمام موسى عليه السلام : إنني أعطيك ضيعة وأربعين ألف دينار ، فلا تذهب إلى بغداد ، ولكن علياً ، وبعد أن قبض المال ووضع يده على الضيعة ، جاء للإمام وقال له : لا بد لي من الذهاب إلى بغداد . وكان الإمام موسى عليه السلام يعرف نية علي بن إسماعيل ، فقال له : «الله الله في أولادي ، لا تيتهم أطفالي (أي لا تقطع صلة الرحم التي تربطك بي وبهم)» . لقد أعطيتك ما أنت بحاجة إليه وأنا عارف بأنك ذاهب إلى بغداد لتوغر صدر هارون الرشيد علي . إلا أن علياً بن إسماعيل أصر على الذهاب إلى بغداد . ولما دخل على هارون الرشيد سلم عليه من دون إمرة المؤمنين . فقال له رئيس شرطة الرشيد مسرور الكبير : أتسلم على أمير المؤمنين هكذا ؟ ! فقال علي بن إسماعيل مخاطباً الرشيد : والله ما علمت أن للمؤمنين أميرين ، أنت في بغداد وموسى بن جعفر في المدينة ، يجبي إليه السلاح والخراج وهو يؤلب الناس ضدك ويعبثهم للشورة عليك . فأمر الرشيد رئيس شرطته أن يأتوه بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام في الحال ، وهكذا كان . فماذا حدث لعلي بن إسماعيل ، بعد أن أجازة الرشيد ، ذهب إلى الكنيف لقضاء حاجته فمات فيه مية سوء التي يستحقها ، جاء الناس للإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقالوا له : يا بن رسول الله ، لقد كنت تعلم أن علياً بن إسماعيل جاد في السعاية عليك عند الظلمة ، ومع ذلك تعطيه

ضيعة وأربعين ألف دينار فقال لهم : «هكذا أَدَبنا الله» . ومن هنا نفهم أن الفضل في الإحسان إلى ذي الرَّحْم حتى ولو أساء إليك . وكذلك فإن الإمام زين العابدين عليه السلام ينتظر الليل ليحمل الرُفد إلى ابن عمِّ له . وكان يعطيه إِيَّاه وقد تَلَّم فكان ابن العمِّ يأخذ العطاء ويطلق لسانه في حقِّ الإمام زين العابدين عليه السلام والإمام صامت . وكان ذلك دأبهما . فلَمَّا مات الإمام زين العابدين ، عرف ابن العمِّ أن الذي كان يحمل إليه العطاء فيأدله الشَّيْمة ما هو إلاَّ الإمام زين العابدين عليه السلام .

﴿ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾<sup>(١)</sup> لقد علمنا إن إخراج الخمس لمستحقِّيه واجب شرعيٍّ على كلِّ مسلم ، ومن أخرجهُ جعل الله النماء والخير والبركة في أمواله . وقد كان الإمام الحسن عليه السلام يركِّز على أهميَّة العطاء والإنفاق في سبيل الله ، يُروى عنه عليه السلام ، أنه مرَّ ذات يوم ببستان ، فرأى فيه شاباً أسود وقد وضع بين يديه طعاماً يأكل منه لقمة ويرمي بلقمة إلى كلب قريب منه . فعجب الإمام عليه السلام لأمر هذا الغلام ، وقال له : «ألست جائعاً يا غلام» . قال الغلام : «بلى والله إنني يا بن رسول الله أنا في غاية الجوع» . فقال الإمام عليه السلام : «إذن كيف ترمي طعامك للكلب وهو لا يكاد يكفيك ؟» . قال الغلام : «لقد عرفت أنه غريب وجائع يا سيدي» . فقال له الإمام عليه السلام : «أو تؤثر الكلب على نفسك ؟» . قال الغلام : «إنه نفس وله روح يا بن رسول الله» . فقال له الإمام : «لمن هذا البستان ؟» فقال الغلام : «أنا والبستان لسيدي إِيَّان بن عثمان» . قال له الإمام : «بحقِّي عليك ، إلبث في مكانك ولا تبرحه حتى أعود إليك» . ثم ذهب الإمام فاشترى البستان والغلام وعاد إلى حيث كان الغلام فقال له : «لقد اشتريتك من سيديك» فصاح الغلام قائلاً : «الله أكبر لقد أصبحت في خدمة سيدي ابن رسول الله» . فقال له الإمام : «إنني أعتقك في سبيل الله» ، فقال الغلام : «إنني ادعو الله منذ عشر سنوات كي يوفق سيدي

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١١٤ .

السابق في عتقي ، ولم يفعل ، وها أنت بلحظة تشتريني وتعتقني» فقال له الإمام : «وإنني أهبك هذا البستان ومعه عشرة آلاف دينار تيسر بها أمورك» . فانكبَّ الغلام على الأرض يمرغ وجهه بالتراب ودموعه تجري على أقدم الإمام عليه السلام وهو لا يفتأ يردد قائلاً : «سيدي . . . سيدي ، الله أعلم حيث يجعل رسالته» . هذا درس . وإليك درساً آخر . وقف فقير على باب الإمام عليّ عليه السلام . فقال الإمام لابن أبي رافع : «أعطه مئتين» فقال ابن أبي رافع : «سيدي ، هل أعطيه مئتي دينار أم مئتي درهم» ؟ . فقال له الإمام عليه السلام : «أعطه أنفعهما له . فكلاهما عندي حجر» . فلا قيمة للمال في نظر الإمام عليّ عليه السلام . إلا أنه يرى أن قيمة المال تكون في إنفاقه في سبيل الله . إنه يعرف أن الدنيا دولة بين الناس . ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾<sup>(١)</sup> . ويعرف أن الحسرة في القبر لا تُفيد . ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعليّ أعمل صالحاً﴾<sup>(٢)</sup> . هكذا كانت سيرة أهل البيت عليهم السلام . فتأملوا وتعلموا .

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾<sup>(٣)</sup> رأينا أن الله تعالى خلق الإنسان من مادة وروح . تتمثل المادة في البدن وحواسه . أما الروح فتتمثل بالعقل والنفس والإيمان . فإذا جردنا البدن من الروح لم تبق إلا المادة الفانية . أما الروح فهي جوهر إلهي مرتبط بالغيب ، وإذا كان البدن يتغذى بالأطعمة ، فإن الروح تتغذى بالكلمة الطيبة وهذا الغذاء ينعكس بدوره على البدن صحة وفي النفس طمأنينة . تصور إنساناً مريضاً يتناول الأدوية والعقاقير طلباً للشفاء ، ولكنه لا ينفك يرمق الباب لعلّ عائداً يزوره . فيسلم عليه ، ويبتسم له ، ويمسح بيده على رأسه مهووناً عليه مرضه ، متمنياً له الشفاء العاجل . إن ما يفعله العائد المؤمن اللبيق ينفع

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٠ .

(٢) سورة المؤمنون ؛ الآية : ٩٩ .

(٣) سورة إبراهيم ؛ الآية : ١٢٤ .

المريض أضعاف النفع الذي تحمله إليه الأدوية والعقاقير . وقد أجرى الأطباء تجربة على شخصين إصيبا وفي وقت واحد بذات المرض فوضعهما في غرفتين متجاورتين ، وأعطوهما نفس الأدوية والعقاقير ، ولكن أحد المريضين شفي قبل الآخر بزمن لا يستهان به . فلما تحروا عن السبب تبين لهم أن العواد لم ينقطعوا عن المريض الذي شفي أولاً . أما المريض الآخر فكان يعاني من العزلة لأن أحداً لم يعده . فالمريض بحاجة إلى الكلمة الطيبة التي تشجعه وتبعث الطمأنينة والأمل في قلبه . كذلك فإن السعادة ترفرف على الأسرة التي لا يتبادل أفرادها إلا الكلمة الطيبة . ولو أن أبناء المجتمع جميعاً ، وفي كل الأحوال تعاملوا بالكلمة الطيبة ، لعاش المجتمع في سلام وأمان ، ومحبة ووثام . لأن الكلمة الطيبة تفعل فعل السحر الحلال في القلب والنفس . ولذلك فإن الإمام الحسن عليه السلام يتوجه إلى الشباب رجالاً ونساءً فيقول : «إنكم صغار قوم ، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين ، فتعلموا العلم واحفظوه . ومن لم يستطع أن يحفظه فليكتبه عنده . فإنه سيأتي عليكم زمان ستحتاجون فيه إلى العلم» . فما أحوجنا إلى توجيه هذه الكلمة الطيبة إلى طلابنا وطالباتنا في مطلع كل عام دراسي ، فتكون عدتهم في البحث عن الحق والحقيقة ، وتكون زادهم في متابعة مسيرة العلم والأخلاق . وحرّي بالمعلمين والأساتذة أن يتمعنوا في قول الإمام الحسن عليه السلام ليدركوا خطورة مهمتهم وقدسيتها رسالتهم .

### من آلام وتضحيات أهل البيت عليهم السلام :

لا بد لنا ، ونحن في مدرسة الحسن والحسين عليهما السلام . أن نتذكر ونستعيد صوراً من آلام وتضحيات أهل البيت عليهم السلام . من المعروف أن أهل المتوفى يصابون بالصدمة مرتين ، مرة عندما تخرج الجنازة من البيت ، حيث يضح الأطفال والنساء بالعويل والصراخ . والمرة الأخرى عندما يعود أهل الميت إلى البيت . حيث تنهال عليهم الأسئلة من الجميع . كيف كان الدفن ؟ كيف كان التشيع ؟ وكيف ، وكيف . . . ؟ . بعد دفن الإمام

الحسن عليه السلام عاد أخوته إلى بيته ، فحقت زينب الحوراء عليها السلام لاستقبالهم وقد تقدمهم أبو الفضل العباس عليه السلام . وكان أبو الفضل مرجعاً لزينب عليها السلام في كل سؤال . فلاحظت أن أبا الفضل عليه السلام يكاد يتفجر غضباً وألماً ، وعيناه حمراوان تقدحان شرراً . فقالت له : ما بالك يا أخي ؟ ماذا حدث ؟ فقال لها : أختي زينب ، يعز علي أن أقول لك ما حدث . فقالت له : قل يا نور عيني . فقال لها : أختي لقد رشقوا جسد أختينا الحسن بالحجارة والسهام . وقد فعل ذلك مروان بن الحكم ومعه طغمة من بني أمية ، وامرأة تركب بغلة مسرجة . لقد تساقطت الحجارة والسهام على جسد أختينا الحسن كزخات المطر . فقالت زينب عليها السلام : «وما الذي منعك من التصدي لهم» ؟ فقال لها : «أختي ، لقد منعتني أخي الحسين ، وقال لي : أبا الفضل ، إن لك يوماً غير هذا اليوم . فيومك هو يوم عاشوراء ، وليس اليوم» . يذكر المؤرخون ، والرواية واردة عن أهل البيت عليهم السلام ، أن زينب الحوراء ، وعندما سمعت أن نعش أخيها الحسن قد رُشق بالحجارة والسهام ، شهقت ، ثم وقعت على الأرض مغمياً عليها . أسعف الله قلب الحوراء . لقد شهقت وأغمي عليها عندما أخبرها أبو الفضل بما حدث لنعش الإمام الحسن عليه السلام . ترى كيف كان حالها عندما نظرت إلى جسد أخيها الإمام الحسين عليه السلام ، وسنابك الخيل تطأ ذلك الجسد الطاهر ؟ كيف كان حالها عندما رأت كل أصحاب الحسين عليه السلام صرعى مجزورين كالأضاحي ؟ وكيف كان حالها عندما رأت إخوتها وبنيتها معفرين بتراب كربلاء ورمضائها ؟ .

إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



## الامامة والعقل

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ، وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً﴾<sup>(١)</sup> . صدق الله العظيم .

#### تمهيد :

إن الإنسان يخضع في داخله لقيادتين : العقل والنفس . وهو واقع تحت تأثيرهما باستمرار حيث يبقى عرضة لتنازع هاتين القوتين ، وبناء على سيطرة إحداهما يتقرر سلوك الإنسان وبالتالي مصيره برمته . وقيادة العقل تخضع بدورها لمجموعة من القيم كالحق والصدق والثبات والإيمان ، أما قيادة النفس فتخضع للهوى والشهوة والميل . والإنسان الذي يتلقى الأوامر من العقل ويعمل على تنفيذها ، نطلق عليه الإنسان العاقل ، أما الإنسان الذي يتلقى الأوامر من النفس والهوى فهو لجاهل السفيه ، والسفه حالة قد تكون أسوأ من الجهل .

#### لكل مأموم إمام :

وهنا أجدني أيها الأخوة مدفوعاً إلى السؤال التالي : هل يكفي أن

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥ .

يملك الإنسان عقلاً منيراً حتى يأمن من الوقوع في حبال الخطأ على صعيد مسلكه وحركته في الحياة ؟ وما هو المورد الذي ينبغي أن ينهل منه النور والحقيقة التي تضيء زواياه ، وبالتالي يجعله هذا المورد على بينة من أمره ؟ والجواب على هذا السؤال يُنجدنا به الإمام عليّ عليه السلام حيث يقول : «ألا وإن لكل مأموم إماماً يُقْتَدِي به ويستضيءُ بنور علمه» . إذاً هذا المورد لا ريب ولا بد أن يكون إماماً قائداً يضيء العقل بنور علمه ، ويتعبير آخر ، فإن العقل وحده لا يملك هذا النور ، بل يجب أن يستمدّه من مصادره ، ومصدر النور الأساسي هو الله سبحانه وتعالى : ﴿الله نور السموات والأرض﴾<sup>(١)</sup> لكن هذا النور خص به الله تعالى أنبياءه ورسله والأئمة الطاهرين . وقد جُمع هذا النور كله في الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام . وعندما يقول الإمام عليّ عليه السلام : «ألا وإن لكل مأموم إماماً» فهو لا يريد بكلمة «إمام» إرسالها بشكل مطلق ، لأن المنافقين أيضاً لهم أئمة منافقون مثلهم ، والظلمة لهم أئمتهم ، والإمام الظالم الجائر يقود تابعيه ويوردهم موارد التهلكة ، فهو يأخذ بأيديهم إلى النار ويئس القرار ، كيزيد بن معاوية مثلاً أو كفرعون . إن هذا الجانب من الإمامة لا يعنيه أبو الحسن عليه السلام ، إنما يشير إلى الإمام العادل الذي يأخذ بيدك إلى الجنة إذا ما سلمته قيادة نفسك وعقلك .

إذاً النور يجب أن تستمدّه من إمامك ، ومن هنا كان قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «من مات ولم يعرف إمام زمانه ، مات ميتة جاهلية» . إن هذا الحديث الذي أرويه لكم ورد في صحاح المسلمين جميعاً سنة وشيعة ، وهنا أجدني مدفوعاً إلى الإشارة والقول أن لا فرق بين سنة وشيعة من حيث المبدأ ، لأن السنيّ هو من اتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسنة الرسول تقول : «حسين مني وأنا من حسين» فمن سار على درب الحسين فهو سني ومن سار على درب عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان فإن الرسول

(١) سورة النور ؛ الآية : ٣٥ .

الكريم بريء منه . هذه هي سنة الرسول ﷺ ، فمن اتبعها لا فرق في أن نقول له : أنت سني أو شيعي ، لأن المعنى واحد والمقصود واحد .

أما كلمة «شيعه» فهي مأخوذة من المشايعة بمعنى المتابعة . وقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ (١) . وقد أصبح من المتعارف عليه أن لفظه «الشيعه» تطلق على أحباب ومحبي علي بن أبي طالب ؑ ، فغدت وقفاً عليهم . وبهذه المناسبة أريد أن أسأل : هل يمكن أن يكون الإنسان مسلماً إذا أبغض علي بن أبي طالب ؟ علماً أن أئمة المذاهب جميعاً متفقون على أن من يحمل في قلبه بغضاً لعلي بن أبي طالب يعتبر كافراً ولا يدفن في مقابر المسلمين ، كالخوارج مثلاً فقد كفّروا الإمام عليّاً ، والعياذ بالله ، لذلك فهم كفره بإجماع المسلمين .

إذاً عندما أقول أيها الأخوة : أن لا فرق بين سنة وشيعه فهذا هو قصدي ، ومنبر الحسين ما هو إلا داعية إلى وحدة المسلمين ، الوحدة التي تجمع على الخير كله ، هذه الوحدة التي تستمد نورها من القرآن الكريم ومن أهل البيت ؑ ، لا من معاوية وابنه يزيد ، لأن مثل هذه الوحدة هي فرقة وتفرقة وتمزيق لوحدة المسلمين . فمنذ أن تزعم آل سفيان المسلمين بدأت الويلات تنزل على رؤوس المسلمين ، وما زلنا نحصد آثارها وسلبياتها حتى يومنا هذا . فتعالوا نقرأ التاريخ معاً قراءة موضوعية بعيدة عن الميل والهوى لنرى بأمر أعيننا كيف كان معاوية يشتري الضمائر بالأموال مما جعل الكذابين على رسول بعدد الحصى ، فكثرت الأحاديث الموضوعية على رسول الله ﷺ بالرغم من أنهم جميعاً يعلمون كل العلم أن النبي ﷺ قد قال : «من كذب عليّ عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ، ولكن ماذا تفعل بطلاب الدنيا وعبيدها الذين تجدهم على أهبة الاستعداد في أن يكذبوا على الله ورسوله مقابل مالٍ يلحقونه في حياتهم أو جاء فارغ

(١) سورة القصص ، الآية : ١٥ .

ينعم به عليهم معاوية وأمثاله من طواغيت الدنيا ؟ .

## من هم الأئمة ؟ :

إذا كان لكل مأموم إمام كما قال الإمام عليّ عليه السلام ، وإذا مات الإنسان ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية كما جاء على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن هم هؤلاء الأئمة الذين ينبغي للمسلمين معرفتهم والافتداء بهم والسير على هداهم حتى يستضيئوا بنورهم ؟ .

إن هؤلاء الأئمة الأخيار الأطهار قد حددهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعده وهم اثنا عشر إماماً بعدد نساء بني إسرائيل . أولهم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام محمد بن الحسن ، المهدي المنتظر عجل الله فرجه ، الذي يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، فيقيم دولة الإسلام فوق ربوع الأرض ، فيعم العدل والإيمان والمساواة والأمن والأمان . وما هو دليلنا على ذلك بالإضافة إلى تحديدهم من قبل رسول رب العالمين ؟ .

تعالوا أيها الأخوة لنقرأ معاً سورة القدر : بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ \* وما أدراك ما ليلة القدر \* ليلة القدر خير من ألف شهر \* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ، بإذن ربهم ، من كل أمر \* سلام هي حتى مطلع الفجر \* ﴿<sup>(١)</sup> صدق الله العظيم .

لقد جاء في هذه السورة الكريمة : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ، ويلاحظ أنه قال : ﴿تَنَزَّلُ﴾ أي تَنَزَّلُ ، ولم يقل «نزلت» . فلو جاء فيها نزلت الملائكة لكان معنى ذلك أن الملائكة نزلت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقط وانقطع نزولها بموت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . أما وقد جاء فيها ﴿تَنَزَّلُ﴾ فإن معنى ذلك أن النزول مستمر طالما هناك شهر رمضان وطالما هناك ليلة القدر في هذا الشهر الكريم . إذاً تنزل تفيد معنى الاستمرارية والديمومة ، أي ﴿تَنَزَّلُ﴾

(١) سورة القدر ؛ الآيات : ١ - ٥ .

في كل سنة في شهر رمضان في ليلة القدر .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد جاء في السورة الكريمة ﴿من كل أمر﴾ . أي أن الله سبحانه وتعالى قد وزع مسؤوليات الكون وأموره على الملائكة وأمرها بالنزول المستمر والدائم لكي تبلغ هذه المسؤوليات والتدابير لجهة معينة مسؤولة . فمن هي هذه الجهة المعنية والمسؤولة بعد رسول الله ﷺ ؟ لا شك أن هذه الجهة المسؤولة هي الإمام المعصوم وهو حجة الله في أرضه . ونحن نعلم من خلال الرسول ﷺ أن الأرض لا تخلو من حجة ، فلو خلقت لساحت الأرض بأهلها .

إذاً الملائكة تنزل على الأئمة الإثني عشر الذين عينهم وحددهم رسول الله ﷺ من بعده . وإذا لم يكن الأمر كذلك فمعنى ذلك أن الملائكة يمكن أن تنزل على يزيد الذي كان يسكر ويعربد في ليالي القدر حتى الصباح ، وأنا لا أدري كيف يمكن للملائكة أن تنزل على إمام للمسلمين مخمور وسكران ، وكيف يمكن لهذا الإمام أن يفقه قول الملائكة ؟ فلو صح هذا ، والعياذ بالله ، لكان الأمر مهزلة .

قد يقول قائل ، إن الملائكة تنزل في ليلة القدر على المؤمنين : ﴿الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تنزل عليهم الملائكة﴾<sup>(١)</sup> صحيح أن هؤلاء أناس مؤمنون ، ولكن جاء في سورة القدر ﴿من كل أمر﴾ أي أن الملائكة لديهم أوامر من الله سبحانه وتعالى ، فلمن تُلقي الأوامر؟ ونحن نعلم أنه قد جاء في القرآن الكريم أن الملائكة قد جاؤوا إلى القرى التي يسكنها قوم لوط يريدون قلبها على أصحابها ، فمروا على إبراهيم عليه السلام وسألهم إبراهيم عليه السلام إلى أين هم ذاهبون فاعلموه بالأمر . وعندما قال لهم : إن فيها لوطاً ، قالوا : نحن أعلم بمن فيها : ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إننا مهلكوا أهل هذه القرية ، إن أهلها كانوا ظالمين﴾ قال :

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٠ .

إِنَّ فِيهَا لَوْطاً ، قالوا نحن أعلم بمن فيها<sup>(١)</sup> فإذا كان الملائكة ، وفيهم جبرائيل عليه السلام ، أعلم بمن فيها فلماذا جاؤوا إبراهيم؟ والجواب : لأن إبراهيم حجة الله في الأرض ، والله سبحانه تكريماً لحجته وخليفته ، يعرض عليه كل أمر يجري في الكون .

### أهمية الإمامة :

إن خطورة الإمامة في حياة الناس ومسيرتهم ، بل وفي مصيرهم ، جعلتها من أهم القضايا في الفكر الإسلامي ؛ فهي عندنا وبنظرنا أهم من التوحيد والنبوة والعدل والمعاد . ولكي يفهم ما هو المقصود من هذا الكلام أيها الأخوة أبادر إلى القول : أن لا توحيد من دون إمام ، وبتعبير آخر ، لا يجدي التوحيد إذا لم يكن هناك إيمان بالإمام الذي عينه وحدده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن الإمام هو الذي سيأخذ بنا إلى التوحيد بمعناه الشامل والدقيق . ألم تسبق الإشارة إلى قول الرسول الأعظم : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»؟ بلى قالها صلى الله عليه وآله وسلم وبواضح العبارة التي لا تحتمل تأويلاً أو صرفاً إلى أي معنى آخر .

ومن هنا نجد ونلاحظ أن أعداء الإسلام إذا أرادوا محاربتة إنما يأتونه من باب الإمامة لا من باب التوحيد ، لأن الإمامة الحقّة هي التي ندخل من خلالها حرم التوحيد ورحابه . والإمام عليّ عليه السلام عرضة دائمة للهجوم وغرض يرمى ، فهم ، أي أعداء الإسلام ، يحاولون ضرب قضية الإمامة من خلال هجومهم على أبي الحسن . والسؤال المطروح باستمرار : من هو الإمام؟ ولنا أن نسأل نحن بدورنا : من هو الإمام؟ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم أبوجهل وأبوسفيان وأبولهب؟ يزيد بن معاوية أم الحسين بن علي وفاطمة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

إن الخطورة التي تتمتع بها مسألة الإمامة في الإسلام هي التي حَدَّتْ

(١) سورة العنكبوت ؛ الآيتان : ٣١ - ٣٢ .

برسول الله إلى تعيين الأئمة من بعده وتحديدكم بكل الوضوح الذي لا لبس فيه ولا غموض . إنهم أهل البيت سلام الله عليهم جميعاً الذين جعلهم الله تعالى عِدلاً للقرآن الكريم لأن علم القرآن أُودِع صدورهم ، فكانوا أعلاماً ومنابر ومنائر تضيء للتائهين ووضح الطريق وتبدد للعافين مدلهم الخطوب ؛ فهذا الإمام الصادق عليه السلام جامعة علمية يتلقى العلم فيها قرابة أربعة آلاف من طلبه العلم ، والكل يقول : حدثني جعفر بن محمد الصادق . وقد سنحت الفرصة للإمام الصادق عليه السلام في الفترة الفاصلة بين سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، فانتهازها لنشر علوم جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وكان ممن أخذ عنه العلم أئمة المذاهب الأربعة وعلى رأسهم أبو حنيفة النعمان الذي قال : «لولا الستان لهلك النعمان» . فاصبح الناس يسمعون بفكر الرسول وفكر أهل البيت .

ومن هنا كان السجن من نصيب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام الذي أمضى مدة طويلة وهو مسجون في سراديب بني العباس . وقد اختلفوا في المدة التي أمضاها في السجن ، فمن قائل ثمانى سنوات ومن قائل عشر سنوات . ولكنني قرأت رواية للعلامة المجلسي في بحاره يقول فيها إن الإمام الكاظم أمضى في سجنه عشرين سنة في سرداب مظلم لا يعرف ليلاً من نهار وقد كان يصلي بناء على أصوات السجانين الذين كانوا ينبثونه بأوقاتها . لذلك تقول في زيارته عليه السلام : «السلام على المعذب في قعر السجون وظلم المطامير . السلام على ذي الساق المرضوض بحلق القيود . . .» . وقد سجنه بنو العباس حتى لا تكون له الفرصة التي كانت لأبيه الصادق عليه السلام .

وآخر هؤلاء الأئمة الأطهار ، الإمام الثاني عشر ، المهدي المنتظر (عج) الذي وعدنا بظهوره وبأنه سوف يقيم دولة الإسلام القائمة على العدل والمساواة . ونحن عندما نؤمن بوجود المهدي القائم وبنظوره المرتقب فإننا من خلال هذا الإيمان ، نؤمن بانتصار الإسلام والقرآن على فعول الشرك

والكفر ، وفي طليحة هؤلاء ، اليهود الذين يدنسون أولى القبلتين ، دون أن يفتُّ من عزائمنا ما نراه من سيطرة الظلم والظالمين على مقدرات الأمة ، لأننا ننتظر قائداً عظيماً وإماماً مرتقباً وحجة الله في الأرض ، ينأتيه النصر العزيز من ربِّ العالمين ليظهره على الدين كله . يقول الرسول ﷺ : «لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه قائمنا أهل البيت فيملا الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً» .

والإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام من هؤلاء الأئمة الطاهرين . فعندما كان في طريقه إلى خراسان اجتمع عليه الناس في نيسابور وقالوا له : حدثنا يا ابن رسول الله . وما أحلى الحديث من فمه الطاهر ، فأنت عندما تسمعه عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : «إن الأمر يختلف عندما تسمع عن أبي هريرة . فالرضا ابن رسول الله ﷺ ، وأبو هريرة أمضى أقل من ستين في مدينة رسول الله حسبما جاء في رواية العلامة الأزهرى الشيخ محمود أبو رية في كتابه : «شيخ المضيرة أبو هريرة» . ومما جاء في هذا الكتاب أيضاً ، أن أبا هريرة أرسله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى البحرين فسرق بيت المال فضربه عمر بدرته المشهورة على رأسه وصادر أمواله . فكيف يمكن لك أن تأخذ أحاديث الرسول ﷺ عن سارق أموال المسلمين .

بينما يحدثك الإمام الرضا عليه السلام في سلسلته الذهبية حيث يقول : «حدثني أبي عن أبيه . . عن جدنا رسول الله عن جبرائيل عن اللوح عن القلم عن الله سبحانه وتعالى» . إنه إسناد متصل الحلقات ومن هنا كانت تسميته : «بالسلسلة الذهبية» .

قلت : عندما كان الإمام الرضا في طريقه إلى خراسان طلب إليه جمع غفير من الناس أن يحدثهم ، فكانت هذه السلسلة الذهبية ، وبعدها كان الحديث القدسي . . . قال الله سبحانه وتعالى : «كلمة لا إله إلا الله حصني ، فمن دخل حصني أمن عذابي» وبعد أن سار الإمام خطوات أطل



برأسه من مقصورته على ظهر الناقة وأشار بيده فسكت الجميع وأرهفوا السمع ، فأردف قائلاً : «بشرطها وشروطها وأنا من شروطها» أي أن من شروط هذا التوحيد الإمامة . إذ أن التوحيد لا يكفي ولا ينفع بلا شرطه وشروطه . ومن هنا كان قولي الذي أسلفته : لا توحيد من دون إمام . علماً أن الإمامة متفق عليها لدى سائر المسلمين مع بعض الاختلاف . ونحن لا نقول إلا بإمامة المعصوم من أهل البيت فقط .

إذاً هكذا يكون الأمر : التوحيد والعدل والنبوة والإمامة التي هي امتداد للنبوة، ولا يستقيم ما تقدم إذا لم يستقم الأمر في الإمامة . والذين قالوا: إن الرسول مات ولم يوص من بعده ، وقعوا في مأزق كبير وفي خطأ جليل ، لأن الخلفاء الذين جاؤوا بعده ، ما من أحد منهم إلا وأوصى بالخلافة لآخر بعده ، فكيف يحق لمن جاء بعد النبي أن يوصي بالخلافة لمن بعده ويحرم الرسول من هذا الحق ؟ أي منطق هذا ؟ وأي عقل يمكن أن يقبل به ؟ وأنا لا أريد أيها الأخوة من هذا الكلام أن أسيء إلى أحد من الصحابة فنحن نجل الصحابة ونحترمهم . ولكن هناك قسم من أصحاب النبي كانوا منافقين بشهادة القرآن نفسه في سورة «المنافقون» أما الصحابة الأجلاء المؤمنون الأتقياء فنحن نجلهم ونكبر فيهم إيمانهم وتقاهم ولكن مهما كانت درجة الصحبة فإننا لا يمكن أن نساير من خالف سيرة الحبيب المصطفى ، لأننا رواد حق ، والحق لا نأخذه إلا من أئمتنا الذين حددهم لنا رسول الله نفسه .

### الساكت عن الحق شيطان أخرس :

إنني أيها الأخوة عندما أخوض في هذا الموضوع ، ملزم بقول الحقيقة لأنني أقف فوق منبر رسول الله ﷺ . فمن يصعد هذا المنبر فيكتم الحقيقة ، فهو خائن لرسول الله وللإسلام وللناس وللمنبر نفسه . لقد جاء في القرآن الكريم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى

من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ﴿١﴾ .

إن من يبلغ رسالات ربه عليه أن يخشى الله في ذلك ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، كائناً من كان اللائم . فقد جاء عن الصادق عليه السلام أن بني أمية يسمحون لك أن تؤمن بالله ولكن لا يسمحون لك أن تتحدث عن مخالفة أوامر الله . إنهم يسمحون لك بأن تتحدث عن الإيمان والصلاة والصوم والحج ، ولكن لا دخل لك بمن يكفر ، لا دخل لك بالظلمة . إصعد المنبر وقل ما تشاء في قضايا الإيمان ، أما الحكام الخونة والجائرون الذين يلهبون ظهور الناس بسياطهم ويضربون أعناق الناس بسيوفهم ويهتكون الأعراض فليس لك أن تغمز من قناتهم .

إن من يسكت عن هؤلاء الطواغيت هو خائف جبان . وكيف لي مثلاً أن أسكت عن يزيد بن معاوية ؟ ، هل أقول فيه كما قال أصحاب الأقلام المأجورة ؟ هل أقول عن يزيد الفسق والفجور إنه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ونور الإسلام ونور القرآن ؟ حتى ولو قلت ذلك فهل يغير من حقيقة يزيد شيئاً ؟ إن التاريخ يزور الحقائق ويقلبها رأساً على عقب ، فالحسين بنظر هذا التاريخ خارج على السلطة الشرعية ويزيد هو الحاكم الشرعي وابن الإسلام البار . وما هي قيمة هذا التزوير عند رب العالمين ؟ إن الحسين يبقى حسيناً ويزيد يبقى ذلك الفاجر الفاسق .

أعود إلى ما قاله الصادق عليه السلام : «إن بني أمية أطلقوا للناس حرية تعليم الإيمان ولم يطلقوا لهم حرية تعليم الشرك ، حتى إذا حملوهم عليه فعلوه ولم يعرفوه» .

وقد تواترت الأخبار في التاريخ أن معاوية صلى صلاة الجمعة في يوم الأربعاء . فقد جاءه رسول من الإمام علي عليه السلام إلى الشام يحمل كتاباً ، وقد رأى هذا الرسول بأم عينه ما فعله معاوية . فسأل الناس : أي يوم نحن

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٩ .

فيه ؟ قالوا : اليوم الجمعة !!! فقال : ولكن اليوم الأربعاء . قالوا : لا ، اليوم الجمعة وهذا ما قاله معاوية . وبعد أن فرغ معاوية من الصلاة جاءه رجلان يتنازعان على جمل . قال صاحب الجمل : هذا جملي . فقال الآخر وهو شامي : هذه ناقتي . فجاء معاوية بالشهود الذين شهدوا أنها ناقة وأنها للشامي . فقال معاوية : اعط الرجل ناقته . بعد ذلك التفت معاوية إلى رسول علي عليه السلام وقال له : اذهب إلى علي وأخبره بأنني أحاربه بقوم لا يميزون الناقة من الجمل .

### عود على بدء :

أعود بكم أيها الإخوة إلى صلب الموضوع الذي بدأنا به حديثنا . إذا يقول الله تعالى : ﴿ولا توتوا السفهاء أموالكم﴾<sup>(١)</sup> لأن السفه لا يمكن أن يكون حاكماً على العاقل ، لذلك فهو يُمنع من التصرف بالمال . : ﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾ أي يقوم بها معاشكم ، فلا تسمحوا للسفهاء أن يتصرفوا بها .

وهكذا أيها الأخوة نؤكد لكم مرة أخرى أن العقل والنفس قوتان تتنازعان السيطرة على الإنسان ، فإذا سيطرت إحدهما على الإنسان كان ذلك ضعفاً للقوة الأخرى . وكلما قويت سيطرة النفس كثر السفهاء ، وكلما كثر السفهاء كان في ذلك فساد المجتمع ، وكلما قويت سيطرة العقل كثر العقلاء ، وكلما كثر العقلاء كان في ذلك صلاح المجتمع ، لأن العقل يجب أن يستمد نوره من الأنبياء والأئمة . وثمة حجتان على الإنسان : واحدة ظاهرة وهي الأنبياء والرسول والأئمة ، والثانية باطنة وهي العقل . لذلك فإن الشهوات تستمد طاقتها من الشياطين حيث تنزلق بالإنسان إلى مهاوي الحيوانية والغريزة سالبة إياه إنسانيته ونبله وإيمانه .

---

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥ .

ومن أجل ذلك نجد أن الإنسان المؤمن لا يُثار لأنه عاقل ، هادئ ، حليم ، خلوق بعكس الإنسان ضعيف العقل فمشاكله كثيرة مع مجتمعه وجيرانه وأسرته ، فضلاً عن أنه إنسان شكّاك ، يؤدّي به ضعف عقله إلى الشك بكل الناس ، حتى بزوجته الصالحة . في الوقت الذي يأمرنا الإسلام أن نتسلح بعقل يبعدنا عن النزق والطيش وأن نحسن إلى الناس جميعاً ، حتى أولئك الذين يسيئون إلينا فنعاملهم بالمغفرة ونسيان الإساءة كأنها لم تكن منهم ، فمن شيم المسلم غفلته عن من يعلم أنه يشتمه ويسيء إليه ، ولنا في أئمتنا القدوة الحسنة والأسوة الصالحة .

يروى أن رجلاً كان يشتم الإمام الحسن عليه السلام ويسبّه والإمام يراقبه وعندما وصل إليه ، سلّم عليه الإمام فما ردّ الرجل سلاماً . فقال له الحسن عليه السلام : يا فلان أظنك غريباً . فإن كنت جائعاً أشبعناك وإن كنت عارياً كسوناك ، وإن كنت محتاجاً قضينا حاجتك وإن كنت عائلاً أغنيناك وإن كنت طريداً آويناك فمِلْ إلى دارنا فإن لنا جاهاً عريضاً . . . . فجاء الرجل بصحبة الإمام إلى بيته ، فقدم له الحسن عليه السلام الطعام بنفسه وغسل يده . فما ملك الرجل نفسه إلا وانفجر بالبكاء ثم وقع على قدمي الإمام الحسن يقبلهما قائلاً : يا ابن رسول الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته . يا سيدي أنا كنت جاهلاً ، غرّرت بي الشياطين وأتباعهم والظلمة وأتباعهم . كنت في الشام قريباً من الأمويين وأسمعهم يؤذونك بكلامهم فتصورت أن شتمك يقربني إلى الله .

أجل أيها الأخوة ، هكذا كان يفعل بنو أمية ، يشتمون أهل البيت على المنابر . فقد التفت يزيد يوماً إلى خطيب على المنبر فقال له : \* اشتم علياً وفاطمة والحسن والحسين وذلك على مرأى ومسمع من الإمام زين العابدين . فقال له الإمام عليه السلام : «أيها الخطيب ، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوا مقعدك من النار» . كما يروى أن رجلاً شتم الإمام زين العابدين فاعرض عنه الإمام . فقال الرجل : إياك أعني . فقال الإمام :

وعنك أغضي : ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾<sup>(١)</sup> . . . ﴿والذين هم  
عن اللغو معرضون﴾<sup>(٢)</sup> . . . ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾<sup>(٣)</sup> .

هكذا يجب أن يكون الإنسان المؤمن أيها الأخوة ، يحكم عقله  
ويحفظ إيمانه ويترك حالة السَّفَه ، لأنه كلما نشطت الغرائز ضعف جانب  
العقل .

### دور العبادة في تربية العقل :

إن هذا العقل الذي يعتبر هبة من الله خصَّ به عباده المؤمنين ، ونعمة  
من نعمه التي لا تحصى ، يمكن تربيته وترويضه عن طريق العبادة . وقمة  
العبادة أيها الأخوة الصلاة : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾<sup>(٤)</sup>  
وهي بذلك تعطي العقل طاقة تحصّنه ، وتكسر الشهوات . ولذلك يكون  
جانب الشهوات قوياً عند تارك الصلاة . ونظراً لأهمية الصلاة جاء في  
الحديث الشريف : «من سقى تارك الصلاة شربة ماء ، كأنما هدم الكعبة  
سبعين مرة» .

إن الصلاة أيها الأخوة لا تُتْرَكُ فهي عمود الدين الذي يقوم عليها .  
ويجب أن نعلم أن كل العبادات مشروطة بالقدرة عليها والاستطاعة إلّا  
الصلاة فانت مكلف بأدائها على أي وضع كنت . فالحج والجهاد والصيام  
كلها مشروطة بالاستطاعة لكن الصلاة لا شرط فيها لأنها صلة المخلوق  
بخالقه فكيف تستطيع أن تقطع هذه الصلة ؟ والله تبارك وتعالى يقول :  
﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان﴾<sup>(٥)</sup> .  
وليس ثمة أحب إلى الله من وقوف شاب إلى الصلاة ، لإنه إذا وقف الشاب

(١) سورة الفرقان ؛ الآية : ٦٣ .

(٢) سورة المؤمنون ؛ الآية : ٣ .

(٣) سورة الفرقان ؛ الآية : ٧٢ .

(٤) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٤٥ .

(٥) سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٦ .

إلى الصلاة اسود وجه الشيطان . وقد جاء في الحديث القدسي : «أحبُّ  
الشيخَ المطيعَ وحبِّي للشابِّ المطيعِ أشدُّ» .

إن الشباب أيها الأخوة طاقة اجتماعية جبارة تختزنها الأمة لكي تغلب  
على مشاكلها ومصاعبها ، لذلك يجب أن نرحم شبابنا وصغارنا ، كما أنه  
على شبابنا أن يحترموا كبارهم ويوقروهم ، لا سيما الوالدان من آباء  
وأمهات : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إِمَّا يُلُغْنُ  
عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفَّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً  
كراماً \* واخفض لهما جناح الذلِّ من الرحمة وقلِّ ربَّ ارحمهما كما ربياني  
صغيراً﴾<sup>(١)</sup> .

هذا هو الفرق بيننا وبين الغرب أيها الأخوة ، ففي الوقت الذي يأمرنا  
إسلامنا بأن نعامل الوالدين هذه المعاملة الراقية نجد الأبناء في المجتمعات  
الغربية يرمون بالآباء والأمهات في دور العجزة حيث يصبحون في طيِّ  
النسيان . أما إسلامنا فيؤدبنا أفضل الأدب إذ يوصي الأب بابنه والابن بأبيه  
والزوج بزوجه والزوجة بزوجها والجار بجاره . . وهكذا لنحصل على تكافل  
إجتماعي متضامن يصل بنا إلى أن نصبح كالبنيان المرصوص .

### خلاصة القول في العقل :

ونخلص إلى القول أيها الإخوة ، إن العقل الذي قمنا على تربيته بناء  
على القواعد الإسلامية الكريمة ، يجب أن يتحرك في دائرة الإسلام ، بعيداً  
عن الفحشاء والمنكر ، وبعيداً عن السفه والطيش ، وبعيداً عن الإنانية  
والأثرة الضيقة . فالمسلم يتحرك بعقله من خلال المسلمين ومصالحهم ،  
ومن خلال الإسلام وأهدافه الكبرى في بناء مجتمع إسلامي حيث لا مكان  
لسيطرة الشهوات والغرائز والنوازع الشريرة . لذلك فإن العقل الذي يتحرك  
من خلال المكر والدهاء ليس بعقل ، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن عقل

(١) الإسراء : ٤ الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .

معاوية السدي مدحه الناس بأنه داهية ، فأجاب عليه السلام : «تلك هي الشيطنة» لأن العقل في مثل هذه الحالة يتحرك في دائرة الشيطان .

يروى عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال : رأيت أمي فاطمة ليلة الجمعة تصلي ، وعندما فرغت من صلاتها بدأت بالدعاء لجيرانها حتى طرّ عمود الصبح . فقلت لها : يا أماه ما رأيتك دعوت لنفسك ؟ قالت : بني حسن ، الجار ثم الدار . وأنتم تعلمون أيها الأخوة أننا في صلاة الليل نستغفر لأربعين من المؤمنين . ومن شروط قضاء الحوائج أن يدعو المؤمن لإخوته قبل نفسه ، فتلبي حاجته وحاجة من يدعو له . فأكرم به من مجتمع إسلامي يفكر فيه المؤمن من خلال أخيه . إنه مجتمع يقوم على الرحمة والتعاون : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾<sup>(١)</sup> ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾<sup>(٢)</sup> . . . . . ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾<sup>(٣)</sup> . . . . . ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾<sup>(٤)</sup> . . . . . ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾<sup>(٥)</sup> .

ومما جاء على لسان الزهراء عليها السلام عن الانقياد للشيطان ، من خطبة ألقتها في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم تخاطب فيها أولئك الذين استولوا على حق أهل البيت الضائع في الخلافة . قالت سلام الله عليها : « . . . فاطلع الشيطان رأسه من مفرزه هاتفاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحقين ، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً ، فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير موردكم ، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل ، والرسول لما يقبر . . . . . »<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٢ .

(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ١٠ .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٠٣ .

(٤) سورة الأنفال ؛ الآية : ٤٦ .

(٥) سورة إبراهيم ؛ الآية : ٢٧ .

(٦) الاحتجاج ج ١ ص ١٠١ .

إنها تشير في هذا المقطع من خطبتها إلى بعض المسائل . منها ، أن الشيطان عندما يدعو الإنسان إلى الحركة يستنهضه ليرى أخفيف العقل هو فيستسلم لجبائله أم ثقيله فيمتنع عليه لأنه مؤمن وبالتالي لا قدرة للشيطان عليه : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾<sup>(١)</sup> . ثم قالت : «وأحمشكم فألفاكم غضاباً» أي أغضبكم وأثار غيظكم فاستجبتم له غاضبين من أجله لا من أجل الله ، وقد سبقت الإشارة إن الغضب إذا لم يكن لله وللحق . فهو من خفة العقل . ونحن نعلم أن العاقل هو الذي يضع الشيء في موضعه . ثم تتابع عليه السلام فتقول : «فوسمتم غير إيلكم» لأنهم جاهلون ، والجاهل هو الذي يضع الأشياء في غير مواضعها . «ووردتم غير موردكم» أي شربتم من غير مشربكم ، فلماذا تعتدون على بشر غيركم . «هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لَمَّا يندمل والرسول لما يقبر» ، أي فعلتم فعلتكم هذه والرسول كان ما يزال على فراش الموت ، والجرح ما يزال طرياً لم يشف والجرح الذي أصابنا بموته واسع يستعصي على الشفاء . ومن أجل ذلك أشارت إلى الإمامة فقالت : «أيها الناس إن الله تبارك وتعالى جعل إمامتنا أماناً من الفرقة ، وطاعتنا نظاماً للملّة» .

فإذا عدنا إلى الآية الكريمة حيث تقول : ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾<sup>(٢)</sup> نجد أنها تشير إلى أن السفية ليس من حقه أن يتصرف بالمال ، لأنه لا يمكن أن يكون حاكماً على المسلمين ، لذلك قال الحسين عليه السلام عندما طلب إليه أن يبايع يزيداً : «إن مثلي لا يبايع مثله» . لأنه ليس حاكماً إسلامياً حسب ما تتطلبه الشريعة فالعاقل هو المسلم الذي يهتم بأمور المسلمين ، وكيف ليزيد أن يفعل ذلك وهو على هذه الحالة من السُّفَه والجهل والفسق والفجور ؟ .

والإمام علي عليه السلام يقول : «ما رأيت نعمة موفورة إلا وألى جانبها حق

(١) سورة الحجر ؛ الآية : ٤٢ ، وسورة الإسراء ؛ الآية : ٦٥ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٥ .



مضيق ، إن الله جعل أقوات الفقراء في أموال الأغنياء ، فما جاع فقير إلا بما مُتّع به غني» وهو بذلك يقرر أن الغني الذي لا يملك عقلاً بالمفهوم الذي يحدده الإسلام يكون وجوده مأساة في المجتمع ، فهو يتصرف بالملايين ، بل بالمليارات في الوقت الذي نجد أن ملايين الناس لا يملكون ثمن طعامهم لوجبة واحدة . فعلى الأغنياء أن يعلموا أن الله سبحانه قد أنعم عليهم بهذه الأموال ليرى كيف يتصرفون بها فهي ابتلاء واختبار لهم ، فإما أن ينجحوا في الامتحان من خلال الإنفاق في سبيل الله وإما أن يسقطوا ، وفي سقوطهم وبال عليهم ونقمة .

### مفهوم الخمس :

وهنا ، وفي معرض الكلام على الأغنياء وسوء تصرفهم بالمال أجدني مدفوعاً إلى توضيح مسألة الخمس في الإسلام وتحديد الموارد التي يجب فيها دفع الخمس . فقد جاء عن بعض المسلمين أن آية الخمس خاصة بالحرب . والآية تقول : ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾<sup>(١)</sup> .

إذن يربطون بين الخمس والغنيمة على أن الغنيمة لا تكون إلا في الحرب . مع أن الرسول ﷺ وضح أن المقصود بها الإفادة والربح اليومي ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الإسلام ليس دين حروب متواصلة حتى نربط بين الآية والحرب ، فهو دين سلام . والغنيمة من الغنم وهو الربح الذي تحصل عليه من تجارتك وكسبك ، فتحدد لنفسك رأس سنة فتدفع الفائض لديك بعد أن تكون خلال سنتك قد أنفقت على نفسك وأهلك . ثم إن ملايين الفقراء والمساكين والمحتاجين بحاجة ماسة إلى خمس هذه الملايين بل المليارات التي يملكها الأغنياء ، لا سيما أهل النفط منهم . وأين هم من علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان يوزع الذهب والفضة ثم يكنس بيت المال ، وبعد ذلك يصلي فيه ركعتين . وهو الذي

(١) سورة الأنفال ؛ الآية : ٤١ .

يقول : « ... لو شئت لاهتديت الطريق إلى مُصَفَّى هذا العسل ولُباب هذا القمح ... ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيُّر الأطعمة ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشعب . أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي وأكباد حرّي» ؟ أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داءً أن تبيت بيطنة      وحولك أكباد تحنُّ إلى القِدِّ (٢) .

أما الحسين وهو ابن أمير المؤمنين وثالث المعصومين ، فقد أخذ الدرس عن أبيه فاتقنه بذلاً وعطاءً وكرماً ، إذ كان يحمل الطعام إلى بيوت الفقراء والمحتاجين وعندما طرق بابَه سائل أعطاه أربعة آلاف دينار من وراء الباب حياةً منه وخجلاً حتى لا يرى ذلَّ السؤال على وجهه . فبكى الأعرابي السائل ، فسأله الحسين : لعلك استقلت العطاء يا أخا العرب ؟ قال : لا والله سيدي ، ولكني أبكي كيف يأكل التراب جودك يا ابن رسول الله .

إنها بعض الصور الرائعة في حياة أهل البيت نصفها برسم أولئك الأغنياء الذين يضنون ببعض مالهم فلا ينفقونه في سبيل الله في الوقت الذي نرى أموالهم مكدسة في خزائهم بالمليارات ، وغداً سوف ينقلون إلى قبورهم المظلمة وتبقى أموالهم حيث هي فتداولها أيدي الورثة وتبدها يميناً وشمالاً .

### قصر بني هاشم :

إن ليلة السابع من محرم مخصصة أيها الأخوة لأبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو الذي تلقى درس الإسلام البليغ من أبيه الإمام عليّ مع أخويه الحسن والحسين جنباً إلى جنب . يقول الصادق عليه السلام : «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة ، صلب الإيمان» . ويقول عنه الإمام زين العابدين عليه السلام : «إن عمنا العباس أبلى بلاءً حسناً . إن له منزلة

(٢) القِدِّ : السير يُقَدُّ من الجلد .

يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة» .

كان العباس فاضلاً تقياً ورعاً ، آثار السجود بين عينيه ، كما كان جميل الوجه حتى قيل فيه «قمر بني هاشم» . وكان إذا ركب الفرس تخط رجلاه الأرض . ويوم عاشوراء خاطب أهل الكوفة قائلاً : «هذا رحل رسول الله قد حلّ بين أظهركم فانظروا كيف تخلّفوه» . إن ليلة السابع من محرم مختصة بالعباس لأنه في اليوم السابع حمل على المشرعة ومعه ثلاثون فارساً تحت قيادته . فقال له عمرو بن الحجاج : يا عباس ما تذوق الماء ، والحسين لا يشرب أبداً . فقال له : ويلك يا ابن الحجاج ، أما تسمع أطفاله الصغار ينادون العطش العطش ؟ فقال : لا نعطي الحسين ولا أطفاله قطرة واحدة . فحمل أبو الفضل العباس على المشرعة فكشف القوم عنها ثم نزل إلى الماء واغترف منه بالقرب دون أن يشرب منه شيئاً . ثم جاء المخيم بالقرب ، فشرب الأطفال والنساء ، وبقي هذا الماء حتى ليلة التاسع من محرم حيث جفت القرب والأواني ، فبقي أهل البيت من دون ماء يوم التاسع وليلة العاشر ويوم عاشوراء . علماً أن المحرم صادف في تلك الأثناء شهر تموز حيث الحر الشديد الذي لا يُطاق .

إن الفارس أيها الأخوة عندما يسقط في الميدان عن ظهر جواده ، فهو يتلقى الأرض بيديه . أما أبو الفضل العباس عندما هوى إلى الأرض ما كان عنده يمين ولا شمال يتلقى بهما الأرض ، لذلك صاح : أخي أبا عبد الله سيدي . . عليك مني السلام يا ابن رسول الله . وعندما كان على هذه الحال تقدّم منه رجل من القوم فضربه بعمود على رأسه .

يقول حميد بن مسلم : عندما سمع الحسين ذلك الصوت يناديه خرج من المخيم . وعندما كان في طريقه ، يقول حميد : نظرت إليه ينحني ثم يحمل شيئاً من الأرض ويقبله فإذا به يأخذ كف العباس ، ثم وصل إليه فكشف القوم عن أخيه وجلس عند رأسه . وأنتم أيها الإخوة ليتكم تدرّون ما مدى علاقة الحسين بأخيه أبي الفضل .

إن أم العباس هي أم البنين ، واسمها فاطمة . أوقفت عشيرتها بالباب في ليلة زفافها لعلي بن أبي طالب وطلبت إليهم أن ينتظروا ، لأنها تريد أن تسأل الحسن والحسين إذا كانا يقبلان بها في بيتهما . فدخلت وقالت لهما : أنا لست قادمة لأكون بمكان أمكما الزهراء ، فهي سيدة نساء العالمين : لكنني أنا هنا لأكون خادمة لكما فهل تقبلان ذلك ؟ فقالا لها : أنت كريمة وعزيزة ، وهذا بيتك .

قلت لكم أيها الأخوة : إن هذه المرأة الفاضلة اسمها فاطمة ، لذلك طلبت إلى الإمام علي أن يناديها «بأم البنين» حفاظاً على مشاعر الحسن والحسين .

يروي العلامة الكبير السيد حيدر الحلبي بأنه وقف يسلم على العباس فقال : السلام عليك يا ابن فاطمة الزهراء ، ثم استدرك قائلاً : يا ابن أم البنين ورحمة الله وبركاته . يقول : رأيت الزهراء وأنا نائم في الليل تقول لي : لماذا كسرت بخاطر ولدي أبي الفضل العباس ؟ ويقول الصادق عليه السلام : الزهراء يوم الحشر تحمل كفين قطيعين وتقول : «أي رب ، أحكم بيني وبين من قطع هذين الكفين» .

لذلك كله ، جلس الحسين عند رأسه فأخذه في حجره . فأحس العباس برأسه يؤخذ فظن أن أحداً يريد ذبحه ، فناداه بصوت ضعيف : يا هذا أقسم عليك بمن تعبد إلا ما أمهلتني حتى يأتي إلي ابن والدي . فقال له الحسين : أخي أبا الفضل ، أنا أخوك . ثم أراد حمله إلى المخيم ، فقال له : سيدي أبا عبد الله لقد وعدت سكينه بالماء ، فلا تأخذني إلى المخيم واتركني هنا . . . وفاضت نفسه بين يدي الحسين عليه السلام . فعاد إلى الخيام مكسور الظهر باكياً ، فاستقبلته سكينه وسألته عن عمها أبي الفضل العباس . فقال لها : بنية سكينه ، عظم الله لك الأجر بعمك أبي الفضل . . .

إنا لله وإنا إليه راجعون  
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . . .

## نظرية الإمام علي في الجهاد(\*)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾<sup>(١)</sup> . وقال إمامنا ومولانا علي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام في خطبة الجهاد :

«أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته<sup>(٢)</sup> الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشملة البلاء ، وديث<sup>(٣)</sup> بالصغار<sup>(٤)</sup> والقماءة<sup>(٥)</sup> ، وضرب على قلبه بالأسداد ، وأدب<sup>(٦)</sup> الحق منه بتضييع الجهاد . . . ألا وإنني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزيت قوم قط في عقر دارهم إلا ذُلُّوا ، فتواكلتم وتخاذلتم<sup>(٧)</sup> حتى شنت عليكم الغارات ،

(\*) أُلقيت هذه المحاضرة في الليلة السابعة من المحرم سنة ١٤٠٥ هـ .

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٤١ .

(٢) الجنة بضم الجيم : الوقاية .

(٣) ديث : ذُلٌّ .

(٤) الصغار : الحقارة .

(٥) القماءة : الذل والصغار .

(٦) أدب الحق منه : أخذ منه لأنه ضيع الجهاد .

(٧) أي اتكل كل على الآخر ونخذل كل منكم صاحبه .

وَمَلَكَتْ عَلَيْكُمْ الْأُوطَانَ ؛ وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ<sup>(١)</sup> قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَانَ بْنَ حَسَانَ الْبَكْرِي<sup>(٢)</sup> ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا<sup>(٣)</sup> . وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْآخَرَى الْمَعَاهِدَةَ<sup>(٤)</sup> ، فَيَتَنَزَّعُ حِجْلَهَا<sup>(٥)</sup> وَقُلْبَهَا<sup>(٦)</sup> وَرِعَائِهَا<sup>(٧)</sup> وَقَلَائِدَهَا ، مَا تَمْتَنَعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ<sup>(٨)</sup> وَالِاسْتِرْحَامِ . ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ<sup>(٩)</sup> مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ<sup>(١٠)</sup> وَلَا أَرِيْقَ لَهُمْ دَمٌ ؛ وَلَوْ أَنَّ أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا . فَيَا عَجِبًا ، وَاللَّهِ ، يَمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ ، اجْتِمَاعُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ . فَجَبْحًا لَكُمْ وَتَرْحًا<sup>(١١)</sup> حِينَ صَرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى ؛ يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ وَتُغَزُّونَ وَلَا تُغَزُّونَ ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ . . . قَاتَلَكُمْ اللَّهُ ، لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا وَشَحْتَمَ صَدْرِي غَيْظًا ، وَجَرَعْتُمُونِي نَغْبًا<sup>(١٢)</sup> التَّهْمَامَ<sup>(١٣)</sup> أَنْفَاسًا<sup>(١٤)</sup> ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخِذْلَانِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قَرِيشٌ : «إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ» . لِلَّهِ أَبُوهُمْ ، وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدَّ لَهَا مَرَأَسًا ، وَأَقْدَمَ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي ؛ وَقَدْ

(١) سفيان بن عوف الغامدي قائد جيش معاوية .

(٢) هو عامل الإمام عليّ على الأنبار وهي بلدة على الشاطئ الشرقي من الفرات .

(٣) جمع : مسلحة وهي الثغر حيث يُخشَى دخول العدو .

(٤) المعاهدة : الذمّة من أهل الكتاب .

(٥) خلخالها .

(٦) السوار .

(٧) كالأقراط تعلق في الأذن .

(٨) قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٩) غانمون لم ينلهم ضرر .

(١٠) الكَلْمُ : الجرح .

(١١) الترح : الهم والفقير .

(١٢) النغب : جمع نغبة وهي الجرعة .

(١٣) التهمام : الهم .

(١٤) أنفاساً : جرعة بعد جرعة .

نهضت فيها وما بلغت العشرين . . . وها أنا ذا قد ذرفت على الستين . . .  
ولكن لا رأي لمن لا يُطاع» .

أجواء رائعة يعيشها الإنسان وهو يستمع إلى بطل الإنسانية والإسلام  
علي أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ، عندما يتحدث إلى رجاله ،  
بل إلى الأمة الإسلامية عن الجهاد في الإسلام وفي القرآن . وبما أن الليلة  
هي ليلة تاسوعاء وهي ليلة الحسين عليه السلام ، لذلك سنتناول هذا الموضوع .

## أنواع الجهاد :

إن الجهاد في القرآن وفي الإسلام على ثلاثة أنواع :

١ - الجهاد ضد العدو الخارجي ، كجهادنا ضد اليهود في إسرائيل .

٢ - الجهاد في وجه البغاة والظلمة على الجبهة الداخلية ، كجهاد الإمام  
علي ضد الناكثين والقاسطين والمارقين وهم على التوالي أصحاب  
الجمل ، وأهل صفين ، وأهل النهروان .

٣ - الجهاد ضد النفس .

## المسلمون تكفروا للجهاد بأنواعه الثلاثة :

وبكل صراحة نقول : إن المسلمين تركوا هذه الأنواع من الجهاد ،  
فلا جهاد ضد العدو الكافر ، ولا جهاد ضد البغاة ، ولا جهاد مع النفس .  
فقد عجزوا حتى عن أن يجاهدوا أنفسهم وبالتالي ليست هناك أي تربية  
إسلامية .

وقبل أن أدخل معكم في صلب الموضوع أحب أن أشير إلى هذه  
الواقعة ؛ لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأُصْلِحُوا  
بَيْنَهُمَا . فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى  
أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (١) .

(١) سورة الحجرات ؛ الآية : ٩ .

كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود جالساً . فقال : يا رسول الله ماذا تعني هذه الآية المباركة ؟ قال رسول الله : إن معنى هذه الآية هو أنني أقاتل على التنزيل ، وإن منكم من يقاتل على التأويل من بعدي . فقال ابن مسعود : من هو الذي يقاتل على التأويل ؟ . قال : خاصف النعل ، وأشار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان يخصف نعله أي يصلحها ويرقعها . ولست في حاجة إلى القول : إن هذا الحديث قد ورد في صحاح المسلمين . وبالفعل ، هذا ما حدث بعد ذلك ، إذ قاتل الإمام علي الناكثين والقاسطين والمارقين .

### النوع الأول : الجهاد ضد العدو الكافر :

عندما كان المسلمون في صدر الإسلام ملتزمين بجهادهم ضد عدوهم كانوا سادة أعزاء ، ولكنهم أصبحوا أذلاء مشتتين عندما تنكروا للجهاد وقبلوا أن يعيشوا حياة الذل والخنوع . مع أن الإسلام يؤكد مسألة الجهاد في القرآن الكريم تأكيداً جازماً شاملاً ، فلو أحصيت آيات الجهاد في القرآن لوجدت أنها تربو على آيات الصوم والصلاة والزكاة والعبادات الأخرى ، إذ يكفي أن تدقق النظر في سورة التوبة فقط لتجد فيها مصداق ما أقول . ولو أن المسلمين اليوم عملوا بموجب القرآن الكريم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم جميعاً لما كان ثمة يهود في فلسطين ولما كانت هناك دولة إسرائيل .

### منزلة الشهادة والشهيد :

يقول الرسول الكريم : «فوق كل ذي برٍّ برٌّ حتى يُقتل المرء في سبيل الله ، فليس فوقه برٌّ» . وعندما سئل الرسول عن تفسير وتوضيح هذا الحديث أجاب : «إذا سقط الشهيد يسقط بحجر حوراء ، يفتح عينيه والحوراء الحسناء تحتضنه» . فقيل له : يا رسول الله ، ألا يمرّ بفتنة القبر ؟ قال : «كفته البارقة فوق رأسه» . أي أن السيوف التي برقت فوق رأسه كفته فتنة القبر «فالجنة تحت ظلال السيوف» حتى «أن الغزاة خيولهم إلى الجنة» .



ويقول الرسول ﷺ : «إذا تجهز الغزاة كتب الله لهم براءة من النار ، فإذا ركبوا باهى الله سبحانه وتعالى بهم الملائكة يقول : يا ملائكتي ، انظروا هؤلاء عبادي ، فإذا خرجوا من ديارهم وودّعهم الأهل والأقرباء بكى عليهم الشيطان والبيوت وخرجوا من ذنوبهم كما تخرج الحية من سلخها» .

وإليكم أيها المؤمنون قصة «حنظلة غسيل الملائكة» . إنه شاب دخل على زوجته ليلة الزفاف ، وفي الصباح الباكر إذا به يسمع صوت المنادي وهو يدعو إلى الجهاد . فنهض حنظلة بسرعة وارتدى ملابسه . فتعلقت به زوجته الشابة فقد كانت دون العشرين . قالت : إلى أين ؟ قال : أما تسمعين نداء المسلمين ؟ نداء رسول الله ؟ قالت : يا حنظلة لا تفجعني بنفسك . قال : تنحي عني فلا بد من الخروج مع رسول الله . وعندما أصبح حنظلة خارج البيت خرجت زوجته في إثره وقالت : أيها الناس إن حنظلة قرب مني كما يقرب الزوج من زوجته لأنها تريد أن تحفظ نفسها من السنة السوء عندما تضع طفلها . إلتحق حنظلة بالرسول ﷺ وشاء له ربّه أن يقتل يوم أُحد ، فقال رسول الله : رأيت الملائكة تقوم بتغسيل حنظلة ، والشهيد لا يغسل ولا يكفن ، أما حنظلة فقد غسلته الملائكة لأنه خرج من بيته مسرعاً من غير أن يغتسل بعد أن لامس زوجته ، لعدم توفر الوقت الكافي . ولهذا كان لقبه «غسيل الملائكة» .

### توضيح :

ثمة مبدأ إسلامي ، مفاده : إذا اعترض الأبوان أو أحدهما على خروج ولديهما إلى القتال ، فعلى الولد أن يمثل لإرادتهما ويسقط عنه ذلك . وهذا المبدأ يصح في حالة الجهاد الثانوي وليس الابتدائي ؛ بمعنى أنه لو كان الإسلام في خطر وكان يترتب على عدم خروجه هزيمة جيش المسلمين فإنه عليه أن يخرج إلى القتال برغم معارضة الأبوين . ومع ذلك فنحن لا نجد في التاريخ الإسلامي من منع ولده عن فريضة الجهاد . إذ يروي جابر بن عبد الله الأنصاري أن شاباً أقبل على النبي ﷺ وقال له : أريد الجهاد . قال : بارك الله فيك . . كن مع الجنود . قال : يا رسول

الله ، لكن لي أبوين طاعنين في السن يزعمان أنهما يأنسان بي . فماذا أفعل ؟ قال : « بني ، عُد إليهما ، فوالذي بعثني بالحق لأنسهما بك يوماً وليلة أفضل من جهاد سنة كاملة» . وعندما عاد هذا الشاب إلى بيته وعلم أبوه بما حدث ، جاء به إلى الرسول ﷺ وأذن له بالجهاد .

ويُروى أيضاً أن شاباً من المهاجرين أقبل على رسول الله . قال : أنا أريد الجهاد . قال : أخرج إلى الجهاد . قال : ولكني تركت أمي في البيت تبكي . قال الرسول : بني عُد إليها . . فوالذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ، لأنسها بك ليلة واحدة أفضل عند الله من جهاد سنة كاملة . وعندما رجع الشاب ، سألته أمه : رجعت ؟ ثم إنها أخذت عضدٍ ولدها وجاءت به رسول الله . فقالت : يا رسول الله ، أنا راضية . فهذا ولدي بيض وجهي عندك وعند الله سبحانه وتعالى ، فدعه يذهب إلى الجهاد .

### العبرة من يوم أحد :

إن معظم الحروب والوقائع والأيام التي خاضها الرسول ﷺ ، كانت حروباً دفاعية ، يصحبه أولئك المسلمون الذين امتلأت قلوبهم إيماناً بالعقيدة والجهاد من أجلها ، وفي مقدمة هؤلاء المجاهدين علي بن أبي طالب الذي لعب سيفه دوراً هاماً ورئيسياً في رجحان كفة المسلمين وبالتالي انتصاراتهم الرائعة . وقد قال النبي ﷺ : « ما قام الإسلام إلا بثلاث : سيف علي ، ومنعة أبي طالب ، وأموال خديجة » .

ويوم أحد هو يوم بارز بين تلك الأيام لأنه كان درساً قاسياً للمسلمين دفعوا في أثناءه ثمناً باهظاً نتيجة لمخالفتهم الرسول ﷺ لقد كانت هناك هزيمة في هذا اليوم ، والأولى أن نطلق عليها محنة بدلاً من هزيمة . فقد خالف الرماة أوامر الرسول ﷺ حيث أمرهم ، وعددهم خمسون ، أن يحموا ظهور المسلمين في ذلك الجبل وطلب إليهم ألا يتركوا مكانهم مهما حدث سواء كانت هناك هزيمة أو نصر . ولكنهم ما إن رأوا المسلمين يحرزون النصر ، وشاهدوا المشركين ينهزمون حتى تركوا أماكنهم طمعاً

بالغنائم ، فقد خافوا أن يفوتهم منها شيء . فانتهازها خالد بن الوليد فرصة ثمينة ، وكان خالد يومئذٍ ما يزال في صف المشركين ، فأتى المسلمين من وراء الجبل وكانت تلك المحنة المفجعة .

وفي الواقع لم يكن ثمة هزيمة لأن أسيراً واحداً من المسلمين لم يقع في أيدي المشركين ، وأبو سفيان جمع جيشه وعاد إلى مكة هارباً في نهاية المعركة . والذي حدث بعد التفاف خالد على المسلمين هو أن الرسول ﷺ جمع ما تبقى له من جيشه المشخن بالجراح وأمرهم أن يوقدوا النيران في الليل فالتهبت المنطقة بالنيران ، ولما رأى أبو سفيان ذلك المشهد ظن أن الرسول قد جاء المدد من المدينة ففرّ عائداً إلى مكة .

### مواقف جهادية :

إن حروب الرسول ضد الكفار كان عنوانها المحبة والرّحمة والسلام ، فالإسلام لا يعتقد بالعنف أصلاً . يقول الرسول : «إذا غزوتم فلا تقطعوا شجراً ولا تردموا آبار الماء ، ولا تلحقوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة» .

وبعض المسلمين ممن كان يشترك في الجهاد كانوا يمتلكون الرواحل ، أما القسم الأكبر فقد كانوا يأتون الرسول طالبين إليه أن يؤمن لهم مثل تلك الرواحل فيتأثر الرسول ﷺ لأنه غير قادرٍ على تأمين ما يطلبون . يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله﴾<sup>(١)</sup> . . . ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه ، تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾<sup>(٢)</sup> . ما أروع هؤلاء المجاهدين ، فهم يبكون لأنهم لا يجدون ما ينفقونه ولأنهم حرّموا نعمة الجهاد . ومنهم عمرو بن الجموح وقد كان

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٩١ .

(٢) سورة التوبة ؛ الآية : ٩٢ .

أعرج . خرج أولاده الخمسة إلى الجهاد فتعلق بهم فمنعوه . فجاء الرسول ﷺ وقال له : يا رسول الله أولادي منعوني الخروج . قال له الرسول ﷺ : يا عمرو قد سقط عنك التكليف فأنت رجل معذور . قال : يا رسول الله ولكنني أريد أن أظأ «بعرجتي» هذه الجنة فتمنعي أنت ؟ فلم يجد النبي ﷺ بداً من أن يأذن له .

وبعد أربعين سنة من هذه الواقعة وفي أيام معاوية ، نادى المنادي في المدينة أن برئت الذمة ممن لم يخرج إلى قبر شهيدته في أحد فينبشه . ولما حفروا قبر عمرو بن الجموح أخرجوا جسده فوجدوه غصاً طرياً كأنما دفنه كان منذ ساعة ، احمرار في اللون وريح كأنه المسك .

هذا هو النوع الأول من الجهاد ضد العدو الخارجي الذي تركه المسلمون فعاشوا في ذل وخنوع ، ولو أنهم مارسوا هذه الفريضة التي تعتبر ركناً من أركان الإسلام لكانت راية الإسلام ترفرف عالية فوق كل الربع شرقاً وغرباً ولكانت العزة والكرامة عنواناً لهم .

### النوع الثاني من الجهاد : ضد البغاة والظلمة في الداخل :

إذا كان المسلمون مكلفين بقتال عدوهم الخارجي لكي يعملوا على نشر الإسلام وإعلاء كلمته ، فهم مكلفون أيضاً بقتال عدو الداخل الذي يرتد عن الإسلام ويعمل على تقويض أركانه ويزرع الفتنة بين المسلمين . وهذا العدو هو أبعد خطراً من عدو الخارج ، لأن هذا الأخير أسفر عن عداوته فهو معروف ومشهور . أما عدو الداخل فهو يخدع الناس لأنه يدعي الإسلام والعمل من أجله .

وعدو الداخل في عهد الإمام عليّ ؑ كان يتمثل في الناكثين والقاسطين والمارقين ، وقد حاربهم الإمام وجاهدهم جميعهم ومن بعده الإمام الحسن فالإمام الحسين . فما الذي حدث ؟

### بيعة عليّ :

بعد مقتل عثمان بن عفان ، اجتمع الناس ، جميع الناس على بيعته :

أهل الشورى وأهل بدر وأهل الحل والعقد . رفض الإمام في بداية الأمر فألحوا عليه . يقول الإمام في ذلك :

«فما نظرت إلّا والناس من حولي كربيضة الغنم ، حتى وُطِئَ الحسنان وشقَّ عطفاي . . . » وكان ذلك لشدة ازدحامهم عليه فالوقت كان وقت حج وقد اجتمع الناس من كل الأقطار وفيهم المهاجرون والأنصار باستثناء عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وحسان بن ثابت . إن عبد الله بن عمر الذي وقف على الحياد ولم يبايع الإمام عليّاً نستغرب موقفه عندما ذهب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي السفاح في الكوفة . التفت الحجاج إلى ابن عمر وسأله : ما عندك ؟ قال : جئت إليك مبايعاً لأنني سمعت رسول الله يقول : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» . فقال الحجاج ساخراً : عندما تنكرت من ذي قبل لعلي بن أبي طالب ألم تكن حافظاً لهذا الحديث ؟ وفي تلك الأثناء كان الحجاج متكئاً على فراشه فمدّ رجله إلى عبد الله بن عمر قائلاً : هذه قدمي فبايعني بها .

ومهما يكن فلندع جانباً هؤلاء القلة الضعفاء إذ لم يكن لهم أي وزن في هذه المسألة . ولندع جانباً أيضاً أن الإمام قد نزلت فيه الآيات وقيلت الأحاديث الشريفة تأكيداً لحقه في قيادة المسلمين وإمامتهم . فالمسلمون «رسمياً وشعبياً» اجتمعوا على بيعته . وبهذا تكون له بيعتان واحدة قديمة والثانية راهنة واقعة . وهو الآن خليفة المسلمين وإمامهم . فما الذي حدث ؟ .

### جبهة المعارضة : أولاً : الناكثون :

في هذه الأثناء وبعد أن تمت البيعة «الشعبية» و«الرسمية» و«الشرعية» للإمام خليفةً على المسلمين ، كانت أم المؤمنين عائشة تتابع الأحداث في مكة وتتنسم الأخبار . سألت : ماذا صنّع بعثمان ؟ قيل لها : قُتِل . قالت : أراحنا الله منه . من تولى الأمر ؟ قالوا : علي بن أبي طالب . فصفقت يداً بيد وقالت : ليت هذه أطبقت على هذه (أي السماء على الأرض) ولم

يحدث هذا الأمر . والله إن عثمان قُتل مظلوماً ولأطالبن بدمه . أنا أيها الأُحبة لم أعلم في التاريخ كله من وقف موقفين متناقضين في لحظة واحدة وقضية واحدة . فأم المؤمنين إذ تقول : «أرحنا الله منه» فهي تقول فوراً «قتل عثمان مظلوماً» . وبقية التعليق والتفكير أتركها لكم . حينئذٍ عادت عائشة إلى مكة التي كانت قد توجهت منها إلى المدينة ، وبدأت خيوط المؤامرة تُحاك في حرم بيت الله الحرام الذي وُلد فيه علي بن أبي طالب .

انتخب الرجل خليفة للمسلمين . وفي الوقت الذي كان عليه أن ينهض بأعباء الأمة الإسلامية ويدير شؤونها وينظم أمورها ويصلح ما فسد من أمور المسلمين أثناء خلافة عثمان ، في هذا الوقت الحرج بدأت المؤامرة واشعلت الفتنة انطلاقاً من مكة ، ومن بدأها ؟ إنها أم المؤمنين عائشة .

منذ اللحظة الأولى التي تسلم فيها الإمام زمام الأمور اتخذ القرار الأول : إن كل العمال والولاة الذين استعملهم عثمان بن عفان في أقصى البلاد ، شرقاً وغرباً ، يجب أن يتركوا مناصبهم فوراً ويعتزلوا . لقد عزلهم جميعاً وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص . لماذا ؟ لأنهم استغلوا الناس وأكلوا الأموال وبنوا القصور واصبحوا أثرياء وجعلوا عباد الله خولاً ولم يراعوا للإسلام حرمة ، أحلوا الحرام ، وحرّموا الحلال ، وعاثوا في الأرض فساداً وإفساداً . والإمام عليّ عليه السلام ليس بالرجل الذي يسوس الرعية بهذه الحفنة من المرتزقة لأنهم عاجزون عن أن يحقوا حقاً ويقيموا عدلاً . من أجل ذلك كان القرار الأول بل «البلاغ رقم واحد» . يقول عليه السلام : «كل هؤلاء يجب أن أقصيهم ، وكل القطائع التي أقطعها عثمان بن عفان سأستردها ، حتى لو وجدت المال قد تزوّج به الإماء . . .» .

جاءه طلحة والزبير وكانا قد بايعاه ، وأشار عليه أن يجعل طلحة علي البصرة والزبير على الكوفة . رفض الإمام هذه المساومة الرخيصة وقال لهما : «إن الأموال التي تحت أيديكم ليست أموالكم ، بل هي أموال الفقراء والمحرومين ، ويجب أن أعيدها لهم . . .» ونزل عليهما كلامه كالصاعقة . هما يساومان وقد منى كل منهما نفسه الامنيات ، فإذا بهما

يجدان أحلامهما قد تبخرت فندما على مبايعة الإمام عليّ عليه السلام .

أما عائشة فقد كانت ترى أن الخلافة يجب أن تكون لطلحة فهو من «تيم»<sup>(١)</sup> وكانت تقول : «إيه صاحب الإصبع . . . لو تولأها» (أي الخلافة) وقصة «الإصبع مشهورة» فقد قطعت أصبع طلحة في إحدى حروب المسلمين مع رسول الله ، فكان طلحة كلما تحدث في مجلس أبرز أصبعه المقطوعة لكي يراها الناس .

وعندما وجد كل من طلحة والزبير أن الإمام علياً سوف يقيم الناس جميعاً على المحجة البيضاء صمما على نكث هذه البيعة ، فاحتالا على الإمام أن يسمح لهما بالذهاب إلى مكة بحجة أنهما يريدان العمرة . فقال لهما : لا تريدان العمرة بل تريدان الغدرة . ومع ذلك تركهما يذهبان .

ومن جهة أخرى فقد جاء المغيرة بن شعبة ودخل على الإمام يزعم أنه يقدم النصيحة . قال الإمام : ما عندك ؟ فأشار عليه أن يترك معاوية على الشام وأن يجعل طلحة على البصرة والزبير على الكوفة . فيقول الإمام : «أتريدوني أن أطلب الحق بالجور» ؟ .

وفي هذه الأثناء أيضاً تحركت جبهة الشر في الشام فأرسل معاوية جيشاً على رأسه سفيان الغامدي فأغار على الأنبار وقتل واليها من قبل الإمام ، حساناً البكري وقتل ونهب وسلب وفعل الأفاعيل . كل ذلك من أجل إرهاب علي بن أبي طالب .

وعلى الكوفة كان أبو موسى الأشعري الذي أبقاه الإمام والياً عليها بعد أن أرسل إليه عمار بن ياسر وتمت المفاهمة على ذلك . أما بقية العمال على البصرة واليمن والمناطق الأخرى فقد راح كل واحد منهم يفرغ بيت المال ويأتي بالأموال إلى مكة التي تمركزت فيها جبهة المعارضة الناشئة .

---

(١) تيم : فرع من قريش ، ومنه أبو بكر والد عائشة .

فتجمعت في مكة العدة والعدد من أموال وخيول وأسلحة وأنعام .

التحق طلحة والزبير بعائشة في مكة وأقنعاها بالخروج إلى البصرة ، وهي ليست بحاجة إلى الإقناع ، وحثتهم في ذلك المحافظة على الإسلام ووحدة المسلمين وطلب الإصلاح ، وكان علي بن أبي طالب هو سبب هذه الفرقة والفساد .

في طريقهم إلى البصرة مروا بماءٍ فراح كلاب ذلك المكان تنبحهم . فقال أحدهم : قاتل الله «الْحَوَّابَ» ما أكثر كلابها . فأرهفت عائشة السمع إليه وقالت متسائلةً : ماذا ؟ الحوَّاب ؟ والله ما أراني إلا راجعة إلى بيتي . فاستغرب كل من طلحة والزبير موقفها وهي تقول : ردوني ، ردوني . سألتها طلحة : لماذا يا أم المؤمنين ؟ قالت : كان رسول الله يتوضأ وأنا مع ثلثة من نسائه . فقال : أيتكَّن صاحبة الجمل الأذنب ، تنبَحها كلاب الحوَّاب ؟ فتزل على الصراط يوم تخفَّ عليه الأقدام . فقال لها طلحة : هذا ليس ماء الحوَّاب . وجيء لها بأربعين رجلاً يشهدون أن هذا الماء ليس ماء الحوَّاب ، وكانت أول شهادة زور في الإسلام .

فسارت معهم حتى دخلوا البصرة التي كان عليها عثمان بن حنيف من قبل الإمام علي ، فبقي في بيته ينتظر أوامر أمير المؤمنين . وكانوا عندما دخلوا بجيشهم البصرة قتلوا في أول ليلة ستمائة رجل .

دخلوا المسجد وكان الوقت وقت صلاة الصبح ، فتنازع طلحة والزبير من منهما يصلي بالناس ودام النزاع حتى أشرقت الشمس فلم يصل القوم . هؤلاء هم الذين كانوا يدعون الإسلام ويزعمون أنهم خرجوا من أجل وحدة المسلمين ومن أجل الإصلاح .

بعد ذلك هاجموا عثمان بن حنيف في داره وضربوه ضرباً مبرحاً وحلقوا شعر رأسه وحاجبيه ولحيته وعذبوه عذاباً مريعاً ثم أرادوا قتله . فقال بعضهم : إذا قتلتموه فإن أخاه بالمدينة ينكُلُ بعوائلنا ، فتركوه وأطلقوا سراحه .



سار الإمام علي بجيشه من المدينة إلى البصرة فدخلها . وهنا سنعزف عن التفاصيل الصغيرة ، فهي كلها تؤكد ذلك التلازم الرائع بين عليّ والإسلام ، فهو في كل ما يتحرك من خلاله يثبت باستمرار أنه المحافظ على الإسلام ، الذائد عنه .

ومهما يكن من أمر فقد اشتبك الجيشان وانتهت تلك الحرب المفروضة على عليّ بن أبي طالب بمقتل طلحة والزبير «المبشرين بالجنة» على حد تعبير من زعم ذلك ، وعقر الجمل وسقط الهودج بمن فيه فأخذ عائشة وأمن لها ما تريد وحمى بسببها كل من دخل «بيتها» كمروان بن الحكم وآل ابن أبي معيط وغيرهم . ثم أمن الحراسة لعائشة فأرسل معها إلى المدينة عشرين نفرأ يتولون حراستها وهي تقول : فضحني عليّ بن أبي طالب . ولما وصلت المدينة فوجئت بأن الحراس العشرين ما هم إلا نساء تنكرن بلباس الرجال . وتجدر الإشارة أن الإمام في هذه الحرب لم يلحق فارقاً ولم يجهز علي جريح وأطلق سراحهم جميعاً وعفا عنهم قائلاً : «عفوت عن أهل البصرة كما عفا رسول الله عن أهل مكة» . أما في حرب صفين فهو لم يطبق هذه القواعد . يقول الإمام الرضا سلام الله عليه : «لأن أصحاب الجمل لا قائد لهم» . . فقد قتل طلحة والزبير وسقط جمل عائشة . بعكس أهل صفين فقائدهم معاوية من نجا يعود إليه فيرسله إلى القتال مجدداً .

## ثانياً : القاسطون :

بعد أن انتهت حرب الجمل إلى النتائج التي أصبحت معروفة جهز معاوية جيشاً جراراً يربو على مئة ألف لقتال علي بن أبي طالب . والتقت الفرقتان في صفين وكادت الهزيمة تلحق بجيش معاوية ، فرفعت المصاحف على الرماح بناء على اقتراح الداهية عمرو بن العاص الذي أنجد معاوية بهذه الخدعة فأنقذته . وارتفعت الأصوات «لا حكم إلا لله» بعد ثلاث سنوات من الحرب المدمرة . وقف الخوارج يرددون هذه الصيحة .

وحذرهم الإمام إنها «كلمة حق يُراد بها باطل» ولكن صيخته كانت في وادٍ وهم في وادٍ . وإذا كان الأمر هكذا «لا حكم إلا لله» فمن الذي يطبق الحكم . وأصر الخوارج على رأيهم ومزقوا جيش الإمام وشقوا صفوفه وأحاطوا بالإمام الذي أرسل بأوامره إلى مالك الأشتر أن يتوقف عن القتال ويأتي إليه سريعاً . ومالك كان في تلك اللحظات يوشك أن يطبق على القوم وينتهي من أهل الشام . لكن الأوامر كانت صريحة . وانتهى الأمر بما يسمى في التاريخ «قضية التحكيم» .

### التحكيم :

اختار معاوية عمرو بن العاص مثلاً له ، وأجبر الإمام عليّ على اختيار أبي موسى الأشعري . وشتان ما بين الحكّمين . فعمرو بن العاص داهية ومخلص لمعاوية ، أما أبو موسى فقد كان على درجة من البساطة والسذاجة تنظلي عليه الحيل والمراوغة ، فضلاً عن أنه لم يكن ذلك الرجل الذي يحمل قضية عليّ بن أبي طالب بالإخلاص المطلوب والصفاء المفروض .

اجتمع الحكمان واتفقا على أن يخلعا كلاً من الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان وذلك بعد مفاوضات طويلة تفوق فيها عمرو بدهائه على بساطة أبي موسى . وعندما أراد إعلان ذلك على الملأ طلب الداهية ابن العاص من أبي موسى أن يصعد المنبر أولاً بحجة أنه أكبر منه سناً وأعظم قدراً . صعد أبو موسى المنبر وخلع علياً من الخلافة فتلاه عمرو فأعلن أنه يثبّ صاحبه . وكانت ملاسنة بين الحكّمين وسباب وشتائم ولا سيما أن أبا موسى قد أدرك وبعد فوات الأوان أن عمرو بن العاص قد خدعه وراوغه . وهكذا انتهت قضية التحكيم بهذه المهزلة التي رفضها علي بن أبي طالب <sup>عليه السلام</sup> . وبالتالي رفض نتائجها وما ترتب عليها .

### ثالثاً : المارقون :

بعد أن انتهت واقعة التحكيم ورفض الإمام نتائجها خرجت عليه

جماعة من رجاله أطلق عليهم «الخوارج» وهم الذين نعينهم بكلمة «المارقين»، ثم تكاثروا حتى بلغ عددهم تسعة آلاف . والغريب في الأمر أن هؤلاء الخوارج قد أصبحت لهم اجتهادات في القرآن والتشريع لا تقوم على أساس من دين أو عقل أو منطق . يروى أنهم أي الخوارج صادفوا جماعة من المؤمنين على ضفة الفرات مع نسائهم وأطفالهم . فأوقفوهم وسألوهم : ما تقولون في علي بن أبي طالب ؟ قالوا : إنه عبد صالح مؤمن . فحكموا عليهم بالكفر وأوجبوا قتلهم كما كفروا بالإمام من ذي قبل ، والعياذ بالله . فذبحوهم على نهر الفرات وبقروا بطون الحوامل وقتلوا حتى الأطفال بحجة أنهم سوف يكونون على دين آبائهم . واحتجوا لذلك بالقرآن الكريم : ﴿وقال نوحُ ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾<sup>(١)</sup> .

هؤلاء الذين ارتكبوا هذه المجزرة الرهيبة ، يلومون رجلاً منهم لأنه التقط ثمرة قد سقطت من شجرة نخيل فأراد أن يأكلها ، بحجة أنهم يحافظون على أموال المسلمين ، فتأمل هذا التناقض العجيب . لقد عبثوا بالإسلام على هواهم دون أن يكون لهم أي معرفة حقيقية بالدين علماً أنهم كانوا يكثرون من الصلاة في الليل وآثار السجود على جباههم وسمّوا أنفسهم «بالشُّراة» أي الذين باعوا أنفسهم لله . وفي الحقيقة باعوا أنفسهم للشيطان .

لقد أُبتليَ بهم أمير المؤمنين ، فجمع أصحابه وأمرهم أن يحملوا على أهل النهروان (أي الخوارج) وقال عليه السلام : «فوالله أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يُقتل منكم أكثر من تسعة ولا ينجو منهم أكثر من تسعة» . وحملوا عليهم وانتصروا عليهم فلم ينجُ منهم إلا تسعة كما أنبأهم بذلك .

### النوع الثالث من الجهاد : جهاد النفس :

إن هذا النوع من الجهاد «هو أعظم الجهاد» ، فقد روي أن

(١) سورة نوح ؛ الآية : ٢٦ .

المسلمين المجاهدين عندما عادوا إلى المدينة من إحدى حروبهم الجهادية ، استقبلهم الرسول ﷺ وقال : مرحباً بمن عاد من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . فقال له جابر بن عبد الله : يا رسول الله ، وأي جهاد أكبر من هذا القتال ؟ فقال ﷺ : الجهاد الأكبر هو جهاد النفس . وفي هذا المجال ، يُروى عن الإمام الصادق أنه قال : «إن الله تبارك وتعالى خلق الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وخلق البهائم شهوة بلا عقل ، وخلق بني آدم عقلاً وشهوة . فمن غلب عقله شهوته كان خيراً من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله كان شراً من البهائم» .

إذن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس أي أن تقف بعقلك في وجه شهوتك وغرائذك لتكون جديراً بهذا العقل الذي وهبك الله إياه . فقد ورد في حديث قدسي ، أن الله سبحانه عندما خلق العقل قال له : أقبِلْ فَأَقْبَلْ ، ثم قال له : أَدْبِرْ فَأَدْبِرْ . فقال تعالى : وعزتي وجلالي ما خلقت مخلوقاً أحب إليّ منك وما وضعتك إلا عند أحب خلقي إليّ .

وعندما خلق الحُمقَ ، قال له : أقبِلْ فَأَدْبِرْ ، ثم قال : أَدْبِرْ فَأَقْبَلْ . فقال تعالى : وعزتي وجلالي ما خلقت مخلوقاً أبغض إليّ منك وما وضعتك إلا عند أبغض خلقي إليّ .

ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : ميدانكم الأول أنفسكم فجرّبوا الجهاد معها أولاً ، إذا انتصرت على نفسك فأنت على غيرها أقدر .

لقد وهب الله الإنسان قدرة هائلة مكنته من السيطرة على الطبيعة التي سخرها لنفسه وجعلها رهن عقله وقدراته . استخدم الخشب في البحر وطوره حتى صنع البواخر العملاقة تشق عباب الماء . يبدأ ماشياً على قدميه ثم يرتاد الفضاء ويتخطى الكواكب فيبعث رسائله إلى المريخ وغيره . إن هذه القدرة الجبارة لا قيمة لها إذا كان الإنسان عاجزاً عن السيطرة على نفسه . فالرسول الأعظم يقول : «الشديد من غلب هواه» . إن الإنسان يمتلك مزيجاً غريباً من العواطف كالغضب والانفعال والهيجان ، ومن الغرائز

والشهوات ؛ فإذا استطاع أن يسيطر عليها جميعاً استحق ساعتئذٍ صفة إنسان .

إن هذا الإنسان عليه أن يسيطر على كل انفعالاته وصولاً إلى نفس هادئة مطمئنة لا يحركها غضب ولا يغلبها انفعال ولا تجرّها شهوة ولا ترغمها نزوة لأنه أرقى المخلوقات جميعاً ، وعليه أن يثبت هذا الرقيّ من خلال سيطرته على هذه النفس الأمارة بالسوء . كيف ؟ وهنا يلعب الإيمان دوره ، فيمارس العبادات ، ومن هذه العبادات : فريضة التأمل والتفكير . يقول الإمام الرضا سلام الله عليه : «ليست العبادة بكثرة الصلاة والصيام ، وإنما العبادة التفكير في أمر الله سبحانه وتعالى» . وكلمة «كثرة» التي وردت في قول الرضا عليه السلام تدل على أن المقصود بالعبادة هنا هي المستحبة لا الواجبة . لأن الواجبة لا كثرة فيها فهي خمس فرائض فقط في الصلاة . و«الفكر» من الأمور الهامة التي يركز عليها الإسلام .

### وظائف الجوارح :

إن كل جارحة من جوارح الإنسان أي كل عضو من أعضائه له وظيفة خاصة . وجهاد النفس هو أن تسيطر على هذه الجوارح وتبقيها في حيز وظيفتها التي خلقت لها .

#### ( أ ) وظيفة القلب :

أولى هذه الجوارح القلب ، ووظيفته الاطمئنان الكامل ، والتسليم الكامل بل الرضا الكامل بقضاء الله وقدره . يقول تبارك وتعالى : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾<sup>(١)</sup> وإلاً فإن القلب سوف يصاب بمرض . ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾<sup>(٢)</sup> . والمرض المشار إليه هنا ليس مرضاً مادياً جسدياً ، بل هو مرض معنوي ينقل صاحبه من حالة الإيمان إلى حالة الكفر والنفاق والفسوق ، ومن هنا يكون الانحراف عن جادة الحق والصواب .

(١) سورة الرعد ؛ الآية : ٢٨ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ١٠ .

## (ب) وظيفة اللسان :

واللسان له وظيفته : ﴿وقولوا للناس حسناً﴾<sup>(١)</sup> . ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم﴾<sup>(٢)</sup> . . . ﴿وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾<sup>(٣)</sup> . . . ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾<sup>(٤)</sup> .

إن وظيفة اللسان تأتي في المرتبة بعد القلب والعلاقة بينهما مباشرة . لأن اللسان هو ترجمان القلب ورهن إشارته . فإذا كان القلب طاهراً كان اللسان كذلك ، والعكس صحيح . إن اللسان يستمد طاقته من القلب كما يستمد الجسم طاقته من الطعام . فاللقمة من الطعام تتحول إلى عدد كبير من العناصر يتوزعها الجسم عن طريق الأوعية الدموية فتصل إلى كل خلية من الخلايا . والطاقة على نوعين : مادية ومعنوية . والطعام أمن للجسد طاقته المادية . أما الطاقة المعنوية فيستمدها الجسد من التسليم لأمر الله والتوكل عليه والاستعانة به : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ . وهذه الطاقة المعنوية ترسخ في القلب الذي يرفد اللسان . ومن هنا الربط بين القلب واللسان . ويلاحظ أن القرآن الكريم يعبر عن القلب بالصدر لأن موقع القلب في الصدر . يقول موسى عليه السلام : ﴿ربِّ اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾<sup>(٥)</sup> ويقول أيضاً : ﴿ويضيق صدري ولا ينطق لساني﴾<sup>(٦)</sup> فقد ربط بين ضيق الصدر وتعثر اللسان .

## (ج) وظيفة العين :

وللعين أيضاً وظيفتها ودائرة تتحرك من خلالها وضمن حدودها . يقول

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٨٣ .

(٢) سورة الأحزاب ؛ الآيتان : ٧٠ و ٧١ .

(٣) سورة النساء ؛ الآية : ٦٣ .

(٤) سورة النساء ؛ الآية : ٥ .

(٥) سورة طه ؛ الآيات : ٢٥ - ٢٨ .

(٦) سورة الشعراء ؛ الآية : ١٣ .

تبارك وتعالى : ﴿ قَلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup> و ﴿ قَلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> فهذا حسد والحسد لا يقبل به الإسلام لأنك عندما تحسد إنساناً فأنت تتمنى زوال نعمته لتكونك . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ » .

#### ( د ) وظيفة القدم :

وظيفة القدم ألا تمشي بها إلى عمل حرام ، فلا تساعد ظالماً مثلاً ، ولا تكن خصماً لأخيك المؤمن . ويقول الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾<sup>(٤)</sup> . . . ﴿ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ ، هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾<sup>(٥)</sup> . . . ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾<sup>(٦)</sup> .

وهكذا ترى أن لكل جارحة من جوارح الإنسان وظيفة ومساراً وحدوداً رسمها الله سبحانه وتعالى . فمن بقي ضمن هذه الحدود كانت له النجاة ومن تجاوزها كان هلاكه .

#### التأمل مظهر من مظاهر العبادة :

يروى أبو حمزة الثمالي أنه : جيء بإناء فيه ماء للإمام زين العابدين عليه السلام حتى يشرب ، فوضع يده على الإناء وارتفع يبصره إلى السماء في ليلة غاب قمرها ، وراح يتأمل في الكواكب والنجوم . فسأله أبو حمزة عن سر هذا التأمل . فقال له : هذه هي العبادة . فالعبادة المستحبة أن تفكر بكل

(١) سورة النور ؛ الآية : ٣٠ .

(٢) سورة النور ؛ الآية : ٣١ .

(٣) سورة الحجر ؛ الآية : ٨٨ .

(٤) سورة لقمان ؛ الآية : ١٨ .

(٥) سورة ص ؛ الآية : ٤٢ .

(٦) سورة الإسراء ؛ الآية : ٣٦ .

شيء في الكون» .

وهارون الرشيد كتب رسالة إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام يطلب إليه أن يعظه ويوجز ، فجاءه الرد أن «فكر في كل شيء» . أي لا تدع عينك ترى شيئاً إلا وتلمس فيه فائدة وعلماً .

إن الإسلام يريدنا أن نُعملَ عقولنا وفكرنا في كل محيطنا . يقول تبارك وتعالى : ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾<sup>(١)</sup> ويقول سبحانه : ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾<sup>(٢)</sup> .

### موقف الاسلام من العلم والعلماء :

إن هذه العبادة التي تقوم على التفكير في خلق السموات والأرض تجعلنا نسأل ما هو موقف الإسلام من الفكر والمفكرين . والجواب يأتي سريعاً فهو يحترم العلم والعلماء وذوي الكفاءات احتراماً لا حدود له ، إذ ليس ثمة دين أو مبدأ احترم العلماء وعلمهم كالإسلام ، فضلاً عن أن الإسلام يدعو إلى طلب العلم ويحث على التزود منه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً . «اطلب العلم من المهد إلى اللحد» و«وتفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة» والآيات القرآنية في هذا السياق لا حصر لها . وبالتالي فإن هذه المسألة ليست موضع نقاش أو جدال ، بل إنها بديهية من بديهيات الإسلام الذي يعتبر أن منزلة الذين يعلمون هي منزلة رفيعة كما يربط بين العلم والنور من جهة وبين الجهل والظلمة من جهة أخرى .

### هجرة الأدمغة :

إن هذا الحديث يستدعي الكلام حول مسألة هامة ، هي الهجرة المخيفة للأدمغة من عالمنا الإسلامي إلى الغرب . إنها مسألة خطيرة من

(١) سورة يونس ؛ الآية : ١٠١ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٩١ .



المسائل التي تواجهنا . فهذا رئيس وزراء كندا يقول في صحيفة لندنية متحدثاً عن أحد البلدان الإسلامية : «إن هذا البلد أسدى لنا خدمة لا تقدر بثمن فقد أهدانا أربعة آلاف عقل» .

ولنا أن نطرح استفهاماً عريضاً : ما سر هذه الهجرة ؟ هناك سبب أساسي تتفرع عنه بقية الأسباب . هو أن العلماء والمفكرين لم يعد لهم أي إحترام في بلادنا ، فلا نحترم علمهم ولا فكرهم . إنهم مُعَرَّضُونَ باستمرار لِكَمِّ الأفواه والتعذيب والتشريد والإفقار . إنني أقولها وبكل صراحة ، لا إحترام عندنا للفكر والمفكرين ، ولا يستغربين أحد إذا قلت : إن هذا المظهر ما هو إلا نتيجة لتركنا الجهاد فقد أصبحنا شعباً خانعة ننفذ ما يُملى علينا من غير أن نفوه بكلمة واحدة في وجه ظلامنا وحكامنا . وأنا لا ألوم الحكام بقدر ما ألوم الشعوب المسلمة التي استكانت للظلم والاضطهاد والانحراف . السجون مليئة بالأحرار في كل مكان دون أن يكون هناك من يرفع الصوت عالياً في وجوه هؤلاء الظلمة . فلو كان ثمة أصوات ترتفع لما تمادى الحكام في ظلمهم وغيثهم .

### هولاكو والشيخ الطوسي :

إن هولاكو على جبروته وسفكه للدماء وجد من يحاول رده عن غيه ، عنيت به الشيخ الطوسي رحمة الله عليه ، فقد حاول بحكمته وحنكته وعلمه أن يخفف من غلواء هذا الحاكم حيث فرض عليه إحترامه بعلمه وفكره . وجعله يرفع يده عن إحراق الكتب والمكتبات لا سيما بعد إحراقه مكتبة بغداد وإلقائها في مياه دجلة . يروى أن هولاكو شكاً مرة إلى الشيخ الطوسي حرارة الجو التي تحرمه من النوم . فأتى الشيخ بحسك السعدان ووزعه على الجدران الأربعة لغرفة نوم هولاكو وثبته على قصب ثم رشه بالماء . فكان الهواء الساخن بمجرد ملامسته للرطوبة يتحول إلى هواء بارد .

وشكاً إليه مرة أصوات الضفادع التي تزرق ليله . فأمر الشيخ الطوسي

رحمه الله بذبح الماشية التي يحتاجها جيش هولاء لطفامه وطلب إلى القصابين أن يجمعوا له أمعاءها حيث أمر بنفخها وإلقائها في الماء فسكتت الضفادع ظناً منها أنها حيات . والضفدع تسكت طالما هناك حية في الماء لأنها تخاف أن تبتلعها .

وباختصار نقول إن الإسلام يحترم العلم والعلماء وذوي الكفاءات . لذلك نتوجه إلى الحكام ونقول لهم ارفعوا أيديكم عن حملة الفكر الإسلامي ودعوهم يمشوا هذا الفكر العظيم بدلاً من أن يبقوا مشردين في شتى أنحاء العالم . إنهم حملة فكر الإسلام وكفى بهذا الفكر جلالاً وعظمة .

### حاجة المجتمع إلى مثل هذه المجالس الحسينية :

إن مجتمعاتنا برجالها ونسائها وشبابها وشاباتنا بحاجة ماسة إلى مثل هذه المجالس التي نحييها ، لاسيما في هذا العصر المادي الذي يكاد يجرف كل شيء في طريقه . ونحن في هذه المجالس ماذا نفعل ؟ وماذا نقول ؟ إننا نطرح الإسلام بأخلاقه وتربيته وقرآنه وسيرة رسوله وأهل بيته . إن هذه المجالس يجب أن تشجع لتنتشر في كل مكان بدلاً من الجلوس إلى التلفزيون ، هذه الأداة التي باتت مدمرة للأخلاق ببرامجها المسمومة ومسلسلاتها الهدامة . فلا نشاهد من خلال هذه الأداة إلا العهر والفسق والفجور يمارسها مجموعة من المطربين والمطربات الذين باتوا محترمين في مجتمعنا أكثر من العلماء ، يوزعون العهر في كل مكان دون أن يجدوا من يوقفهم عند حددهم ، وعلى العكس من ذلك فهم يلقون كل تشجيع وعناية ورعاية .

إن الرافعات العاهرات يجدن في مجتمعنا من الاحترام والإجلال أضعاف أضعاف ما يلقاه العلماء ، نظراً «لمواهبهن» الفذة وعهرهن الرخيص .

أما المجالات الخلعية والكتب الرخيصة فتملأ بيوتنا ومدارسنا

ومعاهدنا من غير رقيب أو حسيب ، تسمم عقول شبابنا وتأخذ بهم إلى مهاوي الانحراف . كل ذلك لتفكيك مجتمعاتنا الإسلامية وصولاً إلى إيقاننا تحت رحمة المستعمر نستسلم لمرغباته وسياسته ونذعن لأهدافه المشبوهة ومخططاته الرهيبة . أما الكتب الإسلامية فإنها كالقطع النادر ، إما ممنوعة وإما ملاحقة .

حتى المسبحة السوداء باتت تشكل خطراً لذلك ترى أنهم يصادرونها في بعض الدول . إنها وبكل بساطة هجمة مفضوحة على الإسلام وأهله . فالعهر خائف من هذه اليقظة الإسلامية والمجون مذعور من هذا التملل الذي يسبق النهوض الإسلامي . . فمهلاً . . مهلاً . . صرخة الإسلام بدأت تخترق الآفاق وسوف تكون مدوية في كل مكان لتهز العروش العفنة وتلقي بها بين الأقدام . . وإن غداً لناظره قريب .

## خلاصة :

خلاصة القول تعيدنا إلى حيث بدأنا . . إلى الجهاد بأنواعه الثلاثة ، فلنجاهد عدونا الخارجي ، ولنجاهد عدونا الداخلي ، ولنجاهد نفوسنا . . . تعالوا نتأمل في مخلوقات الله سبحانه وتعالى . تأمل جسدك بنظامه ، وعقلك الخلاق ، تأمل هذه الأجهزة المعقدة في بدنك - كالكبد مثلاً الذي اكتشف له العلماء ألف وظيفة حتى الآن ، انظر إلى كليتيك . . إلى معدتك هذه اللحمية التي تطحن اللحم فكيف لا تطحن نفسها .

جاهد نفسك وقوّ من إيمانك الذي يؤمن لك طاقة روحية تجعلك قادراً على التغلب على كل نوازع الشيطان ومكره وعلى شهواتك وغرائزك الحيوانية . إن أعظم الجهاد هو أن نتسلح بالثقافة الإسلامية والمعرفة القرآنية والفكر الإسلامي والتقوى . ولتكن كل امرأة من نساءنا سكيئة وزينب ، فَيَسِرْنَ على هديهما . وليكن كل شاب من شبابنا على طريق عليّ الأكبر عليه السلام .

## المجلس : استشهاد علي الأكبر :

عندما كان الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء أخذته إغفاءة ثم استيقظ وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . وكان علي الأكبر إلى جانبه فسأله : أبي يا حسين . . أراك استرجعت ؟ قال : بني . . إني سمعت منادياً يقول : القوم يسيرون والمنايا تسير معهم . قال : أو لسنا على الحق ؟ قال : بلى . قال : إذن لا نبالي أوقع علينا الموت أم وقعنا عليه . ووصل القوم إلى كربلاء .

يقول الإمام الحسين : أيها الناس ، مع حبي لعلي الأكبر فأننا أقدمه في سبيل الله ، كان يشبه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم خُلُقاً وَخُلُقاً وَمَنْطَقاً ، .

يقول عليه السلام : كنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إلى هذا الغلام ، تقدم علي الأكبر من أبيه الحسين يستأذنه في القتال . نظر إليه طويلاً ثم قال له : بني عد إلى الخيمة وودع أمك وبنات رسول الله والحسين في هذه اللحظات لم يعد معه إلا علي الأكبر وأبو الفضل العباس . قبلته أمه واحتضنته وأذنت له مودعة إياه . ثم أذن له الحسين وقال : اللهم اشهد علي هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه برسولك خُلُقاً وَخُلُقاً . . فتقدم علي الأكبر وقاتل الأبطال والحسين يرمقه من بعيد . تقول سكينه : كان أبي واقفاً بباب الخيمة وقد اتكأ على عمودها وعيناه شاخصتان إلي علي الأكبر وهو يقاتل . في هذه الأثناء تغير لون وجهه . فقالت ليلي أم علي الأكبر : أبا عبد الله ، هل أصيب ولدي بسوء ؟ قال لها : يا ليلي لقد برز إليه من يخاف عليه منه . قالت : ماذا أصنع ؟ قال : ادعي الله لولدك فدعاء الأم مستجاب بحق ولدها . دخلت الخيمة فقالت : يا راد يوسف علي يعقوب ، يا كاشف ضر أيوب أردد عليّ ولدي . مرت لحظات رهيبة ثم عاد علي الأكبر . قال أبي يا حسين : العطش قلني وثقل الحديد قد أجهدني . . فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوى بها على الأعداء . فقال له الحسين : بني علي ، عد إلى المعركة . . فسرعان ما يسقيك جدك بكأسه

الأوفى شربة لا تظماً بعدها أبداً . . فرجع إلى المعركة وهو ينادي :

أنا علي بن الحسين بن علي  
نحن وبيت الله أولى بالنبي  
تالله لا يحكم فينا ابن الدّعي

وراح يقاتل قتال الأبطال ، إلى أن سقط في المعركة . نادى : أبي يا حسين ، عليك مني السلام . فلما سمع الحسين صوته خرج من الخيمة وهو ينادي : ولدي علي . . . ولدي علي . . . إلى أن كشف القوم عنه .

حميد بن مسلم يقول : نظرنا إلى الحسين وقد رمى بنفسه على ولده علي ، وضع خدّه على خدّه وقال : بنيّ عليّ ، على الدنيا بعدك العفا . . أما أنت يا ولدي فقد استرحت من همّ الدنيا وغمّها ، وصرت إلى رَوْحٍ وريحان وجنة رضوان ، وبقي أبوك الحسين لهّمّها وغمّها . أبو الفضل العباس وبقية بني هاشم كلما حاولوا أن يرفعوا الإمام الحسين من على ولده ما تمكّنوا . فقال أبو الفضل العباس : ليس له إلا اختنا زينب . . صاحوا : أختة زينب . . أخرجني . . فخرجت وهي تنادي وا ابن أخياه . . واعلياه .

إننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . .  
إلهنا تقبل أعمالنا . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## الاقتصاد الإسلامي في حكومة علي (\*)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انثرت ، وإذا البحار فجّرت ،  
وإذا القبور بُعثت ، علمت نفس ما قدمت وأخرت ، يا أيها الإنسان ما  
غرّك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء  
رغبك ، كلا بل تكذبون بالدين ، وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ،  
يعلمون ما تفعلون﴾ (١) .

من رحمة الله سبحانه وتعالى بالخلق جميعاً أنه لم يتركهم سدى من  
دون توجيه أو إرشاد ، ومن رحمته بالإنسان خاصة أنه نبّهه إلى بعض  
الحقائق التي تكتف مسيرة حياته وتؤثر بشكل مباشر على مصيره ، بحيث لا  
يمكن لأي فرد أن يتغافل عنها ويتجاهلها بأي حال من الأحوال . ومن هذه  
الحقائق التي لفتَ الله تعالى نظر الإنسان إليها أشراف قيام الساعة ، وظهور  
المهدي المنتظر (عج) ، وإقامة حكم الله في الأرض ، وتطبيق العدالة  
الإجتماعية في كل الأمكنة والبقاع .

### وقت قيام الساعة في علم الله عز وجل :

والله عز وجل لم يعين لنا وقت قيام الساعة ، بل استأثر سبحانه بعلمها

(\*) أُلقيت هذه المحاضرة في الليلة الحادية عشر من صفر سنة ١٤١٢ هـ .

(١) سورة الإنفطار ؛ الآيات : ١ - ١٢ .

كما قال : ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾<sup>(١)</sup> ، ولكنه تعالى بين لنا أشراطها وعلاماتها في كثير من الآيات والأحاديث والأخبار الموثوقة ، قال : ﴿إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انشثرت﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت﴾<sup>(٣)</sup> . وقال : ﴿فإذا انشثت السماء فكانت وردة كالدهان﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال : ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ما لها﴾<sup>(٥)</sup> ، وقال : ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾<sup>(٦)</sup> . في غيرها من الآيات التي تشير إلى مقدمات قيام الساعة . والله تعالى وضعنا - رحمة بنا - أمام صورة هذا اليوم العظيم الذي يشيب منه الولدان وتذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها .

### المحشر في عالم غير هذا العالم :

ولكن «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» وكأن كل هذه الآيات التي ذكرهم بها الله تعالى لا تعني لهم شيئاً . والقرآن ينبها بعبارات واضحة لا لبس فيها ولا تأويل ، يقول : هذا الكون الذي أنتم جزء بسيط جداً منه تأتية ساعة يموت فيه كل كائن ويرجع إلى ربه ، السماوات تموت ، والأرضين تموت ، والبحار التي في الأرض تموت : ﴿وإذا البحار فجرت﴾<sup>(٧)</sup> ،

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٨٧ .

(٢) سورة الإنفطار ؛ الآيتان : ١ و ٢ .

(٣) سورة التكوير ؛ الآيتان : ١ و ٢ .

(٤) سورة الرّحمن ؛ الآية : ٣٧ .

(٥) سورة الزلزلة ؛ الآيات : ١ - ٣ .

(٦) سورة الحج ؛ الآية : ١ .

(٧) سورة الإنفطار ؛ الآية : ٣ .

﴿وإذا البحار سجرت﴾<sup>(١)</sup> ، والجبال تُدك وتنف من أصولها : ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿يوم تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً﴾<sup>(٤)</sup> ، ﴿إذا رجّت الأرض رجاً ، وبستت الجبال بساً﴾<sup>(٥)</sup> ، ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾<sup>(٦)</sup> ، ﴿يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن﴾<sup>(٧)</sup> ، ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾<sup>(٨)</sup> ، ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾<sup>(٩)</sup> ، ﴿وإذا الجبال نسفت﴾<sup>(١٠)</sup> ، ﴿وإذا الجبال سُيِّرت﴾<sup>(١١)</sup> ، ﴿وسُيِّرت الجبال فكانت سراياً﴾<sup>(١٢)</sup> . هذه الصور التي تقشعرّ لها الأبدان تجعلنا نتساءل : فأين يكون الحشر؟ وأين يكون الحساب؟ والجواب : في عالم غير هذا العالم وأرض غير هذه الأرض . فهذه الأرض لن تكفي لحشر الأعداد الهائلة من البشر الذين وجدوا منذ آدم إلى يوم القيامة ، فيحوّل الإنسان إلى محشره في موضع آخر . وليست الأرض شيئاً ضمن هذا الكون الشاسع ، فهي بالنسبة إلى الكون كالذرة في المحيط . تأمل هذا النظام المعلق في السماء من غير عمد ، أقرب نجمة إلينا كما يقول علماء الفلك تبعد عن الأرض

- 
- (١) سورة التكوير ؛ الآية : ٦ .
  - (٢) سورة طه ؛ الآية : ١٠٥ .
  - (٣) سورة النمل ؛ الآية : ٨٨ .
  - (٤) سورة الطور ؛ الآيتان : ٩ و ١٠ .
  - (٥) سورة الواقعة ؛ الآيتان : ٤ و ٥ .
  - (٦) سورة الحاقة ؛ الآية : ١٤ .
  - (٧) سورة المعارج ، الآيتان : ٨ و ٩ .
  - (٨) سورة القارعة ؛ الآية : ٥ .
  - (٩) سورة المزمل ؛ الآية : ١٤ .
  - (١٠) سورة المرسلات ؛ الآية : ١٠ .
  - (١١) سورة التكوير ؛ الآية : ٣ .
  - (١٢) سورة النبأ ؛ الآية : ٢٠ .



مسافة ٢٥ ألف سنة ضوئية، بينما هناك نجوم تقدر مسافاتها بمليارات السنين الضوئية ، والسنة الضوئية إذا ما حُوِّلت إلى المقاييس التي نعرفها ونختبرها عادة من الأميال أو الكيلومترات تساوي رقماً هائلاً نحصل عليه إذا ما عرفنا أن الثانية الضوئية تساوي ١٨٦ ألف ميل أو ٣٦٠ ألف كيلومتر ، وذلك لأن سرعة الضوء تبلغ ١٨٦ ميل/ث، أو ٣٦٠ ألف كلم/ث . تصوّروا أن الشمس هذه الكتلة الملتهبة التي ترى بضياؤها لا تبعد عنا سوى سبع دقائق ضوئية ، يعني أن ضوءها لكي يصل إلينا يلزمه سبع دقائق ، فكيف بالنجوم الأخرى التي ذكرناها !! .

هذا هو الكون الذي خلقه الله تعالى ، وهو في ازدياد لا يعلم به إلا خالقه سبحانه وتعالى ، وكل شيء قائم على نظام دقيق وضعه ربّ الكون . وهذا الكون الهائل الذي لا يمكننا أن ندرك تماماً مدى اتساعه ، سيأتي يوم يموت فيه كما يموت الرجل الذي تحين مَنِيَّتُهُ ، ولا يبقى حينئذٍ إلا وجه ربك ذي الجلال والإكرام . وهذه هي الحقيقة العظيمة التي يجب على الإنسان أن يتنبه لها ويعيها ويدركها تمام الإدراك .

### مصير المؤمنين ومصير الكافرين :

﴿وإذا القبور بعثرت﴾<sup>(١)</sup> ، يعني يصبح سافلها أعلاها وأعلاها أسفلها ، وينقلب بطنها إلى ظهرها ، حينئذٍ يخرج الأموات إلى لقاء يوم المعاد : ﴿فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد متشر﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراغاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾<sup>(٤)</sup> ؛ فعندما ينفخ في الصور ينفض الأموات التراب عن أبدانهم ويأتون إلى الله أفواجاً، كل أمة يقودها إمامها،

(١) سورة الإنفطار ؛ الآية : ٤ .

(٢) سورة يس ؛ الآية : ٥١ .

(٣) سورة القمر ؛ الآية : ٧ .

(٤) سورة المعارج ؛ الآية : ٤٣ .

الأمم المؤمنة والأمم الضالّة ، الأنبياء مع أممهم ، والفراعنة والظلمة والشياطين مع أممهم . ويميز يومئذ المجرمون عن المؤمنين والمقسطون عن القاسطين : ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرّنين في الأصفاد سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ، ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب﴾<sup>(١)</sup> . يقاد هؤلاء المجرمون إلى النار ، وأي نار هي ؟ ! ليست كالنار التي نعرفها ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾<sup>(٢)</sup> . سبحان الله ! النار التي نعرفها لا يستطيع أحدنا أن يتحملها ولو للحظة ، فكيف بنار الآخرة ! ونار الآخرة لا تطفئها المياه ، ومن النار التي نعرفها أيضاً ، ما لا يطفئها الماء ، مثل الصواعق التي تحرق أي شيء تصيبه ، نار الصواعق هذه لا يطفئها الماء ، وكذلك نار الآخرة ، ولكن شتان ما بين النارين ! ونار الآخرة كما يقول تعالى : ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾<sup>(٣)</sup> ، وبلتفت المجرمون إلى مالك خازن النار وينادون ﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾<sup>(٤)</sup> فيقول : ﴿إنكم ماكثون﴾<sup>(٥)</sup> ، فالمجرمون أحياء في نار جهنم ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾<sup>(٥)</sup> . هذه هي نار جهنم التي لا يمكن أن تُدرك على حقيقتها إلا في الآخرة ، ولكن إذا أردت أن تأخذ فكرة عن مدى هولها فاقراً دعاء كميل ، وإذا أردت أن تتجنبها فاتبع أهل البيت الذين يضيئون قناديل الأمل والرجاء أمامنا وينفروننا من هولها ويرغبوننا في نعيم الجنان .

والله أيها الإخوة إنه لشيء يدعو للأسف أن نرى الإنسان قد مُيز عن سائر المخلوقات بالعقل الذي وُهبه ، ثم نراه يستعمل هذا العقل في غير ما يُرضي الله ، فيؤدّي به إلى الهلاك . على الإنسان أن يميز بين الصراط

(١) سورة إبراهيم ؛ الآيات : ٤٩ - ٥١ .

(٢) سورة الفرقان ؛ الآية : ١٢ .

(٣) سورة التحريم ؛ الآية : ٦ .

(٤) سورة الزخرف ؛ الآية : ٧٧ .

(٥) سورة إبراهيم ؛ الآية : ١٧ .

المستقيم والصراط المعوج ، والصراط المستقيم ليس سهل العبور ، بل عليه أكثر من خمسين منزل وعقبة ، وهذه العقبات الموجودة على الصراط موجودة أيضاً في القبر ، وأول هذه العقبات الصلاة والزكاة والبر والصبر . يقول الإمام العسكري عليه السلام : «إذا أدخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مطلٌ عليه ثم يتنحى الصبر ناحية» . وهذا تعبير دقيق وتصوير مبدع ، فالصلاة التي نصلّيها تتمثل لنا في القبر مشخّصة نحسّها ونلمسها ، وكذا أيضاً الزكاة وأعمال البرّ والإحسان ، كله يتجسّد أمامنا . يقول عليه السلام : «... ثم يتنحى الصبر ناحية» ، فيقول الصبر للصلاة والزكاة والبرّ : دونكم صاحبكم ، فإذا عجزتم عنه فأنا دونه . فيدخل عليه الملكان الموكلان بمساءلته ، فإذا نظر الملكان إلى الصلاة والزكاة والبرّ والصبر إلى جانبهم ، تراجعوا عن حسابيه . هذا هو مصير النفس المؤمنة عندما يقابلها الملكان في القبر ، فما مصير النفس الكافرة عندما يدخل عليها الملكان فلا يجدان معها ما يشفع بها من صلاة أو زكاة أو برّ ؟ كيف تقابل هذه النفس الجاحدة ربّها ؟ عندما تفجر البحار وتبعثر القبور تعلم كل نفس ما قدّمت للأخرة وما أخرت في الدنيا ، ثم تنطلق إلى ربها ، فيخاطبها معنفاً : ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم﴾<sup>(١)</sup> ألم أجعل منك شيئاً بعد أن كنت نسياً منسياً ؟ ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾<sup>(٢)</sup> ، لم تكن شيئاً فخلقتك وأعطيتك العقل والحواسّ ﴿ألم نجعل له عينين ، ولساناً وشفقتين ، وهديناه النجدين﴾<sup>(٣)</sup> ؛ دلّه تعالى على السبيلين ، سبيل الخير ويؤدّي إلى نعيم الجنان ، وسبيل الشرّ ويؤدّي إلى نار الجحيم . ولكن الجاحد نعمة ربه أغفل قلبه ولسانه عن ذكره ، وصمّ أذنه عن سماع آياته ، وأغمض عينيه عن رؤية نعيمه ، لأنه ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلاّ بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾<sup>(٤)</sup> ، ولكي

(١) سورة الإنفطار ؛ الآية : ٦ .

(٢) سورة الإنسان ؛ الآية : ١ .

(٣) سورة البلد ؛ الآيات : ٨ - ١٠ .

(٤) سورة يونس ؛ الآية : ١٠٠ .

تحصل على إذن الله عليك أن تستعمل عقلك الذي أكرمك به ربك ، وتفكر في خلقك وخلق غيرك من الكائنات ترَّ عظمة الله أمامك وترَّ الجنة والنار منتصبتين أمام عينيك وليس عليك سوى أن تختار بينهما ، فعقلك يؤهلك إلى اختيار الصواب و«تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة» ؛ ويقول الإمام العسكري عليه السلام : «ليست العبادة كثرة الصلاة والصيام ، ولكن العبادة التفكر في أمر الله» .

## تفسير رسول الله ﷺ لقوله تعالى :

### ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ :

في الحديث الشريف : قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك﴾<sup>(١)</sup> ، ثم قال لمعاذ : يا معاذ ، كيف تفسر هذه الآية ؟ قال : يا رسول الله ، قوله ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ يعني يشبه أباه وأمه . قال : لا يا معاذ ، ليس كذلك ؛ ولكن تفسرها أن النطفة إذا استقرت في رحم الأم أحضر الله سبحانه وتعالى كل صورة بين الإنسان وبين آدم فيعطيه صورة واحدة من تلك الصور ليس لها مثيل لا من قبل ولا من بعد .

ويمكنك يا أخي أن ترى مصداق كلام رسول الله ﷺ أمام عينك ، فمهما أجلت النظر في بني آدم فلن يمكنك أن ترى شخصين متطابقين تماماً في صورتهم ، فلكل فرد من بني آدم صورة خاصة به مفردة واحدة لم يكن لها مثيل ولن يكون ؛ فلا مثيل لملامح وجهك ، ولا مثيل لعينيك ، ولا مثيل ليديك ، ولا مثيل لبنانك ، يقول تعالى : ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾<sup>(٢)</sup> . وهذه الآية الموجزة عظيمة ومعجزة إلى حدِّ الدهشة ، عندما

(١) سورة الإنفطار ؛ الآيات : ٦ - ٨ .

(٢) سورة القيامة ؛ الآية : ٤ .

تعرف أن هذه الخطوط الدقيقة الموجودة في باطن أصبع الرجل لا يمكن أن تتشابه بين اثنين منذ أول رجل خلق وحتى آخر رجل يُنشر ؛ وعندما يأتيك جاهل ما فيقول لك إن الطبيعة هي التي خلقت هذه الأصبع وهذه البصمة تشعر بالاشمئزاز من قوله ، فما هي هذه الطبيعة التي تعقل وتخلق وتدبر ! ليس لهذا سوى مجرد ستار يتخفى وراءه من قال الله فيهم : ﴿على قلوب أفعالها﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها﴾<sup>(٢)</sup> .

### النشأة الأخرى :

﴿أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾<sup>(٣)</sup> ، جاء رجل مشرك إلى رسول الله ﷺ بجمجمة مهترئة فألقاها أمامه وقال : أيستطيع ربك أن يحيي هذه بعد موتها ؟ ! فنزل جبريل بقوله تعالى : ﴿أيحسب الإنسان . . .﴾ الآية ، ويقوله : ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾<sup>(٤)</sup> .

فالذي أنشأك من العدم ألا يستطيع أن يعيدك مرة أخرى ؟ فالإعادة أسهل من الإنشاء ابتداءً ﴿أفبعينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾<sup>(٥)</sup> .

﴿إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتشرت ، وإذا البحار فجرت ،

(١) سورة محمد ؛ الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٧٩ .

(٣) سورة القيامة ، الآيتان : ٣ و ٤ .

(٤) سورة يس ؛ الآيات : ٧٨ - ٨٣ .

(٥) سورة ق ؛ الآية : ١٥ .

وإذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت وأخرت . . . ﴿١﴾ . أرغب إليكم أيها الإخوة أن تداوموا على استذكار هذه الآيات ليلاً ونهاراً وفي جميع أحوالكم ، وألا تدعوها تغيب عن بالكم حتى وأنتم مضطجعون على فراشكم ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك ، كلاً بل تكذبون بالدين . . .﴾ ﴿٢﴾ ، يخاطب سبحانه وتعالى هنا الإنسان المكذب بالدين الجاحد لآلاء الله عليه وليس الإنسان المؤمن ، فالمؤمن لا يغترّ بربّ العالمين ، وإذا اغترّ عاد فانتبه وأناب ، أو يغترّ من باب التوجيه كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام : «سيدي غرّني سترك المرّخي عليّ ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني ؟ ومن أيدي الحكماء والخصماء من يخلصني ؟» .

### لكل إنسان ملائكة كاتبون :

لاحظوا الدقة في التعبير في قوله تعالى : ﴿كلّ بل تكذبون بالدين﴾ ، فالتكذيب بالدين هو النقطة التي ينطلق منها الجاحد فيكفر بالله ، وهو أول السبيل إلى النار ، حيث تُسجّل كل خطواته وحركاته في سجلّ الملائكة الكرام الكاتبين ﴿كلّ بل تكذبون بالدين ، وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون﴾ ﴿٣﴾ . لقد أخبرنا الله تعالى أن على رأس كل إنسان من اثنين من الملائكة يكتبون كل ما يصدر منه من فعل حسن كان أو سيئاً ، وهذا السجّل هو الذي يحدّد مصير الإنسان في الآخرة . في ذلك اليوم أيها الإخوة لمعت في ذهني فكرة وأنا على هذا المنبر ، فتركها إلى مناسبتها ، وقد حانت الآن المناسبة ؛ فأنتم ترون أمامكم هنا هاتين «الكاميرتين» اللتين تصوران كل ما يصدر عنا من حركات وتحفظهما في أفلام تُظهر فيما بعد . جسمان معدنيان لا حياة فيهما ولا حركة ، ولكنهما

(١) سورة الإنفطار ؛ الآيات : ١ - ٥ .

(٢) سورة الإنفطار ؛ الآيات : ٦ - ٩ .

(٣) سورة الإنفطار ؛ الآيات : ٩ - ١٢ .

يسجّلان كل حركة أقوم بها وكل نفس أتفسه . وهاتان «الكاميرتان» الجامدتان هما من صنع الإنسان ، فالإنسان المحدود الطاقات هو الذي استطاع أن يصنع هذا الشيء الذي يمكنه أن يصوّر وينسخ كل حركة تتحركها ، ويمكنه أن يسجل كل ما هو ماديّ . فعندما يخبرنا ربّ العالمين أن على كل إنسان اثنين من الملائكة الكرام يسجلون كل حركته وسكناته ، لا يزورون عليه ولا يكذبون ولا يعصون ربّ العالمين ؛ عندما يخبرنا سبحانه وتعالى بذلك فهذا مما ينبغي علينا أن نسلّمه ونصدّقه ولا نستغربه . وليس علينا لكي نصدّق ذلك أن نرى الملائكين بأمّ العين ، فهذا مما لا يكون ، لأن الملائكة ليست أجساماً ماديّة ، والعين لا ترى إلاّ الأجسام المادية .

في أحد الأيام قلت لشخص أعرفه : إن عليك ملائكة اثنين . فصار يتحسّس كتفيه ، ثم قال : إني لا أجدهما يا شيخنا . وقد حصل شبيه بهذه الحادثة مع جدتي أمّ والدي رحمها الله ؛ عندما تمكن الإنسان من الصعود إلى سطح القمر أخبرناها بذلك وقلنا لها : لقد وضع الإنسان قدميه على سطح القمر ، وهو فوقه الآن . فما كان منها إلاّ أن رفعت رأسها إلى السماء ونظرت إلى القمر - وكان بدرأً في تلك الليلة - وقالت : «أين ؟ إني لا أرى أحداً ، وهو مثل المراية يلاي . . . يلاي» على حدّ تعبيرها . فقيل لها : وهل تتصورين إذا كانوا هناك أن تريهم بأمّ العين ؟ قالت : نعم ، لو كانوا هناك لرأيتهم ، وهذا القمر أمامكم هو نفسه لم يتغير .

وكذا أيضاً قصة الرجل الذي قيل له إن الأرض تدور ، فقال : لو كانت الأرض تدور لتغير موضع باب بيتي ، وها هو أمامكم باتجاه القبلة منذ أن سكنت فيه ! .

الملائكة أيها الإخوة من الغيب المستور ، والإيمان بالغيب ركن مهمّ من أركان الإيمان في الإسلام . فمن لم يؤمن بوجود الملائكة كيف له أن يؤمن بوجود البعث والنشور والحساب والجنة والنار ؟؟ .

وأذكركم أيها الإخوة بالحديث القدسي : «إن رحمتي سبقت

غضبي» ، فرحمة الله تسع الجميع وخاصة الذين تتكرر الذنوب منهم .  
عندما يرتكب إنسان معصية يطلب مَلَكُ الحسنات من مَلَكِ السيئات بالتريث  
في كتابة هذه المعصية ، فيقول ملك السيئات : إن هذا العبد قد أذنب !  
فيقول ملك الحسنات : انتظر رحمة الله عليه ، فلعلّ هذا المذنب يذكر الله  
فيتوب !! .

### رحمة الله تعالى تسبق غضبه :

انظر هذه النعمة العظيمة التي أنعمها الله على عباده : الرَّحمة  
والغفران ؛ فهو جلّ وعلا خلقنا للرّحمة ولم يخلقنا للعذاب ؛ فلو استغفر  
العبد من ألف ذنب أصابه يغفر الله له ، والذنب الأعظم عند الله هو القنوط  
من رحمته ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾<sup>(١)</sup> ؛ إلاّ  
الموت على الشرك ، فالله لا يغفر هذا الذنب العظيم ويخلّد صاحبه في  
النار .

ولكي أبين لكم عظمة رحمة الله ، أقصّ عليكم هذه الحادثة : جاء  
شاب إلى رسول الله ﷺ فقال : لقد ارتكبتُ ذنباً عظيماً يارسول الله ،  
وأخاف ألاّ يغفر الله لي إذا تبتُّ وأنبتُّ ؛ قال رسول الله ﷺ : لا تقنط من  
رحمة الله فإنه تعالى يغفر الذنوب جميعاً ، فأنيّ ذنب ارتكبته يغفره لك ربك  
إذا تبت توبةً نصوحاً . قال : إلاّ الذنب الذي ارتكبته . قال ﷺ : فما  
هو هذا الذنب ويلك ؟ قال : كنتُ يا رسول الله أُخرج إلى المقابر فأنبش  
القبور وأسرق الأكفان ، فنبشت ذات ليلة قبراً فوجدت فيه جارية أنصارية  
بارعة الجمال كانت قد دُفنت من يومها ، فلما رأيت جمالها استحوذ عليّ  
الشیطانُ ووسوس لي ، فارتكبت معها منكراً عظيماً ، ثم تركتها في العراء  
ورجعت أدراجي ؛ فبينما أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً يخترق سمعي وقلبي  
يناديني قائلاً : لقد هتكت ستري يا عدوّ الله ، ويل لك يا فاجر ! والله

(١) سورة الزمر ؛ الآية : ٥٣ .



لأشكونك إلى رب العالمين !! فأكملت طريقي مذهولاً ولم أجرؤ على العودة إليها لدفنها من جديد .

لما سمع رسول الله ﷺ وهو نبي الرحمة قصة الشاب ، تراجع إلى الوراء قائلاً : حتى لا أحترق بنارك ! فقد كان ذنب الشاب أعظم من أن يحكم به رسول الله ﷺ بأمر ، فانتظر وحي الله فيه .

خرج الشاب من المدينة هائماً على وجهه . فالتجأ إلى أحد الجبال حيث غلّ يديه بعنقه واستمرّ أربعين يوماً في البكاء والاستغفار . وفي نهاية اليوم الأربعين هبط جبريل على النبي ﷺ ناقلاً إليه توبة الله تعالى عن عبده المذنب ؛ ونزل قوله تعالى : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾<sup>(١)</sup> . فمشى الرسول ﷺ من ساعته إلى ذلك الشاب ، فلما رآه اعتنقه وبشّره بتوبة الله عليه ، ثم قال له : «إني أرى الآن في وجهك نوراً ما كنت رأيته من قبل ، التوبة» . أما الجارية فإن الله تعالى سيرضيها بعطائه الجزيل حتى ترضى . فما من نفس مؤمنة إلا وتخلد في الجنان راضية مرضية كما قال سبحانه وتعالى : ﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾<sup>(٢)</sup> . والذي يمكننا أن نستخلصه من هذه الحادثة التي رويتها لكم ، أن أبواب التوبة مفتوحة أمام الجميع ، فما من ذنب مهما عظم إلا ويتوب الله عنه إذا استغفر منه صاحبه وتاب توبة نصوحاً .

### الجواب على بعض الأسئلة :

ولا بأس في هذه المناسبة أن أجيب عن بعض الأسئلة التي سئلت

(١) سورة آل عمران ؛ الآيتان : ١٣٥ و ١٣٦ .

(٢) سورة الفجر ؛ الآيتان : ٢٧ و ٢٨ .

عنها اليوم . منها أنه سألتني أحدهم فقال : أنا ملتزم بالصلوات الخمس ، ولكنني اعتدت على سماع الغناء والموسيقى ، فهل يؤثر هذا على صلاتي ؟ .

لفتني هذا السؤال لأهميته ، فهذه الحالة التي تكلم عنها السائل منتشرة بين الناس بشكل كبير . فقلت له : هل مررتَ فيما مضى بترجمة روحية من الخشوع والتوجه إلى الله ؟ قال : نعم ، كنت أشعر بحالة من التوجه وأندمج بالبكاء وأقرأ الأدعية . قلت : والآن هل ما زلت تفعل نفس الشيء ؟ قال : لم أعد الآن كما كنت في السابق ، أصبحت أهمل قراءتي للأدعية وأؤدي فرض الصلاة كمن يريد أن ينتهي من عمله بسرعة . قلت له : في الفترة السابقة التي تحدثتَ عنها هل كنت تسمع الموسيقى والأغاني ؟ قال : لا والله لم أكن أسمع . قلت : ولكنك الآن تسمع ذلك ؟ قال : نعم ! قلت : لقد أجبتَ بنفسك على السؤال الذي طرحته عليّ ، وتوضيح ذلك أن الصلاة لا تؤدي كما يجب إلا بحالة من الخشوع وعدم الالتفات إلى غير الله ، وسماع الموسيقى والغناء لا يتوافق مع الخشوع أبداً ، وصلاة الليل بالذات تحتاج إلى حالة أقوى من الخشوع لأن العبد حينئذٍ أقرب ما يكون إلى ربه ، وقد قال الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام : «إن الوصول إلى الله سفر طويل لا يتم إلا بامتطاء الليل» . فالوصول إلى الله تعالى سفر ، ولكي تسافر تلزمك مطية ، والمطية التي توصلك إلى الله هي صلاة الليل . فيا أخي ، إن علاجك من مرضك بيدك أنت ، فتخلّ عن كل ما يبعدك عن الله تقترب منه تعالى كما قال : ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (١) .

تصوروا أيها الإخوة أنه طرح عليّ أسئلة بالمشات ، وجزء كبير من هذه الأسئلة يتعلق بقراءة الفنجان ! مثل أن يقول أحدهم : رأيت طالعي في الفنجان ، أو عرفت ماذا يحدث في غدٍ بقراءة الفنجان !! . . . هذا

(١) سورة البقرة : الآية : ١٨٦ .

والله أيها الإخوة نوع من الشرك الخفي ، فلا يعرف المستقبل إلا الله تعالى ، فما هو هذا الفنجان حتى ترى مستقبلك فيه ؟ !! . والإيمان بالشعوذات السحرية من ضمن الآفات التي يؤمن بها قطاع كبير من الناس . سألتني إحداهن : ما تقول في السحر الذي يجمع بين رأسين ؟ فقلت لها : دعي الرؤوس كما هي وابتعدي عن السحر ، فالسحر لا يجمع بل يفرق ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾<sup>(١)</sup> . السحر حرام ، والعمل به حرام ، ولا يجوز تعلمه إلا على شخص عصمه الله بالعلم ، وذلك من باب «ناقل الكفر ليس بكافر» .

### كيف نكسب الدنيا والآخرة معاً :

الآن أيها الأحبة ، بعد هذه الجولة الشيقة التي أمضيناها في ظلال القرآن وفي كنف أهل البيت سلام الله عليهم ، فما الذي ينبغي أن نفعله في الدنيا لنكسب الآخرة ؟ .

ليس علينا أن ندع الدنيا بالكلية ونزهد فيها تماماً ، بل علينا أن نتزود منها بما ينفعنا في الآخرة ، يقول تعالى : ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾<sup>(٢)</sup> ، الآية واضحة لا تحتاج إلى تأويل ، فالإسلام لا يأمرنا بالتخلي عن الدنيا ، والرهبانية بدعة محرمة في الإسلام ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾<sup>(٣)</sup> . اجتمع بعض المسلمين في المدينة وقرروا الابتعاد عن ملاذ الدنيا بالكلية من نساء وأطعمة لذیذة ، وتعاهدوا أن يمضوا حياتهم في الصوم والصلاة ؛ فسمع النبي ﷺ بما نوا فعله ، فجمعهم وخاطبهم قائلاً : «أحقاً ما بلغني عنكم ؟ إني والله لأخوفكم من الله وأتقاكم ولكنني أقرب النساء وأتناول الطعام وأنام الليل ، فمن رغب عن سُنتي فليس مني» . وقد خاطب الله تعالى المؤمنين في آيات كثيرة فقال :

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٧٧ .

(٣) سورة الحديد ؛ الآية : ٢٧ .

﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾<sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾<sup>(٢)</sup> وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله لكم﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾<sup>(٤)</sup> ، إلى غيرها من الآيات . فالذي يفعله هؤلاء ما هو سوى اعتداء على حد من حدود الله ، ألا وهو حدَّ التحريم والتحليل ، ومن يحل محارم الله مثل الذي يحرم ما أحلَّ الله ، فكلاهما مُعْتَدٍ . وكيف تحرمون زينةً أحلَّها الله لنا ؟ ! وأنا عندما أقول هذا لا أدعو إلى الانغماس في ملاذ الدنيا ، معاذ الله أن أفعل ذلك ! ولكن أدعوكم إلى سلوك الطريق الوسط ، لأن خير الأمور أوسطها . فإذا كان سبحانه وتعالى قد قال : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾<sup>(٥)</sup> ، فقد قال أيضاً : ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً﴾<sup>(٦)</sup> ؛ وهذا يعني أن عليك أن تتزوّد من الدنيا للآخرة ، «ليس مناً من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه» . أنت مسؤول أمام الله ومحاسبٌ عما أخذته من الدنيا الدنيّة وليس من الدنيا الطيبة ؛ والدنيا تكون دنيّةً عندما يجعلها الإنسان وثناً له فيعبدها دون الله تعالى ، وتكون طيبةً عندما يستخدمها جسراً للآخرة ؛ هذا هو الفرق بينهما . والإسلام يدعونا إلى التعيش من الدنيا بما يرضي الله «من لا معاش له لا معاد له» ، وهذه عبارة قصيرة هي والله نظرية قائمة بحدّ ذاتها في ميدان الاقتصاد الإسلامي ، ولا علاقة لها بالاقتصاد الماركسي ولا بالاقتصاد الرأسمالي ، فالاقتصاد المسيطر على الدنيا اليوم هو بميزان الإسلام اقتصاد كافر بالله ومعادٍ لفطرة الإنسان التي خلَق عليها . فالاقتصاد الماركسي اقتصاد مشرك ومخالف

(١) سورة البقرة ؛ الآيتان : ٥٧ و ١٧٢ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٦٧ .

(٣) سورة المائدة ؛ الآية : ٨٧ .

(٤) سورة الأعراف ؛ الآية : ٣٢ .

(٥) سورة الكهف ؛ الآية : ٢٨ .

(٦) سورة الكهف ؛ الآية : ٤٦ ، وسورة مريم ؛ الآية : ٧٦ .

لطبيعة الإنسان . والاقتصادي الرأسمالي اقتصاد ربوي قائم بالأساس على مبدأ الربا في المعاملات ، وليس عليكم سوى أن تنظروا إلى أنظمة جميع المصارف القائمة في العالم ، فسترون أنها كلها قائمة على مبدأ الربا المحرّم في الإسلام . فعندما يكون نظام ما دنيوياً بحتاً لا يؤمن بآخرة ولا يؤمن بجزاء وحساب ، فإنه سيلتزم تلقائياً بمبدأ «الربح السريع» الذي لن ينجح في هذه الحالة إلا بتطبيق مبدأ الربا ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾<sup>(١)</sup> ؛ فصاحب الربا يزيد أمواله بطريقة غير مشروعة تركز على استغلال حاجات الناس ، والذي يمنع الصدقات يزيد أمواله أيضاً ، ومن أجل الزيادة يمنع حقاً من حقوق الله ؛ والربا في شرع الله يمحّو المال ، بينما الصدقات تُربي المال وتنميه : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾<sup>(٢)</sup> ، والصدقات في الاشتقاق اللغوي من «الصَّدَق» فأنت عندما تتصدّق تصدّق العهد مع الله .

### بيان الفرق بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد القائم :

النظام العالمي اليوم أيها الإخوة ، كما قلت لكم ، نظامٌ كافر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، إيمانه بالدنيا فقط ؛ وهذا النظام هو الذي مزّق المجتمعات إلى طبقات متناحرة تحت شعار الاقتصاد الحرّ الذي يضمن فرصاً متساوية أمام الجميع ، ولكن أين هي هذه الفرص المتساوية ؟ فمن البديهي أن الاقتصاد إذا ما سار على منهج ربوي فإن النتيجة الواضحة أن الأموال ستكدس في النهاية في أيدي قلة من الناس بينما تبقى الغالبية العظمى راسخة في فقرها وحاجتها . ويتضح بهذا أن مقولة «الاقتصاد الحرّ» ليست سوى خدعة ابتكرها اليهود الربويون ليخدعوا بها العالم تحت ستار المساواة . الدكتور «شاخنت» وهو أستاذ اقتصاد ألماني ظهر بعد الحرب

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٧٥ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٧٦ .

العالمية الثانية ، فاقترح لألمانيا نظاماً اقتصادياً غير ربوي ، واستشهد على اقتراحه ودعمه بنظرية الاقتصاد الإسلامي اللاربوي ، وقال : لو طُبّق النظام الاقتصادي الإسلامي لأصبحت الدنيا بخير . وقد طُبّق هذا الاقتراح في ألمانيا - ليس بدافع إسلامي طبعاً ولكن من منطلق اقتصادي - فنجح هناك . وفي الوقت نفسه وضع «شاخت» نظاماً اقتصادياً مماثلاً في أندونيسيا ، ولكنه لم ينجح هناك ، فلماذا ؟ لأن أندونيسيا دولة إسلامية ، فهي غير محتاجة إلى نظام مصطنع يشابه النظام الإسلامي بينما النظام الإسلامي نفسه موجود ، فليس عليها سوى أن تطبق ما هو موجود في القرآن الذي يؤمنون به ، ولن يفيدها أن تتبع ما هو متشابه بينما الأصل متوفر .

موضع الشاهد أن الدكتور شاخت وضع لألمانيا نظاماً اقتصادياً قائماً على مبدأ العدالة الاجتماعية الإسلامية وليس على مبدأ المساواة الغربية المشوّهة . المساواة في الإسلام موجودة أكثر من أي نظام آخر وُجد أو سيوجد «الناس سواسية كأسنان المشط» ولكن أي مساواة هي المقصودة في الإسلام ؟ ليس المساواة في توزيع الأموال كما هو في النظام الماركسي ، وليس المساواة في اغتنام الفرص كما هو في النظام الرأسمالي ؛ ولكن المساواة في الإسلام تعني التساوي بين جميع أفراد المجتمع في الحياة الحرة الكريمة وحياسة الضروريات التي هي حق لكل فرد ، ثم من بعد ذلك تأتي الكماليات التي يتنافس فيها المتنافسون . بينما المساواة على النمط الغربي تؤدي إما إلى عَوَزِ الكل كما هو واقع في الأنظمة الماركسية ، أو إلى تجميع الثروات في أيدي قلة من الناس وترك الأكثرية الساحقة معوزة كما هو واقع في الأنظمة الرأسمالية .

### معنى المساواة في الإسلام :

المساواة في الإسلام لا تعني المساواة في توزيع الخيرات بل تعني العدالة في التوزيع ؛ ولكي أوضح لكم الأمر أضرب بعض الأمثلة : فإذا أردت أن تبني بيتاً وجئت بعامل ومعماري ومهندس ، ثم اشتغل كل واحد منهم بمقدار الذي اشتغل الآخر نهاراً كاملاً ، فهل تعني المساواة أن تساوي

بالأجور بينهم ؟ هذا بالطبع خطأ في تقييم مبدأ المساواة ، بل المساواة تعني أن تعدل في العطاء فتعطي كل ذي حق حقه ، وهذا يتعلق بأمور عديدة ، من بينها الجهد والأمانة والكفاءة ؛ فعليك لكي تعدل في العطاء أن تعطي المهندس أكثر من المعماري والعامل ، وتعطي المعماري أكثر من العامل ؛ لأن المهندس وإن لم يكن قد بذل جهداً جسدياً كما بذله العامل ؛ فإنه في الواقع بذل جهداً فكرياً هائلاً لم يحصل عليه فجأة بل أمضى سنين عديدة من عمره في الدراسة والتحصيل حتى استطاع في النهاية أن يتخرج مهندساً قادراً على التصميم والتنفيذ ؛ بينما العامل لم يلزمه سوى القيام بجهد جسدي قد يكون كل إنسان قادراً عليه ، وما قام به المهندس لا يستطيع كل فرد أن يقوم به ؛ فلذلك فإن العدل والمساواة هنا هو في إعطاء كل ذي حق حقه وليس في المساواة بينهم في العطاء .

مثل آخر : إذا كان لديك في مزرعتك بقرة وبيغاء ، ثم جئت بحزمة من الحشيش وقلت سأعدل بينهما في الإطعام ، فماذا يعني العدل هنا ؟ هل يعني أن تطعم البقرة نفس الكمية التي تطعم البيغاء ؟ إذا فعلت ذلك فسيموت كلاهما ، لأن البقرة لن يكفيها طعام البيغاء فتموت جوعاً ، والبيغاء سيموت تخمة لأن الكمية من الطعام التي أكلها لا يحتاج سوى إلى جزء بسيط منها . فالعدالة هنا لا تعني المساواة ، بل تعني إعطاء كل واحد منهما حاجته .

### الربا جريمة عظيمة :

الربا أيها الإخوة جريمة عظيمة ؛ فالمرابي هو الرباح الدائم والمستدين بالربا في خسارة دائمة ؛ والمستدين بالربا عادةً يكون مضطراً لذلك ، فهو لا يستدين بالربا إلا لأحد ثلاثة أمور : إما للتجارة ، وإما لسد حاجته وحاجة عائلته ، وإما للإستشفاء من مرض عارض أو حادث مفاجيء . إذا أخذه للتجارة ففي التجارة هناك دائماً ثلاثة احتمالات لا غير : إما أن يربح ، أو يخسر ، أو لا يخسر ولا يربح ؛ فإذا استدان مثلاً ألف دينار

وخسرها ، فعليه أن يدفع للمرابي ١٢٠٠ دينار خلال أسبوع ، وبالطبع لن يكون هذا المبلغ بحوزته لأنه خسر في تجارته ، فيطلب من المرابي أن يؤجله أسبوعاً آخر ، فيرتفع المبلغ حينئذٍ إلى ١٥٠٠ أو أكثر من ذلك . وإذا خسر مرةً أخرى في تجارته سيرتفع المبلغ أكثر وأكثر مع مرور الزمن حتى يصبح بعد مرور سنة أو سنتين ٢٠ ألفاً أو أكثر من ذلك ، وهنا تقع الكارثة فيضطر إلى بيع كل ما يملك لسداد المبلغ المستحق عليه وإلا واجه السجن ؛ وتكون النتيجة أنه بسبب استدانته ألف دينار سينتهي إما في العراء وإما في السجن . هذا إذا خسر في تجارته ؛ أما إذا استدان ألف دينار بالربا وربح في تجارته ، فإنه سيسدد هذا المبلغ بعد أسبوع بزيادة مائتي دينار ، وربما يكون ربحه لا يتجاوز المائة دينار ، فتكون النتيجة أنه بالرغم من ربحه في التجارة قد خسر فرق المبلغ الربوي ، فهو في الحالتين خسران . والمصيبة الأعظم عندما يستدين من أجل حاجة عاجلة كتأمين الطعام له ولأطفاله أو تأمين الاستشفاء من مرض عارض ؛ فالذي لا يستطيع عادة من عمله أن يؤمن المال اللازم لهذه الحالات ، لن يستطيع أن يؤمن المبلغ المطلوب عليه للمرابي ، فتتراكم المشاكل على المستدين ، وربما أدى به الأمر إلى مشاكل لا تحمد عقبها . هذه هي عواقب الربا ، وهي عواقب وخيمة تعترض خاصة المسلمين في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية حيث لا ضمانات اجتماعية للأفراد أو للعائلات ، وحيث العمل وتأمين لقمة العيش مرتبطان بالجنسية وجواز السفر وعدم المحكومية وألف ألف شرط آخر .

### لا فقر تحت ظل النظام الاقتصادي الإسلامي :

هذا الظلم يصيب معظم المسلمين في العالم ، ولا مناص للتحور من هذا الظلم إلا العودة إلى ينابيع الإسلام ، العودة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يقول : «ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشبع» ، الإمام سلام الله عليه يمتنع عن تناول ما يسدّ



جوعته لأنه يفترض وجود أناس في أقاصي البلاد أكثر حاجة منه لقرص الشعير . وفي أيام الإمام الباقر عليه السلام جاءه رسول من أفريقيا فقال : لدينا فائض من الأموال يا ابن رسول الله فَرَفِيهِ رَأْيِكَ ! فائض من الأموال ، لماذا وكيف ؟ لأن أهل البيت اتبعوا النظام الاقتصادي الإسلامي فأدوا لكل ذي حقَّ حقَّه وفضل مع ذلك فائض يمكن توزيعه بالعدل بين الناس . سأل الباقر عليه السلام الرسول الذي جاءه من أفريقيا : أما يوجد فقراء في أفريقيا ؟ فقال : والله يا ابن رسول الله لقد بحثنا عن فقراء في بلادنا فما وجدنا واحداً منهم !! وهذه حادثة واقعية مذكورة في كتب التاريخ وكتب الفقه ؛ فتأملوا وقارنوا .

وأذكر لكم حادثة أُخرى وقعت في أيام الشيخ الأنصاري ، يعني بالضبط قبل مائة سنة ، أي سنة ١٨٩١ . كانت العراق يومئذ تسمى أرض السواد وذلك لكثرة مزارعها الممتدة واخضرارها الدائم ، بحيث كانت الديكة تصبح في البصرة فيجاوبها صياح الديكة في الكوفة لتقارب المزارع وامتدادها . جاء أحد التجار إلى الشيخ الأنصاري المرجع الديني العظيم . وأذكر بالمناسبة أن للشيخ الأنصاري كتابين مهمين في الفقه وفي الأصول هما : كتاب المكاسب وكتاب الرسائل ؛ وهذان الكتابان مرجعان مهمان من مراجع طلاب العلم ، بحيث لا يصير المجتهد مجتهداً إلا إذا قرأ هذين الكتابين واستوعب ما فيهما . إذاً جاء هذا التاجر إلى الشيخ الأنصاري يرافقه رجال يحملون أكياساً مليئة بالمال ، وقال للشيخ : إن هذه الأموال يا مولاي هي حقوق شرعية متوجبة عليّ وقد جئت بها إليك لكي توزّعها كما ترى في مواضعها المناسبة . فرفض الشيخ أن يأخذها وقال للتاجر : لست بحاجة إلى واسطة لكي توزّع ما عليك من الحقوق ، فإذا كنت تعرف مصارفها فوزّعها أنت حسب ما ترتأي ؛ فأنت في النهاية المسؤول عنها وليس أحداً آخر ، فهي كصلاتك وصيامك تؤدّيها بنفسك ولا تكلف أحداً آخر بتأديتها عنك . فقال التاجر : سيدي ، لقد حاولت أن أوزّعها بنفسني ولكنني لم أجد في موطني فقيراً واحداً ! فقال الشيخ الأنصاري : وليس في

موطني أيضاً فقراء ، فما عليك الآن سوى أن تحاول مرةً أخرى فتبحث في  
أمكنة أخرى علك تجد من يستحق هذه الصدقة من الفقراء ! وهكذا كان ،  
فقد تنقل هذا التاجر في كل القرى والأرياف العراقية حتى وجد أخيراً فقيراً  
واحداً يحتاج إلى دينار ، فأخذ من أكياسه ديناراً وأعطاه إياه ، ثم رجع  
بالباقى إلى الشيخ الأنصاري وقال : لقد حاولت جهدي وفعلت الذي  
عليّ ، ولم يبق لي إلا أن أسلمك هذه الأموال لتصرف فيها أنت في  
مواضعها المناسبة . فأخذها الشيخ الأنصاري ووضعها في عدة مشاريع  
خيرية لا تزال قائمة في بلده وغيرها من البلاد .

هكذا كان الوضع في العراق قبل مائة سنة ، لم تكن لتجد فقيراً  
واحداً إلا بعد جهد ؛ فقارنوا أيها الإخوة بين الوضع آنذاك وبين الوضع  
المتردّي الذي نحن فيه اليوم في العراق وفي غير العراق من البلدان  
الإسلامية . وقارنوا الوضع أيضاً على ما كان عليه في أيام الباقر عليه السلام حيث  
ما كنت تجد فقيراً واحداً في كل أفريقيا إلا بصعوبة ، وبين الوضع الحالي  
في العالم وفي البلدان المتقدمة أيضاً ، في الولايات المتحدة الأمريكية ،  
وفي نيويورك نفسها ؛ فانظر إلى مناطق الزنوج في أكبر مدينة في العالم في  
مدينة نيويورك ، تجد الفقر والتشرد مستشريين بين النسبة العظمى من سكان  
هذه المدينة . وحسب آخر الإحصاءات هناك أكثر من ٤٠ مليون فقير في  
مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي الاتحاد السوفياتي نسبة  
الفقراء أكبر من ذلك بكثير ؛ وهكذا الوضع في مختلف أنحاء العالم . فلو  
كان الاقتصاد الإسلامي قائماً ومطبّقاً كما يجب هل كنت ترى الوضع كما هو  
عليه الآن ؟ بالطبع لا ، والأمثلة التي ذكرتها لكم أكبر دليل على ذلك .

فإذا أردت أيها المسلم أن تفلح في حياتك وتعيش وفق ما أراد الله  
لك من الحرية والكرامة فليس عليك إلا أن تنظر إلى هذا النظام الاقتصادي  
العظيم الموجود أمام عينيك في القرآن الكريم . وتطبيق هذا النظام لا  
يحتاج سوى لإرادة صادقة وإيمان حقيقي ، فحيثما ترى الفرق واضحاً

أمامك . وتطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي لا يعني إلغاء البنوك وإلغاء القروض والمعاملات المصرفية ، بل يعني بكل بساطة تقنين هذه المصارف ومعاملتها حسب القوانين الإسلامية . وهذا الأمر قد بحثه علماءنا بشكل مفصل ، ومن جملة هؤلاء العلماء السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله وقدس روحه ، الذي وضع كتاباً أسماه «البنك اللاربوي في الإسلام» ، فاقراً هذا الكتاب وانظر الحلول فيه . وهناك كتاب آخر عن البنك اللاربوي للسيد صادق الشيرازي حفظه الله ، وكتب أخرى كثيرة وضعها علماءنا ؛ ولكن للأسف لا يُطبَّق ما في هذه الكتب . وكيف يمكن أن تطبق النظريات المحشودة في هذه الكتب التي ذكرنا ونحن نرى مختلف المؤسسات المصرفية في جميع أنحاء العالم تحت سيطرة اليهود وعملاء اليهود ؟ ! اليهود هم المسيطرون الآن على معظم المرافق الاقتصادية في العالم ، يتلاعبون بالعملات كما يريدون صعوداً وهبوطاً ، وضعوا نظاماً اقتصادياً للعالم جعلوا فيه الدولار والجنيه الاسترليني والفرنك الفرنسي وغيرها من العملات التي تسمى صعبةً ، جعلوا في هذه العملات هي العجلة التي يدور عليها اقتصاد العالم ، بينما دراهمنا ودنانيرنا تصعد وتهبط تبعاً لصعود تلك العملات وهبوطها ، فهي تابعة لا متبوعة ، وليس لها في الميزان الاقتصادي العالمي قيمة تذكر ، فهي عملات ضعيفة مذبذبة يمكن أن تفقد قيمتها كلياً بحركة واحدة ، وما رأيناه مؤخراً في الكويت دليل على ذلك .

منذ ألف سنة عندما كان الإسلام في أوج قوته كانت العملة الإسلامية هي العملة السائدة في العالم ، وكانت هي العملة الصعبة وكل العملات الأخرى تابعة لها . واليوم نرى العكس ، سقطت قوة المسلمين فاستتبعها سقوط هيبتها وسقوط اقتصادها وسقوط عملتها ، ولا اعتراض على حكمة الله : ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ (١) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٠ .

## العمل الصالح واعتناق فكر أهل البيت يؤديان إلى الجنة :

أسأل الله أيها الإخوة أن تلقى مجالسنا هذه ثمرة ما تقام من أجله فتعم الفائدة بها ولا تكون مجرد مجالس للوعظ والإرشاد بل يطبق ما يُقال فيها ، فالعلم يدعمه العمل ، ولا فائدة للعلم بدون عمل . وكلكم والحمد لله شباب واعون تعرفون تماماً ماذا تريدون ، ولا ينفع في هذه الحياة سوى العمل زاداً نتروده للآخرة ، والحياة الدنيا ليست سوى سفر للآخرة ، وليست هذه الحياة هدفاً بحدّ ذاتها بل واسطة للحياة الأخرى التي لا نصب فيها ولا تعب . الإنسان يدخل من باب ويخرج من باب ، يدخل من باب مستشفى الولادة ويخرج من باب المغتسل ، ولا يصحب معه سوى إيمانه وعمله الصالح . والالتفات إلى فكر أهل البيت عليهم السلام هو لبّ العمل الصالح ، ولا يكفي أن نعتق هذا الفكر بل علينا أيضاً أن نشره جهد طاقتنا ، وعندما ينتشر فكر أهل البيت تتكون الأمة الصالحة القوية التي لا يقهرها قاهر ولا يتسلط عليها متسلط . وإنه لشيء يدعو للأسف أن نرى عباتنا المقدسة تتعرض للانتهاك والتخريب والعالم صامت ، بينما نرى المعبد الذهبي في الهند يُطلق عليه طلقتان فتقوم الدنيا لذلك وتقعده . ضريح أمير المؤمنين يُحرق ونحن لا نحرك ساكناً ، وضريح أبي الفضل العباس يدمر وكأنّ الأمر لا يعنينا ، فيالسوء ما وصلنا إليه !! .

أنا لا أدعوكم إلى حمل السيف والاقترام ، فالحرب اليوم اختلفت ، فليس عليكم سوى المحاربة بفكركم وكلمتكم وثقافتكم وأجهزة إعلامكم ، فهذه هي الحرب السائدة اليوم ، ونتيجتها هي التي تحدّد مستقبل الشعوب . فإذا تخلّيت عن فكرك وثقافتك تخسر نفسك ، وإذا لم تستغل ثقافتك ووسائلك الإعلامية كما يجب يكون مثلك كمثل الحمار يحمل أسفراً .

**ملحمة مسلم بن عقيل رضي الله عنه :**

فاستغلّ يا أخي طاقاتك كلها لخدمة الإسلام ، وقدم كل ما تملك في

سبيل الله . وهؤلاء أهل البيت كسبوا الدنيا والآخرة لأنهم بذلوا كل ما يملكون في سبيل الله وحده لا رغبة ولا رهبة بل حباً بالله فقط . وهذا مسلم بن عقيل أول شهيد في ملحمة الحسين عليه السلام ، وليس بين أصحاب الحسين من ضحى كما ضحى مسلم بن عقيل ، فكل عائلة مسلم قتلت ، زوجته وأولاده . ولداه الطاهر وإبراهيم كان قد تركهما في الكوفة أمانةً عند شريح القاضي ، فاحتفظ بهما شريح إلى أن وضعهما في قافلة خرجت من الكوفة إلى المدينة ، ولكن الطفلين أضاعا القافلة ، فمشيا إلى أن وصلا إلى قرية فاستلقيا هناك تحت ظل شجرة وارفة ، وإذا بامرأة تملأ قربتها من الماء فرأت الطفلين وفي وجهيهما إشراقة بني هاشم وجمال النبي صلوات الله عليه وآله وسلم ، فأيقظتهما وسألتهما : من تكونان ؟ فقالا : نحن ابنا مسلم بن عقيل . فحملتهما إلى بيت سيدتها ، فسألتهما سيدة المنزل عن الطفلين اللذين معها ، فقالت : هما ضيفان عزيزان أرجو منك يا سيدتي أن تستضيفيهما لديك ، وهما يتيمان قُتل أبوهما وأمهما بعيدة عنهما . فلما رأت السيدة من جمالهما وإشراق نورهما ضمتهما إليها وقالت : أنا لكما منذ الآن بمقام والدتكما فلا تحزنا ولا تستوحشا ! ثم أخفتهما في مكان معزول في دارها حتى لا يراها أحد فيشي بهما . نام الطفلان بعد تأدية صلاتهما ؛ وفي منتصف الليل يستيقظ كلاهما ، فينظر أحدهما إلى الآخر ، فيقول الطاهر : لقد رأيت رؤيا أيقظتني . ويقول إبراهيم : وأنا كذلك يا أخي رأيت رؤيا أيقظتني . وكانت الرؤيا واحدة لديهما جميعاً ، فقد رأيا أباهما مسلم وهو يقول : لقد اشتقت إليكما يا نور عيني . خاطب إبراهيم أخاه قائلاً : يبدو يا أخي أن هذه آخر ليلة في حياتنا . فبكيا قليلاً ثم تعانقا مودعين بعضهما . فإذا بالحارث ابن السيدة التي استضافتهما قد استيقظ على صوت بكائهما ، فسأل أمه عن ذلك ، فقالت : لا أحد عندي يا ولدي . ولكنه لم يقتنع بكلامها ، فانطلق إلى مصدر الصوت فوجدتهما ، فسألتهما : من أنتما ؟ قالا : نحن ابنا مسلم بن عقيل . فسحبهما الحارث سحياً طمعاً بالجائزة التي وضعها عبيد الله بن زياد لمن يأتي برأسيهما . ثم اقتادهما إلى شط

الفرات ، وهناك خاطباه قائلين : لا تقتلنا بالله عليك وجدنا رسول الله يكافئك بجائزة أعظم من جائزة ابن زياد ! فقال : لا بد من قتلكما . فقالا : إذا لم تُردُّ تركنا وشأننا فخذنا إلى السوق وبعنا هناك رقيقاً كما فعلوا بيوسف وخذ الأموال فتصدّق بها عسى الله أن يغفر لك بذلك ! فرفض الحارث وصمّم على قتلها ، وأمه واقفة تسأله بالله وتستعطفه عليهما وهو مصرٌّ على موقفه . ثم أخذهما ليضربهما ، فالتفت إليه الطاهر وقال : لا تظن يا هذا أنا نجزع من الموت ، فنحن من أهل بيت يرون الشهادة نعمة لا تعادلها نعمة ، ولكن اسمح لنا أن نصلي ركعتين قبل تنفيذ حكمك فينا . فاستجاب لطلبهما ، فصلّى ركعتين ؛ وبعد أن قضى الصلاة قتلها الحارث ، ثم أخذ رأسيهما إلى ابن زياد ليحصل على جائزته .

هكذا استشهد ابنا مسلم ، وكذلك استشهدت كل عائلته ، حتى أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يقول : كلما مررت على دور آل عقيل خنقتني العبرة ، لأنني أراها خالية إلا من الأرامل واليتامى .

هذه دور آل عقيل ، فما بالك بدور الحسين !! كنت إذا مررت تسمع نائحة ، فتسأل : من هذه النائحة ؟ فيجيون : هذه ابنته فاطمة العليّة ، كانت تجوب الديار وتسأل الركبان عن أبيها الحسين الذي استشهد في كربلاء . فلا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم . إلهنا تقبل أعمالنا .

## علي ومفهوم العصمة (\*)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾<sup>(١)</sup> . صدق الله العظيم .

#### تمهيد :

#### من هم أهل البيت ؟

في الحقيقة ، لست في معرض الحديث عن سبب نزول هذه الآية المباركة ، ولا عن مصادر الحديث من السنة النبوية الشريفة ، ولا عن السيرة المحمدية التي تؤكد فيمن نزلت هذه الآية ، لأن الآية واضحة وضوح الشمس .

إنما الموضوع الذي أود أن أثيره هذه المرة هو توضيح بعض الجوانب من مفهوم العصمة التي خصّ بها الله تعالى أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين . ولكن الكلام على العصمة لا بد أن يمر بدايةً ، بالإجابة على السؤال التالي «من هم أهل البيت ؟» لأن ثمة خلافاً حول هذه المسألة ،

(\*) أُلقيت هذه المحاضرة في الليلة العاشرة من شهر صفر سنة ١٤١٠ هـ .

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

ومتى وضحنا وحددنا من هم أهل البيت الذين أشارت إليهم الآية الكريمة استطعنا بالتالي أن نسترسل في الكلام حول جوانب من مفهوم العصمة تحتاج إلى بحث وتوضيح .

فهل أهل البيت هم زوجات النبي ﷺ كما يحلو للبعض أن يقول ويصرّ على قوله ، أم أن أهل البيت هم غير أولئك النسوة ؟

ويكل وضوح نقول : إن أهل البيت الذين نزلت فيهم هذه الآية هم الذين أخرجهم معه الرسول ﷺ يوم المباهلة وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين . وقد أخرجهم يومذاك ليُريَ الناس جميعاً أن هؤلاء هم أهل البيت ، علماً أن هذه الآية وثيقة الصلة بحديث «الكساء» الذي رواه جمهور المسلمين وبطرق مختلفة ولكن الجوهر واحد .

وبإجماع المسلمين أيضاً ، أن رسول الله ﷺ عندما أحسّ ببدنه ضعفاً ذهب إلى ابنته الزهراء عِنتها فجاءته بكساء يمانيّ وغطته به . وتقول الزهراء عِنتها إنها كانت تنظر إلى وجهه يتلأأ نوراً كأنه البدر في ليلة تمامه وكماله ، ثم دخل عليّ والحسن والحسين ودخلت الزهراء تحت الكساء ، فدعا رسول الله ﷺ في تلك الأثناء لأهل بيته . وكان الرسول ﷺ بهذا الدعاء أراد أن يحدد من هم أهل بيته .

وتأكيداً لهذا التحديد نشير إلى أن أم سلمة ، على جلاله قدرها ، وعظيم منزلتها ، والتي كانت موجودة ، قالت : يا رسول الله وأنا منهم ؟ ورفعت طرف الكساء . فقال : لا . ولكنك على خير .

كل ذلك يؤكد أن الذين أرادوا أن يصرفوا هذه الآية إلى زوجات النبي ونسائه على أنهم من أهل البيت ، تورطوا وجانبوا الحقيقة التي لا ريب فيها ؛ فنساء النبي لا علاقة لهنّ بأهل البيت الذين عنتهم الآية المباركة ، بل إن أهل البيت هم هذه الثلثة المعصومة ، وبالتالي هم حَمَلَةُ الفكر الإسلامي .



## آية التحريم وسبب نزولها :

قلت في بداية حديثي هذه الليلة : لست في معرض الحديث عن سبب نزول هذه الآية وفيمن نزلت . ولكن رأيت أن يكون هذا الحديث تمهيداً للموضوع الأساس الذي أريد الخوض فيه . واستكمالاً للتمهيد أريد أن أشير إلى آية التحريم التي وردت في السورة المسماة باسمها لكي أوضح وأثبت : من هم أهل البيت ؟ ففي هذه السورة يخاطب الله سبحانه حبيبه المصطفى ﷺ بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرَمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ . . ﴾<sup>(١)</sup> .

ونحن نعلم تمام العلم أن الرسول ﷺ لا يحلل ولا يحرم من تلقاء نفسه ، وإنما يحلل ويحرم على أساس أنه : ﴿ وما ينطق عن الهوى \* إن هو إلا وحي يوحى ﴾<sup>(٢)</sup> . فإليكم أيها الأخوة سبب نزول هذه الآية :

أُهدي إلى زينب بنت جحش زقٌّ من العسل ، فقدّمت بعضاً منه لرسول الله فأكل منه . وعلمت عائشة بأن زينب تقدم العسل لرسول الله ﷺ فطافت على بعض نساء النبي واثمرت معهنّ على أن تقول كل واحدة منهن للرسول إذا دخل عليها : إن رائحة فمك كريهة . وهذا ما حصل بالفعل . فقد تكرر القول على سمعه من هؤلاء النساء حتى شك في مطعمه . وعندما دخل على السيدة عائشة وضعت عباءتها على أنفها . وعندما سألتها النبي : لماذا ؟ قالت : أشم رائحة المغافير<sup>(٣)</sup> . فقال : إذا كانت الرائحة سببها ذلك الذي أكلته فقد حرّمته على نفسي . وهنا يجب أن نلاحظ أن الرسول لم يحرم العسل نفسه ، وإنما ذلك الزق الذي أكل منه . فهبط جبرائيل بهذه السورة ، التي مطلعها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرَمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ، تبتغي مرضاة أزواجك ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة التحريم ؛ الآية : ١ .

(٢) سورة النجم ؛ الآيتان : ٣ و ٤ .

(٣) المغافير : واحدها المُغْفُور وهو صمغ يسيل من بعض الشجر .

(٤) سورة التحريم ؛ الآية : ١ .

ولا بد من الإشارة هنا إلى عبارة ﴿مرضاة أزواجك﴾ التي وردت في سياق الآية . إذ يفهم أن ﴿مرضاة أزواجك﴾ هنا لا قيمة لها على الإطلاق أمام التشريع وأمام أحكام الله ، في الوقت الذي نرى الرسول ﷺ يقول لفاطمة : «إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك» .

### فشل بني أمية في تحوير الآية :

وبناء على ذلك وعلى غيره ، نؤكد ونقول : إن المسألة واضحة في أن أهل البيت الذين عنتهم الآية هم قطعاً : علي وفاطمة والحسن والحسين ، أولئك الذين أخرجهم الرسول معه يوم المباهلة .

وقد حاول بنو أمية بكل الوسائل أن يُدخِلوا في أذهان الناس الأباطيل بأن يخرجوهم من دائرة أهل البيت ، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، لأن من كرمهم الله لا يضيرهم مخلوق . لقد زوروا الأحاديث وألقوا الخطب وأرسلوا الكلام ، وتكلموا بهم ورفعوا رؤوسهم على الرماح وسبوا نساءهم فما استطاعوا أن يحولوا بينهم وبين مكانهم من رسول الله ﷺ .

ونحن لا نعجب ولا نستغرب أن يحاول بنو أمية إدخال نساء النبي مع أهل البيت وجعلهم منهم ، لأنهم فعلوا أكثر من ذلك ، فقد تجرأوا على قتل ريحانة رسول الله ورفعوا رأسه فوق الرماح .

### لماذا طهرهم الله تعالى ؟ :

إن الله سبحانه وتعالى يخاطبنا من خلال القرآن الكريم بأجمل الكلام وأفصحه ، والقرآن من هذه الناحية أعجز الفصحاء والبلغاء ، فلا غرابة إذا اختار سبحانه أظهر الناس وأجلهم ليوضحوا لنا مناهج القرآن وأحكامه ، وليكونوا حَمَلَةَ الإسلام الداعين إليه ، والعاملين بأوامره ونواهيه ، فكانوا نماذج إسلامية رائعة نسير على هديهم ونأخذ إسلامنا عنهم .

إذن نستطيع الآن أن نفهم لماذا طهرهم الله تعالى لأننا نريد أن نأخذ القرآن منهم . وهل يمكن أن يؤخذ الإسلام والقرآن من إنسان مخمور ؟

والعياذ بالله . هل يؤخذ القرآن ممن لا يفهمه وممن يجهل حتى قراءته ؟  
لا . بل يؤخذ القرآن عن الذين نزل في بيوتهم وكان جبرائيل خادماً لهم .

لقد أردت من هذه المقدمة أيها الأحبة ، أن تكون مدخلاً لموضوعنا  
هذه الليلة ، وهو محاولة التعرف إلى بعض الجوانب من مسألة العصمة .

### للمعصوم جانبان : غيبي وبشري :

إن مسألة العصمة أيها الأخوة لا تفهم ولا تدرك إلا إذا عرفنا أن كل  
واحد من المعصومين له جانبان في شخصيته :

**الأول :** جانب غيبي متصل بالله سبحانه وتعالى . وهذا الجانب هو محور  
العصمة ، فهو يؤثر في عقيدتنا ، وبالتالي فإنه غير مطلوب منا أن نتابع  
المعصوم بهذا الجانب .

**الثاني :** أما الجانب الثاني في المعصوم فهو الجانب البشري .  
فالمعصوم يتعب كما تتعب وله إحساساتنا البشرية ، يأكل ويشرب  
ويتحرك في حياته اليومية . فالزهراء عليها السلام كانت تدير حجر الرحي كأي  
امرأة أخرى ويترك ذلك العمل أثره في يدها . وقد دخل عليها رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم فرآها وعليها كساء من أجلة الإبل ، وتطحن بالرحى ، وعلى صدرها  
الحسين ترضعه ، فدمعت عيناه وقال : «بنية فاطمة تجرعي مرارة الدنيا  
لحلاوة الآخرة» .

ويوم زواجها من الإمام علي عليه السلام ، باع الإمام درعه بمبلغ خمسمائة  
درهم أو أقل ، دفعها الرسول إلى بلال وأم سلمة وأبي ذر ، الذين اشتروا  
بها من السوق جهاز الزهراء . وأي جهاز كان : كوز للماء ، رحي لطحن  
الشعير ، حصيراً ، وقربة للماء طالما أثرت في كتف الزهراء عليها السلام ، وبعض  
الطيب جاءت به أم سلمة .

إن هذا الجانب هو البشري في حياة الزهراء . أما الجانب الغيبي  
المتصل بالله والذي لا علاقة لنا به إلا بمقدار ما يعمق عقيدتنا فهو أنه في  
زفاف الزهراء عليها السلام أوحى الله سبحانه لأشجار الجنة وشجرة طوبى ، أن تشر

الدر والجواهر لتكون مهراً لها . ثم جعل الله لها نهراً في الجنة هو نهر الكوثر المسمى باسمها والذي ورد في الآية الكريمة : ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾<sup>(١)</sup> أي فاطمة الزهراء . ﴿فصل لربك وانحر﴾ \* إن شائتك هو الأبرق<sup>(٢)</sup> وهو العاص والد عمرو بن العاص .

في زفافها ﷺ مشى الرسول في الموكب ، وسلمان يقود الناقة ، وزوجات النبي يحطن بها وفي مقدمتهن أم سلمة . هذا هو الظاهر ، أما في الجانب المستور عنا ، أن جبرائيل نزل بسبعين ألفاً من الملائكة وكذلك فعل ميكائيل . إن هذا الجانب المستور له علاقة بالعقيدة ولكن لا علاقة له في السلوك البشري . إذ لو كان له أدنى علاقة بالسلوك البشري لرأينا الطلبات تنهال على جبرائيل وميكائيل لكي يأتي كل منهما بصفوف من الملائكة تشارك في زفاف النساء .

وإذا كنا نتحدث عن الزهراء القدوة والأسوة ، فكيف يمكن أن يتحقق ذلك إذا كانت ﷺ تعيش حياة غيبية بعيدة عن حياة البشر ومسلكتهم ؟  
﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾<sup>(٣)</sup> .

### الجانب البشري في حياة أهل البيت والأنبياء :

إن الأئمة والأنبياء ﷺ في جانبهم البشري ، هم بشر يحسون ويشعرون ويفرحون ويتألمون ويحلمون وتعرض لهم المصائب والمسرات ، ويمتلكون طاقات بشرية بكل ما في الكلمة من معنى . وفي هذا الجانب تبرز حقيقة العصمة وروعيتها ، فهم يقاومون كل المغريات ويدفعونها باختيارهم وزهدهم وورعهم . وإذا لم يكن الأمر كذلك فما هو فضلهم ﷺ في ذلك ؟ .

إن الله سبحانه وتعالى قد أعطى وزود المعصوم بقوة غيبية ، ولكن

(١) سورة الكوثر ؛ الآية : ١ .

(٢) سورة الكوثر ؛ الآيتان : ٢ و ٣ .

(٣) سورة فصلت ؛ الآية : ٦ .

اشترط عليه ألا يستثمرها أو يستعملها وإلا ما كان هناك معنى لمفهوم القدوة والأسوة .

فهذا الرسول الأكرم ﷺ عندما يخرج إلى الطائف ، يضربه الناس بالحجارة من كل جانب وتسيل دماؤه الشريفة ويتأذى . فيهبط عليه جبرائيل جاعلاً بأمر ربه الجبال تدك إذا هو أراد ذلك لكي تتناثر على رؤوس هؤلاء القوم الذين يؤذونه ، ولكن الرسول ﷺ يقول له : لا يا جبرائيل دعوني وقومي فإنهم لا يعلمون .

وموسى ﷺ كان يمتلك تلك العصا التي تمثل طاقة لا حدود لها . فقد ضرب بها ففجّر اثنتي عشرة عيناً ، وفتق البحر ، وتحولت إلى ثعبان .

إذن عندما دخل على فرعون بهذه العصا كان باستطاعته أن يدك قصر فرعون على رأسه ورأس هامان وزيره . ولكنه لم يفعل ، فبدأت الأمور طبيعية . لذلك يسأل البواب لكي يأذن له بالدخول على فرعون فيرفض طلبه عندما رآه بملابس الراعي فكيف يدخل بها على ربهم الأعلى . والعلامة المجلسي يورد رواية تفيد أن موسى بقي ثلاث سنين بباب فرعون وهو يحاول الدخول ولكن دون جدوى مع أنه ﷺ يمتلك تلك العصا الجبارة بإذن ربه . وبعد ذلك أدخل موسى ﷺ لأن فرعون شعر بضيق وهم فأشار عليه أحد ندمائه أن بالبواب راعياً فليدخل ويرفّه عن فرعون ، فدخل ﷺ فوجم فرعون إذ رأى موسى ينتصب أمامه ويده العصا . إن من يقرأ مثل هذه الرواية يستغربها في بداية الأمر . ولكن لو فكر قليلاً لوجد أنها قمة في معرفة منهجية الرسل . وقد أشار الإمام عليّ إلى هذه الناحية في نهج البلاغة من خلال إحدى مواظمه ، فقد أوضح ﷺ أن الله سبحانه لو أنه أمر أنبياءه باستثمار هذه القوى الغيبية ، لما كان لدعواتهم أي أثر في النفوس ولكان انضواء الناس تحت راية الإسلام إما خوفاً ورهبة ، وإما طمعاً ورغبة . ومن يفعل ذلك فإن أسلامه سوف يكون ضعيفاً وسوف يهتز عندما تزول أسباب الرهبة أو الرغبة وبالتالي لن يتغلغل الدين في النفوس . في

الوقت الذي يريد الله سبحانه وتعالى أن يتجه الناس إليه طواعية واختياراً وعن قناعة . فعلاً قد وهب الله الأئمة تلك الطاقة لكنهم لا يستخدمونها ، وبالتالي لا حاجة إلى تصور البعض أن حياة أهل البيت كلها معجزات ، فإن ذلك غير صحيح لأن المعجزة لها مناسبتها ووقتها الذي لا بد منه أمام التحديات الكبرى التي تواجههم عليهم السلام .

يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى شاباً من الأنصار مقبلاً عليه في يوم أُحد . وكان هذا الشاب في مقتبل العمر لم يتجاوز العشرين وكان متزوجاً ولما يمض على زواجه أسبوعان . تقدم من الرسول يحمل عينه التي اقتلعها سهم في المعركة . قال : يا رسول الله أنا لم يكن لي شرف الاستشهاد ، والآن أريد أن أرجع إلى زوجتي وهي شابة ، فردّ لي عيني إلى مكانها . قال له : لا بأس . . . فأخذ عينه وردها فعادت أجمل مما كانت عليه .

لا شك أنها معجزة من الرسول . ولكن تصوروا معي أن الرسول يمارس مثل هذه المعجزة بشكل متواصل . فكيف تكون النتيجة ؟ وأين فضيلة الصبر والجهاد ؟ وبالتالي لم يكن هناك من داعٍ ليوم أُحد ولمحنة المسلمين ، إذ كان يكفي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرفع يده بوجه الكفار والمشركين وعلى رأسهم أبو سفيان وخالد بن الوليد ويطلب لهم الموت فيموتوا وينتهي كل شيء ، وكفى الله المؤمنين القتال .

كلا . . إن الأمر ليس هكذا . . إذ يجب أن تمارس الحياة بشكل طبيعي ينسجم والحياة البشرية المألوفة حتى يستحق المجاهدون الجنة بجهادهم وصبرهم وحتى يستحق الكفار النار بكفرهم وعنادهم ، وأمام الجميع تتجلى حياة النبي بشكل طبيعي ومألوف فيجرحُ ويُعصبُ رأسه بعد أن سالت دماؤه الشريفة ، وبذلك يكون قدوة وأسوة .

وكذلك الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ، فقد كان عطشه يجعل ما بينه وبين السماء كالدخان ، وكان جسمه يتألم ، من جراء السهام التي كانت

تنهال عليه كالمطر ، فقد كانت تؤلمه كما تؤلمكم . ولو كانت هذه السهام لا تسبب له ألماً لما كان هناك معنى لكل ما يحدث ولما كان الإمام قدوة وأسوة لنا . وبالتالي إذا طلبت إلى إنسان ما أن يجاهد في سبيل الله كما جاهد الحسين لقال لك : إن الحسين لم يكن يشعر بالألم ولا بالعطش فكيف تريدني أن أجاهد مثله ؟ .

ومن هنا فإن الإمام المعصوم عندما يجاهد ويتألم ويمارس الإسلام فهو يفعل ذلك من خلال الجانب البشري ، ويبلغ في ذلك مرتبة جهادية نعجز عن الوصول إليها وبلوغ غايتها . وقد أشار إلى هذه الناحية الإمام عليّ عليه السلام عندما قال : «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه . ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه<sup>(١)</sup> ومن طعامه بقرصيه ، ألا وإنكم لا تقدرُونَ على ذلك ، ولكن أعينوني بورعٍ واجتهادٍ وعفةٍ وسدادٍ» .

اعتقد أيها الأخوة أن القضية قد أصبحت واضحة ، ويمكن توضيحها أكثر إذا تناولنا الجانب العقلي والجانب الغريزي في الإنسان لكي تصبح المسألة متكاملة .

### قدرة الله تتجلى في خلقه :

كل شيء خلقه الله في هذا الكون جعله كاملاً بل قمة في الكمال . فليس هناك نقص . فانظر إلى النملة في عالمها وإلى النحلة في خليتها وإلى الفراشة في حركتها وإلى الطاووس في خلقه وإلى سائر الحيوانات الأخرى فإنك سوف تجدها كاملة من غير أن يكون ثمة شيء يدل على نقصان . يقول سبحانه ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾<sup>(٢)</sup> .

إن هذه الكائنات قد هداها الله سبحانه وتعالى إلى غرائزها التي

(١) الطمر : واحد الأطمار . وهو الثوب البالي .

(٢) سورة الملك ؛ الآية : ٣ .

تسيّرها ، وقضية الأسوة والقُدوة والقيادة موجودة لديها بشكل غريزي . وقد أثبت علماء الأحياء أن للطيور قيادة منظمة تنظيماً دقيقاً قد لا نجده في عالم الإنسان . إذ لا بد من وجود الطائر القائد في المقدمة ، يتقدم سرب الطير التي تساوى في العدد عن يمينه وعن شماله ، وبقية السرب تطير خلفه .

ولو لاحظنا جماعة النمل أيضاً لوجدنا ما يخلب العقول في حركتها وتنظيمها وتصرفها . وتدليلاً على أهمية هذه الحشرة ودقة تنظيمها خصها الله تعالى في كتابه الكريم بسورة هي سورة النمل . والإمام علي في نهج البلاغة له خطبة رائعة يتناول فيها عالم النمل .

فلورمى أحدنا بقطعة من الحلوى أو أي طعام آخر وجلس يراقب ، فما الذي يحدث ؟ بعد لحظة قد تقبل نملة وهي تدب باتجاه القطعة من الطعام . تصل إليها . . تتحسسها . . ثم ترجع . ولكنها لا تلبث أن تعود وخلفها خيط طويل من النمل تقوده إلى تلك المُرْعَة<sup>(١)</sup> من الطعام .

وإذا جُرحت نملة أو قُتلت نجد أن بقية النمل لا تتركها إنما تقدم لها الإسعافات . إذ أن هناك إفرازات سائلة تقدم لها لتعيشها .

يقول تبارك وتعالى : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين \* وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾<sup>(٢)</sup> .

إن الإنسان المؤمن أيها الأخوة يجب أن يتأمل ويفكر في خلق الله ، ويسأل : لماذا يجعل الله تعالى في القرآن الكريم سورة كاملة باسم النمل ولماذا يخصص الإمام علي خطبة كاملة في النملة ؟ إن هذا العالم المتكامل سوف يقودنا حتماً إلى الإقرار بعظمة الخالق الذي لا إله غيره والذي ليس كمثل شيء . فانظروا إلى الإمام علي وهو يقول لولده الحسن عليه السلام : «واعلم يا بني ، أن فاطر النملة هو فاطر النخلة» .

(١) المزرعة : واحدة المَزْع أو المُرْع وهي القطعة .

(٢) سورة الذاريات ؛ الآيتان : ٢٠ و ٢١ .



ولقد ضربت مثلاً ذات مرة لبعض الأخوة وقلت له : لو أن فراشة ، أنثى مثلاً ، تدخل غرفتك ، اغلق الباب عليها واخرج أنت إلى خارج الغرفة ولاحظ . بعد وقت يسير قد لا يتجاوز الدقائق ستجد ذكرها يحوم حول الغرفة . فما الذي حدث ؟ يقول علم الأحياء : إنها اتصلت بذكرها وأعلمته بمكانها . ونحن بدورنا نسأل : من الذي هداها إلى لغتها ؟ وكيف اخترقت لغتها جدران الغرفة ؟ وأين كان ذكرها وكيف سمع . . وكيف تأكد له مكان أنثاه ؟ إن هذه الأسئلة جميعها تقودنا إلى خالق الكون الذي لا إله غيره ، تبارك وتعالى وجلت قدرته وحكمته .

وثمة أنواع كثيرة من الكائنات الحية تدل على عجب صنع الله . فهناك نوع من الحشرات بحجم الجراد ، تحمل في بدنها «راداراً» من أكثر الأنظمة تعقيداً . ولها نظام خاص تتصرف على أساسه ، إذ تضغط على كمية معينة من الهواء فتتصل بذكرها أينما يكون . قد تشاهدها على حائط أو على فرع شجرة تلتصق به هادئة ، ولكن يجب أن تعلم أنها في حالة مكالمة ومراسلة تخفي عليك ، ولكنها موجودة .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾<sup>(١)</sup> ويقول أيضاً : ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾<sup>(٢)</sup> .

إن هذه الكائنات تهتدي بغرائزها التي زودها الله بها من غير أن تخطيء أبداً . أما الإنسان فقد جعل فيه الخالق جانبيين : جانب العقل وجانب الغريزة .

### الغريزة في الإنسان لا تحتاج إلى موجه :

إن الجانب الغريزي في الإنسان لا يحتاج إلى من يوجهه فقد وهب

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ٣٨ .

(٢) سورة التكويد ؛ الآية : ٥ .

الله الإنسان هذا الجانب لثلا يحدث فيه أي خلل لأنه يتصل بنموه وحياته الفيزيولوجية . فغريزة الجوع والحاجة إلى الطعام لا تحتاج إلى من يذكر الإنسان وينبهه ، وبالتالي لا تحتاج إلى موجه ومعلم . فالطفل الذي يولد حديثاً من بطن أمه يمارس عملية امتصاص الحليب من ثدي أمه وكأنه قد تعلمها منذ زمن بعيد . مع أن عملية الامتصاص هذه صعبة لأنها تتعلق بمجموعة من الحركات العضلية في الفم ، فكيف تعلم هذا الطفل عملية الامتصاص بهذه السهولة واليسر؟ ذلك لأن الله تعالى لم يخضع الغريزة لمعلم أو موجه ، وإلا لكان الطفل بحاجة إلى فترة طويلة حتى يتقن عملية الامتصاص هذه ، وقد يموت جوعاً قبل أن يتأتى له ذلك . ولكن الله بحكمته البالغة وقدرته العجيبة نظم العمل الغريزي لدى الإنسان بشكل لا يحتاج فيه إلى من يعلمه ويوجهه ، وجنبه بذلك كثيراً من الصعوبات والتعقيدات .

### حاجة العقل إلى موجه :

أما الجانب الثاني ، وهو جانب العقل ، فهو يحتاج إلى موجه ، لأن هذا العقل هو حجة باطنة في الإنسان . وقد ربطها الله سبحانه بالأنبياء والأئمة . وبذلك يكون الله على الإنسان حجتان : واحدة ظاهرة تتمثل بالأنبياء والأئمة والثانية باطنة تتمثل بالعقل .

ومن هنا كانت الحاجة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس ، ليكونوا موجهين للبشر في حياتهم وخياراتهم المتصلة بالجانب العقلي لثلا يضيع البشر وينحرفون عن الصراط المستقيم إلى مجاهل الضلالة والضياع وبذلك يكون خسرانهم .

ومن أجل ذلك كانت هذه المجالس التي تعقد وموضوعها أهل البيت الذين نهتدي بهداهم ونستنير بنورهم وعلمهم . ، ففي هذه المجالس حياة للعقول والقلوب في آن معاً .

يقول الإمام الباقر عليه السلام لزراعة بن أعين : «يا زارة ، إن حديثنا ليحيي

القلوب» ، والإمام الصادق عليه السلام يقول لأفضيل : «يا أفضيل تجلسون وتحدثون؟» قال : بلى ، سيدي . قال : «أما إني لأحب تلك المجالس فأحيوا أمرنا ، رحم الله من أحيا أمرنا» والإمام عليه السلام يعني هذه المجالس . لذلك نؤكد أن كل الذين يتعدون عن أهل البيت تموت عقولهم . فما هو العقل ؟ .

### ما هو العقل ؟ :

يُعرَّفُ العقل بأنه «هو الذي يُعبَدُ بِهِ اللهُ» . هذا هو معنى العقل : أن تتجنب وساوس الشيطان وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى . لذلك عندما سئل الإمام الصادق عن دهاء معاوية وعقله قال عليه السلام : «تلك هي الشيطنة» .

ومن هنا تأكيدنا باستمرار على أن مناهج الإسلام لا يمكن أن تفهم إلا من خلال هذا البيت الطاهر الذي يحيي العقول ويميت الشيطنة .

إن هذا البيت الطاهر بكل من فيه هو أسوة يجب أن تقتدي بها سائر البيوت في الأرض . حتى الخادمة «فضة» الموجودة في هذا البيت اكتسبت منزلة رفيعة من خلال وجودها فيه ، فقد أصبحت عالمة عارفة ، فقد كانت مع الزهراء عليها السلام تراقبها في عملها وفي إدارة أسرتها . إن هذه الجوانب البشرية هي التي تعيننا في حياتنا وتصرفاتنا ، أما الجوانب الأخرى المستورة عنا فهي تعمق عقيدتنا وترسخها .

يجب أن تعلموا أيها الأحبة أن نطفة الزهراء قد تكونت وتشكلت عند سدرة المنتهى ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكثُر من تقبيل فاطمة عليها السلام . فقد قالت له عائشة : يا رسول الله أراك تكثر من تقبيل فاطمة .

قال : «بلى يا عائشة . ليلة أُسري بي وُجِّح بي إلى السماء أخذني حبيبي جبرائيل فأدخلني الجنة وناولني رطباً من رطبها ، فأكلته فتحول إلى نطفة في صلبي ، فهبطت إلى الأرض فواقعت خديجة ، فكانت فاطمة ، ففاطمة حوراء إنسيّة ، وكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي

فاطمة» . فكيف يمكن لنا أن نَزَوَّرَ عن هذا البيت الطاهر إذا كانت رائحة من فيه من رائحة الجنة ؟ .

### الأسرة الإسلامية في خطر :

إنني أيها الأخوة والأحبة ، في معرض حديثي عن أسرة أهل البيت الطاهرة ، أجدني مضطراً أن أدق ناقوس الخطر لأنني أرى الأسرة الإسلامية تعيش حالة اهتزاز وبالتالي فهي معرضة للتمزق والضياع في مهب الرياح الغربية الاستعمارية التي تهب علينا بأشكال مختلفة وتحت ستار من التحضر والمدنية .

هناك عدوى أيها الأخوة إسمها «عدوى تحطيم الأسرة» فقد امتدت أصابع الغرب إلى بيوتنا وصولاً إلى تمزيق الأسرة في مجتمعنا ومتى تمزقت الأسرة تفكك مجتمعنا وأمسى في خبر كان . وهذا الأمر الخطير لا ينحصر في دولة واحدة بل يشمل البلدان الإسلامية كافة . ولا علاج لنا في لَمَّ شَمَلِ الأسرة في مجتمعاتنا الإسلامية إلا بالعودة إلى النبع الأصيل ، إلى أسرة أهل البيت لتلقى الدرس الصحيح الذي لا يُنسى ، فبذلك خلاصنا ومنجاتنا من حبات الغرب الخبيث ، لئلا نكون عرضة للضياع والتمزق .

إن نظرة واحدة نلقيها أيها الأخوة نجد أن الطلاق أصبح مطلباً لكثير من الأزواج والزوجات الذين يهددون بالانتحار إذا لم يحصل الطلاق . وإذا ما فتشت عن الأسباب تجدها تافهة وسخيفة ، علتها الأولى الجهل سواء من جانب الرجل أو المرأة . فالكل لا يدرك أهمية الأسرة ومكانتها في تربية الأجيال . وخاصة المرأة التي تريد أن تتعلم لكي تخرج من البيت الذي تعتبره سجناً يطبق على أنفاسها ، وتريد أن تتنصل وتتخلص من تربية الأولاد في البيت بحجة أنها لا تريد أن تضحى بحياتها وهي تجلس إلى جانب الأطفال . إن مثل هذه المرأة لا تدرك قيمة الأسرة ومكانتها .

ولا يَظُنُّ ظانٌ أن الإسلام يقف حجر عثرة بين المرأة والعلم .

فالإسلام لا يمنع المرأة من أن تتعلم ولا يحول بينها وبين المعرفة ، بل لا يحول بينها وبين أن تصبح «مجتهدة» ، ففي أيام الشيخ البهائي في جنوب لبنان كان هناك أكثر من خمسمائة امرأة مجتهدة ، وصلن إلى مرحلة الإجتهد ، وفي البحرين أيضاً ثمة نساء بلغن مرتبة الإجتهد ، ولهن قبور ومزارات .

وهذا التاريخ يحدثنا عن الحوراء زينب : إنها كانت تعقد المجالس لتفسير القرآن الكريم ، فهي امرأة وقد وصلت إلى مرتبة الإجتهد . إن الإسلام لا يمنع المرأة من العلم ، لكنه يريد لها أن تتبوأ مكانها الطبيعي ضمن أسرتها فتديرها وتدبر شؤونها وهي بذلك تؤدي وظيفة رسالية هي من وظائف الأنبياء .

ودليلنا إلى ذلك الزهراء عليها السلام فهي القدوة لنساء العالمين ، وليست مريم هي القدوة ، لأن مريم لم يكن لها من البنين سوى عيسى عليه السلام . وعيسى لم يكن له بيت ، فسراجة القمر ودابته رجلاه وخادمه يده ومطعمه ومشربه أعشاب الأرض . والله سبحانه وتعالى أرسل كل الأنبياء ليكونوا ممهدين لقدم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم . ومريم العذراء كانت ممهدة لمقدم الزهراء عليها السلام .

قيل للرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أليست مريم سيدة نساء العالمين ؟ قال صلى الله عليه وسلم : «سيدة نساء زمانها ، أما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين» .

أعود مرة أخرى لأدق ناقوس الخطر أيها الأخوة في هذه الليلة . لأن المسؤولية تقع علينا جميعاً . والله سوف يسألنا ورسول الله سوف يسألنا وعلي أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سوف تسأل كل امرأة من نساتنا ، سوف نسأل جميعاً ، وإلا ما قيمة هذه المجالس التي نعقدتها إذا كنا عاجزين عن حماية أسرنا من الضياع والتمزق وغير قادرين على تعديل مسيرتنا والتحلي بالأخلاق الإسلامية والمسلك الإسلامي .

إن الأسرة المسلمة أيها الأخوة في خطر ، هنا وفي بلاد المهجر ، لأن أعداء الإسلام يكيّدون لنا كيّداً وفي طليعتهم اليهود فهم يخططون ويدبرون المكيدة في وضوح النهار ونحن ندير ظهورنا للمشكلة كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال ، فلنستيقظ قبل فوات الأوان ولنتنبّه قبل ضياع الفرصة وإلاّ فإننا سوف نكون من النادمين وساعتئذٍ لن يكون للندم نفع أو فائدة .

### ظهور المهدي (عج) :

إن هؤلاء اليهود ، قطعاً ، لن يستمروا في بغيهم هكذا ، ففي الأخبار والروايات أنه إذا ظهر صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف ، فسوف يظهر بمكة المكرمة ويخطب هناك ، وسوف يسمعه كل من على الأرض ويراه . وأنا شخصياً كنت أقول إن رؤيته سوف تكون عبر شاشة التلفزيون . ولكن ، لا . لأن الرواية تقول : إن كل من في الأرض يراه ويسمع صوته وبكل لغات العالم . وهذه حقيقة مؤكدة ، ومن لا يؤمن بهذا فقد خسر خسراً مبيّناً ، بضمان القرآن الكريم من رب العالمين بأنه سوف ينشر الإسلام في العالم قاطبة : ﴿ليظهره على الدين كله﴾<sup>(١)</sup> .

إن الإمام المهدي (عج) سوف يظهر في مكة ويخطب ، ولكن ليس بوسائل الإعلام هذه ، فهي وسائل لا قيمة لها ، لأن نسبة هذه الحضارة إلى علم الإسلام وحضارته التي سيخرج بها علينا الإمام المهدي هي كنسبة علمنا إلى علم الإمام . وإذا أردنا أن نمثّل هذا الفرق . بالسرعة فهي كسرعة النملة إلى سرعة السفينة الفضائية أو الصاروخ .

إن الإمام المعصوم أيها الأحبة ، علّمه من الله ، ولا يطرح عليه سؤال عن آية إلاّ ويعرف تفسيرها ، فالقرآن في قلوبهم . فهذا الإمام الجواد عليه السلام كان في السابعة من عمره وقد سأله عن ثلاثين ألف مسألة وهو يجيب عنها

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٣٣ .

يتفجر علماً ونوراً ومعرفة كالشلال الذي يهدر والنبع الذي لا ينضب . بينما تجد غيره وقد بلغ التسعين من العمر ، يصعد المنبر ، فيسأله أحد الجالسين عن تفسير آية فلا يعرف ويسأله آخر فيغضب ويعتبر هذه الأسئلة تشويشاً على الإسلام والمسلمين . فحرّم السؤال عن تفسير القرآن . وقد حدث هذا في الصدر الأول للإسلام فعَمَّ في البلاد الإسلامية أن السؤال عن تفسير القرآن حرام .

إن هذا كان يحدث في الوقت الذي كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة : «سلوني قبل أن تفقدوني» . فهؤلاء هم أهل العلم والقرآن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . لذلك ينبغي لنا أن نلتجئ إليهم فهم حبل الله المتين وسراجة المنير وصراطه المستقيم .

أعود بكم إلى من تنتظر ظهوره الشريف على أحرّ من الجمر فيملاً الأرض عدلاً بعد أن ملكت ظلماً وجوراً ، فأقول : عندما يخطب في مكة (عج) فإن العالم كله يرى صورته ويسمع صوته ، وفي الأخبار أن ذرات الهواء في كل مكان تحمل صورة الإمام الحجة ، بعد ذلك ينطلق من مكة المكرمة إلى بيت المقدس . وهناك يقف للصلاة ، فينزل المسيح عليه السلام من السماء ويقف خلف الإمام الحجة ، وفي تلك الأثناء يكون الإمام رافعاً يديه لتكبيرة الإحرام . فينزل يديه ويتراجع لكي يقدم عيسى عليه السلام فيقول له : صَلِّ بنا يا روح الله . فيأخذ عيسى عليه السلام بعضد الإمام المهدي (عج) ويقول : بكم تُقام الصلاة يا ابن رسول الله . ساعتئذ يتقدم المهدي فيقف في المحراب وعيسى خلفه . وكل من يرى هذا المشهد ولا سيما المسيحيون سوف يؤمنون بالإسلام وأنّ هذا الذي يؤم الناس في الصلاة هو إمامهم الذي يجب أن يقتدوا به . ومما لا شك فيه ، أن يوم ظهور الحجة سوف يكون يوماً أسوداً على الظلمة الذين يستغلون الفقراء والمستضعفين ، ويوماً أبيضاً منيراً على المؤمنين .

وبعد أن يصلي الإمام في بيت المقدس يرجع إلى كربلاء ، فيقف على قبر أبي عبد الله الحسين . وفي الأخبار أنه يمد يده إلى قبر عبد الله الرضيع ويأخذه بين يديه والسهم في نحسه ثم يلتفت إلى جده الحسين قائلاً : «لأندبنا صباحاً ومساءً ، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً» .

ومن هنا ينطلق (عج) لينشر حكومة الإسلام تحت قيادته الشريفة فيعم العدل والخير وتختفي خفافيش الظلم والجور ، وتنعم البشرية بما كانت تحلم به من عدالة ، وينادي جبرائيل بين السماء والأرض «ألا أيها الناس ، لقد خرج مهدي آل محمد ، فاسمعوا له وأطيعوا» .

وبعد أن تُعمَّ حكومة الإسلام وترفرف راية العدل ، يخرج الأعداء الدجال ، والسفياي ، فيصيح الشيطان صيحة مماثلة لصيحة جبرائيل ، وعندها يثبت المؤمن ويسقط الضعيف المهزوز .

لقد استرسلت أيها الأخوة في هذا الحديث لكي يكون كل واحد منا مستعداً لاستقبال المهدي (عج) ، وبالتالي يكون مستعداً للموت الذي لا ندري أيان ساعته . هذا الموت الذي يذكرنا به الإمام عليّ وهو يوصي ولده الحسن عليه السلام : «واعلم يا بني أنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه . فكن منه على حذر من أن يأتيك وأنت على حالة سيئة ، قد كنت تحدث نفسك بالتوبة منها ، فيحول بينك وبينها» .

فلنكن كلنا مستعدين لمثل هذه الساعة المرتقبة وكنَّتْ إلى الله توبةً نصوحاً ، وهذه الليالي التي نعيشها معاً ، مجال التوبة فيها واسع ومغفرة الله قريبة . فلنعاهد الله أن نعمل على صيانة أسرنا وأبنائنا ولتكن أسرة الزهراء مثلاً نتأسى به وأنموذجاً نحتذيه وتجربة رائدة نعمل بموجبها .

### عودة إلى تلك الأسرة الطاهرة :

لقد كان ذلك البيت مثلاً للبيت الطاهر ، فكل حركة فيه تنطلق من الإيمان الذي تشع أنواره ، وتأوي إلى دائرة الحق ، يتجلى فيها الإسلام



بأروع صوره . يمر رسول الله ﷺ بهذا البيت وتلو : «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» (١) ثم يقول : «الصلاة ، الصلاة يا آل بيت محمد» . وكان إذا سمع الحسين يبكي يقول : «بنية فاطمة ، أما تعلمين أن بكاء الحسين يؤذيني ؟» .

أما الإمام الحسن عليه السلام ، وهو طفل صغير ، فقد كان يسمع الوحي ينزل على جده رسول الله ﷺ ، فينقل ما سمع إلى أمه فاطمة . فإذا جاء الإمام عليّ يُفاجأ بأنها على علم بالآيات القرآنية التي لما يمض على نزولها وقت قصير ، فيسألها كيف تم لها معرفة ذلك ؟ فتجيبه : إنه ولدك الحسن .

ويروى أن الإمام عليّاً رغب في أن يستمع إلى ولده الحسن وهو يحدث أمه الزهراء عليها السلام ، فاختبأ في الحجرة . ووصل الإمام الحسن الذي لم يتجاوز الخامسة من عمره حسب الرواية ، فدخل ووقف كعادته يريد أن يحدث أمه ولكنه سكت ولم يتكلم ، وتستوضحه الزهراء سبب سكوته وتحته على الكلام ، فقال لها : أمّاه لقد كلّ لساني وعجز بياني . ولعلّ سيدي في البيت يراني ، فخرج إليه الإمام عليّ وضمّه إلى صدره وراح يقبله قائلاً : ذرية بعضها من بعض .

هذا هو بيت الزهراء أيها الأخوة ، هذا هو البيت المثال للأسرة الإسلامية . يقول الإمام عليّ : نظرت إلى فاطمة فرأيت يدها قد مجلت (٢) من الطحن على الرحى ، واستقتت بالقربة حتى أثرت في كتفها ، وكنست حتى أثر ذلك في ثيابها . فقلت لها : لو ذهبتِ إلى أهلك فلعلّه يأتي لك بخادم . فجاءت الزهراء أباه فوجدت معه جماعة في المسجد فرجعت . تبعها رسول الله ﷺ وقال : بنية فاطمة ما الذي جاء بك ؟ قالت : أبتاه . ثم سكتت فقد أخذها الحياء . فأخبره الإمام أنها تحتاج إلى خادم

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

(٢) مجلت : بدت عليها آثار العمل . والعامّة تقول «بَقُبْتُ» .

تساعدها . فعلمها الرسول ﷺ تسبيح الزهراء المشهور (يُسَبَّحُ بِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ : أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَثَلَاثِينَ مَرَّةً سُبْحَانَ اللَّهِ) .

إن الحديث عن هذا البيت لا ينضب ، والمتحدث بفضائلهم لا يَمَلُّ . ألم يرد ذكرهم في القرآن الكريم في العديد من المواضع ؟ بلى . ولعل أشهر ما نزل فيهم قوله تعالى : ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ، إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (١) .

إن الرسول ﷺ لم يكن ليدخل بيت فاطمة من دون استئذان ، إذ يُروى أن الرسول ﷺ كان يقف على باب الزهراء فيقول : «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، أتأذنون لمحمد بالدخول ؟» ، فيأتيه الجواب من الزهراء : أبه ، البيت بيتك ، والكريمة كريمتك . فيقول : بنية إن ربي أمرني أن أستأذن .

وتعليقاً على ذلك أقول : يا سيدي يا رسول الله . . ليتك كنت حاضراً لترى بأمر عينك ما الذي جرى عند هذا الباب . . وكيف حاصروا ابتك الزهراء بين الحائط والباب حتى أسقطت جنينها فوقعت مغماً عليها وعلى مرأى من ابنتها الحوراء زينب التي كانت واقفة تنظر إلى أمها .

### صور من آلام أهل البيت وأحزانهم :

روحي فداها إذ سقطت الزهراء بين الباب والحائط ، فأسقطت ذلك الجنين الطاهر :

لبست الحزن طول الدهر يلباب  
ذهيل ، ولا بقي لي فكر يلباب

(١) سورة الإنسان ؛ الآيتان : ٨ و ٩ .

انشدك ، وين محسن سقط يا لباب  
يوم العَصْرُوا البضعة الزكية ..

ما زالت باكية العين ، معصبة الرأس ، يُغمى عليها من الألم ساعة  
بعد ساعة . ولكثرة بكائها عليها السلام جاء شيوخ المدينة يطلبون إلى الإمام عليّ  
أن تخفف من بكائها ، فبنى لها بيتاً ، أسماه «بيت الأحزان» ، وكثيراً ما  
كانت تمضي الساعات في هذا البيت برفقة الحسن والحسين عليهما السلام .

ويقال: إن بلالاً انقطع عن الأذان ، كرامة لفاطمة الزهراء . فطلبت من  
أمير المؤمنين أن يسأل بلالاً حتى يؤذن فتسمع صوته الذي يذكرها بأبيها .  
وعندما صعد بلال المئذنة ونادى بأعلى صوته : الله أكبر .. الله أكبر ،  
حَنَّتْ فاطمة وأنت . وعندما وصل إلى : أشهد أن محمداً رسول الله ،  
صاحت الزهراء ، ابتاه .. يا رسول الله .. وامحمداه .. وامصطفاه .. وا  
أبا الأرامل واليتامى .. ابتاه .. رُفِعَتْ قَوْتِي ، وخانني جَلْدِي ، إلى أن  
وقعت إلى الأرض مغمياً عليها ..

كان الله عوناً لقلب إمامنا أمير المؤمنين .. إذ جاء بها إلى قبرها في  
الليل البهيم ، فوقف على القبر ثم التفت إلى المشيعين وقال لهم عودوا ،  
لا حاجة لبقائكم وقال لأبي ذرّ : يا أبا ذرّ خذ بيد الحسن والحسين وردّهما  
إلى الدار . ثم أنزلها الإمام في القبر وأمال عليها التراب وهو يقول :

ما لي وقفت على القبور مسلماً      قبر الحبيب فلم يردّ جوابي  
أحبيبُ ما لك لا تردّ جوابنا      أنسيتَ بعدي خلةَ الأحبابِ

إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ،  
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

## رؤية الامام علي ليوم غد

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لا تكلف نفساً إلاّ وسعها ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون \* ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ ، تجري من تحتهم الأنهار ، وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق \* ونؤدوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون \* ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ، أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم . فأذن مؤذناً بينهم أن لعنة الله على الظالمين \* الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون \* وبينهما حجاب ، وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ، ونادوا أصحاب الجنة أن سلاماً عليكم ، لم يدخلوها وهم يطمعون \* وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾<sup>(١)</sup> .

إن هذه الآيات الكريمة من سورة الأعراف ، تصور لنا مشهداً من

(١) سورة الأعراف ؛ الآيات من ٤٢ حتى ٤٧ .

أروع المشاهد التي وردت في القرآن الكريم ، وكل مشاهد القرآن رائعة .  
وإنه القلم ليقف عاجزاً عن الحركة أمام روعة التصوير ، والكلمة تبدو  
خجلى في مواجهة البيان الساحر ، ويبان الإنسان يصاب بالخرس والعِيَّ  
أمام تصوير مشاهد الحق بهذه الكيفية . وهنا تبدو عظمة القرآن واضحة  
ويتصب إعجازه في وقفة التحدي لكل من أدعى من بني البشر بأنه يمتلك  
بيانا أو فصحا .

ومهما يكن من أمر فإنني سوف أحاول أيها الأخوة أن أعرض لبعض  
المباحث التي وردت خلال هذه الآيات القرآنية المعجزة .

### أولاً : مسرح الآية المكاني :

إن الأجواء التي تنقلنا إليها الآيات ، مسرحها المكاني يدعى  
«الأعراف» وسأحاول أن أوضح هذا المكان إن شاء الله .

### ثانياً : زمانها :

أما المسرح الزماني فهو بعد الصيحة في السماوات والأرض حيث  
يحشر الناس ويخرجون إلى الحساب ، فيذهب أهل الجنة إلى الجنة ،  
وأهل النار إلى النار .

### ثالثاً : ما هي الأعراف :

وتوضيحاً لمعنى «الأعراف» أقول : الأعراف في اللغة لها معانٍ  
كثيرة ، منها المكان المرتفع مفرداً العُرْفُ بضم العين وهو كل شيء  
مرتفع . فنحن نقول : عرف الديك وعرف الفرس وعرف الموج . وبالتالي  
العرف هو ما ارتفع من رمل ومكان ونحو ذلك .

إذن الأعراف في هذه الآيات تعني الكُثبان المرتفعة أو الأمكنة  
المرتفعة بين الجنة والنار . وهذه المجموعة من الكُثبان التي تشكل حجاباً  
أي سوراً بين الجنة والنار ، يمكن أن نطلق عليها «كُثبان النور» .

علماً أن الجنة فوق السماوات العُلى ، والنار في أسفل السافلين .  
ومع ذلك فإن بينهما حجاباً .

### رابعاً : من هم رجال الأعراف :

على هذه الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة ويعرفون أهل النار . ومن يعرف حقَّ هؤلاء الرجال يدخل الجنة ومن ينكر هذا الحق مصيره النار وبش القرار . فمن هم هؤلاء الرجال ؟ .

إن الأعراف ليست منزلاً ثالثاً كما يرى بعض المفسرين الذين يعتبرون هذا المكان لا في الجنة ولا في النار ، يُحبس عليه ناسٌ من أهل الذنوب ، قصرت بهم ذنوبهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، فهم كذلك حتى يُنفذَ اللهُ فيهم أمره . لا ليس الأمر كذلك ، وإنما الأعراف شيء ما يقسم بين الجنة والنار . ومن هو الذي يقسم بينهما ؟ إنه (عليّ قسيم النار والجنة) . وبالتالي نستطيع الآن أن نفهم ونعرف من هو صاحب الأعراف . إنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه .

وأنا أيها الأحبة لا اجترح هذا التفسير ميلاً أو هوىً . فقد وردت الأحاديث وتواترت عن الإمام الرضا عليه السلام حيث يقول : ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> يقول عليه السلام : المؤذن هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . ويقول : إنه يؤذن ويقول لعنة الله على الظالمين الذين أنكروا ولايتي ، واستخفوا بحقي .

كما أن عبد الله بن عباس ، والإمام الباقر عليه السلام ، يؤكد كل منهما هذا المعنى الذي ذهبنا إليه . أما الآن فتعالوا معي أيها الأحبة نتابع رؤية الصورة التي يرسمها القرآن الكريم عبر هذا المقطع القرآني الرائع . وهذه المحاولة تحتاج إلى رحلة قلبية حيث يرتحل الإنسان بقلبه ووجدانه إلى الله سبحانه

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٤٤ .

وتعالى بعد أن يتخلى عن كل شيء ، لأن القرآن الكريم يرسم لنا موقفاً بل محطة سنصلها جميعاً . علماً أن سورة الأعراف كلها سُمّيت بهذا المكان لعظمته ومنزلته الرفيعة .

### خامساً : أهل الجنة في ونام :

قبل هذه الآيات مباشرة كان الحديث عن أهل النار . ومن يراجع سورة الأعراف يجد كيف كان أهل النار يتخاصمون هناك ، وهم فيها يصطرخون ويضرب بعضهم بعضاً ، وكلما دخلت أمةً لعنت أختها . ومقابل هذه الصورة المزرية لأهل النار تطالعنا صورة أهل الجنة في تقابل رائع ؛ فلا خصام ولا عراك ، ولا يلعن بعضهم بعضاً . بل تقول الآية : ﴿ونزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾<sup>(١)</sup> .

والغِلُّ أيها الأحبة العداوة والإحْن والحقد والحسد . وإنما سُمِّيَ الحسدُ غِلاً لأنه يتغلغل في القلب ويستقرُّ فيه . وإذا ما استقر الحسد في القلب دمّره ولذلك يأكل الحسد الحسنات كما تأكل النار الحطب ، لأن الحسد هو أن تتمنى زوال النعمة عن أخيك المؤمن . وبما أن الحسد ناتج عن ضعف في الإيمان فقد يتعمق في صدر الحسود لدرجة أنه لا يكتفي بالتمني وإنما يعمل على تدمير أخيه المؤمن بكل الوسائل بدافع الحقد الذي يتأكل قلبه كأن يُروَّج عنه الفحشاء والمنكر وكل ما يؤذيه . يقول الشاعر :

كضرائر الحسناء ، قُلْنَ لوجهها حسداً وبغضاً ، إِنَّهُ لَدَمِيمٌ

ومن هنا نفهم طبيعة كل الذين حاربوا أمير المؤمنين ووقفوا في وجهه ، فقد كان ذلك بدافع الحسد بالدرجة الأولى . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> .

إذن ليس في الجنة غِلٌّ ولا حسد ولا حقد ، فقد ﴿نزعنا ما في

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٤٣ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٥٤ .

صدورهم من غل ﴿ والانتزاع عملية قلع واستئصال . ولنا أن نسأل : ولماذا يكون في الجنة غل وحسد أصلاً ، طالما أن هؤلاء في الجنة يرتعون في نعيمها مبتهجين فرحين ؟ وجواباً على السؤال نقول : إن درجات الجنة متفاوتة ، ولو كان ثمة مكان للحسد لما استطاع أهل الجنة أن يتنعموا بنعيمهم .

أما إذا انتزع الغل فلا يبقى سوى الغبطة . والغبطة أمر مختلف عن الحسد ، فالمؤمن يغبط أخاه ولا يحسده ، لأنه إذا وجد أخاه المؤمن في نعمة تمنى أن يكون له مثلها مع ديمومتها لدى أخيه .

إن الإنسان المؤمن أيها الأخوة يدعو لأخيه بظهر الغيب أن ينصره ويقضي حوائجه ، ويرزقه المال والولد الصالح والتقوى ، في الوقت الذي لا يدري هو بذلك ، ولعله يكون هو الآخر في حالة ابتهاج ودعاء وتوسل إلى الله تعالى أن يمنَّ عليك بكل ما دعوت له .

إنه مبدأ تربوي رائع من المبادئ الإسلامية يرسمه لنا الحق تبارك وتعالى ويدعونا إلى ممارسته وصولاً إلى انتزاع الغل من نفوسنا بهدف تهذيبها وتربيتها . إن هذا المبدأ التربوي نقف عليه في «صلاة الليل» مثلاً حيث يستحبّ فيها الاستغفار لأربعين مؤمناً . إنه سُمو بالنعمة ما بعده سمو ، وارتفاع بها إلى مراتب النبيل مما لا نجده في سائر النظريات ، إلا في الإسلام فقط .

يُروى أن موسى ﷺ صادف رجلاً عابداً يبكي . وعرف ﷺ بما كشف له الباري عز وجل لبصره أن دعاءه لا يرتفع من فوق رأسه ، فقال : يا رب ، هذا العبد الصالح يدعو وهو يبكي ودعاؤه فوق رأسه لم يرتفع . فجاءه الجواب : يا موسى ، وعزتي وجلالي ، لو دعاني حتى ينقطع عنقه ما استجبت له . قال : لماذا يا رب ؟ قال : لأنه يدعو لنفسه فقط ، وما سمعته يدعو لإخوانه .

ويقول الحسن ﷺ : رأيت أمي فاطمة ليلة الجمعة تصلي وتدعو



لجيرانها وللمؤمنين والمؤمنات حتى انفجر عمود الصبح ، وما سمعتها دعت لنفسها قط . وهكذا نجد ، وقد ورد ذلك في الأخبار ، أن من أهم الشروط لاستجابة الدعاء ، أن تدعو لأخيك المؤمن في ظهر الغيب ، وعندها سوف يبدأ الله تعالى بتحقيق حاجتك قبل حاجة أخيك .

نعود الآن إليها الأخوة إلى تفسير الآيات الكريمة .

### سادساً : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها :

في الآية الأولى وردت جملة اعتراضية : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلاً وسعها ﴾ بين ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ و ﴿أولئك أصحاب الجنة ﴾ .

ومن خلال هذه الجملة المعترضة يريد الله تبارك وتعالى أن يؤكد على حقيقتين :

الأولى : إن الله لا يكلفنا فوق طاقتنا ، لأنه سبحانه رحيم وقد كتب على نفسه الرحمة . ﴿ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به﴾<sup>(١)</sup> ، هكذا علمنا الله سبحانه أن ندعو .

الثانية : يريد سبحانه أن يبين لنا أن هذا العمل الصالح الذي نمارسه في حياتنا يعطينا به ، جنة عرضها السماوات والأرض خالدين فيها أبداً .

واستطراداً مع الحقيقة الثانية أقول : إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يوضح لكل الناس بما فيهم الظالمون والكفار أن طريق الجنة واضح وبسيط ، وسهل وميسر إذ ليس في الإسلام أمر صعب من هذه الناحية : ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾<sup>(٢)</sup> .

في بعض الأحيان أفكر أيها الأخوة فأخذ ورقة وقلماً وأخط في وسطها

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٨٦ .

(٢) سورة الإسراء ؛ الآية : ١٩ .

خطأ عامودياً ، وأدون على يمين الخط الأعمال التي تدخلنا الجنة وعلى يساره الأعمال التي تؤدي بنا إلى النار . وبكل صدق أقول لكم : إنني لاحظت أن الأعمال المؤدية للنار صعبة وفيها شدة وغلظة . أما أعمال الجنة فبسيطة وسهلة . وإليكم بعض الأمثلة :

( أ ) لاعب القمار يخسر الملايين ، والخسارة بحد ذاتها أمر يشق على الإنسان تحمله ، فضلاً عما ينتج عن ذلك من هستيريا وانهايارات في الأعصاب . وهذا عمل محرّم يؤدي بنا إلى النار .

بينما بالمقابل نجد أن رغبةً من الخبز واحداً نقدمه لطفل يتيم قد يدخلنا الجنة ، فضلاً عن الحالة الشعورية التي ترافق هذا العمل من رضا عن النفس .

إن هذا المثال الذي ضربته على المقامر يذكّرني بذلك الرجل الذي خسر عشرة ملايين دينار على طاولة القمار واعتبر ذلك يومها رقماً قياسياً في ليلة واحدة . فإذا بمقامر آخر يتحداه فيخسر في ليلة واحدة عشرين مليوناً . وبالطبع طلب إلى الأول ألا يفاخر أحداً بعد اليوم «بعشرته» بعد أن «مرّخ وجهه بالتراب» بأن خسر هو الآخر العشرين . إنها مهزلة أيها الأخوة لا يقبلها عقل ولا يُقرّها عاقل .

(ب) شارب الخمرة الذي يملأ رأسه بخمارها ثم يقود سيارته كالمجنون ويتسبب في أذى نفسه وأذى الآخرين في الحياة الدنيا وفي دخوله النار يوم الدينونة . بينما نجد بالمقابل إنساناً آخر يحسن معاملة جاره ويقدم له يد المساعدة كلما دعت الحاجة . فأيهما أشق وأصعب : طريق النار أم طريق الجنة ؟ .

(ج) قاتل يقتل النفس التي حرّم الله قتلها عن عمد وقصد وإصرار ، ضارباً بعرض الحائط القوانين والشرائع نتيجة لنفس عدوانية شيطانية ، بينما نجد بالمقابل إنساناً يسعى باستمرار إلى الإصلاح بين إخوانه ومعارفه وجيرانه . فهذا يذهب إلى الجنة وذاك مصيره النار . ولكن أي

المسلكين أصعب وأشق ؟ أترك الجواب لكم أيها الأخوة .

( د ) رجل يسرق الناس ويسلبهم أموالهم وأشياءهم ، ويفطر في شهر رمضان معلناً الحرب على رب العالمين . وفي مواجهته ، إنسان صام شهر رمضان وقام في ليله وتصدق على الفقراء والمحتاجين ويتقي الله بشق تمره إذا لم يكن مستطيعاً .

وهذا الصائم المتصدق يعيش حياة هائلة هادئة مطمئنة ، كلها صفاء نفس ونبيل أخلاق ونقاء سريرة ، بينما يعيش ذلك السارق المفطر حياة مضطربة ومشوشة بنفس لا تعرف للصفاء والنبيل والأخلاق الحميدة والنقاء ، معنى .

والسؤال يطرح نفسه من جديد ، أي الطريقين أسهل وأيسر ! طريق الجنة أم طريق النار ؟ .

أيها الأخوة لا أريد أن أسترسل في ضرب الأمثلة فهي كثيرة وأنتم أيها الأحبة تعلمونها تمام العلم . ولكن أريد أن أؤكد لكم أن الإسلام دين الفطرة ، والله سبحانه خلق الناس على الفطرة فكان الإسلام بأحكامه وتعاليمه وتشريعاته سهلاً ميسراً . وكل ما تراه صعباً وشاقاً فاعلم أنه بعيد عن الإسلام ولا علاقة له به .

أعود مرة أخرى أيها الأخوة إلى الجملة الاعتراضية ﴿ لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ لأشير إلى حقيقة ثالثة . فقد مرّ بنا الكلام حول حقيقتين : الأولى وهي أن الله سبحانه لا يحملنا فوق طاقتنا والثانية وهي أن طريق الجنة سهل وميسر .

أما الحقيقة الثالثة التي أريد أن أشير إليها فهي أن سبل العبادة ليست فقط سهلة ، بل ومتنوعة . وهي بالتالي لا تنحصر في صوم أو صلاة فقط وإنما تمتد لتشمل حركة الإنسان في كل حياته .

يروى أن رسول الله ﷺ رأى شاباً من الأنصار يجهد نفسه في صلاته

وصومه وسهره . فسأله : ألك أطفال ؟ قال : بلى . قال : هذه العبادة التي تمارسها بمشقة سوف تترك أثرها عليك مما يجعلك بعيداً عن همومهم ومشاكلهم ، فأطفالك وعائلتك تحتاجك . ويجب أن تعلم أن الجلوس معهم ومؤاكلة زوجتك إنما ذلك عبادة أيضاً .

ولذلك نجد أيها الأخوة أن العارفين بالله عندما يجلس أحدهم إلى الطعام يكون على وضوء لأنه في حالة عبادة . وبالتالي فإن الجلوس مع الأطفال والزوجة وتوجيههم إلى طريق الحق ، هو عبادة وجهاد .

ورأى الرسول ﷺ شاباً آخر يكثّر من البكاء ليله ونهاره متهجداً مصلياً فقال له : «هَوْنٌ عليك ، إن هذا الدين عميق فأَوْغِلْ فيه برفق ، فإن المُنْبِتَ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» والمنبت هو الذي يقطع الفيافي والقفار ، ومن غير أن يريح نفسه أو مطيته . فهو من جهة لا يبلغ هدفه ومن جهة أخرى لا يبقى على مطيته فيميتها .

والنتيجة التي نخلص إليها هي أن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نبلي أهدافنا من العبادة من غير أن نحمل أنفسنا ما لا طاقة لنا به .

### سابعاً : الهداية من الله تبارك وتعالى :

بعد أن حدثتنا الآية الكريمة عن نزع الغل والحسد والحقد من نفوس أهل الجنة وبعد أن علمنا أن ثوابهم تلك الجنة حيث تجري من تحتهم الأنهار ، نجد هؤلاء المؤمنين يقولون : ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ (١) .

وفي هذا السياق نقول : إن أهل الجنة هم قمة في المعرفة والوعي فهم يعرفون أن الله سبحانه وتعالى هو الهادي . لأنه أعطانا عقلاً وأرسل لنا الأنبياء ومنّ علينا بالأئمة وبين لنا السبل ووضح المسالك وسهل لنا كل

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٤٣ .

صعب ورفع من طريقنا كل الموانع . وبالتالي ، لئولا رحمة الله بنا لما تيسر للمؤمنين الوصول إلى الجنة ؛ فقد أعطانا القدرة على الإيمان وجعل فينا قوة تمنعنا عن المعصية ، تلك القوة هي النفس اللوامة . فمن أصغى لنداء الحق والفترة نجا بنفسه من هوة المعصية وشرها .

ولما رأى أهل الجنة أن ما وعدهم الله به هو حق قالوا : ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾<sup>(١)</sup> .

### ثامناً: نداء موجه لأهل الجنة :

﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾<sup>(٢)</sup> . أريد أن أوضح في هذه الآية الكريمة أمرين :

- الأمر الأول هو مصدر النداء .

- والأمر الثاني ما معنى قوله تعالى : أورثتموها .

إن النداء الذي وُجّه لأهل الجنة لكي ينبئهم بأنهم قد أورثوا الجنة ثواباً لهم على أعمالهم الصالحة التي مارسوها في الحياة الدنيا إذ التزموا بأوامر الله ونواهيه ، إن هذا النداء مصدره الملائكة أو الأئمة سلام الله عليهم ، فهو نداء بالبشرى ، والبشرى لا بد أن يكون حاملها أو ناقلها ممن كرمه الله تعالى وجعل له محبة في قلوب المؤمنين .

أما قضية الإرث هنا ، الوارد في الآية الكريمة فلا يمكن أن يفهم إلا على ضوء الحديث الشريف حيث جاء فيه : «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار» . إذن كل واحد منا ومنذ ولادته ، له مكانان : واحد في الجنة وآخر في النار . فإذا اتبع سبيل الحق يرث مكانه في الجنة وإذا انحرف عن جادة الحق كانت النار مأواه . ثم إن هذا الكافر الذي أدخل النار ماذا يحل بمكانه في الجنة ؟ .

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية : ٤٣ .

إن هذا المكان يرثه المؤمنون .

والمؤمنون الذين أورثوا الجنة يتزاورون هناك ، ولكن ذو الدرجة الأدنى لا يزور صاحب الدرجة الأعلى والعكس صحيح . ولكن لا يفهم من حديثنا عن الدرجات أنها كالطبقات في عمارة سكنية . لا . فالرسول ﷺ يقول : «بين درجة ودرجة كما بين السماء والأرض ، وأن المؤمن لينظر إلى أخيه المؤمن كما ينظر الواحد منكم إلى البدر في السماء» .

والمؤمن هناك لا تجده وحده ، بل قد تجده مع زوجته وأولاده وأحبابه وكل من حوله من الولدان المخلدون ، والحدود العينية . كما أن الحوراء التي نتحدث عنها لو أطلت على أهل الدنيا لأخذتهم الدهشة لشدة جمالها .

ويجب أن نعلم أيها الأخوة أن لا موت يوم القيامة ، إذ يأمر الله تعالى بالموت فيؤتى به على شكل كبش فيقول له : مُتْ فموت . وبهذا المعنى نفهم كيف يكون المؤمنون خالدين في جناتهم وأهل النار خالدين في النار . فلو كان الموت ما يزال موجوداً لمات أهل الجنة فرحاً ولمات أهل النار حزناً وهمماً وكمداً .

### تاسعاً : حوار رائع بين أهل الجنة وأهل النار :

﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ، أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا : نعم﴾<sup>(١)</sup> . يلاحظ في هذه الآية من الناحية التعبيرية أن أهل الجنة يضيفون الوعد إلى الله سبحانه فهو الذي وعدهم . أما بالنسبة لأهل النار فقد قالوا لهم : ما وعد ربكم ولم يقولوا : ما وعدكم : لماذا؟ لأن في هذا الوعد رحمة من رب العالمين بأهل الجنة ، أهل الخير والإيمان والصلاح ، ولبعد هذه الرحمة عن أهل النار .

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٤٤ .

وكيف كان جواب أهل النار؟ قالوا : نعم . إنه جواب مقتضب موجز اقتصر على كلمة واحدة فقط ﴿نعم﴾ إذ ليس لديهم طاقة أو قوة على الكلام فالكل مشغول بنفسه يأتيه العذاب من كل مكان فيصيح ويصرخ ﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾<sup>(١)</sup> و﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾<sup>(٢)</sup> .

وعندما يصل الحوار إلى هذه النتيجة حيث يستسلم أهل النار لمصيرهم الأسود ، يرتفع صوت ثالث : ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾<sup>(٣)</sup> .

إن هذا المؤذن هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي يرتفع صوته قائلاً : ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ ثم يحدد في الآية التالية علامات وصفات هؤلاء الظالمين : ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ، ويغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون﴾ .

إن هذه الصفات على التوالي :

( أ ) ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ أي يمنعون الناس أن يتجهوا إلى الله في الوقت الذي يتعدون هم أنفسهم عنه .

(ب) ﴿ويغونها عوجاً﴾ أي يريدون الحياة عوجاء غير مستقيمة ، بالقاء الشبهات والكلام الفارغ واللغو الذي لا طائل منه ولا منفعة ، بل يعود بالضرر على الآخرين عندما يصرفون أنظارهم عن الحق إلى الباطل .

(ج) ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ أي يكذبون بيوم الدين .

( د ) أما الصفة الرابعة فهي كونهم ظالمين . لذلك استحقوا اللعنة من الله سبحانه وتعالى .

(١) سورة الزخرف ؛ الآية : ٧٧ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٥٦ .

(٣) سورة الأعراف ؛ الآية : ٤٤ .

## عاشراً : من هم الذين «لم يدخلوها وهم يطمعون» ؟ :

سبق أن أشرنا في الفقرة الرابعة إلى «رجال الأعراف» . وأعود للحديث عن هؤلاء «الرجال» لأنني أريد أن أربط بينهم وبين الذين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون بذلك .

تقول الآية الكريمة : ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ، لم يدخلوها وهم يطمعون﴾<sup>(١)</sup> لقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة العديد من التفاسير ، لا تجد فيها تفسيراً يشع ساغياً أو يروي غليلاً .

فهنالك من يقول : إن أصحاب الأعراف رجال تعادلت حسناتهم وسيئاتهم ؛ فحسناتهم حالت بينهم وبين النار ، وسيئاتهم حالت دون دخولهم الجنة ، فمكثوا ينتظرون رحمة رب العالمين . إن هذا التفسير يثير عدداً من الأسئلة . فإذا كان الأمر هكذا ، لماذا إذن يتحدثون ؟ ولماذا هذا النداء ؟ ولماذا رجال الأعراف يعرفون هؤلاء وهؤلاء ؟ إنه تفسير بعيد كل البعد عن نور القرآن كغيره من سائر التفسيرات .

أما التفسير الذي يرد عن أهل البيت فهو يضع حداً لكل هذه التساؤلات ويحسم المسألة . فهذا الإمام الباقر عليه السلام يقول : «نحن آل محمد أهل الأعراف ، والمذنبون من أحبنا ، موجودون معنا على الأعراف» . ومن هنا نفهم كيف أنهم ﴿نادوا أصحاب الجنة ، أن سلام عليكم﴾<sup>(٢)</sup> فهؤلاء الموجودون مع الرسول عليه السلام والأئمة يقول عنهم : ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾<sup>(٣)</sup> ، وهذا الطمع من اليقين ، مثل قول إبراهيم عليه السلام : ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾<sup>(٤)</sup> فالطمع هنا بمعنى اليقين .

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٤٦ .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية : ٤٦ .

(٣) سورة الأعراف ؛ الآية : ٤٦ .

(٤) سورة الشعراء ؛ الآية : ٨٢ .



في هذا الجوارح الرائع نستطيع أن نفهم الكثير عن هذا الموقف المشهود يوم القيامة ؛ حيث يقف الأئمة على الأعراف يتقدمهم الإمام علي عليه السلام ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له : «يا علي كأنني بك يوم القيامة بيدك عصا من عوسج ، تسوق بها قوماً إلى النار وتدخل بها قوماً إلى الجنة» وقال له : «أنت قسيم النار والجنة» .

أجل يقف الأئمة على الأعراف ويوجهون هذا النداء التالي إلى أهل النار ، وهذا النداء يرد بعد هذه الباقة من الآيات الكريمة التي بدأنا بها حديثنا . وقد جاء في هذا النداء الرائع الذي يلقي الضوء على ما تقدم من أسئلة : «ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم ، قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون \* أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمةٍ ، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» <sup>(١)</sup> .

ما أجمل هذا النداء وما أروع إذ يطرح كل التفسير الأخرى جانباً . فالأئمة عليهم السلام يقولون لأهل النار : يا أهل النار : أهؤلاء الذين كنتم تقسمون أن الله لا ينالهم برحمته ، لقد تغير الوضع فأنتم في النار وهؤلاء ينتظرون لحظات دخولهم الجنة . . ثم يلتفت أمير المؤمنين والأئمة إلى هؤلاء المستضعفين من أحببتهم فيقولون لهم ادخلوا الجنة بسلام فلا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ، فيدخلونها ولا يبقى أحد على الأعراف إلا أهل البيت عليهم السلام ، وفي رواية أخرى ، أن معهم الأنبياء أيضاً .

ويروي أن ابن الكواء ، وهو أحد الخوارج ، دخل على الإمام عليّ وسأله عن هذه الآية فقال له : «ويحك يا ابن الكواء ، نحن أصحاب الأعراف ، ومن عرف حقنا أدخلناه الجنة ومن أبغضنا وأنكر حقنا أدخلناه النار» .

هذا هو معنى الأعراف وأهلها وأصحابها ورجالها . ولا يسعنا عند

(١) سورة الأعراف ؛ الآيتان : ٤٨ و ٤٩ .

الوصول إلى هذا التفسير إلا أن نرفع أيدينا بالدعاء : «اللَّهُمَّ ارحمنا بحق فاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها ، والسر المستودع فيها ، وخلصنا من النار يا أرحم الراحمين ، يا الله» .

### الحادي عشر : المشهد الأخير والدرس الذي لا ينسى :

الآن وقد استقر كل فريق في مكانه الذي استحقه ، أهل الجنة في جنتهم يتنعمون ، وأهل النار في نارهم يصطرخون ويتعذبون ، نجد أهل النار يلتفتون بحسرة إلى أهل الجنة فينادون :

﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ، أن أفيضوا علينا من الماء ، أو مما رزقكم الله . قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾<sup>(١)</sup> إن هذا المشهد أيها الأخوة لا يحتاج إلى تفسير أو توضيح ، وإنما أريد أن أخرج منه وإياكم بالعبرة والعظة لنحفظ الدرس الذي لا ينسى . يجب أن نتوقف عنده ونفكر ملياً . لقد وهبنا الله تعالى حياةً وعقلاً . فلماذا نبيع كل ذلك للشيطان في الوقت الذي نرى في هذا المشهد من يطلب جرعة ماء من أهل الجنة فلا يجدون إلاّ رفضاً لأن الله سبحانه حرم عليهم ذلك . إننا الآن في الحياة الدنيا والفرصة سانحة أمامنا لكي نكون من أهل الجنة الذين يتنعمون بجنتهم لا من أهل النار الذين يتلهفون إلى جرعة من الماء فتمنع عنهم .

لماذا نجعل الشيطان قريناً لنا أيها الأخوة مع أن الشيطان يؤتى به يوم القيامة فيلقى مع قرينه في النار ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾<sup>(٢)</sup> .

كيف نرضى بقرين يلقي معنا في النار ، في الوقت الذي نجد أن هناك قريناً يخلصنا من النار ويدخلنا الجنة . فما رأيكم أيها الأخوة إذا كان قرينكم الإمام عليّ بن أبي طالب ؟ فهل يمكن أن يترككم هناك أو يتخلى

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٥٠ .

(٢) سورة الزخرف ؛ الآية : ٣٦ .

عنكم ؟ وإذا كان حبيب قلوبكم رسول الله ﷺ فهل يتخلى عنكم في  
ساحة المحشر ؟ وهو الذي كان في الحياة الدنيا يسأل عن أصحابه واحداً  
واحداً ؟ .

وإذا كان أهل الجنة قد نُزِع الغُلُّ من صدورهم فلماذا لا نكون في  
الحياة الدنيا على غرارهم نقتلع الحسد والحقد من صدورنا ، فالمؤمن يغبط  
أخاه ولا يحسده . يقول الإمام السجاد عليه السلام : « إن لعننا العباس بن عليّ  
منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة » .

إن الرسول ﷺ كان يسأل عن أصحابه ويتفقدهم ، فما بالنا يغيب  
أخونا عنا أياماً فلا نسأل عنه ولا نعرف عنه شيئاً حتى نسمع بخبر وفاته ،  
وقد لا نحضر حتى جنازته .

دخل أحدهم على الإمام الصادق عليه السلام فقال له : أين كنت ؟ قال له :  
سيدي .. كنت في البصرة . قال : وجئت وحدك ؟ قال : لا . كان معي  
صاحب في الطريق . قال : أين ذهب ؟ قال : يا ابن رسول الله ، لا  
أدري . قال : ما اسمه ؟ قال : لا أعرف اسمه .

قال : وبيك تصحبه ولا تعرف اسمه ، ولا تدري أين ذهب ؟ ..  
كيف يكون عندك إيمان وإسلام ؟ .

إن الإمام الصادق عليه السلام الذي يؤنب هذا الرجل لأنه لم يحفظ حق  
الصحبة ، كان يطوف فيأتيه صاحب حاجة ، فيقطع طوافه ليقضي حاجته .

والإمام عليّ عليه السلام كان يتذكر أصحابه فيذكر عمار بن ياسر  
ومالكاً الأشر و ابن التيهان ، فيقول من علي منبره في الكوفة : « ما ضرَّ  
إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين ، ألا يكونوا اليوم أحياءً يسيغون  
الغصص ويشربون الرمق . قد ، والله ، لقوا الله فوقاهم أجورهم ، وأحلهم  
دار الأمن بعد خوفهم . أين إخواني الذين ركبوا الطريق ، ومضوا على  
الحق ؟ أين عمار بن ياسر ، وأين ابن التيهان ، وأين ذو الشهادتين وأين

نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وأُبرِدَ<sup>(١)</sup> برؤوسهم إلى الفجرة؟» ثم كان يضرب بيده الكريمة على لحيته الشريفة ويطيل في البكاء .

والإمام الحسين عليه السلام وقف يوم عاشوراء ينادي أصحابه بأسمائهم :  
«يا برير بن خضير ، يا حبيب بن مظاهر ، يا مسلم بن عوسجة . . . ما لي أناديكم فلا تجيبون وأدعوكم فلا تسمعون ؟ أنتم نيام أرجوكم تتبهبون ، أم حالت مودتكم عن إمامكم ؟ فقوموا عن نومتكم أيها الكرام ، وادفعوا عن حُرْمِ الرسول هؤلاء الطغاة اللئام . والله لقد صرعكم رب المنون ، وغدر بكم الدهر الخؤون ، وإلا لما كنتم عن نصرتي تقصرون ، ولا عن دعوتي تحتجبون . فإنا لله وإنا إليه راجعون» .

### المجلس :

بعد هذا النداء ، ودع الإمام الحسين عائلته واتجه نحو المعركة وهو بهذه الحالة ، وإذا بطفلة اسمها فاطمة تلاحقه ، وتعدو خلفه وهي تناديه :  
قف لي يا أبي . وقف الحسين عليه السلام وسألها : بنية ما عندك ؟ فتشبث بأقدامه وأخذت بيديه تقبلهما وقالت : أبي ، أريدك أن تنزل من على ظهر جوادك وتجلسني في حجرك . فتزل الحسين وأجلسها في حجره ثم سألها : ما عندك يا بنية ؟ قالت : أبي أريدك أن تمسح على رأسي بيدك كما يصنع باليتامى .

إنا لله وإنا إليه راجعون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ،  
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) أُبرِدَ = أرسل .

## الإمامة والعصمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا \* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا \* يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا \* وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا \*﴾<sup>(١)</sup> صدق الله العظيم .

#### \* قبل البدء :

ثُمَّ مسألتان في بحثنا هذه الليلة أيها الأخوة . الأولى هي أن هذه الآيات الكريمة تقدم لنا صورة واضحة عن الإمامة التي تنسجم مع المجتمع وتتناغم مع مشكلاته ، والتي تتحسس آلام الآخرين في معاناتهم من أوضاعهم الإجتماعية .

أما المسألة الثانية في البحث فتتعلق بموقع الإمامة ، لأن هذه الآيات تنقلنا إلى أظهر بيت في الكون حيث التقى والورع والزهد والإيمان والنور ، إنه بيت النبوة ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة .

(١) سورة الإنسان ؛ الآيات : ٥ - ٩ .

## \* العصمة بالدليل العقلي :

إن كثيراً من المسلمين لا يعتقدون بعصمة الإمام ، لا بل لا يعتقدون بعصمة الأنبياء ، فهم يرون أن الأنبياء يخطئون ويعرض لهم الزلل . بينما يؤكد علماءنا هذه العصمة بناءً على القرآن والسنة النبوية . وفي هذا المجال أَلَّفَ الشريف الرضي كتابه «تنزيه الأنبياء» ، وتطرق إلى كل الآيات التي وردت في القرآن الكريم والتي يمكن أن يوحي ظاهرها بأن الأنبياء كانوا يمارسون المعصية ، كآيات التالية : ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾<sup>(١)</sup> و﴿ولقد همت به وهمم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾<sup>(٢)</sup> و﴿عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم﴾<sup>(٣)</sup> و﴿عبس وتولى﴾<sup>(٤)</sup> . فقد نزه الشريف الرضي في كتابه هذا الأنبياء ، وأكد أن الأنبياء معصومون من الخطأ والزلل ، في الحكم وممارسة الذنب . والأئمة الأطهار يستدل على عصمتهم بنفس الأدلة التي تؤكد عصمة النبي .

وبما أن الله سبحانه وتعالى قد وهبنا عقولاً ، وأنزل القرآن ، وأرسل الأنبياء والرسل ، فإننا سوف نبحث فيما يلي المسألة بالعقل والدليل العقلي بغض النظر عن الأدلة النقلية .

لذلك فنحن نبدأ بالسؤال التالي : هل يمكن أن يبعث الله نبياً غير معصوم يمارس المعصية ويرتكب الخطأ ؟ والجواب البديهي الذي يقول به العقل هو ، لا - ولماذا لا ؟ لأن مهمة النبي عمل رسالي ، فهو يقوم بنقل الرسالة التي أئتمنَ عليها بصورة صادقة دونما زيادة أو نقصان . فإذا كان الرسول يخطيء فمن ذا الذي يضمن لنا صحة الرسالة وصدقها ؟ ومن يضمن لنا أن القرآن هو القرآن الذي أنزل من لدن رب العالمين ؟

(١) سورة طه ؛ الآية : ١٢١ .

(٢) سورة يوسف ؛ الآية : ٢٤ .

(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ٤٣ .

(٤) سورة عبس ؛ الآية : ١ .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن الله سبحانه يأمرنا بطاعة أنبيائه . فإذا كان النبي عرضة للخطأ فكيف يأمرنا الله بطاعته ؟ .

إن الفكر الإسلامي أيها الأخوة مترابط متكامل ، ولا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة لأنه دين سماوي قام على تدبيره وإحكامه ربٌ قدير ، مقتدر ، حكيم ، بصير ، ليس كمثله شيء . كما أن القرآن الكريم ينسجم مع الطبيعة انسجاماً رائعاً ، فالطبيعة هي كتاب الله التكويني والقرآن كتاب الله التشريعي حيث لا تجد فيه زيادة ولا نقصاناً .

وحركة الإنسان في الحياة قائمة على أساس عصمة القرآن من التحريف والاضطراب والاختلاف ، وعصمة الأنبياء من الخطأ والزلل . فلو كان ثمة أدنى اختلال في هذين المبدئين لاضطربت حياة الإنسان ولأصابها الخلل وعدم التوازن .

إننا نردد يومياً في صلاتنا عشر مرّات على الأقل فنقول : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾<sup>(١)</sup> . فما هو المعنى الأساسي الذي ترمي إليه هذه الآية الكريمة ؟ إننا نطلب فيها أن يهدينا الله تعالى إلى طريق المعصوم ، لأن غير المعصوم لا يستطيع أن يسير بنا في خط مستقيم ، فهو معرض باستمرار إلى الانحراف ، ثم إن القرآن الكريم يؤكد أن هذا الصراط الذي نطلبه إنما هو صراط الأنبياء والأئمة حيث يقول : ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾<sup>(٢)</sup> وهؤلاء هم مغايرون للمعصومين ، لأنهم يمارسون المعصية ويرتكبون الذنوب . ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾<sup>(٣)</sup> ، ونحن لا علاقة لنا بهؤلاء الضالين المنحرفين المغضوب عليهم . .

إذاً ، كيف يمكن أن يطلب منا الله تعالى أن نطيع النبي إذا كان يرتكب المعصية ويمارس الذنوب ويقع في الخطأ ؟ علماً أن طاعة النبي

(١) سورة الفاتحة ؛ الآية : ٦ .

(٢) سورة الفاتحة ؛ الآية : ٧ .

واجبة بموجب الآية الكريمة التي تقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (١) . إن الله لا يأمرنا بطاعة النبي فحسب ، بل يأمرنا أيضاً بطاعة أولي الأمر ، فإذا كان الرسول وأولو الأمر يعصون الله ، فما هو موقفنا نحن من ذلك ؟ هل نطيعهم ؟ فإذا كان علينا طاعتهم فمعنى ذلك أن الله يجيز لنا المعصية ، أي أن الله يأمرنا بالفحشاء والمنكر ، والعياذ بالله ، في حين أن القرآن يقول : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ (٢) .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إذا كان الله لم يطلب إلينا أن نطيع النبي لأنه معرض للمعصية ، فما الداعي إذاً لإرسال الأنبياء حيث تنتهي العلة من إرسالهم . وإذا كان رب العالمين قد بعث الأنبياء للطاعة ، فالطاعة إذاً لا يمكن في هذه الحالة إلا أن تكون للإمام المعصوم .

ومن هنا كان تشددنا في الصلاة خلف إمام الجماعة . إذ لا يجوز لك أن تصلي خلف أيّ كان ، فلا بد أن تعرف من هو الإمام الذي تأتم به في صلاتك ، ولا بد أن يكون معروفاً بالعدالة والصلاح والتقوى .

إذاً مسألة العصمة أمر بالغ الخطورة والأهمية في الأنبياء والأئمة على حد سواء ، لأن لكل نبي وصياً ، ووصي النبي يكمل العمل الرسالي الذي بدأه النبي .

### \* لماذا الوصي ؟ :

وهنا أجدني مدفوعاً أيها الأخوة إلى طرح السؤال التالي : لماذا نجد كثيراً من المسلمين يطعنون في مسألة أن يكون للنبي وصي بعد موته ؟ ولماذا لا يكون هناك وصي للنبي ؟ .

إن كل الأجوبة التي نجدناها مقابل هذا السؤال لا تشفي غليلاً ولا

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

(٢) سورة النحل ؛ الآية : ٩٠ .



تروي غلة ، بل نجد نوعاً من التضييل والتهريج الذي لا يستند إلى أي أساس أو منطق أو نص مقبول .

إذ كيف يمكن لهذا النبي العظيم الذي يأمرنا بالوصية قبل موتنا ، ويعتبر أن من علامات المؤمن أن يترك وصيته تحت وسادته إذا نام ، كيف يمكن له أن يموت من دون أن يترك وصية ؟ كيف يأمرنا بشيء ويستثني نفسه ؟ لقد أرسل من رب العالمين وأنزل عليه القرآن وعمل على نشر الإسلام الذي غمر بنوره الكائنات ، وأقام نواة الدولة الإسلامية ، فكيف يمكن أن يترك هذه الأمة ضائعة من غير خليفة يخلفه أو إمام يقوم مقامه ؟ هل يقبل ذلك عقل ؟ والله لو كان هناك راعٍ وترك غنمه لأقام مكانه من يرعى شؤون هذه البهائم . فكيف برسول رب العالمين المسؤول عن الإسلام والمسلمين وشؤون الناس أجمعين ، والذي أرسل رحمة للعالمين ، كيف به يترك الناس عرضة للفوضى والاضطراب والضياع ؟ .

وأنا أريد هنا أن أسأل : كيف يحق لمعاوية بن أبي سفيان أن يوصي وأن يعين خليفة له ابنه يزيد وهو ما يزال على قيد الحياة ، بينما لا يحق ذلك للرسول . فهل كان معاوية أحرص على شؤون المسلمين من نبي المسلمين ؟ إنه لأمر غريب حقاً ، هذا المنطق ، أي أن صاحب الرسالة يخالفها دون الآخرين . ونحن نعلم أن المراد من هذه النعمة هو أن نتأسى بالنبي الذي لم يوصَ فتصبح سنة متبعة . ولكن وعلى هذا الأساس كيف خالفوا النبي فأوصوا لمن بعدهم ؟ إنه منطق عجيب غريب ، لا يقبله عقل ولا يُقربُه منطق .

وإزاء هذا المنطق العجيب ، نؤكد فنقول : إن النبي يجب أن يكون معصوماً للأسباب التي أوردناها آنفاً ، والإمام الوصي أيضاً يجب أن يكون معصوماً لأن الإمامة امتداد للرسالة ، ولأن الإمام يجب أن يكون ، كما النبي ، أعلم الناس بالقرآن ، وأشجعهم وأكرمهم . فلو كان الإمام جاهلاً أو جباناً أو بخيلاً ، فكيف يمكن أن يدير شؤون المسلمين وكيف يتخذ

القرارات الصعبة وكيف يطبق مناهج الحق وكيف نأتمنه على أرزاق الناس ،  
علماً أن الخوف والجبن والطمع والحرص كلها غرائز يجمعها سوء الظن  
بالله ، وحاشا لمن كان إماماً بعد النبي أن يكون من هذا القبيل .

إن الله تبارك وتعالى يقول وهو أصدق القائلين : ﴿أطيعوا الله﴾<sup>(١)</sup>  
وهذا أمر واضح لا لبس فيه ولا غموض ، ﴿وأطيعوا الرسول﴾<sup>(١)</sup> وطاعة  
الرسول المعصوم أيضاً واضحة ، ثم ﴿وأولي الأمر منكم﴾ . فإذا كان أولو  
الأمر غير معصومين يصبح لدينا لون من التضارب والتعارض ، إذ كيف  
يمكن أن يأمرنا الله بطاعته ، وطاعة نبيه ، ثم يأمرنا بطاعة يزيد بن معاوية ؟  
وهذا أمر مستحيل لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله مهما كان هذا  
المخلوق ومهما بلغت مرتبته .

والغريب في الأمر ، أن بعض الكتاب المعاصرين يدعون أن بحث  
الإمامة لا وجود له إلا في الفكر الشيعي ؛ مع أن بحوث الإمامة تتوالى في  
صحاح المسلمين مع فارق أساسي ، هو أن الشيعة يقولون بالإمام  
المنصوص عليه من الله وغيرهم يقولون بالإمام المنصوص عليه من  
الخليفة .

فهذا هارون الرشيد يصدر أمره بتعيين القاضي أبي يوسف إماماً يفتي  
في شؤون المسلمين . لماذا ؟ لأن الرشيد أحب جارية محرمة عليه فأباحها  
له القاضي أبو يوسف . أهكذا يكون تولي شؤون المسلمين ؟ أترك الجواب  
لأولي الألباب .

### \* إنما الأعمال بالنيات :

إن الارتباط الوثيق بين ما ينويه الإنسان في سرّه وبين ما يقوم به من  
عمل مادي ، يعتبر من الأسس التي يقوم عليها سلوك الإنسان في الإسلام ،  
لأن الشرط في صحة العمل هو الصحة في النية . وبتعبير آخر يكون العمل

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

صحيحاً إذا كانت النية صحيحة أما إذا كانت النية غير صحيحة فلن يُقبل العمل مهما كان لونه . فإذا تصدقت بمبلغ من المال بهدف الشهرة والمباهاة فإن عملك هذا لا قيمة له في مجال العمل الصالح ، لأنه عمل يقوم على الرياء . وإذا صلّيت أيضاً كما يُقال عنك أنك إنسان مؤمن وصالح فإن صلاتك غير مقبولة لأنها من قبيل الرياء أيضاً مهما تصنّعت الخشوع وتكلفت التقوى .

فالرياء إذا خالط عمل الإنسان يهدمه من أساسه . فإذا بنيت مسجداً ليكون اسمك بارزاً على بابه فإن عملك هذا لا قيمة له على الإطلاق ﴿وإن المساجد لله﴾<sup>(١)</sup> ، وليس يبيد عنا ما جاء في القرآن الكريم من أمر الرسول بهدم ذلك المسجد الذي بني ضراراً . أما إذا كانت نيتك من التبرع أو الصدقة أو المساهمة في بناء المساجد بقصد القرية إلى الله فإن أعمالك ساعتهً تكون مقبولة .

وقد أشار القرآن الكريم إلى الذين ﴿يراؤون ويمنعون الماعون﴾<sup>(٢)</sup> فهؤلاء لا يقبل الله أعمالهم . أما الكفار فإن أعمالهم لن يقبلها الله على الإطلاق مهما كان لونها ، فقد قال عنهم رب العالمين في محكم كتابه : ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾<sup>(٣)</sup> . ويلاحظ هنا في هذه الآية أن تشبيه أعمالهم إنما كان بالرماد لخفتها ، في حين أن المؤمن يوصف بالجبل الذي لا تحركه العواصف ؛ والله سبحانه لا يتقبل إلا أعمال المؤمنين المتقين الذين سبقت نواياهم الطيبة أعمالهم : ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾<sup>(٤)</sup> .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها

(١) سورة الجن ؛ الآية : ١٨ .

(٢) سورة الماعون ؛ الآية : ٧ .

(٣) سورة إبراهيم ؛ الآية : ١٨ .

(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ٢٧ .

كافوراً ﴿١﴾ ، والأبرار هم الذين تنسجم أعمالهم ونواياهم فلا أثر للرباء في سلوكهم ، ووصف شرابهم بالكافور لشدة بياضه وعذوبة طعمه . ﴿عينا﴾ يشرب بها عباد الله ﴿٢﴾ فهم تارة يصفهم بالأبرار وتارة بعباد الله ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ ﴿٣﴾ فالماء في الجنة رهن إشارتهم يفجرون ساعة يشاؤون وأينما يشاؤون ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ ﴿٣﴾ .

إن هذه الآية الكريمة أيها الأخوة ، كلكم تعرفون سبب نزولها ، ولكن لا بأس من التذكير به ليتعمق ذلك في نفوسنا جميعاً . فقد نزلت سورة الدهر في بيت علي والحسن والحسين ، في بيت الزهراء سلام الله عليهم جميعاً . فقد مرض الحسن والحسين عليهما السلام فنذر الإمام صيام ثلاثة أيام إذا شفاهما رب العالمين . وعندما برىء الحسنان صام الإمام ومعه الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام بعد أن جاء الإمام بصاع من الشعير فطحته الزهراء وقسمته إلى ثلاثة أقسام على أن تخبز في كل يوم قسماً .

وعندما حان الإفطار في اليوم الأول وهم أهل البيت بالجلوس إلى المائدة طرق بابهم مسكين عاجز يطلب صدقة فقدموا له إفطارهم واكتفوا بالماء فقط . وفي اليوم الثاني طرق بابهم يتيم ، وفي اليوم الثالث طرق الباب أسير ، ففعلوا ما قاموا به في اليوم الأول . وهكذا صاموا ثلاثة أيام متتالية لا يعرفون من الإفطار إلا الماء . فأصابهم ضعف ووهن جعل الرسول يبكي لذلك ، فنزلت فيهم هذه السورة المباركة .

وهنا لا بد من ملاحظة . إن القرآن الكريم عندما يتحدث عن نعيم الجنة يأتي على ذكر الحور العين إلا في هذه السورة ، وما كان ذلك إلا إكراماً للزهراء سلام الله عليها .

(١) سورة الإنسان ؛ الآية : ٥ .

(٢) سورة الإنسان ؛ الآية : ٦ .

(٣) سورة الإنسان ؛ الآية : ٧ .

والسؤال لماذا تصرفوا عليهم السلام على هذا النحو وكيف؟ الجواب في القرآن الكريم وفي السورة نفسها : ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾<sup>(١)</sup> ، فقد تصدقوا بإفطارهم قرابة إلى الله لا يريدون من جراء ذلك جزاءً ولا شكوراً . وهنا تتضح بشكل صارخ العلاقة الرائعة بين العمل الصالح والنية الطيبة الشريفة ، فلا رياء ولا مصلحة شخصية أو آنية ، إنما يبتغون وجه الله فقط ، فضلاً عن أنهم يخافون الشر المستطير يوم القيامة . فماذا كان جزاؤهم بل ثوابهم من رب العالمين ؟ ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾<sup>(٢)</sup> . فالنضرة كانت في الوجه ظاهرة والسرور كان يعمر القلوب مستودع النية الطيبة ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾<sup>(٣)</sup> .

### \* أهل البيت يخشون الله في السر والعلن :

إن مسألة الخوف من الله والخشية منه ، من الأمور البارزة في حياة أهل البيت وسلوكهم اليومي ، فالإمام عليّ معروف عنه بكأؤه في الليل :

هو البكاء في المحراب ليلاً هو الضحك إذا اشتد الضرابُ

والزهراء عليها السلام لشدة عبادتها تورّمت قدماها ، والإمام الحسن عليه السلام كان إذا ذكر الله بكى ، وإذا ذكر الموت بكى وإذا ذكر القبر بكى وإذا ذكر البعث والنشور بكى . وكان إذا سئل : لماذا تبكي يا ابن رسول الله ؟ يقول : «أبكي لهول المطلع» . والحسين عليه السلام كان إذا قام للصلاة ارتعدت فرائضه . وهكذا فإن قلوبهم العامرة بالخشية كانت ترسم في ملامحهم وسلوكهم وأعمالهم .

إن الخشية هذه هي التي كانت تجعل الإمام الحسن عليه السلام يسهر على مصالح الناس ، يخفف من آلامهم ويعيش همومهم ومعاناتهم على تواضع

(١) سورة الإنسان ؛ الآية : ٩ .

(٢) سورة الإنسان ؛ الآية : ١١ .

(٣) سورة الإنسان ؛ الآية : ١٢ .

قل نظيره فقد كان يلبي دعوات الفقراء فيشاركهم طعامهم وأي طعام ، ثم يدعوهم إلى داره ويغدق عليهم من نواله وجوده وكرمه ، لا يتغني إلا مرضاة رب العالمين . وقد خرج من أمواله مرتين عنه قربة إلى الله تعالى .

أما الإمام الحسين وحيأؤه عندما يعطي فمشهور ، وكثيراً ما أتيت أمامكم على ذلك . فقد كان يعطي من وراء الباب ، ويجود من غير حساب . وقصته مع ذلك الأعرابي الذي جاء يطلب منه دية مطلوبة منه ، قصة معروفة ، فقد اشترط عليه الإمام الحسين أن يسأله مسائل ليحجب عنها ، وكلما أجاب عن مسألة أعطاه جزءاً من طلبه .

سأله عنه : أي الأعمال أفضل عند الله ؟ .

قال : الإيمان بالله .

قال : فما النجاة من التهلكة ؟ .

قال : الثقة بالله .

قال : فما يزين الرجل ؟ .

قال : علم معه حلم .

قال : فإن أخطأه ذلك ؟ .

قال : مال ومعه مروءة .

قال : فإن أخطأه ذلك ؟ .

قال : فقر ومعه صبر .

قال الحسين عنه : فإن أخطأه ذلك ؟ .

فقال الأعرابي : يا مولاي ، فصاعقة تنزل عليه من السماء فتحرقه فهو أهل لذلك .

فضحك سيد الشهداء ورمى له بصرة فيها الدية التي يريدتها ، وأخرج

من يده خاتماً وأعطاه إياه .

وعندما دخل الإمام الحسين على أسامة بن زيد في مرضه وجده يبكي ، فسأله عن ذلك . فأجابه :

- سيدي ، عليّ دَيْنٌ ، ستون ألف دينار .

فقال : هو عليّ . ولم يبرح مكانه حتى دفع دينه .

إن سلوك أهل البيت على هذا النحو من الكرم والشهامة والمروءة إنما كان بدافع الخشية من الله والتقرب إليه . ويجب أن نلاحظ هنا ، خلافاً لاعتقاد بعض الناس ، أن الإمام الحسين لم يكن فقيراً ، فقد قال لعمر بن سعد يوم عاشوراء :

- أترك ملك الريّ وأنا أعطيك من الضياع والبساتين أكثر من ذلك .

وإنما كانت تمر بأهل البيت أوقات صعبة لأنهم كانوا ينفقون كل ما يملكون في سبيل الله ، فكرمهم لا حدود له ، إذ تجاوزوا كل الحدود .

فالإمام الحسن عليه السلام باع بستاناً له بثمانين ألف دينار ، وعندما سمع الفقراء بذلك أقبلوا عليه ، فوزع عليهم المبلغ بكامله وعاد إلى بيته دون أن يكون لديه درهم واحد .

إن دافعهم باستمرار هو الخوف من الله ، فالإمام الحسين عليه السلام يقول لأحد أصحابه : «خف الله حتى كأنك تراه . فإن كنت لا تراه فإنه يراك . فإن زعمت أنه لا يراك فقد كفرت ، وإن قلت إنه يراك ومع ذلك برزت له المعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليك» . إن خوفه من الله هو الذي جعله يوم عاشوراء يقول لأبي الفضل العباس : «أخي أبا الفضل أطلب إلى القوم أن يمهلونا سواد هذه الليلة لأصليّ لربي فإنه يعلم أنني أحب الصلاة وتلاوة الكتاب وكثرة الدعاء والاستغفار» .

إن الحسين سلام الله عليه ، كما أهل البيت جميعاً ، هاجسه الخوف

من الله والتقرب إليه حتى في أحلك الساعات وأصعبها . فها هو يوم عاشوراء يرفع يديه إلى السماء وهو يدعو :

«اللَّهُمَّ أنتَ ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت لي ، في كل أمر نزل بي ، ثقةٌ وعدةٌ ، وكم من أمر يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، أنزلته بك وشكوته إليك رغبةً مني إليك عمّن سواك ، فكشفته وفرجته ، فأنت وليّ كل نعمة ومنتهى كل رغبة . . . » .

ويتوجّه إلى القوم المحيطين به ، المصنّمين على قتله فيخاطبهم قائلاً : «ويلكم انظروا إلى أنفسكم وحاسبوها ، وعاتبوا أنفسكم وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي . ألسنت أنا ابن بنت نبيكم ؟ وابن وصيه ؟ أو ليس جعفر الطيار عمي ؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أو لم يبلغكم قول جدي رسول الله لي ولأخي : الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا؟ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟ الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا ؟ أو لم تبلغكم هذه الأحاديث ، وهذا القول ؟ فإن صدقتموني بما أقول ، وهو الحق ، والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضرب به من اختلقه ، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم . سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبا سعيد الخدري ، وسهيل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وزيد بن أرقم ، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي . أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي وانتهاك حرمتي ؟ .

ويلكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته ، أو مال لكم استهلكته» فلم يردوا جواباً . فنأدى : «يا شيبث بن ربعي ويا حجار بن أبحر ألم تكتبوا إليّ أن أقدم قد أينعت الثمار . . وإنما تقدم على جند لك مجندة ؟» .

فقالوا : لم نفعل . قال : «بلى والله لقد فعلتم» .

لاحظوا معي أيها الأخوة المنطق والحجة والبرهان يتدفق على لسان



سيّد الشهداء ولكنهم وضعوا أصابعهم في آذانهم ، ورفضوا أن ينصاعوا للحق ، وأن يسمعوا صوت الإيمان الآتي إليهم من أجل إنقاذهم من البؤرة القذرة التي اختاروها لأنفسهم ، فقد استحوذ الشيطان على قلوبهم وعقولهم وبياض وعشش وفرّخ في أفئدتهم ، فأسلسوا له القياد واتبعوه بدلاً من أن يستمعوا إلى صوت الإيمان يترقرق من فم الحسين عليه السلام .

وهكذا أيها الإخوة نتعلم في مدرسة الحسن والحسين كيف نخاف الله ربّ العالمين دون أن نكثر للظلمة ، وكيف نقول كلمة الحق أسخّطت أم أرضت ، شاء الظالمون أم أبوا ، فلا نخشى إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فهؤلاء هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، يضعون الله في قلوبهم وفي عقولهم وفي سلوكهم ، فاستحقوا أن يكونوا أئمة الهدى وقادة المسلمين الذين أنابوا إلى الله ربّ العالمين ، في الوقت الذي كان غيرهم ممن تبوأوا سلطان المسلمين في غفلة من الزمن زوراً وبهتاناً وعدواناً ، لا يباليون بأمر من الله أو نهى ، يحاربون الله ورسوله ويعتدون على الناس ويظلمونهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، لا يخافون الله ولا يخشونه ولا يرجون ميعاداً .

وليس أول على ذلك مما فعله معاوية بن أبي سفيان عندما طلب إليه ابنه يزيد أن يزوجه من أرينب بنت إسحاق زوجة عبد الله بن سلام ، فكان تدبيره مهزلة من المهازل التي تتم عن فسق وفجور بالرغم من أن هذه المرأة متزوجة .

وقد أشار عليه شيطانه عمرو بن العاص أن يستدعي عبد الله بن سلام زوجها إلى الشام . وعندما وصل عبد الله هذا كرمه معاوية وقربه ووعدته بأن يوليه على مصر وأن يزوجه من ابنته رملة إن هو طلق زوجته . وقد فعلها عبد الله فطلق زوجته على مسمع من الناس ، ثم أرسل معاوية أبا هريرة وأبا الدرداء إلى المدينة لكي يخطبا أرينب لولده يزيد . ولكنهما قبل

أن يذهب إلى بيت أهلها مرًا بالحسين عليه السلام، وقد علم بغدر معاوية فأشار عليهما الحسين عليه السلام أن يذكره أمام أرينب. وعندما سألتهما أرينب عن الغرض من دخولهما عليها ذكرا لها أن الحسين عليه السلام ويزيد، كل منهما يخطبها، فاختارت الحسين عليه السلام ثم انتقلت إلى داره. فغضب معاوية عندما علم بالأمر ولم يستطع أن يفعل شيئاً لأن خصمه هذه المرة هو الحسين بن علي عليه السلام لا عبد الله بن سلام.

ثم إن الحسين عليه السلام أعاد أرينب بعد ذلك إلى زوجها عبد الله بن سلام، فهو لم يفعل ذلك إلا من أجل جمع الزوجين.

إنها مدرسة غنية بدروسها ورجالها، نتعلم فيها الصبر والإيمان وتلمس طريق الحق الذي زاغ عنه الآخرون، وبقي أهل البيت خير من يمثل الإسلام. ولا غرو في ذلك فإنهم خلاص هذه الأمة، وقد اختارهم رب العالمين لكي يلعبوا هذا الدور حتى يوم الدين، فمن أحبهم نجا ومن زاغ عن طريقهم سقط، إذ أن حبهم إيمان ويغضهم كفر، فكيف لا نحبهم ولا نحبي سيرتهم؟

فهل نعجب بعد ذلك عندما نرى كيف لاحقهم الظالمون من بني أمية، ومن بني العباس الذين تتبعوهم في كل مكان. وقد روي أن المنصور العباسي كان يبني الجدران على الشبان العلويين من ولد علي وفاطمة، ولن ننسى ما فعله هارون الرشيد من سجن الإمام الكاظم عليه السلام حيث رمى به في ظلمات السجون لا يعرف ليله من نهاره فكان يصلي بناء على أصوات السجانين الذين يعلمونه بأوقات الصلاة. ومع ذلك كان يحمد الله ويشكره لأنه كان يجد مكاناً للعبادة والصلاة.

وعندما طال سجنه عليه السلام، يقول علي بن سويد: ضاقت صدورنا، فحاولت أن أستعلم من الإمام متى يخرج من السجن. فقال لي يا ابن سويد: إن الفرج قريب. فقلت له: متى يا سيدي؟ قال لي انتظروني يوم الجمعة على جسر بغداد.

وفي الموعد المحدد كان أربعة من الحمّالين يحملون نعشاً ويترحونه  
على الجسر . . . لقد كان الإمام موسى بن جعفر عليه وعلى أبيه وعلى  
أجداده أفضل الصّلاة وأزكى السلام .

إنا لله وإنا إليه راجعون . إلهنا تقبل أعمالنا .

## علي في مواجهة الطغاة (\*)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ ، كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُوا أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(١)</sup> .

### الاسلام دين الرحمة والتسامح :

قبل قراءة القرآن ، يطالبنا الله تبارك وتعالى بتدبر آياته ، وأن نتأمل هذه الآيات ، حتى نتمكن من إيجاد الاستيعاب الكامل لمفاهيم القرآن . وهذا الموضوع العظيم الذي يطرحه القرآن الكريم في تلك الآيات الثلاث . . . الله تبارك وتعالى يطلب منا الالتفات لشيء ذي أهمية بالغة . والشيء اللافت للنظر والذي يشد أسماعنا وأذهاننا عندما نقرأ سيرة الأنبياء في القرآن ، نجد أن الله سبحانه وتعالى ، أرسل أنبياءه للبشر ، ولكن دون أن يزودهم بقوة مادية كقوة السلاح مثلاً . فالله أرسلهم بالحجة وزودهم بقوة الدليل القاطع عن طريق العلم والفكر . وإذا ما أنزل معهم سلاحاً مادياً ،

(\*) أُلقيت هذه المحاضرة في الليلة الرابعة والعشرين من شهر محرم سنة ١٤٠٩ هـ .

(١) سورة آل عمران ؛ الآيات : ٥٩ - ٦١ .

فإنه يشترط عليهم ألا يستعملوا هذا السلاح ، إلا في الضرورة القصوى .  
لذا فإنه من الواجب الالتفات إلى هذه المقدمة المهمة جداً لفهم القرآن  
وفهم رسالة الأنبياء . قال تعالى :

﴿ولقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم  
الناس بالقسط وأنزلنا الحديد﴾<sup>(١)</sup> .

لذلك فإنَّ الله تعالى أرسل الرسل بالحجج والبراهين ، وأيدهم  
بالبينات ، وأنزل الكتاب الذي يعني به المناهج . أما الميزان فهو الهيئة  
التي تطبق منهاج الله ، وفي نهاية الأمر يقول : وأنزلنا الحديد الذي يعني به  
قوة السلاح ، التي تأتي في آخر الأمر ، ولا يستعملها النبي إلا في الضرورة  
القصوى ، كما قلنا سابقاً . . لماذا؟ لأنَّ الناس يتجهون لله تعالى في  
تلقائية دون الحاجة إلى قوة السلاح في ذلك . وجاء ذكر قوة الحديد في  
الآية المباركة لبيان ضرورته في صنع عملية فرض العقيدة على الإنسان  
بالقوة . فالحديد إذن نزل من أجل حرية الإنسان لا لتقييده . وهذا يعني أن  
قوة الحديد التي أعطاها الله لأنبيائه ، لا تستطيع تغيير الحقيقة ألا وهي  
حرية الإنسان . . حيث وجَّه الله تعالى خطابه لأنبيائه قائلاً : يا أيها الأنبياء  
لا تضربوا إنساناً بالسوط على رأسه ، لأنه تارك الصلاة ، ولكن استخدموا  
ذلك السوط في ضرب الظالم الذي يقوم بضرب ذلك الإنسان . رأيتم بعد  
هذا ، كيف أن الله تعالى ينهى أنبياءه عن اللجوء إلى استعمال القوة المادية  
في حق تارك الصلاة؟ إذن قوة السلاح أساساً مع الأنبياء لا وجود لها ؛ وإن  
وُجِدَتْ فلضرب الظالمين ودحضهم . ولكن هذا الحديد الذي هو ضد  
الظالمين سلاح ، لا يستعمله النبي إلا في الحالة القصوى . ولو كان  
استعمال القوة مسموحاً به لدى الأنبياء ضد أعداء الله تعالى ، لكان على  
رسول الله ﷺ أن يستعمل السيف ضد أبي سفيان وهند والعشرات من  
أمثالهم ، بغية القضاء عليهم ، فلقد كان الحديد معه ، ومسخرأً بين يديه ،

(١) سورة الحديد ؛ الآية : ٢٥ .

متمثلاً في علي بن أبي طالب وسيفه «ذو الفقار» ولكن رسول الله أبي أن يستخدم ذا الفقار أو أي سلاح غيره . فالله تبارك وتعالى ينزل الحديد مع الأنبياء ، لكنه ينزل معه شروطاً وعقوداً . . تنص على عدم استخدام السلاح إلا في الضرورة القصوى ، وهذه هي المرة الثالثة التي أكرر عليكم هذه العبارة ، كي تستقر في أذهانكم ، وحتى تتضح سلسلة البحث من البداية .

وإذا أراد الله تعالى أن يجهز الأنبياء بقوة طبيعية وكونية ، بفعل كما صنع مع سليمان ليبيّن للناس أنه باستطاعته تسخير الجن والإنس والسموات والأرض للأنبياء ، ! وهو القادر على ما يريد ، ولكنه لم يصنع ذلك مع الأنبياء كافة ، وإنما جاء بسليمان كمثال يدل على قدرة ربّ العالمين : رب السموات والأرض . ولكن الله سبحانه وتعالى ، عندما سخّر الجن والإنس لسليمان أتبع ذلك بشروط ، وهي أنه على النبيّ سليمان أن يقرن تلك القوة بالرقّة والعدالة ، حتى مع أصغر الكائنات كالنملة ، التي كلمت سليمان <sup>عليه السلام</sup> ثم لاحظوا تهديد سليمان للهدهد ﴿لَأَعَذَّبَنَّه﴾<sup>(١)</sup> فهذا مجرد تهديد ، إذ لم يعذب الهدهد ، ولم يحصل أي شيء من هذا القبيل . وفي الأخبار أن سليمان لم يستعمل السلاح ضد أي إنسان كان ، رغم هذه الطاقة الجبارة التي كانت لديه .

إذن في تلك المقدمة قلنا إنّ الله جهّز الأنبياء بطاقة روحية هائلة ، وزوّدهم بسلاح الفكر والمعرفة ، ولم يزوّدهم بقوة السلاح المادية ، لسببين إثنيين وهما :

### ( أ ) حرية الانسان :

أولاً : إن الإنسان قد جعله الله حراً ، أي أنه جاء إلى الحياة حراً ، وكل من يريد أن يمارس ضغطاً بهدف إذلال هذا الإنسان واستعباده ، فإنه

(١) سورة النمل ؛ الآية : ٢١ .

سيصيبه الفشل ، لأنَّ الإنسان لا تسوقه السياط ، بينما الكلمة الحلوة والأخلاق الطيبة والفكرة العميقة والعلم النوراني : كل ذلك هو الذي يجذب الناس إليك وتبقى السياط أعجز من أن تجمع الناس أو تخضعهم لمشيئتها . فهذه هي طبيعة الإنسان . . . فهو إنسان لا حيوان .

### (ب) بين الانسان والحيوان :

انظروا إلى وليد الإنسان وطفل الحيوان ، لاحظوا أن وليد الإنسان عندما ينزل إلى الأرض من بطن أمه ، يأتي إلى الحياة مزوداً بطاقة فكرية وعقلية جبارة ، ولكن بغير طاقات عضلية لديه . . فلا يستطيع أن يدفع الظلم عن نفسه ، لكن لديه عقل جبار . . في حين أن وليد الحيوان ، على العكس من ذلك تماماً . فوليد الإنسان يبقى في بطن أمه تسعة أشهر وفي حجرها حولين كاملين ، حتى يتمكن من السيطرة على عضلاته ، فالمجموع هو ثلاثون شهراً بين بطنها وحجرها لأنه قطعة من أمه ، فيحتاجها عامين كاملين حتى يتمكن بعد ذلك من المشي والرواح . . إلى سبع سنوات فلا شيء عليه من الناحية الدينية ، فالإسلام لا يطلب منه شيئاً حتى السابعة حيث يكون حراً في تصرفاته خلالها . . . ولا ينبغي لك أن تفرض عليه شيئاً أصلاً ، لأنه من الثابت علمياً أن الطفل خلال السنوات السبع ، لا قدرة لديه على هضم الأمور والأشياء . . . فلا يستوعب كل ما يدور حوله ، ولذا فإنه ينبغي ألا نحمله ما لا طاقة له به . . ولنضرب مثلاً لذلك :

### أصول التربية :

إذا أردت أن تنظر إلى هذه القضية ، وابتغيت إدراك حقيقتها ، فما عليك إلا أن تلاحظ بعض الآباء وهم يضربون أبناءهم الذين لم يتجاوزوا الخامسة !! فقد لاحظت ذلك بنفسني أحد الآباء يضرب ابنه ، فإذا سألته : لماذا تضربه ، يقول : أريد أن أؤدبه من الآن !!! ولكنه لا يعلم بأنه من خلال عمله هذا ، سيعقد طفله نفسياً فهو لا يؤدبه أبداً ، بل يصنع منه إنساناً مهزوماً خائر القوى لا شخصية له : لأنه من المستحيل أن يتأدب

الطفل في السنوات الخمس بالضرب والتعذيب ، وعليه فإن أسلوب التوجيه يكون في هذه الحال أكثر جدوى ، أي التوجيه الذي يخضع لروح الدفء العاطفي وتسوده الرقة ، وتحكمه المحبة وسلطان التعقل وضبط النفس والأعصاب ، فالرسول ﷺ يقول : «دع ابنك يلعب سبع سنين» فهو منذ السنة الأولى وحتى السنة السابعة ، لا يفهم ما تأمره به ، أي بمعنى آخر لا يفهم معنى الطاعة والمعصية . . . فهذا الشخص الذي سألته عن السبب الذي حمله على ضرب ابنه ، لكان ردهً بأن ابنه لا يُطيعه !!! عمره خمس سنوات !! يظهر أن في عقل الوالد شيئاً من الضعف أو التخلف ، وإلا فلا يعقل أن عاقلاً يجيب بمثل ذلك الكلام .

الآن جرّب ذلك في البيت . . . . . عندك أطفال ، أحدهم في الخامسة والآخر في السابعة والثالث في التاسعة ، والآخر في العاشرة والآخر في الثانية عشرة . . هؤلاء خمسة أطفال وإليك المثل التالي حول هؤلاء الخمسة : إذا هممت بالخروج من البيت وقلت لهم : يا أبنائي لا تخرجوا ورائي إلى خارج الدار ، ابقوا هنا ، سلّموا عليّ من هذا المكان ، ومع السلام ، ثم لاحظ من يطيعك منهم ومن يعصيك . . فالذي جاوز السابعة من عمره ، يستجيب لك طائعاً ويبقى في مكانه . داخل الدار . أمّا الذي دون السابعة فإنه يأتي إليك ماشياً ، ولا يسمع كلامك . . لماذا ؟ لأنه لا يعرف معنى الطاعة . فهلاً لاحظت هذه المفارقة وذلك الاختلاف في درجة التعقل أو التصرف بين الواحد والآخر من أولادك ؟ .

فالرسول يقول : دعه يلعب سبع سنين . فهذه السنوات السبع تبني فكر الإنسان . . يقول الرسول أحب من خصال الأطفال : خصلة جميلة . . وكل خصالهم جميلة يذكرها رسول الله ﷺ : زهدهم في الحياة براءتهم الخ . . . حتى يقول : لعبهم في التراب ، فلعبهم في التراب ينمي طاقات الابتكار لديهم ، فيأتي بالطابوق ويصفه ويبنى بيتاً هندسياً . هذه الحالة التي نشاهدها لدى الأطفال ، قد نراها نحن عبثية وفوضوية ، ولكنها بالنسبة لهم



مهمة جداً بالنظر إلى أذهانهم وأفكارهم وللطاقة الخلاقة في عقل الطفل .  
فالتراب واللعب به ، والرسم ، والأعمال اليدوية الأخرى تعطي الطفل طاقة  
على الابتكار والخلق والإبداع ، فيجب أن نفسح لهم بالمجال لكل ذلك ،  
ألاحظتم كيف ؟ .

فوليد الإنسان يأتي مزوداً بالطاقة الفكرية الهائلة ولكن لا طاقة بدنية  
له ، بينما وليد الحيوان على العكس من ذلك ، فإنه يولد مزوداً بطاقة بدنية  
هائلة ، ولكنه لا يملك طاقة فكرية ، ولذلك فأنا أقول دائماً عندما تلاحظ  
حتى الأفلام العلمية التي تُعرض على شاشة التلفزيون ، فإنك ترى أنه من  
الممكن أن تضع بالطبع الطيبة طفلها في الغابة وكذلك الفهد أو الدب أو  
أي حيوان آخر مفترس يتربص بها الدوائر من وراء الأشجار في لحظة  
ولادتها ، فحين تضع طفلها تفرُّ هاربة ! فيتبعها بنفس اللحظة وليدها !  
يركض وراء أمه !! في حين أن وليد الإنسان لا يتمكن أن يركض وراء أمه  
في نفس اللحظة . وهذا دليل على أن الحيوان لم يطلب منه حمل رسالة  
وبناء حضارة ، وحمل أمانة ، وإنما مطلوب منه أن يكون بخدمة الإنسان  
الذي كلف بالرسالة وحمل الأمانة . لذلك عندما يأتي الإنسان إلى الحياة ،  
تنقصه الطاقة البدنية ، لأنه لا يحتاج إليها إلا بعد فترة من الزمن ، ولذا فهو  
بحاجة إلى الطاقة الفكرية وإلى القوة العلمية ، حتى يبدأ ببناء تلك  
الحضارة .

إذا سألت أحداً من الناس عن مكان الدين ، فماذا تتوقع الجواب  
منه ؟ ! فهل تتوقع أن يجيبك أن الدين في الرأس أم الأذن أم العين ؟ أين  
بالضبط ؟ مكان الدين ؟ أهو في القلب ؟ وهذه منطقة وزاوية حرّة في  
الإنسان لا تتعامل مع الإكراه ، لذلك يقول الله تعالى : ﴿ لا إكراه في  
الدين ﴾<sup>(١)</sup> .

---

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥٦ .

## الإيمان والحرية الدينية :

عمار بن ياسر عندما كان ينزل عليه العذاب والسياط ، يقول :

﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾<sup>(١)</sup> فالإكراه ينزل على بدنه ، لكن قلب عمار مطمئن بالإيمان . . . فإذا . . . ليس من المعقول أن يخلقنا الله أحراراً ، ثم ينزل علينا ديناً بالسياط والعذاب والحديد ، فهذا غير ممكن . . . وهو عندما خلقنا أحراراً فإنه وجب على الدين الذي ينزل علينا أن يدخل بحرية إلى قلوبنا . ولهذا الغرض فإنه بإمكان الله تعالى - وهو القادر على ما يريد - أن ينزل طاقة جبارة (قوة سلاح) مع الأنبياء ليضربوا بها الناس ويقولوا لهم ساعتئذٍ : تعالوا معنا بالسلاح !! . . .

فهذا لعمرى لا يكون نبياً ، بل ظالماً غير عادل ولا عاقل ويكون هتلياً ! ولو كان للأنبياء سلاح يضربون به الناس لكان هتلاً أشرف الأنبياء ونابليون أكبر الأنبياء وموسوليني سيد الأنبياء .

ثانياً : عرف التاريخ طغاةً وعرف ظلمة وفجرة ومجرمين ، يسفكون دماء الناس الأبرياء في الأرض ، إلا أنهم لم يتمكنوا من الدخول إلى قلوب الناس أبداً ، بينما الأنبياء عاشوا في قلوب الناس . ترى أليست محاولة إكراه الروح الإنسانية للخضوع بقوة الترهيب والتعسف ، كمحاولة القبض على شعاع الشمس والإمساك به .

ومرةً أخرى نذكر بأن شعاع الرأفة والرحمة والحنان ، الذي أشرق في قلوب الأنبياء جعلهم بحق قادة الشعوب وصانعي التاريخ . لهذه الأسباب برمتها ، فإنَّ علياً أمير المؤمنين سلام الله عليه ، قد تناول هذا البحث في نهج البلاغة بدقة متناهية إذ يقول : «الله سبحانه وتعالى لم يزود الأنبياء بقوة سلاح وإنما جعلهم يدخلون على الجبابرة والنامردة والفراعنة وعليهم ملابس بالية متواضعة وبأيديهم العصي كما دخل موسى وهارون على فرعون

(١) سورة النحل ؛ الآية : ١٠٦ .

وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي رعاة غنم» بهذه البساطة . وقد اشترطا على فرعون إن هو أسلم وآمن بالله دام ملكه وبقي عزه وسلطانه ، فضحك فرعون ! . . . من موسى وهارون وقال : أيُّها المملأ انظروا إلى هذين ! إثنان من رعاة الغنم يقفان أمامي يشترطان عليَّ أني إذا أنا اسلمت بقي ملكي وسلطاني :

### قُوَّة العصا الصغيرة :

وتابع فرعون يقول :

ولو كان هذان الراعيان يلتمسان خيراً من كلامهما لنزلت عليهما أساور من ذهب (لاحظوا النظرة المادية) ولكان لديهما جيش وقوَّة ! في حين أنَّ كلاهما يحمل عصاً ويلبس ثوباً من الصوف ، لكنه لم يعلم أن كل قوَّة السماوات والأرض تكمن في تلك العصا الصغيرة التي كان يحملها موسى .

إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام ، يجيب عن سؤال فرعون وعن كل فراعنة الدنيا في الأرض بقوله : «لو أراد الله سبحانه وتعالى لأنبيائه أن يفتح لهم كنوز الأرض لفعل ، ويسخر لهم الوحوش والطيور ومعادن الذهب والفضة لصنع ذلك ، وأعطاهم قوَّة ، ولكن معنى هذا أن الثواب والعقاب سيسقطان لأن الناس عندما يرون النبي يملك قوَّة قاهرة فإنهم سوف يدخلون في دين ذلك النبي إما رهبة منه وإما رغبة بما عنده من أموال وقوَّة » . أصحح هذا !! . . .

لذلك فإنَّ الله تعالى يريدنا - إذا ما دخلنا في الدين الإسلامي وآمنا بالإسلام - يريدنا أن ندخل طائعين مختارين وعن قناعة كاملة دون إكراه ، فالإمام أمير المؤمنين يشير إلى هذه الحالة في نفوس الأنبياء ، لا لشيء إلا لأخذ العبرة الشافية .

تلك كانت مقدمة قصيرة ، وارجو أن تكون واضحة لأنها في الواقع ، مسألة فلسفيَّة حاولت أن أبسطها قدر الإمكان . والحمد لله على أن

جميعكم يدرك حقيقة ما يقوله الإسلام !!

والآن لا بدّ أن نأتي إلى أصل البحث الذي يدور حول تزويد الله أنبياءه بقوة السّلاح . . فإذا كان الله لم يزودهم بتلك القوة رغم أنه يقول :

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة﴾<sup>(١)</sup> وزودهم أولاً وآخرأ بقوة الفكر والحجّة الدامغة ، فمعنى ذلك أن كل نبيّ له قوّة يركن إليها ، للتدليل على صحّة نبوته وصدق موقفه ، ومن الطبيعي أن تختلف هذه القوة من نبي لآخر . . لكن عند وصولنا لنبيّنا الحبيب المصطفى محمد ﷺ ، فإننا نجد أن قوته قد تلهّخت وتجمّعت في أهل بيته الطيبين الطاهرين ، حتى أصبح الرسول ينطلق من أهل بيته ، وإذا أراد أن يدلّل على صدق الإسلام ، فإنه يدلّل على صدقه من بيت عليّ وفاطمة ومعه الحسن والحسين عليهم السلام ، وانطلق رسول الله ﷺ يبشر بهذا الدين والناس يدخلون في دين الله أفواجا من هذا الباب .

### إتهام الرسول ﷺ ودفاعه :

في السنة التاسعة للهجرة أيّ قبل وفاة النبيّ بعام والذي يطلق عليه عام الوفود أي عندما بدأت الوفود من أقطار الدنيا تفد إلى المدينة المنورة ، وفيهم اليهود والنصارى وكل الطوائف والملل ؛ جاء وفد من نصارى نجران من اليمن ودخلوا في مسجد النبيّ . . وكانوا يرفلون بالحرير والديباج والذهب ، وتلك الأبهة موجودة عند المسيحيين . . فقالوا له : يا محمد إن لنا سؤالا ! قال : ما هو ؟ .

قالوا : لماذا تشتم عيسى ؟ !! . . .

قال : أنا لا أشتمه ! فعيسى نبيّ وهو أخ لي ، فالأنبياء أخوة فكيف أشتمه ؟ ! .

قالوا : نعم ! فأنت تقول بأن عيسى عبد الله ! ونحن نقول بأن عيسى

(١) سورة الأنفال ؛ الآية : ٦٠ .

ابن الله ! فهذه شتيمة وسبٌ لعيسى ! قال : من أيّ مصدر وبأيّ سند قلتم بأن عيسى ابن الله ؟ ! قالوا لأنه وُلد من غير أب . . فإنه حتماً ابن الله ! فنزل جبرائيل بالقرآن : ﴿إِن مِّثْلَ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾<sup>(١)</sup> فهذا الحقّ وحاشا أن يكون رسول الله من الممترين والشاكين . لا وإنما الخطاب كان هدفه إظهار الحق والدعوة للإلتزام به من قبل الممترين والشاكين من النصارى وغيرهم .

قال لهم أيها النصارى : إذا كان دليلكم على أنّ عيسى ابن الله بحجّة أنه وُلد من غير أب فأدم أحق أن يكون ابن الله لأنه بلا أم ولا أب . فهذا دليل عقلي قاطع وإلى الآن ، فإنّ النصارى لا يستطيعون الجواب على هذا الدليل لأنه معقول ومنطقي .

### المباهلة وتكذيب المشركين :

واشتد النقاش وتصاعد ، واشتد الحوار ساخناً بين النبي ﷺ وبين النصارى إلى أن التفت الرسول إليهم وقال : لا بدّ من وضع حل لهذه المسألة . قالوا : وما الحل ؟ فنزل جبرائيل بالحل من الله تعالى . . وهو أن نجتمع . فإنا أجمع أبنائي ونسائي ومن هو بمكانة نفسي وأنتم أيضاً تفعلون ذلك ، ونجتمع في مكان واسع أمام الناس وتباهل «البهلة تعني اللعنة» أي نطلب من الله تعالى أن ينزل اللعنة على الكاذب منّا . . ولا نفترق من ذلك المكان إلّا بهلاك أحدنا . فهل تقبلون بذلك ؟ قالوا : نعم . . ﴿فمن حاجك فيه - أي في عيسى - من بعدما جاءك من العلم - تشبيهه عيسى بآدم عليه السلام أو تشبيه العزيز بالأعزب - فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾<sup>(٢)</sup> .

قالوا : يا محمد أمهلنا إلى صبيحة غد حتى نستعد لذلك . . وكان

(١) سورة آل عمران ؛ الآيتان : ٥٩ - ٦٠ .

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

لهم ذلك . ففي يوم الإثنين صباحاً كان اجتماعهم فحضر العالم أجمع من المسلمين والنصارى واليهود والملل والأديان ينظرون لهذا المهرجان وتلك المناظرة والحوار ! وكان مع المسيحيين سيدهم الأسقف . قالوا له : ما تقول أيها العاقب (وذلك كان اسمه) قال : انظروا محمداً غداً غد . إذا خرجاً بأصحابه فباهلوه فإنه كذاب . وإذا خرج بأهل بيته فلا تباهلوه فإنه صادق ! فلما أصبح الصباح خرج الرسول ﷺ .

### قوة الرسول في أهل بيته :

أولاً : أنا أحب أن أقول لكم أيها الإحبة ، رجالاً ونساءً ، شباباً وشيوخاً هذا الكلام الذي أقوله ، هو مما اتفق عليه المسلمون جميعاً . . . يعني هذا الحديث الذي تقرأونه الآن موجود في صحاح المسلمين برمتها وفي كتب التفسير كلها . إن الرسول يوم خرج للمباهلة أخرج معه علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . . . أخرج فقط هؤلاء الأربعة معه . . . ولم يخرج أحداً سواهم . وأنا أتحدى أي إنسان يأتي بأي كتاب في العالم ويقول : إن الرسول أخرج واحدة من نسائه مع الزهراء . . . أو يقول إن الرسول يوم المباهلة ، أخرج واحداً من شباب بني هاشم وأبناء شيبة الحمد مع الحسن والحسين ، أو يقول بيوم المباهلة أخرج الرسول صحابياً مع علي ابن أبي طالب - فالكل متفق في هذا الأمر حيث قال المسلمون جميعاً إن رسول الله يوم المباهلة خرج ومعه هؤلاء الأربعة من أهل بيته . لكن ، كيف خرج ؟ الحسين كان يبلغ من العمر ست سنوات ، فكان رسول الله ﷺ يحتضنه ويده اليمنى الإمام الحسن الذي كان يبلغ السابعة من عمره . وخلفه الزهراء تمشي ، وخلفها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين . فأقبل علي النصارى وهو يقول لأهل بيته : إذا دعوت أنا فآمنوا علي دعائي أي قولوا آمين . وإذا بالأسقف ونصارى نجران بصوت واحد ، قالوا : أقلنا يا أبا القاسم ! لقد تراجعنا وانسحبنا !! لماذا تراجعتم ؟ ! التفت زعيمهم العاقب إليهم وقال : يا معاشر نصارى نجران إني لأرى وجوهاً لو أقسمت علي الله

سبحانه أن يزيل الجبل من مكانه لأزاله ، فلا تباهلوا فتهلكوا ! وبالفعل ، فإنَّ القوَّة الموجودة لدى أهل البيت عليهم الصَّلَاة والسَّلَام ، قوَّة تحرك الجبال ، فهم والقرآن عِدْل واحد . . ثقلان والقرآن كذلك .

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية

الله﴾ (١)

### انتصار الحق وأهله واندحار أعدائه :

فأهل البيت يملكون نفس قوَّة القرآن . . فهذا العاقب المسيحي (الأسقف) كُثِفَتْ له هذه الحقيقة ، فدعا قومه إلى الانسحاب . فقال رسول الله : والذي نفس محمد بيده ، لقد تولَّى العذاب عن أهل نجران ، ولو باهلوا لمسحوا قرده وخنازير ولاضطرم عليهم هذا الوادي ناراً .

هذه القصة ما نصيبها من عناية واهتمام وسائل الإعلام الرسمية ، ومن الإذاعات العربية والإسلامية الخارجية ؟ مع الأسف الشديد أننا لا نسمعها إلا من خلال هذه المجالس والمنابر . فهل سمعتم في يوم من الأيام إذاعةً عربيةً إسلاميةً ، تحدثت عن المباهلة ؟ والحال هذا نصر كبير للمسلمين . فهل سمعتم عن هؤلاء الذي يبشرون بالإسلام في أرجاء العالم ، بأنهم نشروا هذه القصة بين المسيحيين ، لعلمهم استطاعوا أن يحملوهم على التصديق بالإسلام واعتناقه ؟ وهل قرأتم في جريدة واحدة عن هذه القضية المتفق عليها والتي ذكرها الله تعالى في القرآن وذكرها الرسول ﷺ والكتاب وكل الملائكة ؟ ولكننا نجد أن هناك تعتيماً إعلامياً على الحقائق ، وتضليلاً للناس . ماذا تعني هذه الحقيقة أيها الأخوة ؟ .

الرسول الأعظم ﷺ يقول داعياً النصارى للمباهلة تجسيداً للحقيقة وإظهاراً للحق .

قل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم ، فأخرج الحسن والحسين فقط ،

(١) سورة الحشر : الآية : ٢١ .

لأنهما إبنَا النبي ﷺ وهما ریحانتاه من الدنيا ﷻ . ويقول الرسول عنهما أيضاً : الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا ، أحبَّ الله من أحبَّهما .

حدث مرَّةً أنه كان يخطب وفجأة دخل الحسنان وهما يتعثران بأذيالهما ، فالحسن في السادسة والحسين في الخامسة ، والرسول على المنبر ، وكانا يرتديان ثياباً حمراء ، فقطع النبي خطبته ونزل متجهاً نحوهما ليقبل عثرتهما ، وفي إحدى المرَّات ، كان ينزل ليأخذهما ، فحملهما وضمهما إلى صدره وصعد بهما على المنبر ، لماذا هذا التأكيد على أهل البيت ؟ .

### سنة النبي ﷺ هي سبيل انتصار المسلمين :

هذه هي سنة النبي ، فما معناها ؟ ! وكيف تكون سنياً ؟ .

إن هذا ليتحقق لك عندما تمشي على سنة النبي المتمثلة بأهل بيته ، الذين أخرجهم معه يوم المباهلة ، وأشار إلى العالم أجمع وقال : إذا أردتم أن تنتصروا على اليهود والنصارى ، فإنَّ النصر يتحقق بعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷻ ، وإلاَّ دعونا نعاني لأربعين سنة أو خمسين سنة ، ونعتمد على أمريكا وعلى الإتحاد السوفيتي ، وعلى بريطانيا وفرنسا ، وعلى أعداء الله ، وأعداء الإنسانية . وليكن معلوماً لديكم وواضحاً ، أنه لا يمكن أن نتصر على اليهود أبداً ، إلاَّ بسنة النبي وسيرته العظيمة ! ولكن كيف ؟ .

إذا كنا مسلمين صادقين بذلك ، وكنا سنةً بتمام معنى كلمة السنة التي تعني اتباع سنة النبي ، التي غرسها في أهل بيته ، فالسني هذا حتماً سيتنصر ، لأنَّ الرسول ﷺ انتصر في موقف المباهلة التي تعني لنا أن نتخذ موقفاً من أعداء الله . ومعنى المباهلة أن تكون لك شخصية إسلامية غير قابلة للذوبان ، بشخصيته الشرق أو الغرب أبداً .

### الأزياء وسيطرة الغرب :

نحن الآن فقدنا هذه الشخصية أيها الأخوة ، فالعالم الإسلامي كله



يتحرك تحت رحمة الغربيين والشرقيين ، فأفكارهم ومبادئهم وموضوعاتهم وصرعاتهم !! تصوّر أنه بلغ بنا الأمر أن دور الأزياء في الخارج تتحكم بعقل فتاة مسلمة ، تعيش في دولة إسلامية ! أين الشخصية الإسلامية إذن ؟ !! ... تلك كانت مجرد أمثلة تُضرب ، وإلا فإن داراً للأزياء الغربية ، قررت أن ترفع الثوب إلى ما فوق الركبة ، بعشرة ستمترات ! وهنا فإن على الفتاة المسلمة ، الاستجابة لهذه الدار .

### الاقتداء بالمؤمنات المسلمات فوز عظيم :

أيتها الفتاة المسلمة! أية علاقة تربطك بدور الأزياء الغربية ؟ ! وهل نسيت أن لديك زياً إسلامياً ؟ وعندك الإسلام ، وأمامك الزهراء ... وزينب بطلة كربلاء وعندك خديجة وزوجات النبي عليهن السلام ، وأمّهات المؤمنين .. عندك بنات شبية الحمد .. صفية وفاطمة وأمثالهن .. فلماذا تتأثرين بأزياء الغرب التي يدعو لها يهودي من اليهود ؟ ! والذي يدعو إلى التبرج والسفور والتخلي عن الحجاب . فنرى فتياتنا لا يلبسن الحجاب لماذا ؟ ! ... لأن الغربيين لا يلبسون الحجاب ! فالحجاب نأخذه من مصادره .. من نساء الإسلام الخدرات ، أما تسمعين قول الله تعالى أيتها الأخت المسلمة ؟ .

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾<sup>(١)</sup> .

تلك فلسفة الحجاب الحقّة التي تعني دَفْع الأذى عن المرأة ، فالحجاب يحفظها ويجعلها في أمن وسلام . هذا واحد من عدة شواهد ومثال صغير ذكرته لكم .

القرآن الكريم يتشدّد حتى في استعمال الكلمات فكأنه يقول لنا : إذا اتخذ الغربيون شعاراً أو كلمات ، فلا تستعملوها ، وعليكم ألا تتصوروا بأن

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٩ .

الإسلام ضيقٌ . . بل هو بذلك ، يريد أن يحافظ على الشخصية الإسلامية . فاليهود في الجزيرة العربية عندما يريد أحدهم أن يتحدث مع الآخر ، فإنه يقول له : «راعنا» فتزل القرآن بآياته المحكمات يقول : يا أيها المسلمون كلمة راعنا خاصة باليهود ، فلا تستعملوها مع رسول الله ﷺ ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ (١) .

الإمام الحسين يوم عاشوراء عندما جيء إليه بتبان - ثوب قصير - قال : «هذا لباس من ضربت عليهم الذلة ، فلا ألبسه أبداً» فتراه يرفض في آخر ساعة من حياته أن يلبس زياً كان يرتديه اليهود . وهذا الثوب كان موجوداً يوم عاشوراء في الخيمة لارتدائه تحت الملابس . فهو قميص لا حرمة في استعماله . لكنَّ الحسين نظر إلى هذا القميص على أنه سيكون أعلى ثيابه ، وأنه سوف يجرد من ثيابه ، فيبقى ذلك الثوب على بدنه الشريف .

فأين هي الشخصية الإسلامية أيها الأخوة ؟ ! لماذا إذا ذهب شبابنا إلى الخارج تذوب شخصيتهم الإسلامية هناك ؟ ويستبدلونها بشخصية أخرى ولماذا أصبح الأمر كذلك مع فتياتنا ؟ طبعاً لكل قاعدة شواذ . فلا زال الكثير من الفتيات المؤمنات في أمريكا وألمانيا ، والعديد من الدول الغربية يحتفظن بزيهن الإسلامي ، وهذا شيء يُعتبر موضع اعتزاز وفخر . ولكن في الطرف المقابل هناك مجموعة كبيرة من العوائل ، إذا ذهبت إلى هناك ، نسيت الله ونسيت اليوم الآخر ، قبل أن تنسى نفسها ! لماذا ؟ والله إنه لموقف يحار الشخص فيه ، ويتملكه الخجل منه في نفس الوقت . فلماذا لا تمعن النظر بموقف المباهلة الذي يعلمه رسولنا الأكرم ﷺ للمسلمين كافة ويقول لهم : إذا أردتم أن تنتصروا على العالم فانتصروا بي وبأهل بيتي . فهذا طريق الانتصار ، ثم يقول : إذا دعوت فأمنوا . . .

لماذا يطلب من أهل بيته أن يقولوا آمين ؟ لأنَّ الدعاء ببركات أهل البيت يكون مستجاباً .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٠٤ .

## منزلة علي من النبي :

قال النبي ﷺ لعلي : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي» وهل بعد هذا الدليل القاطع ، من شخص يمثل النبي سوى الإمام علي ؟ وإنه لبرهان عظيم على عظم شأن أمير المؤمنين وأنه قمة ، كما وصف نفسه حين قال : «قمة عني ينحدر السيل ، ولا يرقى إليّ الطير» .

فإذا كان هو كفوفاً لفاطمة ، ففاطمة أيضاً قمة ينحدر عنها السيل ولا يرقى إليها الطير ، ومعهما الحسن والحسين ، فهم قمم مضيئة تنير الطريق ، وبالفعل فإنهم قمم ، فلم يقصدهم ذو حاجة إلا وقضوا حاجته ، سواء كانوا في السلطة أو بعيدين عنها . وكان الإمام الحسن يعول أربعمائة عائلة في المدينة ، فإذا جاءت الخلافة إلى الإمام علي أمير المؤمنين ، يقول سويد بن نفيلة في ذلك : «كان الإمام أمير المؤمنين بعد صلاة الصبح ، يجلس على دكة المسجد ، يدير السياسة الخارجية ، فيبعث الرسائل لوكلائه في البلاد ، ثم بعد ذلك ينزل إلى السوق كأنه بدوي في شملته ، نوره وهيبته سيماء الأنبياء . وينادي بأعلى صوته : أيها الناس أوفوا المكاييل ولا تبخسوا الناس أشياءهم . بعد ذلك يقول (سويد) رجعت معه إلى البيت ليخلد إلى الراحة ، حيث توجد غرفته المتواضعة . فصعد إلى الغرفة حتى يتمدد ويرتاح يقول : لقد تمددت ولكني لاحظت سيدي ومولاي بعد لحظات ، يقوم من مكانه وقد أسبغ الوضوء وتهايا للخروج . قلت سيدي ما أراك نمت يا أمير المؤمنين ؟ ! فقال لي : ومتى أنام ؟ . . إن نمت ليلاً ضيعت نفسي ، وإن نمت نهاراً ضيعت رعيتي» ألا ما أسمى الهدف وأنبى الغاية ! يجسدهما عمل صالح ومسؤولية مؤمنة وهي أرقى درجات المسؤولية لدى الإمام القائد : إمام المتقين وأمير المؤمنين ، قياماً بالواجب المقدس وأداءً للأمانة بصدق ورفق وتقوى وإحسان ، لخير الناس ومنفعتهم .

وإليكم أيها الأخوة أيضاً صورة عن واحد من مواقف الإمام علي

دُعي عثمان بن حنيف يوماً إلى وليمة في البصرة ، فأرسل الإمام له كتاباً يقول له فيه :

«أما بعد يا ابن حنيف ، فلقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة ، قد دعاك إلى مأدبة ، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان ! وتنقل إليك الجفان !! ما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو ، أي أنّ الفقير أبا العيال لم يكن في المأدبة ، وغنيهم مدعو ، ثم يقول : وكأني بقائلكم يقول : إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن منزلة الأقران ومقابلة الشجعان ، ألا وأن الشجرة البرية أقوى عوداً ، والروائح الخضرة أرق جلوداً والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً . وأنا من رسول الله كالضوء من الضوء وكالذراع من العضد ، والله لو تظاهرت العرب على قتالي ما وليت عنهم» .

إذن عندما نتحدث هنا عن مسألة المباهلة ، لا نقرأها للتسلية ، وتمضية الوقت ، ولا لنستعرض لوحة تاريخية جميلة ! أبداً . وإنما ينبغي أن نتخذها برنامجاً لحياتنا ، ففوة رسول الله في أهل بيته . فقد أعطاه الله هذه القوة لسبب عظيم وخير عميم لأمته وللإنسانية جمعاء ، وإلا لكان بإمكان رب العالمين أن ينزل على حبيبه المصطفى محمد ﷺ آية تلزم الناس بحجتها ، أي ينزل مع كل نبي آية من السماء بحيث لا يتمكن أي إنسان من الابتعاد عن ذلك النبي .

قال تعالى في محكم كتابه :

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾<sup>(١)</sup> .

ولكن الله لا يريد أعناقاً خاضعة وإنما يريد قلوباً خاشعة . . متجهة

(١) سورة الشعراء ؛ الآية : ٤ .

إليه وإلا فإن الأعداء يمكن لها أن تخضع بالسلاسل ، التي إذا وضعت في عنق أحدنا وجُرَّ على أصلب وأخشن السطوح ، فإن الظالم بأسلوبه الجائر هذا قد يفلح مع الإنسان الذي يفتقر للإيمان ، ولكنه لن يستطيع أن يجرَّ قلب المؤمن بسلسلة حديدية ، وإنما سيقود فقط جسده . وانطلاقاً من هذا المبدأ ، فإن القلب لا يمكن أن يؤثر فيه تأثيراً إيجابياً ويأسره إلا الحب والإخلاص والمودة .

### عناية الله بأنبيائه :

والجدير بالذكر ، هو أن الله تبارك وتعالى ، كان يترك أنبياءه بمثل ذلك الوضع ، لكن إذا داهمهم الخطر ، فإن قوة السماء ، سرعان ما تتدخل لإنقاذهم ، مثل إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقد أوقد له الكفار عبدة الأوثان النار بأمر من قائدهم وأميرهم «النمرود» حتى يحرقوه بها . قال تعالى : ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ (١) .

يقال في بعض الروايات ، أن الذين أرادوا إحراق إبراهيم ، صاروا يجمعون الحطب في فترة تتراوح بين الستة أشهر والسنة !! . حتى أصبح ما جمعه من الحطب جبلاً ، والحال أن إبراهيم عليه السلام جسد واحد ! ومن الممكن أن تحرقه قطعة خشب صغيرة ولكنه اللؤم الذي قد بلغ عند الفجرة الكفرة والأشرار العصاة حداً غريباً ! فكان الشعب كله يجمع الحطب مساهمةً في إشعال النار في جسد إبراهيم «أبو الأنبياء» عليه السلام وحرَّقه للقضاء عليه وعلى رسالته السمحاء . وكان بإمكان رب العالمين في هذه الأثناء ، أن يبعث سحابة لتمطر فوق النار فتطفئها . ولكن لو حدث ذلك لقالوا : لولا السحابة لأحرقنا إبراهيم . فالله أراد أن يتحدَّى غرور ذلك الإنسان المسكين . ويقول : أيها الإنسان المغرور إجمع ما شئت من الحطب ، وأوقد فيه النار ، وألق فيها إبراهيم الخليل . . وأما النار فلا تحرقه لأنني أنا

(١) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٦٩ .

الذي خلقت النار ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ (١) .

أيها الأخوة ، لا شك أنكم كلكم تسمعون من الخطباء ، وتعلمون بأن الله تعالى لو لم يقل سلاماً لمات إبراهيم من شدة البرد .

وكذلك عندما جاء موسى وأراد عبور البحر ، فصار قومه يبكون ويصرخون : تداركنا الموت . . . هذا فرعون ورائنا . قال : ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٢) فقال له ربه : إِنَّ هَذِهِ الْعَصَا بِيَدِكَ يَا مُوسَى ، اضرب بها البحر ضربة واحدة ، ولما فعل ، انفلق البحر إلى اثنتي عشرة طريقاً ، لأن الذين كانوا مع موسى عليه السلام ، هم اثنتا عشرة عشيرة - أسباطاً - وكل منهم يريد طريقاً خاصاً به !! فدخلوا في البحر .

أليس هذا كافياً ليكون برهاناً ساطعاً بنور الحقيقة ، بأن الله تعالى لا يترك أوليائه بغير عناية ، يتعرضون لشتى أنواع الخطر تهديداً ووعيداً من أعدائهم : أعداء الله ؟ .

وإليكم مثل آخر على عناية الله بأنبيائه عليهم السلام :

عندما أراد الرسول الأعظم عليه السلام أن يخرج من بيته ، وكان أبو جهل وأبوسفيان يحيطان بالبيت مع أعوانهما ، أخذ الرسول حفنة من التراب ورمها في وجوههم وقرأ قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٣) ولهذه الآية ، كما لكل آية من آيات الله تعالى في كتابه العزيز ، سرّها العظيم ، فهي تُعتبر وقاءً للإنسان المؤمن عند قراءتها ، إزاء الأخطار التي تحدق به ، وتذكروا إن السرّ كل السر في الإيمان .

وإليكم قصةً أخرى ، ينقلها أحد العبّاد الزهّاد :

(١) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٦٩ .

(٢) سورة الشعراء ؛ الآية : ٦٢ .

(٣) سورة يس ؛ الآية : ٩ .

كان لأحدهم مدرسة في بغداد ، يقوم بتدريس مجموعة من الطلاب فيها . وكان أحد الطلاب كثير التأخر في الحضور ، فسأله صاحب المدرسة يوماً عن سبب تأخره ، فقال له : لأنه لا جسرَ واحداً يوجد على نهر دجلة كي أعبر عليه ، ولذا فأنا أنتظر القارب الذي يعبرني إلى الضفة الأخرى من النهر ، وصاحب القارب يتأخر في الوصول إليّ . وهنا أراد المعلم أن يضاحك ويمزح ذلك الطالب البسيط ، فقال يا بني : إقرأ سورة الحمد وامش على الماء ! بحيث لا تعود بحاجة إلى أن تنتظر صاحب القارب ، وواصل المعلم درسه .

وبدوري أقول : أنا لا أرغب في مناقشة هذه النادرة لأقف عند صدقتها وصحتها لأن كل شيء يُعتبر صحيحاً في الواقع ، إذا ما كان ضمن نطاق قدرة الله سبحانه وتعالى .

لكنّ هذه الكلمة رسخت في عقل ذلك الطالب من خلال «سورة الحمد» وهذا بالطبع صحيح ، فرسول الله قال : إنَّ سورة الحمد إذا قُرِئت على ميت فأحياء الله فلا تتعجبوا . . . الحمد سورة عظيمة .

في اليوم التالي والأيام المتعاقبة بعده ، رأى الأستاذ ذلك الطالب يحضر قبل أقرانه جميعاً ، فتعجب قائلاً له : يا بني أراك تحضر قبل الباقيين ؟ ! قال : لقد علمتني أن أقرأ سورة الحمد وأعبر ، وأنَّ الله سيسهل لي عملية العبور . . قال : عجيب تقرأ سورة الحمد ! فهذا الأستاذ الذي علّمه ذلك ، دُهِش بالفعل وكذلك الحال معكم . . . . . لأنَّ هذه الحالة تحتاج إلى توجّه كامل . وهنا بادر المدرّس ذلك الطالب بالسؤال قائلاً له : هل حقاً تعبر على الماء الآن ؟ ! قال : نعم وهكذا كان الحال . إنَّ مثل ذلك الطالب هو إنسان كله براءة وصفاء وإيمان ، ولذا فقد أعطاه الله ما أعطاه من تلك الكرامة . ولا ينبغي أن ننسى ما قال المدرس للطالب : بنيّ بالله عليك إذا انتهينا من الدرس انتظرنى لا تذهب . سأكون معك لأرى ذلك بنفسى . . يقول انتهى الدرس ، فخرج الأستاذ مع هذا الطالب ورافقه

حتى وصل إلى منطقة بعيدة عن أعين الناس ، بحيث لا يراه أحد . وبالفعل فقد بدأ يمشي على الماء والاستاذ واقف وهو يراقبه مدهوشاً مما يراه . فقال الطالب :

تفضل مولانا معي . فقال له : لا يابنيّ فإنني إذا ما خطوت خطوة واحدة على الماء ، سأغرق ، وما عليك أنت إلا أن تحفظ هذه الكرامة ، ولا تحدّث بها أحداً ، فإذا حدثت بها ، فلن تستطيع أن تمشي على الماء ، فالله قد أعطاك على قدر نيتك ، وعلى قدر إخلاصك وصدقك في إيمانك ! .

والإيمان فوق البرهان . الآن سيأتي أحدكم ويسألني في قوانين الفيزياء وكيف عبر فوق الماء . فقبل لحظة قلنا : إن الله تبارك وتعالى أوحى لموسى أن يضرب بعصاه البحر عندما قال موسى ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾<sup>(١)</sup> . والإيمان فوق البرهان : مرةً أُخرى نقولها لترسيخها في الأذهان ، فالأمور بيد الله وسيولة الماء بيد الله ، والله يوقف هذه السيولة أو يعطي طاقة للإنسان أو للماء حتى يبين له هذه الكرامة ، ويبين أنك إذا ما اعتمدت على ربّ العالمين ، فإن المعجزات تكون حليفة لك .

### أهل البيت رحمة للعالمين :

فالقوة الإلهية أيها الأحبة في أهل البيت ، عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام قوة هائلة ، وقضية المباهلة جاءت لاتخاذ موقف من الكفار ومن المشركين معاً ، حتى يكون للواحد منّا موقف ، ويتجه إلى الله سبحانه وتعالى من منطلق إسلامي . ومن منطلق إيمانيّ صرف . . . أما الذي يدعو لأشد الأسف ويتألم منه الإنسان ، هو ابتعاد الناس عن أهل البيت ، فوسائل الإعلام على سبيل المثال بعيدة عن أهل البيت في كل أنحاء العالم . ويجب أن نتحرك لإيصال صوتهم إلى كل الدنيا ولأن الرسول وأهل بيته

(١) سورة الشعراء ؛ الآية : ٦٢ .



رحمة للعالمين ، واليوم يوم الأعمار الصناعية ، وبإمكانك أن تتحدث عن طريق تلك الأعمار مع أي دولة ، ومع أيّ ملة وشعب ، وجيل ، ولكن تحتاج من التجار ومن العلماء والمفكرين ، ومن حملة العلم والإيمان وحملة القرآن ، أن يتحركوا بالله والله ، وأن يتحركوا بإخلاص ، حتى يستطيعوا إيصال صوت أهل البيت إلى العالم . . . وإلا ستكون الدنيا كلها في عطش شديد وجوع مميت ، وتنتظر الإعانة والإغاثة منكم أنتم ! ونعود مرة أخرى لنقول : إن الرسول قد خصّ أهل بيته في حادثة المباهلة . . لأنّ أشواق السماء وأفراحها وغضب الله ورضاه ينعكس عليهم لصفاتهم ودقة اختيار الله لهم ، ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾<sup>(١)</sup> صدق الله العظيم .

يقول الإمام الحسين : «رضا الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ليوفينا أجور الصابرين» والحبیب المصطفى يخاطب الزهراء ، فيقول : «يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك» هذه في الواقع دروس لنا ، فإننا نسمع حديثاً من الممكن أن نكون قد سمعناه من قبل وحفظناه من كثرة ترديده على مسامعنا . ولكننا لا نكتفي بذلك ، إنما نتخذ منه دروساً . فكيف يرضى الله لرضا فاطمة عليها السلام ويغضب لغضبها ، إذا كانت غير معصومة ؟ ! لا بدّ أنها معصومة وطاهرة ولا تخطيء مقدار شعرة حتى يوافق غضبها غضب الله ، ورضا الله رضاها . فيكونان شيئاً واحداً ، فإذا رضيت عنك الزهراء ، فالله تبارك وتعالى يرضى عنك ، وإذا غضبت على أحد ، غضب الله عليه لا محالة ! قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوِيَ﴾<sup>(٢)</sup> يهوي في قعر جهنم وعلى الرغم من الحقد الأموي الدفين ورغم الأقلام المزيفة ، ورغم أنّ الكتاب كانوا يعيشون في أروقة الملوك وقصور الخلفاء ، ويُحيون الليالي الحمراء للخليفة الأموي والعباسي . . رغم هذا

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

(٢) سورة طه ؛ الآية : ٨١ .

كله جاءتنا صورة أهل البيت ناصعة . . . مشرقة كالشمس رغم غيوم الحقد التي تلبّدت في سماء النفوس الخبيثة والشريرة الفاسدة ، التي طالما حاولت إخفاء وإطفاء أنوار تلك الشمس الساطعة .

### الأحاديث الملقّة :

تذكروا أيها الأحبة أنّ معاوية بن أبي سفيان ، صنع جيشاً من رواة الحديث كبيراً أي من المواضيع الذين شكلوا سلسلة من الكذابين في تلفيق وتأليف أحاديث على رسول الله ﷺ ! .

فالرسول قال : «خذ هذا السهم واستقبلني به بباب الجنة» . لا أعلم لمن يريد السهم بباب الجنة .. رسول الله ؟ ! . . . ومن الأحاديث الموضوععة هذه كثير كثير . حتى تصل إلى أهل البيت وواقعة الطف ، وتهجم عليك الأحاديث التي هي من صناعة الأمويين ، إذ صنعت في الشام عاصمتهم بالذات . ولعلي إذا ذكرت لكم بعض الأحاديث تصابون بالدهشة والاستغراب حقاً ! . مثلاً من تلك الأحاديث «صيام شهر عاشوراء» ! وأن الله نجّى نبيه موسى يوم عاشوراء ! وأن الله أنزل سفينة نوح يوم عاشوراء !! وكلها لا علاقة لها بيوم «عاشوراء» وإليكم البراهين على ذلك :

أولاً : لأنّ موسى لم تكن حادثته في عاشوراء ، بل كانت في ربيع الأول ! والسفينة التي نزلت على نوح ، نزلت على الجودي في شهر رجب ! لكن لماذا صارت تلك الأحداث في يوم عاشوراء . . . كما يزعمون ؟ ! . . . والجواب على ذلك هو لاتخاذ هذا اليوم يوم فرح وانتصار ليزيد أمير الفاسقين والفاجرين .

وهل سمعتم بالرواية التالية : إنّ النبيّ الأكرم عندما مات ولده إبراهيم كسفت الشمس فقال النبيّ : «إنّ الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد» والله العظيم لم يقل للنبيّ هذا الكلام : هذا حديث مزيف ومكذوب به على رسول الله ﷺ ولا علاقة له بالنبيّ أبداً . ومع الأسف فإنّ بعض كتابنا

أيضاً يكتبونه ويستدلون به ويقولون بهذا الحديث نستدل على صدق النبي بأنه نبي !! ألهذا الحد وصلت بهم المسألة المهزلة افتراءً وكذباً ؟ لماذا يقول الرسول هذا الحديث : «إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد» .

أولاً : كلام الرسول لا يخالف كلام القرآن ، فالقرآن يقول : الشمس والقمر ، ينكسفان لموت المؤمن ، فإذا مات المؤمن بكى عليه موضعان : موضع في الأرض وآخر في السماء . فالموضع الذي هو في الأرض هو موضع صلواته والآخر الذي في السماء موضع عمله الصالح . أما بالنسبة للكفار فيقول الله تعالى : ﴿فما بك عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾ (١) .

إذن فالسما والأرض يبكيان على المؤمن .

فاطمة الزهراء تقول : إنه لما مات أبي انكسفت النجوم لموته ، وزينب العقيلة تتحدث عن كسوف الشمس وأن السماء مطرت دماً . (أفعبتكم أن مطرت السماء دماً) فهذا الحديث جاء لضرب واقعة الطف حتى لا يتحدث أحد ويقول : إنه في يوم عاشوراء كسفت الشمس لمقتل الحسين بن علي ، فمن أي طريق يدخلون بهذا الحديث لرسول الله إفتراءً وتكديباً ؟ حتى نسبوا ذلك الكلام لرسول الله الذي لا علاقة له أبداً لا بأدب النبي ولا ببلاغته ولا بفصاحته . وأمثال ذلك الحديث كثيرة ، تهدف فيما تهدف إلى عدم تكريم أهل البيت بل والتقليل من شأنهم ، ولكن هيهات أن يصلوا إلى ما ربهم وأن يحققوا هدفهم .

إن الحسن والحسين ركيذتا الإسلام وريحانتا رسول الله ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين ، ومن أحبهما فقد أحب الله ورسوله «المرء يحفظ في ولده» فتكريمك لرسول الله ، يعد تكريماً للحسن والحسين

(١) سورة الدخان ؛ الآية : ٢٩ .

والعكس هو الصحيح . ولكن تعال الآن وانظر لقبر الإمام الحسن ، هذا البطل العظيم ، بطل العلم والجهاد والمعرفة ، رجل التضحية والعقيدة . فأين قبره . حفنات من التراب ، هل هذا هو تكريم الإمام الحسن في مماته ؟ .

أليس من العيب أو العار علينا أن ندخل العواصم المختلفة لنجد نصباً وضريحاً وقبراً ضخماً للجندي المجهول وأئمة الهدى لا قبور لهم ولا أضرحة ؟

واعلموا أيها الأحبة أنَّ الأئمة عليّ بن الحسين وكذلك الإمام الباقر والإمام الصادق علاوةً على الإمام الحسن : أربعة من أبطال العلم والحلم والجدود والمعرفة والهدى ، قبورهم قد سوّيت مع الأرض حتى اندرست ، فغدوا لا قبور لهم . ترى هل أصبح اتخاذ القبور للأئمة الطاهرين شيئاً من المحرّمات ؟ إننا لعمرى قد وصلنا إلى درجة من الاستهتار بحق الأئمة قادة الأمة عليهم السلام . على أن الإنسان المسلم المؤمن ، عندما يطوف حول ضريح المعصوم كما نفعل الآن عند ضريح أبي عبد الله الحسين وضريح الرسول صلى الله عليه وسلم فعندما يحوم الزائر المؤمن حول هذه الأضرحة الشريفة ، فإنه يستشعر حرارة الإيمان تملأ قلبه وتغمر كيانه ، ويحسُّ براحة وطمأنينة . وهذه الأضرحة إذا ما طاف حولها ، فإنه لا يعبدها ، إنما هو يعبد الله ، لكنَّ الله أمرنا أن نحترمها ونقدسها قال : ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾<sup>(١)</sup> وهؤلاء هم وسيلتنا إلى الناس قال تعالى : ﴿وابنوا عليهم بنياناً قالوا لتتخذن عليهم مسجداً﴾<sup>(٢)</sup> وهكذا . فالحسن والحسين سبطا النبي وريحانتاه من الدنيا ، وفاطمة الزهراء وأمير المؤمنين . إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتخذ منهم قدوة للفوز برضا الله وطريقاً للنجاح ، وسراجاً للهدى وسلاحاً للقوة والانتصار .

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣٥ .

(٢) سورة الكهف ؛ الآية : ٢١ .

أيها الأحبة : إنكم لو دخلتم مسجد رسول الله ﷺ تجدون الناس كأنما على رؤوسهم الطير .

### علم الامام الحسن واتهامه :

الإمام الحسن يتحدث بعلم الله ويعلم القرآن ، وكذلك بعلم رسول الله . ومع ذلك جاءت اتهامات الأمويين الجائرة ضده ، من أنه كان مكشّراً !! أي يكثر من الزوجات وأنه كان مطلقاً حسب زعمهم ، يُطلق دائماً ، وأنه حاد في الشارع ، ويقول قائلهم : أيتكن تتزوج ابن رسول الله ؟ فيقلن : كلنا مطلقاته ! هذا ما فعله الأمويون .

### الافتراء على الرسول :

ومن الأحاديث المزيّفة أنّ الرسول يقول : «إن الحسن هذا ابني سيّد ، وسيصلح الله به ففتين مسلمتين» لاحظوا معي أيها الأخوة : ألا تفوح من هذا الحديث رائحة معاوية بن أبي سفيان ؟ ماذا يعني هذا الحديث ؟ ! معناه أنّ معاوية مسلم ! وأنّ الذين قاتلوا علياً مسلمون ! وأنهم على حق . إنه لعمرى محض تكذيب للرسول ﷺ وافتراء عليه . بالله عليك أيها القارئ ، أعد النظر في هذا الحديث المكذوب به على رسول الله ﷺ مرّة أخرى ، من أنّ الحسن هذا ابني «سيّد» ! واحد «معيدي» من معدان العراق لا يقول ولا يتفوه بهذا الكلام ، وليس رسول الله . . يعني يريد أن يقول : إنّ الإمام علي في حروبه ضد الناكثين والقاسطين والمارقين كان على خطأ .

### وصية الامام الحسن لأخيه الحسين :

أيها الأحبة ! إنّ أولئك المفتريين على الرسول والرسالة والمتمهين المكذّبين للأئمة : أئمة الحق والهدى والعلم والحلم ، وإن كانوا مسلمين ، فإنّ الحسن يبقى هو الحسن ويبقى هو الإمام ، والرجل العظيم الذي في لحظة احتضاره ، حضر عنده أخوه الإمام الحسين ، ووجده قد دُسّ إليه

السم ، وفي تلك الحال ، بدأ السم يقطع نياط قلبه ، وهنا يسأل الحسين عليه السلام أخاه بقوله : أخي من الذي صنع بك هذا الصنيع ؟ فيجيبه الإمام الحسن عليه السلام أبا عبد الله بحقي عليك ! لا تهرق بسبي ملء محجمة دماً . هؤلاء الذين لا يحافظون على دماء الناس . . . الدماء ليست مجاناً لديهم . لا ، لا تهرق بسبي ملء محجمة دماً . أنا إذا مت فغسلني وحنطني وكفني وصل عليّ ، ثم ادفني عند قبر جدّي رسول الله ! فإذا مُنعت من ذلك ، فخذني إلى البقيع ، لأنه قد يستكثر عليّ جماعة من الناس أن أكون عند جدي رسول الله ، فخذني للبقيع . وإذا الإمام الحسن ، يصدق كلامه ولا يُدفن عند جده رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول : عندما كان الإمام الحسن يتحدث مع أخيه الإمام الحسين ، طرق الباب ، وكان متكئاً على حجر الإمام الحسين فقال : أخي أبا عبد الله أعدلني سيدي . فعده . . لماذا ؟ قال : اختك زينب بالباب واقفة الآن ، فتراني بهذه الحالة . . لاحظ معي أيها القارئ كيف يحفظون مشاعر زينب . وعندما أُخذ الإمام الحسن إلى الدار ، قال : احملوني ثم قال : أنزلوني ! لماذا ؟ قال : لأن زينب واقفة تنظر ، وبالفعل يوم عاشوراء ، ولو لم يكن كذلك ، لما كان حمل على القوم الذين كانوا في جميعاً مع عمهم أبي عبد الله الحسين ، وقد أوصاهم الإمام الحسن ، قائلاً لهم : هذا عمكم يجب أن تصغوا إليه وتعملوا على طاعته . ورأيتم القاسم يوم عاشوراء . ماذا صنع الإمام الحسين مع ابن أخيه القاسم : عانقه وبكى حتى وقع مغشياً عليه ، فلقد تذكّر أيام الحسن ، وهذا ابن الحسن إنه شاب ، يتيم عطشان واقف منكسر القلب ، ينظر إلى عمّه الحسين . عبد الله بن الحسن يُقال أنه كان في السنة الأولى من عمره يوم وفاة أبيه ، وكان في يوم عاشوراء في السنة الحادية عشرة .

خرج من الخيمة يركض كلاً ما أرادت زينب أن تحبسه قدر استطاعتها . قال والله لا أفارق عمي الحسين . والإمام الحسين بأبي وأمي ، كان على الرمال مضرّجاً بدمه فجاء هذا الغلام يركض وينهب الأرض برجليه ، حتى وقف على عمه الحسين . واحد من الأعداء والحربين

كعب» يريد أن يضرب الحسين ، فقام هذا الغلام على سجيته وبراءة الطفولة ، وقال : ويلك يا ابن الخبيثة ! أتضرب عمي الحسين ؟ ! فوقعت الضربة على يمين الصبي فقطعتها . قال يا عمي قطعوا يميني . ضمّه الحسين إلى صدره . ساعد الله قلبك أبا عبد الله ! .

### فضائل الامام الحسين :

هؤلاء هم أهل البيت في صراعهم ضد قوى البغي والعدوان وعبدة الأوثان ، هؤلاء هم منتهى الكمال في الخلق والخلق ، والذين ضحوا بكل ما يملكون من غالٍ ونفيس ، لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ومن أجل إنسانية سعيدة وأمة عزيزة كريمة عالية الشأن بين الأمم ، يكرمها الأصدقاء ، ويهابها الأعداء ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأنت أيها القارئ ، لو أنك تصفحت حياة واحد منهم هو الإمام الحسين ، فماذا تقرأ فيها ؟ لا شك أنك تقرأ فيها آيات الجهاد بصدق وإيمان وشجاعة وحكمة وإقدام بروح التقوى والبر والإحسان . وهل هناك أشجع من الحسين بعد أبيه عليّ يوم عاشوراء ، ولو لم يكن كذلك ، لما حمل على القوم الذين كانوا في حال من الخوف والجبن والرهبة أمام هيبة الإمام الحسين ، بحيث راحوا يضربون بعضهم بعضاً ، إذ كانوا في حال من الإرباك والإحباط ، مما يُكثر عدد القتلى بينهم ، وأما علمه فمن علم الله ورسوله وكتابه ، والعمامة التي كان يلبسها كانت لرسول الله ، ويوم عاشوراء كان يلبس جبّة جدّه النبي ﷺ . وحياته مع الفقراء والمساكين في المدينة، حيث كان يطرق أبوابهم باباً باباً ، حتى وجد في متنه وكتفه مثل الدمليج ، فسألوا الإمام السجّاد : ما هذه الإشارة ، واعتقد بأنني نبهت بعض الأخوة إلى أنه في أحد أيام عاشوراء سئل أيضاً الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليه السلام عن تلك الآثار ، فأجاب بأنها ناتجة عن الضرب ، لا بل هو يعلم جيّداً والسائلون كذلك بأن الإمام الحسين ، ضُرب في مقدمته ، لأنه لم يكن يهرب من أحد ، ولم يتلقَ الضربات من خلفه أبداً ، فكان يقابل القوم بوجهه وبصدره ونحره ، فكل الطعن والسهام التي وردت على الحسين ، كانت في مقدمته ، فتعجبوا لما

رأوا المجمل في ظهره ، فسألوا الإمام السَّجَّاد ، فقال : إنَّه كان يطعم الفقراء في الليل البهيم ، وكان يحمل الطعام على كتفه ، ويطرق أبوابهم باباً ، باباً ، (والناس تعرض لهم حالة ردِّ السائل) أما الإمام الحسين فتأخذه حالة حياء واستحياء من السائل الذي يسأله ، فكان يعطيه من وراء الباب ، ويقول :

خذها فإني إليك معتذر واعلم بأني عليك ذو شفقة .

هذه حالة سيِّد الشهداء ، فالحسن والحسين رمز الجهاد والتضحية وبطلا الإسلام ، وإذا أردنا أن نتصر على أعدائنا ، علينا أن نلتزم بهذين السبطين سيدي شباب أهل الجنة .

وفي هذه الليالي أيها الأخوة ، وكلكم تحضرون هذه المجالس ، هل أحد منكم يسأل مكان زينب ؟ هذه المخدرة التي لم تكن الشمس تراها ، فهي مربوطة بالحبال مع بنات رسول الله ، وهنَّ أسرى في طريقهن إلى الشام الآن ، مع قسم من الأطفال يمشون وبالتأكيد تلاحظون حالة الطفل وهو يمشي ، ومما يفجِّر الألم في النفوس ، أنَّ أحد الكفرة الذين قست قلوبهم ، كان يضربهم بالسوط ! فهذا الحقير وجد فاطمة الصغرى تبكي فقال لها : أبرمتينا بكثرة بكائك ، فضربها بعقب الرمح وأسقطها من الناقة إلى الأرض فأغمي عليها . يقول سهل بن سعد ، عند دخول سبايا رسول الله إلى الشام : «دخلت الشام فرأيت أهلها في عيد لا نعرفه ، قالوا يا شيخ نراك غريباً قلت : أنا سهل بن سعد ممن رأى محمداً وسمع حديثه . قالوا يا سهل ما أعجبتك ! السماء لا تنطبق على الأرض وما أعجبتك الأرض لا تنخسف بأهلها . قلت : ولم ؟ قالوا : عائلة الرسول وبنات الحسين ورأس الحسين الآن في الشام يقول : زحفت مع الناس لعلِّي أرى منفذاً ولعلِّي أقدم خدمة في هذا الجو ، وإذا بي أرى الرؤوس على الرماح والنساء في أوساط المحامل ، في حالة وكأنك تنظر إلى جواربي ! وقد جيء بهن للبيع في الأسواق !! ويتابع سهل قوله : ورأيت جارية كسرت حالتها قلبي ، فقد



كانت متعبة تتمايل يميناً وشمالاً ، يقول : دنوت منها وقلت : يا جارية من أنتِ ؟ فقالت : أنا سكينه بنت الحسين ، فيقول سهل : لقد كانت هذه طعنة في قلبي ولقد تألمت على أثرها كثيراً . فقلت سيدتي أنتِ سكينه بنت الحسين ؟ أنا سهل بن سعد ، أنا من رأى جدك رسول الله وسمع حديثه . ألك حاجة قالت : بلى يا سهل أعندك دراهم ؟ قلت بلى سيدتي . قالت : يا سهل ادفعها لحامل رأس والذي الحسين حتى يخرج الرأس من أوساط المحامل ، فيشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظرون إلى حُرْم رسول الله ، فلقد خُزينا من كثرة النظر إلينا» .

يقول سهل : ذهبت وأديت هذه الخدمة لكنني سرعان ما رجعت ، فوقع بصري على الإمام زين العابدين والجامعة في عنقه (الحديده أو الطوق) والغل في عنقه والقيد في ساقه ويديه . . . سلمت عليه . . فردَّ عليَّ السلام ثم سألني : يا سهل أعندك ثوب زائد ؟ قلت : ما تصنع به سيدي ؟ ! قال اجعله تحت هذه الجامعة فإنها قد أكلت عنقي . يقول سهل بن سعد : لما رفعت الجامعة عن عنق الإمام زين العابدين ، سألت الدماء من رقبته . فصرت أحشو التراب على رأسي وأبكي وأنادي : وإماماه ! .

قال الإمام : يا سهل عليك نفسك انظر ماذا يحدث هنا . كن معنا جعلك الله في صحبتنا ، وبينما هو يمشي ، وإذا به يرى رجلاً قد خرج من المسجد ويده القرآن . فقال الرجل للإمام السجاد : الحمد لله الذي قتلكم ، وأكذب أحدوثتكم ! فعرف الإمام أن هذا الرجل من المغفلين : فقال يا شيخ لقد كنت في المسجد ، فهل قرأت القرآن ؟ قال : بلى قرأته . قال : فهل قرأت قول الله تعالى : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾<sup>(١)</sup> قال بلى قرأته . قال : يا شيخ فنحن أهل البيت الذين أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً . . يا شيخ

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

هل عرفت قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١) قال بلى . فقال : نحن القربى يا شيخ ! فبقي الرجل صامتاً ثم صاح سيدي بالله عليك . . . أنتم هم ؟ . قال : أي والله وحتى جدنا رسول الله : إنا لنحن هم من غير شك . فرمى الشيخ عمامته ، وصار ينادي : أيها الناس هؤلاء ليسوا خوارج ، إنهم ذرية محمد رسول الله ﷺ وأدخلوهم بعد ذلك على مجلس يزيد بن معاوية ، وتخييل حالة الانكسار التي كانت تلف أطفال أبي عبد الله الحسين . دخلت زينب ، وهي تهلل وتكبر الله وتقديسه وتسبحه . لكن يزيد البغي والفاجر ، أمر باحضار رأس أبي عبد الله الحسين ، فطرح بين يديه ، وصار يضرب ثنياً أبي عبد الله الحسين <sup>عليه السلام</sup> . وإزاء ذلك المشهد الأليم ، فإن بعضاً من بنات الحسين ، قلن لعمتهن زينب : قولي ليزيد ألا يضرب رأس والدنا الحسين يا ابنة علي . فقامت الحوراء زينب وألقت خطبتها المدوية التي هزت عروش الظلم والطغيان . لكن قبل إلقائها لهذه الخطبة ، يقول سهل بن سعد : إن أحد التجار أو الشخصيات الذين كانوا موجودين في مجلس يزيد وقع نظره على فاطمة بنت الحسين ، فقال ليزيد : هب لي هذه الجارية ! تكون خادمة عندي . بالله عليكم تصوروا هذا الموقف . . تقول فاطمة : خفت وارتعدت ولذت بثياب عمتي زينب ، وقلت لها : عمته ! أستخدم بعد أبي الحسين ، فأقبلت زينب عليه وقالت له : ما كان ذلك لك ولا لأميرك هذا الجالس ، فقال يزيد : إن هذا لي ولو شئت أن أفعل لفعلت !! . . . قالت : إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا ، فقال : إنما خرج من الدين أبوك وأخوك !! فقالت : بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت إن كنت مسلماً . أتدرون بماذا أجابها ؟ قال : كذبت يا عدوة الله ! هذه كلمة صعبة على مسامع العقيلة زينب ، وركت على إثرها صلابتها . . فقالت له وقد تحركت الدموع في عينيها : أنت أمير تشتم ظالماً وتقهّر بسطانك . وتمنت في تلك اللحظة أن يكون أخوها أبو الفضل العباس ، حاضراً لسمع كلمة يزيد .

(١) سورة الشورى ؛ الآية : ٢٣ .

لَمَّا سَمِعَتْ هِنْدُ زَوْجَةَ يَزِيدٍ تِلْكَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ مَجْلِسِ  
يَزِيدٍ ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : وَيْلَكَ أَمَا تَسْتَحِينِ تَبْرَزِينَ بَيْنَ الرِّجَالِ .  
قَالَتْ وَيْحَكَ أَنَا أَسْتَحِي وَهَذِهِ صَرِيخَةُ آلِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بِمَجْلِسِكَ . فَلَمَّا  
نَظَرَتْ زَيْنَبَ إِلَى هِنْدٍ غَالَبَتْهَا دُمُوعُهَا وَأَحْزَانُهَا ، كَأَنِّي بِهَا تَقُولُ لَهَا :

« يَا هِنْدُ يَا هِنْدُ خَانَ الدَّهْرَ فِينَا أَبُونَا انْتَقَلَ وَحُنَا انْسَبِينَا »

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .  
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

## علي رمز الحضارة (\*)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم ،  
بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز  
العظيم﴾ (١) .

قبل الدخول في البحث ، لا بد لنا من مقدمة قصيرة لكشف  
المفاهيم الإسلامية وكشف الالتباس الذي يحدث دائماً والذي يحيط بتلك  
المفاهيم . لذلك فإنه من الضروري أن نقف عند تحديد المفهوم  
الإسلامي ، فما معناه ؟ مثلاً : ماذا يعني الصبر ؟ ماذا يعني التوكل ؟ البكاء  
على مصيبة أهل البيت ولا سيما الحسين عليه السلام ما مفهومه ؟ الشفاعة ماذا  
تعني ؟ هذه الأمور كلها نمرّ عليها في مدرسة الإمامين : الحسن والحسين  
في الليالي التالية :

وإذا كنا نحن بحاجة لمعرفة المفاهيم الإسلامية ، فيجب أن نعرف أن  
الصبر لا يعني الخضوع للظلم والسكوت عنه أبداً . والتوكل لا يعني ترك  
العمل بأي شكل من الأشكال ، إنما التوكل حركة منهجية في الحياة ،

(\*) أُلقيت هذه المحاضرة في الليلة الثانية من شهر صفر سنة ١٤١٠ هـ .

(١) سورة الحديد ؛ الآية : ١٢ .

فيكون قلبك متوكلاً على الله ، ولكنَّ جوارحك في عمل دائم . والتوكّل غير التوكّل الذي هو الحركة السلبية للتوكّل ، والبكاء على أهل البيت ماذا يعني ؟ هل يعني أنني أبكي على رسول الله وأهل بيته دون الالتزام بمبادئهم وأهدافهم ؟ الشفاعة ماذا تعني . الإمام الصادق عليه السلام يقول لأبي بصير : يا أبا بصير أبلغ شيعتنا أنَّ شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة . نحن ما دمنا في مدرستهم ، فإننا نحتاج إلى معرفة المفاهيم الإسلامية ومن دون معرفة هذه المفاهيم ، لا يمكن أن نتوصّل إليها أو نتضح لنا الصورة حولها . من خلال هذه المفاهيم الآن وعبر مقدمة قصيرة ، أستطيع أن أبين لكم بعض الآراء حولها .

مثلاً : الحياة والموت كلمتان متعاكستان . فعندما نتحدث عن الحياة ، فإننا نسأل : هل الحياة هي الحركة على الأرض فقط ؟ هل هذا صحيح ؟ أو أن الموت هو سكوت القلب وتوقف الدماغ والجوارح ؟ في المفهوم الإسلامي ، ليس المقصود بالحياة والموت هذا المعنى أبداً . بل في المفهوم الإسلامي لا يوجد موت بمعنى سكون الجسد ، لأنَّ سكون الجسد هو شيء آخر . الموت والحياة في الإسلام لهما مفهوم آخر يغيّر مفهومنا التقليدي لهما ويختلف عما نتصوره نحن في هذا المجال . وإزاء ذلك ، فنحن إذا ما رأينا إنساناً يمشي نقول : إنه حي وعائش ، وقد لا يكون حياً . فالحياة في الإسلام لا تعني الحياة المادية ، أي أن يأكل الإنسان ويشرب وينام فقط . وهل هذه هي الحياة ؟ الإسلام يقول لا . وفي الوقت ذاته يطلق الإسلام صفة الموت على أناس يعيشون قمة الحياة المادية مثل «أبو جهل وأبو لهب وأبو سفيان» فقد كان هؤلاء يرتعون ويتمتعون في نعيم الدنيا ، لكن الإسلام يطلق عليهم صفة الأموات إنهم ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون﴾<sup>(١)</sup> . فالموت إذن ليس هذا هو المقصود منه سكون الجسد .

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٢١ .

العمى مثلاً نوعان هما : عمى القلب وعمى البصر والأول هو العمى الأكبر والموت الأكبر وهذا شيء حقيقي . وخير دليل على ذلك ، قول الله تعالى في القرآن الكريم ، والذي لا يطلق عمى البصر على الإنسان المبتلى بهذا العمى ، فقد يكون هذا الإنسان صاحب بصيرة ، فيقول ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾<sup>(١)</sup> فالله تعالى لا يقصد بالأعمى في هذه الآية ذاك الذي فقد بصره ، وإنما يقصد بالأعمى أعمى البصيرة . لأن القلب له عيان إذا عميتا ، عمى الإنسان حتى ولو كان حاد البصر (عيانه  $\frac{7}{6}$ ) فإنه لا يرى دربه بل يتعثر في طريقه ، ومع ذلك ، فإننا أيها الأحبة ، لا نهتم إلاّ بهاتين العينين ، فإذا شعرنا بضعف فإننا نضع نظارات طبية لتجلي لنا البصر ، بعد أن نذهب إلى طبيب العيون ، لكن عيون القلب ، مَنْ مِنَّا يلتفت إليها ويهتم بها إذا ما أصيبت بضعف ما ، وإلى أي طبيب نذهب ؟ وهل تنفع لها النظارة أو العدسات . أعيروا انتباهكم لهذه القضية أيها الأخوة ! .

مثل آخر : نحن نعرف أن الفقر والغنى كلمتان متعاكستان : الفقير هو الذي لا يملك قوت يومه ، والغني هو الذي يملك القوت الوفير والمال الكثير . هذا هو المفهوم السائد بين الناس في المنهج المادي . لكن في الإسلام فإن مفهوم الغنى والفقر مختلف تماماً عن ذلك المفهوم المادي ، بالرغم من أن هذا المفهوم موجود في الاقتصاد الإسلامي (من لا معاش له لا معاد له) لكن الإسلام لا يكتفي بالالتفات إلى هذا الجانب فقط من حياة الإنسان ، وإنما يتعداه إلى الاهتمام بالجانب المعنوي ، فيقول : إنَّ الغنيَّ هو المطيع لله سبحانه وتعالى ، ذلك المتصل بالغنيِّ الحميد ، قال تعالى : ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾<sup>(٢)</sup> إذن لنفرض أن هناك إنساناً يملك

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٧٢ .

(٢) سورة فاطر ؛ الآية : ١٥ .

ملايين ومليارات الأموال ، ولكن ليس له صلة بالله ، هذا الإنسان يُعتبر من أفقر الفقراء . أما إذا كان متصلاً بالله ، مطيعاً له ، منفذاً لأوامره ونواهيه ، ملتزماً حدوده ، فإنه يصبح بذلك غنياً حقاً . لذلك فإن الإمام علي عليه السلام يعطي المفاهيم الإسلامية ، أبعادها الإنسانية السامية في خطبه وفي مواقفه العظيمة وأعماله الكريمة ومآثره الحكيمة ، وفي أدعيته ، كما جاء في دعاء كميل إذ يقول مناجياً ربه : (يا من اسمه دواء وذكره شفاء وطاعته غنى) إذن عندما تطيع الله فأنت الغني ، لكن ذاك الذي يملك المليارات وفي الوقت ذاته تراه منقطعاً عن الله تعالى ، فإنه فقير . لماذا ؟ لأن حياته تكون محدودة فقط في الدنيا ، يعيش مع هذه الأموال التي يملكها ، هذه الأموال التي لا توصله لأكثر من شفير القبر أبداً ولا تفيده إلا بغاسل لبدنه وبرقعة من القماش اسمها الكفن يستر به ذلك البدن . وربما كانت أمواله سبباً في عذاب مقيم لنفسه في الجحيم ، إذا ما كانت مجموعة من حرام ومنفقاً لها صاحبها في المعاصي والآثام . وفي هذا المال ، ينبري الإسلام ليصحح له خطئه فيقول له : انك لست غنياً ، بل أنت بعيد عن الله . (عجبت للبخيل الذي يستعجل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته الغنى الذي إياه طلب ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء) .

إذن فإن جامع الأموال الكثيرة من حلال وحرام والذي لا ينفقها في سبيل الله ، هو فقير في الدنيا وفقير في الآخرة وتعاسته في الآخرة تكون أكثر وأكبر .

مفهوم آخر : القلب مثلاً ، نحن نعرف أن الإنسان له قلب ، وهذا القلب موجود ، فيذهب الواحد إلى الطبيب إذا هو أحسّ بأي ألم فيه ، فيقول متأوهاً : آخ يا حكيم ! قلبي . ما بك ؟ تفضل ، إسترح ، نم ، يأخذ الطبيب السماعة ، يضعها على قلبه ، وإذا الدقات سريعة ، قلبه فيه حالات خاصة وماخوذ بشيء ما . ويتابع الطبيب حديثه وهو يتوجه به إلى المريض : والله عندك ارتفاع في الضغط ، انسداد في أحد الشرايين : تلك

الأنابيب التي تأخذ الدم ، ويوزعها هذا القلب المتواضع على البدن ، وهذا نتيجة الطعام الزائد . النوم الكثير ، والهموم وغيرها ، من هذه الأسباب المتعددة والموجودة في الحياة الدنيا .

وهذا القلب إذا ضعف فإنَّ ضعفه يؤدي إلى ارتعاشة في الأعضاء مثل اليد ، العين وغيرهما من الأعضاء التي تتأثر أيضاً بضعف مثل الجوارح ، فالإنسان في هذا الحال لا يستطيع أن يمشي بشكل طبيعي ، هذا من الناحية المادية . لكن الإسلام لا ينظر إلى هذا القلب على أنه كتلة لحمية وعضلية ، إنما الإسلام ينظر إلى القلب المركزي الرباني الموجود في الإنسان ، وأين يكون مكان هذا القلب ؟ الإسلام يطلق عليه كلمة قلب لأن هذا القلب يدير بدنك ، وذاك القلب يدير روحك ونفسك وعقلك ، فيطلق عليه اسم قلب . وهناك أمثلة كثيرة لتقريب المعنى وتوضيحه ، ومن هذه الأمثلة :

نحن نأخذ الميت ونضعه في التراب (في القبر) الرسول ﷺ أخبرنا «أنَّ القبر إما أن يكون روضةً من رياض الجنة أو حفرةً من حُفر النار» . لكن أنت حينما تنظر للقبر لا ترى أمامك إلا حجراً أو تراباً لا أكثر ، والميت يُعذب أو ينعم ، فهو إما أن يكون شقيماً أو في راحة وفي سعادة ، فيكون الرسول في استقباله وأهل البيت يأتون لزيارته في ليلة الوحشة . لكنك أنت لا ترى ذلك . إنه تراب أمامك فقط . لماذا ؟ لأنك تنظر للشيء المادي ، كما تنظر لهذا القلب المادي ، وليس القلب الرباني الفطري . في حين ، القبر المقصود به هو القبر الرباني البرزخي ، الخارج عن مقاييسنا . وهذا القبر الترابي ما هو إلا علامة لذلك القبر ، لأنَّ حياة الإنسان انتهت بهذا القبر . وروحه موجودة تحوم هنا حول هذا القبر ومكانه هو هذا . إذن القبر المقصود هو القبر الرباني وليس القبر الذي نراه ، وإنما هو شيء آخر فوق هذا القبر ، ولكن موجود في نفس المكان . ولهذا نذهب نحن لهذا القبر ونزور الميت ونقرأ له الفاتحة ونتكلم معه . إذا سألك الملكان : مَنْ ربك ، فقل : الله ربي عسى أن يكون هذا المثال قد قرَّب



لكم المعنى .

القلب العضلي المادي يدير الجسد والقلب الرباني البرزخي يدير الشخصية الإنسانية . ونحن في مدرسة الحسن والحسين عليهما السلام نريد أن نعرف أين مكان شخصيتنا وهل نحن حفظناها أم لا ؟ ثم كيف يمكن أن نبني هذه الشخصية ؟ كثيرون من الطلاب يسألون وكثيرون من المستمعين أيضاً يسألون . ماذا قدّم أهل البيت لنا في الحياة ؟ والبعض منهم وللأسف يقارن بين الأئمة الطاهرين وبين المكتشفين ، مثلاً يقارب بين الإمام عليّ عليه السلام وبين أديسون مكتشف الكهرباء التي نراها أمامنا . البروفوسور باستور اكتشف الميكروب المضاد وهذا شيء مادي تلمسه وتراه أمامك ، كريستوفر كولومبوس اكتشف القارة الأميركية ، نيوتن اكتشف القوة الجاذبة ، آينشتين اكتشف النظرية النسبية ، وليام هارفي اكتشف الدورة الدموية : هذه كلها قضايا مادية . لكن كما هو واضح وكما يدرسُ أبناؤنا في المدارس هذه الأمور ، هذا كله اكتشاف مادي . وهذا المخترع لم يخرج عن حدود الطبيعة المادية الملموسة . والطبيعة لها موازين مادية ، أي أن لها قوانين تحكمها ولا تتغير أبداً . لذلك لا يستطيع أحد من هؤلاء أو غيرهم أن يخالف الطبيعة نهائياً . قوة الجاذبية موجودة وأي إنسان يرمي نفسه من أعلى بناية إلى الأرض ، سواء كان مؤمناً أو ملحداً ينفجر رأسه ، وهذا شيء طبيعي لأن قوة الجاذبية الأرضية تسحب الأجسام من الأعلى إلى الأسفل وتفتك بالإنسان . هذه قوانين لا تتغير إلا بمعجزة أي بقدره ومشيشة الخالق . هؤلاء العلماء اكتشفوا أجزاء من الطبيعة (أي المخترعون) ولم يكتشفوا الطبيعة كلها . في حين أن الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، اكتشفوا الإنسان لاحظوا معي أيها الأخوة الفرق الكبير بين صناعة (الجهاز الآلة) وبين صناعة الإنسان . نحن الآن ملفوفون في ضباب كثيف في كل العالم . ومأخوذون ببهرج الحياة وزخرف الحضارة المادية . والكثيرون منا من يهتمون بأجسادهم ولا يهتمون بعقولهم وأنفسهم ، بل ولا يهتمون بشخصيتهم الإسلامية الموجودة في أعماقهم ولا يعرفون كيف يجب أن

بينوها بناءً سليماً . الإمام الحسن يقول : «عجبت لمن يتفكر في مأكوله ولا يتفكر في معقوله» أي أن الإمام الحسن عليه السلام يتعجب ممن يتفكر في غذاء بطنه ولكن لا يتفكر في غذاء عقله «فيجنب معدته ما يؤذيه ويودع عقله ما يرديه» وقياساً على ذلك ، فإن الإنسان باستطاعته معالجة القلب المادي العضلي ، إذا أصيب ، لكن القلب الفطري إذا انحرف وأصابه مرض معين ولا يهتم صاحبه بعلاجه لشفائه ، فإنه يزداد ويتضاعف ذلك المرض .

يقول الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾<sup>(١)</sup> . وهل هناك سعادة كبرى للإنسان إذا لم يكن القلب منه سليماً معافى ؟ . ونعود فنذكر بما سبق أن قلناه إن صاحب المال المنقطع عن الله فقير والآية التالية تؤكد صحة ما نعنيه ، يقول تعالى : ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾<sup>(٢)</sup> . القلب السليم هو الذي سلم من الذنوب ومن المعاصي . هذا القلب إذا انحرف فإنه يؤثر تأثيراً سلبياً وعكسياً على أعضاء البدن ، وأعني به القلب البدني المادي . لكن إذا انحرف القلب الفطري أيها الأخوة ، فماذا يكون ؟ لا شك أن الضرر سيكون أكبر وأعظم . العين الموجودة في الرأس لها نظر ، وللنظر وظيفة ، فإذا انحرف القلب فالعين تخون بنظراتها ، وتصبح النظرة خائنة ﴿وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم . . . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾<sup>(٣)</sup> وبعد ذلك يقول : ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾<sup>(٤)</sup> إذن الإنسان المريض في قلبه يطمع في أعراض الناس ، ويطمع في نواميس العالم ، فيكون وجوده في المجتمع خطراً . وإزاء ذلك فإن الإنسان لا يعود باستطاعته أن يؤمن على ابنته أو أخته أو زوجته أن تخرج من البيت إلى هذا المجتمع المشبع بروح الغدر وضعف الإيمان والذي تحركه الغرائز البهيمية

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٠ .

(٢) سورة الشعراء ؛ الآيتان : ٨٨ و ٨٩ .

(٣) سورة النور ؛ الآيتان : ٣٠ و ٣١ .

(٤) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٢ .

وتتحكم به الشهوات الدنيئة والرغبات الخسيسة البعيدة عن أي رادع خلقي أو وازع ديني . ونحن في المجتمع الإسلامي ، نرى الإسلام لا يهتم أولاً بمعالجة الأمراض النفسية الفتاكة هذه التي أتينا على ذكرها هنا وهذا هو الفرق بين مجتمعنا وبين مجتمع الغربيين الذين تكاد الأسرة عندهم تفقد كلياً الرحمة والغيرة والإحساس بالمسؤولية في صيانة العرض والشرف ، لذا فإنك ترى الأسرة عندهم محطمة وحياتهم حياة ظلام ، وكل الشباب الذين سافروا إلى الغرب يعرفون ما أقول ، وأنتم أيضاً تعرفون أيها الأحبة .

والسمع ، هذه الحاسة التي ركبها الله تعالى فيك ، واعطاك إياها لتسمع فيها ما تسمع . يفتح أحدنا الإذاعة ويسمع تلاوة القرآن ، وإذا بمريض القلب ، فاقد الإيمان ، يقول لك فوراً : دعنا من هذا ، وهل نحن في عزاء أو فاتحة ، وكأن القرآن في نظره لا يستحق منا الإصغاء إليه ولا ينبغي أن نقرأه ، إلا في الفواتح . ويفتح مريض القلب على إذاعة أخرى : فيسمع ما يطر به ويعجبه من الأغاني فيقول : آه حقيقةً هذه المحطة عندها ذوق رفيع ، وعلى مدى ساعات تراه يسمع غناءً لا جدوى منه ولعمري فإن هذا كله لم يكن إلا لتدمير المجتمع الإسلامي بكامله . ومن ثم يريد مريض القلب أن يدعم رأيه بكلام يزعم فيه قائلًا : نعم إن الرسول كان يحمل السيدة عائشة على كتفه لتسمع الأغاني وترى الرقصات والأحباش الذين كانوا يغنون وذلك حتى يدفع موجة الغناء وتكون رائجة ومزدهرة . والرواية منقولة عن عائشة وعن أبي هريرة . ومنقولة بسند صحيح . إن الرسول حسب زعمهما - كان يحمل (عائشة) وهو بها عطوف رؤوف ولذا فهو يريدنا أن نسمع غناءً أكثر ، ويأتي أحدهم ويكتب كتاباً عن الخليفة الثاني عمر فكأنما يريد أن يجعل فضيلة لعمر فيقول : إن عائشة تنقل ، وبينما نحن كذلك جاء عمر فقال الرسول للمغنين والراقصات : ابتعدوا ، ابتعدوا ! فلقد جاء الذي لا يحب الباطل ، وكأنما الرسول صلى الله عليه وسلم يحب الباطل . إنه محض افتراء وكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا هو الإسلام ؟ سلام الله على الإسلام إذا كان بهذه الصورة وبهذا الشكل كما يدعي

وتتوالى الافتراءات أيها الأخوة على أهل البيت ، إذ جاءني أحدهم يوماً بشريط كاسيت من إحدى الإذاعات ، يتحدث فيه عن فاطمة الزهراء عليها السلام في مكة ، وفي ذلك زعم . وخلاصته ، أن مشادة وقعت بينها وبين أبي جهل الذي لطمها على وجهها ، لأمر عادي جداً . والواقع أن هناك دولة يُقال لها دولة بني أمية ، يريد أنصارها أن يحملوا الناس على الأخذ بالأخبار الملفقة ، وأن يأخذوا بالإسلام منهم ، وليس من أهل البيت . ومرة أخرى نعود إلى الخلاف الذي حصل بين فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين وبين أبي جهل الذي كما - قلنا على حدّ زعمهم - أنه لطمها على وجهها ، حتى صاحت يا أبا سفيان والذي أتى لينقذها ، من يد الظالم الخبيث أبي جهل اللعين . هذه فاطمة عليها السلام الزهراء التي تعيش في حمى أبيها رسول الله رسول الرحمة والهدى والحنان والعدل والإحسان كان الأحرى بها أن تصيح : يا عليّ أو يا أبا طالب . ولنفرض أن أبا طالب ميت فكان بإمكانها في هذه الحال أن تستنجد بالحمزة بن عبد المطلب ، بفرسان الهيجا وشيبة الحمد أبطال الإسلام . لا ، فحسب زعم الزاعمين ونفاق المنافقين فإن فاطمة الزهراء يجب أن تستنجد بأبي سفيان ، تأمل ذلك المخرج الإذاعي ، وانظر إلى ذوقه ، إذ يقول : ثم جاء أبو سفيان وقال : نعم ما عندك يا فاطمة ؟ قالت : أبو جهل ضربني ، لطمني على وجهي . فيقول أبو سفيان : أبو جهل لطمك على وجهك وأنا في الحياة ؟ تعالي معي . إلى أين ؟ قال : إلى بيت أبي جهل . فأخذها إليه ، فلما خرج أبو جهل وقف . نعم ما عندك ؟ قال أبو سفيان : أيا فاطمة : أهذا الذي لطمك . قالت : بلى ، قال : الطميه وتسمع الصوت في الإذاعة ، وكأنما هي أفلام الكارتون ، إذ أنها ليست لطمة واحدة . أهذه فاطمة الزهراء ؟ أهذه هي الصديقة الطاهرة سيّدة نساء العالمين ؟ أهذه هي خامسة أصحاب الكساء ؟ أهذه التي كان أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل يدها ويجلسها في مكانه . بلغ بها الأمر أن تستنجد بأبي سفيان وتذهب معه لتضرب أبا جهل وتلطمه ؟ أنه

كذب وأي كذب أو نفاق وأي نفاق ! يصدر عن أهله ضد أهل التقوى وأمراء الصدق والحلم والعلم وملوك الفضيلة : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾<sup>(١)</sup> إنهم قمة الكمال في النبل والفضل الذين طهَّره الله تطهيراً وفضَّلهم على سائر خلقه أجمعين تفضيلاً إنهم أهل البر والجود ، والأخلاق السامية والآداب العالية ، إنهم أهل النبوة ، أهل الرسالة ، أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام . .

أيها الأخوة ! منذ فترة قصيرة وقع نظري على مقال في مجلة تصدر شهرياً في مصر اسمها «الحرية» وهذه المجلة تتحدث عن الشيعة والمهدي والدروز ، كأنها تتحدث عن شيء معروض ، فتأتي بالشيعة مع الدروز ، حتى يقرأ شبابنا هذا التهريج والتشويش بعد أن يُباع في الأسواق . فعلى أي أساس ، مجلة مثل هذه يوزعها أصحابها ولماذا يكون هذا في بلادنا الإسلامية ؟ ! .

أنا لست هنا في مجال مناقشة المجلة الآن ، إذ أكتفي بالقول : إن صاحب المقال يفتقر إلى الإيمان والدقة والروية في نقل الأخبار ولا سيما تلك التي تتعلق بمعلومات لها علاقة بأهل البيت أو غير ذلك ، لأن صاحب المقال يتهجم على الشيعة وعلى الإمام المهدي بكل افتراء ، لماذا ؟ لماذا هذا الهجوم ؟ ولماذا هذه الفوضى ؟ هل هذا هو الأسلوب الرصين والمسؤول في الإسلام ، إنه كلام تافه لا يقوم على أي أساس ولا يستند لأي دليل أو برهان ! والمقال لا يعدو كونه مجرد شتائم وسباباً .

يقول صاحب المقال : إنه رأى كلمة في كتاب الكافي يقول فيها الإمام الصادق عليه السلام : إن الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي كان جبرائيل ينزل عندها يعزيها ويسليها . وهنا نتساءل بقولنا : ما هو وجه الخطأ في ذلك ؟ أو ما هو الإشكال الموجود فيها أو العيب ؟ فما جبرائيل إلا ملك من الملائكة ، والله سبحانه وتعالى لا يقطع الوحي عن عباده الصالحين المتقين

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٣٤ .

ولا عن بلاده وجبرائيل مكلف بالوحي . الله يوحى إلى النحل : ﴿واوحى ربك إلى النحل﴾<sup>(١)</sup> أليس صحيحاً هذا ؟ الله يوحى إلى أم موسى وهي غير معصومة ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي﴾<sup>(٢)</sup> جبرائيل بنفسه كان ينزل على مريم ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ . فاطمة الزهراء أفضل وأشرف من مريم وهذا بإجماع السنة والشيعه ، قال تعالى : ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ، قال إنما أنا رسول ربك﴾<sup>(٣)</sup> إذن جبرائيل ينزل على مريم ، والملائكة ينزلون وحياً على أم موسى وعلينا نحن المؤمنين . يقول صاحب المقال في المجلة : لا ، إن الوحي قد انقطع بعد رسول الله . في الحديث لم يذكر أنه وحي بمعنى دين أو رسالة . والزهراء لم نقل إنها نبيّة مرسله من بعد أبيها وأت لنا بقرآن وقالت : تعالوا اقرأوا قرآني هذا ، أبداً . وأما مصحف فاطمة عليها السلام ، فما هو إلا تفسير للقرآن الكريم وليس أكثر من ذلك . ولكن ما الذي يُقال لشخص ليس همه إلا السباب والكلام الفارغ لتفرقة كلمة المسلمين بأية وسيلة .

وهنا أود أن أذكركم أيها الأخوة : إن القرآن الكريم يقول : إن المؤمن تنزل عليه الملائكة فلا نقول فاطمة الزهراء . يقول تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة﴾<sup>(٤)</sup> وفي كل ليلة قدر تنزل الملائكة على المؤمنين مع جبرائيل ويتصافحون مع كل مؤمن ومؤمنة . لا بل إذا نزل جبرائيل على الزهراء أصبحت قضية كبيرة وكفراً وخطأً جسيماً ، فما رأيكم ؟ المجال بعد هذا ليس مجال كلام فقط ومجرد اتهام وإلا فليذهب أحدكم إلى بعض المكتبات ويرى بعض الكتب على من ينزل جبرائيل ؟

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٦٨ .

(٢) سورة طه ؛ الآية : ٣٨ .

(٣) سورة مريم ؛ الآية : ١٧ - ١٩ .

(٤) سورة فصلت ؛ الآية : ٣٠ .

هذا دكتور يدعى النمر لا يوافق على أن جبرائيل ينزل على فاطمة عليها السلام ،  
سيدة نساء العالمين ، وأنا مستعد لأن آتيكم بكتب وأبين لكم منها وفيها ،  
أين ينزل جبرائيل وعلى مَنْ . وليس فقط جبرائيل ، بل الله بعظمته .  
عبد القادر الجيلاني نزل عليه الله فعبر به النهر فقاموا يضربون على  
صدورهم ! لا إله إلا الله ، عبد القادر شال الله أي عبر به النهر . لماذا ؟  
لأنه والعياذ بالله ، الله مسكين ولا يستطيع أن يعبر النهر وهناك قضايا غريبة  
كثيرة أخرى ، لماذا هذا التهريج كله ؟ ولماذا هذه الفلسفة الفارغة ، ضد  
أهل البيت وضد التشيع ، وضد وحدة المسلمين ؟ لماذا ؟ نحن نريد أن  
نجمع كلمة المسلمين . ليس هنا فقط بل في البلاد الإسلامية كلها . لكن  
لا يدعونك أن تسكت أبداً . ماذا نفعل ؟ فالشباب يقرأون هذا التهريج ولا  
بد لنا من أن نرد . نحن عندنا قوة عندنا فكر عظيم ، هو فكر الإمام  
الحسين وأهل البيت . على العموم هؤلاء أناس كل همهم هو تمزيق كلمة  
المسلمين . لا أكثر من ذلك . وإلا هذا الذي يترك أهل البيت ويتمسك  
ببزيد ومعاوية ، ماذا تنتظر منه ، يأتي لك برواية يقول فيها : إن كل مسلم  
رأى وجه رسول الله يدخل الجنة ، فمعاوية رأى الرسول إذن سوف يدخل  
الجنة ! والمنافقون الذين كانوا مع رسول الله ﷺ رأوا النبي ﷺ أيضاً  
فهل يدخلون الجنة ؟ وكيف ينزل القرآن بسورة المنافقين ويلعنهم ؟ ﴿هم  
العدو فاحذرهم قاتلهم الله﴾<sup>(١)</sup> كيف يقاتلهم الله وهم الذين رأوا صورة  
النبي ؟ وهم مسلمون أيضاً . أنا لم يكن قصدي أن أذكر هذا الموضوع ،  
لأن هذه ليلة خاصة أردت أن اتحدث فيها مع هذا الدكتور النمر حتى أرى  
ما هذا الكلام وما غايته ؟ وما فكرته ؟ ولماذا يمزق وحدة المسلمين في  
الأرض ؟ فهل هذه الأموال والشيكات تستحق منك أن تباع دينك وضميرك  
ووجدانك ؟ وأيهما أكبر وأعظم : جبرائيل ينزل على فاطمة الزهراء ، أم أن  
الزهراء تذهب لأبي جهل وتصطدم به وتضاربه لتشار لنفسها منه ؟ وبعد أيها

(١) سورة المنافقون ؛ الآية : ٤ .

الأخوة الأحباء فإن الحق لا يتعدد ولا يتجزأ . وماذا بعد الحق إلا الضلال . نحن نطالب كل المفكرين وكل العقلاء ، بجمع كلمة المسلمين ووحدة المسلمين ، ونبذ التفرقة والطائفية وإلاً فهذا لبنان مثال حي أمامنا ، ماذا حلّ فيه من دمار وتمزق ! أليس كل ذلك بسبب الطائفية والأقلام المزيفة والأقلام المستأجرة والظلم والمذهبية ؟ نحن نريد أن تكون بلادنا الإسلامية آمنة مطمئنة ، وهذه الأجواء الإيمانية موجودة بوجوهها الإيمانية المشرقة ، فيجب أن نحفظ بلادنا من الضياع ومن التمزق . وأي كتاب وأي كاسيت أو أي خطبة تدخل البلاد الإسلامية وفيها نعمة جانبية طائفية أو مذهبية لتمزيق وحدة المسلمين ، يجب أن نقف ضدها صفاً واحداً . ولا نسمح بها أن تنتشر في بلادنا وبين شبابنا . ويجب أن يلتفت المسؤولون في البلاد لهذه الأمور وألاً يقرأوا مثل هذه الكتب التي تمزق وحدة المسلمين وصفوفهم .

وبعد فالحق يبقى كالشمس والحقيقة لا تهضم فلا الدكتور النمر ولا أمثاله ولا ملايين وملايين مثله - أصحاب الأقلام المزيفة - يستطيعون أن يغيروا شيئاً من الواقع ومن الحياة . في كتابه هذا الذي نشره الدكتور النمر ، تعرفون ماذا يقول ؟ يقول : إني امتدح الدولة الأموية لأنها أعزّت العرب أكثر من بقية الجنسيات الأخرى في العالم الإسلامي . فأعطت العرب حقوقهم في حين لم تعطها لبقية المسلمين ! أبعد هذا الكذب كذب آخر ، وهل بعد هذا الافتراء والإدعاء افتراء آخر وإدعاء آخر على حساب الصدق والحق والواقع ؟ ويتحدث الدكتور النمر عن القومية العربية والقرآن الكريم يقول : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> إذن الرسول كان على خطأ حين يقول (سلمان منا أهل البيت) وحاشا للرسول ﷺ أن يخطيء ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾<sup>(٢)</sup> فهذا الدكتور النمر يقول : إن الأمويين كانت عندهم النعمة والعصبية العربية القوية . وهذا هو الإسلام ؟

(١) سورة الحجرات ؛ الآية : ١٣ .

(٢) سورة النجم : الآية : ٣ .



يعني حوّلوه إلى مُلْكٍ عضوض ؟ هذا هو الإسلام فقط ؟ إجمع العرب وهم مئة وخمسون مليوناً وأكثر وبقية المسلمين أين ذهبوا ؟ أفتضرب بهم عرض الحائط ؟ يعني من دون منطق ومن دون فهم . وإنما يصدر الأمر للكاتب بالكتابة فيكتب ، وبالطبع فيطبع وبالنشر فينشر ، وليس أكثر من هذا . لكن إن شاء الله أستطيع الإتيان لكم بالكتاب وأبين لكم الحقائق ، فتسمعون جميعكم وتقفون على حقيقة الواقع . وإلاً لماذا كل هذا السكوت ؟ هؤلاء من الحاقدين الخبثاء الذين ليس همهم إلا تمزيق صفوف المسلمين ، لا أكثر . الشيعة والمهدي والدروز : إنه لأمر عجيب وكأنّ هذه الألفاظ عناوين غريبة أصلاً ؛ وكأنهم ليسوا أصحاب رسول الله ، وكأنهم ليسوا من أهل القبلة ولا يشكلون نصف المسلمين . ولا كأنّ قرآننا واحد وإلهنا واحد ونبينا واحد وقيمتنا واحدة . الإسلام يوحد وهؤلاء يفرقون فيألي متى يبقى هذا التزييف للحقائق وإلى متى ستبقى الأباطيل والأضاليل وكل ذلك الادعاء الكاذب على قيد الحياة في أفواه أربابه وزبائنه ؟ . . . إن الإنسان المؤمن يحب أن يكون واقعياً مع الله سبحانه وتعالى ويود أن يمشي بنوره بكل صفاء في كل مراحل حياته ، لذلك فإذا اضطربت القلوب فماذا يحدث ؟ إن كل الأعضاء البدنية والأجهزة الإنسانية والآلات الاصطناعية تضطرب وتضطرب معها النفوس ويتسرّب إليها الفساد ، فيبدأ الحرص وينتشر الطمع ، ويعمّ الكبر ، ويستشري البخل وكل أنواع المفاسد الخلقية ، كلها تنشأ من مرض القلب ، القلب الفطري الرباني ، قال تعالى : ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ لذلك فإن الإمام الحسن ونحن في مدرسته ، يقول : « هلاك الدين في ثلاث : في الكبر والحرص والحسد . ثم بعد ذلك يعطي لكل واحدة صورة متحركة فيقول : في الكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس » هذه أسباب مرض القلب فقال : ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ <sup>(١)</sup> « والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة » لأنه كان حريصاً على أن يأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ، « والحسد رائد السوء وبه قتل

(١) سورة ص ؛ الآية : ٧٦ .

قابيل أخاه هاويل» .

فيجب أن نحفظ شخصيتنا من الضياع أيها الأخوة . هذه الشخصية في مدرسة الحسن والحسين ، يجب أن نهتم بها ، شخصية فيها نور وإيمان . قال تعالى : ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾<sup>(١)</sup> الإنسان المؤمن هو نور ، ولكن كيف هو هذا النور يا أخي ؟ ! والجواب هو أن الإنسان هو ابن عقيدته ، والعقيدة هي التي تعكس نور الشخصية على الإنسان . بالله عليكم لو صُوّر الكرم والبخل فأيهما هو النور وأيهما هو الظلام ؟ وإليكم أمثلة أخرى :

الشجاعة نور والجبن ظلام ، العلم نور ، والجهل ظلام ، يقول الإمام الحسن : «لو صُوّر العلم لأظلمت معه الشمس ولو صُوّر الجهل لأظلم معه الليل» والإيمان أيضاً نور . هذا النور الذي يأخذه الإنسان هو الذي يزود قلبه بالحياة ، قال تعالى : ﴿وَتَنْذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾<sup>(٢)</sup> لكن بعد ذلك يعطيهم الله حياة ، يقول القرآن : ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾<sup>(٣)</sup> أي الأحياء المؤمنين ، لأنهم ينتفعون بالذكرى بينما غيرهم أموات ، فتبقى حالة النور عند المؤمن ، أمراً طبيعياً ومستمراً ، لذلك فإن المؤمن يرى أو ينظر بنور الله ، لماذا ؟ لأن قلبه مشرق بالنور . وهذا النور يصحبه في الدنيا وفي الآخرة . في القبر نور الإيمان ومعه العمل الصالح . العمل الصالح يرفعه لأنه نور . بداية الكون من النور ﴿الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾<sup>(٤)</sup> أول شيء خلقه الله هو نور الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا النور هو غاية في الطهر والصفاء ، ومنه نور فاطمة الزهراء ونور علي أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول : «أنا من أحمد كالضوء من الضوء» ونور الحسن

(١) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٢ .

(٢) سورة مريم ؛ الآية : ٩٧ .

(٣) سورة يس ؛ الآية : ٧٠ .

(٤) سورة النور ؛ الآية : ٣٥ .

والحسين عليهما السلام وأنوار التسعة المهديين من ذرية الحسين عليه السلام ، فلذلك أحببتهم شيعتهم ، كلما اقتربوا منهم فإنهم يزدادون نوراً ، وهذا هو معنى الآية : ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الآن هذا النور أمامك كلما اقتربت منه ، فإنك تزداد نوراً ، وإذا ابتعدت عنه تكون في ظلام ، وهذا شيء طبيعي ، فالإنسان كلما اقترب من الله يزداد نوراً ، وهذا النور يبقى مع الإنسان إلى ساعة المحشر ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> لهذا فبالإيمان التي عمل فيها المؤمنون الصالحات ، وبها يأخذون الكتاب والملائكة تستقبلهم ﴿بِشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾ يُقَالُ : تستقبل الملائكة ثلثة كبيرة من البشر إلى الجنة ، فتسألهم إلى أين ؟ يقولون : أمر الله بنا إلى الجنة من غير حساب ، فتقول الملائكة : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فيجيبون : نحن الصابرون . صبرنا على طاعة الله ، وصبرنا عن معصية الله ، قالوا : ﴿أَدْخَلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ويقول الله تعالى أيضاً عن هؤلاء المؤمنين الصابرين : ﴿بِشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٣)</sup> بينما تتحدث آية أخرى عن المنافقين فتقول عنهم : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾<sup>(٤)</sup> هذا النور الموجود عند الإنسان المؤمن ، إنما يحتاج إلى تزكية ، إلى حركة حتى يظهر ويخرج ، فإذا لم تعرّض نفسك للنور ، فإنك لن تحصل على النور . ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾<sup>(٥)</sup> هناك رجل يدعى فضيل ، كان قاطع طريق مع عصابة وهو إنسان موحد ولكنه عاص ، ذات مرة عرض نفسه للنور ، إذ سمع أناساً يقرأون القرآن فقال : والله لأصغين لهذا

(١) سورة الحديد ؛ الآية : ١٢ .

(٢) سورة الحجر ؛ الآية : ٤٦ .

(٣) سورة الحديد ؛ الآية : ١٢ .

(٤) سورة الحديد ؛ الآية : ١٣ .

(٥) سورة النور ؛ الآية : ٤٠ .

الصوت وأسمع القرآن ، فأصغى بسمعه ، وإذا القرآن يُقرأ فيقول القارىء فيه : ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾<sup>(١)</sup> وإذا به فجأة يكرّر هذه الآية بينه وبين نفسه ، ويخاطب نفسه : ويلك يا فضيل ، وقد تشبّع بتلك الآية ، فتحدرت الدموع من عينيه فقال : أن لفضيل أن يخشع قلبه لذكر الله ، فجاء يمشي في الطريق ، فسمع أناساً يقول بعضهم لبعض : احفظوا بناتكم وأموالكم من فضيل وعصابتة . فقال لهم : يا معشر المسلمين ، إن فضيلاً تاب إلى الله سبحانه وتعالى ولقد حرّك نور القرآن قلبه فأحياه وملاه نوراً وإيماناً وحناناً وإذ به يقول : أنا الآن يجب أن أبحث عن الناس الذين سلبتهم أموالهم ، لأردّها إليهم . لذا فإنه من الضروري أن يعرّض كل إنسان نفسه للنور . وهل هناك أعظم من أهل البيت في نورهم عندما تعرّض نفسك لهم ، فترى عندهم وحدة الكلمة والتوجّه الكامل إلى الله . فتعرّض نفسك للمفاهيم الروحية التي كانوا عليهم الصلاة والسلام يتحلون ويعملون بها .

جاء في كتاب الصواعق المحرقة ، أن صاحبه الهيثمي قال : إن الإمام عليّ مرّ على كربلاء في طريقه لصفين ، فوقف يخط الأرض بسيفه ، ويقول : ههنا مهراق دمائهم ، ههنا مقتل رجالهم ههنا حرق خيامهم ، فسأله مالك الأشتر وعمّار بن ياسر : من سيّدي ! من هم ؟ . قال الإمام مجيباً لسؤالهما : هنا مصرع ولدي الحسين ، في هذا المكان يقتل ولدي الحسين . ابن حجر الهيثمي يقول في الصواعق المحرقة ، وهو من كبار علماء السنّة والجماعة ، يقول بكى عليّ عليه السلام بكاءً مُراً حتى ابتلت الأرض من دموع عينيه ، وهو يذكر هذا الشيء في كتابه . إذن عرض نفسك أيها الأخ المؤمن لنور أهل البيت عليهم السلام لأن الإنسان عندما يعرّض نفسه لهذا النور يصبح إنساناً مؤمناً بحق ، وإذا كنا نحتاج إلى بناء شخصياتنا وكي نصير بحق مؤمنين أتقياء ، صادقين أوفياء ، فإننا ينبغي أن نرتوي من هذه المجالس الحسينية الأخلاقية ، المجالس العلمية والأدبية الإسلامية فيقوى

(١) سورة الحديد ؛ الآية : ١٦ .

حبنا لكل المسلمين في العالم ، وكذلك نحب الخير لهم ولكل الناس في الأرض ونسعى مع الساعين لتوحيد الكلمة والصف وقضاء الحوائج ، فيتجدد بذلك إيماننا بالله ، وتشتد وتعمق صلتنا به عز وجل ، وهذا بحد ذاته نور وعطاء ، وهذا بالطبع من أسمى أهداف الإنسان المؤمن ومن أقدس واجباته على الإطلاق . وهناك قصة يذكرها صاحب الذريعة أو المرحوم الأمين - لا أذكر بالتحديد - يقول : إنَّ السيد علي الحائري من العلماء الكبار في أصفهان ، يأخذ الزوار ، ويذهب إلى قبر الحسين للزيارة ، لذلك أقول لكم : اذهبوا إلى زيارة الحسين عليه السلام . والإشكال الذي يطرحه البعض لا يحتاج لتوضيحه ، فقد قلت لكم : إن الناس في أيام المتوكل ، كانوا يدفعون ألف دينار له رغبة منهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام وساعتئذ تعرفون القصد . هذا السيد كان يأتي بقافلة من دواب وخيل فوصل إلى منطقة المسيب ، وهو طبعاً أي الحائري عالم جليل ومن الأولياء ، فصادفه رجل شيخ عشيرة ، وبدأ يسخر منه ويهزأ بالزوار ، فجاء للسيد وقال له : ما بك أنت سيد وتلبس هذا اللباس الإسلامي : العمامة ، وتأتي من أصفهان إلى العراق تبحث عن القبور ما هذه العقلية ؟ . قال له : يا فلان أنا عندما أزور الحسين إنما أحفظ وأؤدي حقاً من حقوق رسول الله ، وإذا بالصراع الكلامي يحتدم ، والحرب أولها كلام ، فقد تجرأ الرجل على السيد بقارص الكلام ، إذ جرح بذلك قلبه وأسأل دمعته ، فالتفت إليه السيد وقال له : أنت شيخ عشيرة وزعيم قومك وأنا لا أقول لك شيئاً ، وأنا الآن معي هؤلاء الأطفال والنساء والرجال وذهب لزيارة قبر الحسين ، لكن قبل ذلك سأذهب للنجف الأشرف وأشكوك لأبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : قل ما شئت فإن هذا لا يهمني واشكك إلى من شئت ! فوصل السيد إلى النجف الأشرف ودخل وهو في تراب السفر ، دخل إلى مسجد أمير المؤمنين ، وتأملوا معي عندما يدخل الإنسان إلى هذا المسجد ، يشعر أن الإمام موجود يراه . العبد المؤمن يراك على قبره ، فكيف الإمام المعصوم ، فدخل عليه وقال : أبته ، إماماه ؟ يا أمير المؤمنين ، سيدي أنا ولدك وأشكو

هذا الذي جرح قلبي ونفسي ، أريد منك أن توجه له ضربة حتى يتأدب .  
فنام السيد على ضريح أمير المؤمنين وهو متعب ، فكان الإمام قد أنامه حتى  
يجيبه ، وفي أثناء النوم رأى الإمام علياً سلام الله عليه ، قال له : بني الحق  
معك هذا الرجل الآن يحتاج إلى ضربة حتى يتأدب . لكن لا أستطيع أن  
أوجه له ضربة ! سأله : كيف يا أبتاه ، وإماماه ! وأنت علي بن أبي طالب  
قالع باب خيبر وأنت صاحب «سيف ذو الفقار» وجبرائيل بين السماء والأرض  
ينادي : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . ألا تستطيع أن توجه ضربة  
لهذا الرجل ؟ قال : لا ، لا أقدر وهذا ليس عجزاً مني وضعفاً في  
والسبب :

في العام الماضي ، كان هذا الشيخ نفسه يوم عاشوراء وبعد الظهر  
بالتحديد ، كان في قمة الظمأ إلى الماء ، وجاء ليشرب من نهر الفرات في  
المسيب ولكن بعد أن مدَّ يده إلى النهر ، وقرب الماء من فمه ، تذكر أن  
اليوم يوم عاشوراء ، فقال في نفسه : أنا أشرب الماء واليوم عاشوراء ،  
والحسين وأطفاله في عطش ؟ ! والله لا أشرب من الماء ، ورمى الماء في  
النهر وجرت دموعه فيه . فيقول الإمام : يا ولدي : شيخ العشيرة هذا عندما  
ذكر الحسين ، سجله الحسين عنده ، لذلك لا أستطيع أن أوجه له  
الضربة . اللهم زدنا عقيدة بهم ، اللهم عمق إيماننا بهم يا رب العالمين ،  
لأنهم هم الطريق إليك ، وهم أنصع طريق ، وأجمل طريق ، وأقرب طريق  
إليك ، هذا الذي يبكي على الحسين بالمسيب ، ويبعد عن أهل البيت ،  
الإمام الحسين يسجله عنده . أفاق السيد علي الحائري من نومه وذهب  
لزيرة الحسين ، وفي طريق عودته في المسيب ، وإذا به يرى شيخ العشيرة  
قد أقبل يقول له : ماذا فعلت وأين أنت ؟ وأين الإمام علي بن أبي طالب ؟  
فقال له : تعال أحدثك ، لقد شكوتك إلى أبي أمير المؤمنين . أيها  
الأحبة الكرام : لقد أخبرته بكل ما جرى لي في المنام مع الإمام علي  
وفجأة بدأ الرجل يبكي ويصرخ الله أكبر ! عندها قال له السيد ما بك ؟ قال :  
والله لم يكن معي أحد يومذاك ، ولم أحدث أحداً بما حدث حتى أقول :

إنك سمعت وأنت قصصتها . أهل البيت هكذا ! فأصبح هذا الرجل من  
خلصاء ومن أخص شيعة أهل البيت ومن محبي الحسن والحسين وعلي  
وفاطمة عليهم السلام ومن الذين يشاركون في زيارتهم وإقامة مجالس العزاء لهم .

انظروا هذا هو النور الذي يهدي الإنسان ببركات البكاء حزناً وتأثراً  
لفظاعة مقتل الحسين عليه السلام ولبشاعة الجريمة الدنيئة والنكراء . فالإمام  
الحسين هو نور من نور جدّه محمد صلوات الله عليه وآله وسلم رسول النور والخير والتوحيد  
والسلام ، ونور محمد من نور الله . الرسول الأكرم كان إذا مرَّ على بيت  
الزهراء ويسمع الحسن يبكي يسكته الرسول ، وإذا كان الحسين هو  
الباكي ، يقول للزهراء : بنية ألا تعلمين أن بكاء الحسين يؤذيني ، فلا  
تدعيه يبكي .

سأل رجل مرّة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله كيف تضمن لي  
الجنة . قال : أن تحبني وتحب هذين وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام  
وأن تحب أباهما وأمهما ، يعني أصحاب الكساء ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً  
إلا المودة في القربى ﴾ إن هذا الشيء هو ما نحتاج إليه أيها الأخوة ، في كل  
وقت ، فإذا تكاملت شخصيتنا في مدرسة الحسن والحسين وتكون قد  
استقامت وأعطت العطاء المطلوب منها ، وعرفنا أن الدنيا أيام ونحن ذاهبون  
إلى الله ، فعلينا أن نتذكر هذا السفر الطويل ونعمل له ونستعد لأن من تذكر  
بُعْد السفر استعد .

جنادة الأنصاري يدخل على الإمام الحسن فيقول له الإمام : «يا  
جنادة ، استعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك واعلم بأنك تطلب  
الدنيا والموت يطلبك» لذلك تشبعت قلوب أهل البيت عليهم السلام بحب الله  
سبحانه وتعالى . خمس وعشرون سنة والإمام الحسن يذهب إلى الحج  
ماشياً على قدميه وأن النجائب تقاد بين يديه . وكذلك الإمام الحسين :  
تجدهما كتلة واحدة وإنساناً واحداً ونوراً واحداً ، ولا يمكن أن تعرف  
الحسن من دون معرفة الحسين والعكس هو الصحيح . وقد سبق أن

حدثناكم كيف أن الإمام الحسن قابل كثيراً من الطغاة الماكرين في الحرب والسلام كمعاوية مثلاً والذي قال فيه الإمام علي عليه السلام: «ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر وفي كل غدرة فجرة وفي كل فجرة كفره ، ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس» الإمام الحسن أراد أن يفضح معاوية بوجهيه : حاربه ففضحه بغدره ، وسالمة ففضحه بفجوره وبين دناءته ويزيد ابنه كذلك رأس الفجور ، والذي قابله الإمام الحسين عليه السلام بروح التقوى : إيماناً وأناةً وخلقاً كريماً وحباً بالله ودعوة إلى الحق ، حقناً للدماء وصوناً لحياة الأبرياء بمنطق سليم وموعظة شافية حسنة ولكن دون جدوى ، لأن يزيداً أصر على موقفه المتعنت بالتمسك بالدنيا والكفر بالدين ، مع أن الإمام الحسين حاول قدر استطاعته إيقاف الحرب ، وذلك بدعوة يزيد اللعين إلى السلام والإسلام . لذلك فإننا سنبقى بحاجة إلى الإمام الحسين طالما أن هناك طغاةً وكفرةً في الأرض في هذا العالم ، لأن مهمة الإمام هي إضاءة الوجدان وإنارة القلب ، أما مهمة المخترع فإنها تقتصر على إنارة البيوت وإضاءة الدروب لا القلوب . لكن الإمام أمير القلوب فهو نور وخصوصاً سيد الشهداء : إنه نور ساطع في حياته وفي استشهاده وذكره .

كلنا نسمع أن الإمام الحسن كان يحمل الطعام على ظهره ويبحث عن الفقراء . الإمام الحسين كان يعول أربعمائة بيت في المدينة . الإمام السجاد مع بدنه النحيل الضعيف ، كان يحمل أكياس القمح والطعام ويتعقب أبواب الفقراء وهو ملثم ويعطيهم الطعام فيسألونه : مَنْ أنت ؟ جزاك الله خيراً ، يقول : عبد من عبيد الله ، فما عرفوه حتى قُتل . عرفوا أن الذي يأتيهم في الليل هو الإمام زين العابدين عليه السلام . هؤلاء هم أهل البيت ، يأتي الإمامان الحسن والحسين إلى شيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء ، فلا يقابلانه بشدة أي بنقد لاذع بحيث لا يكشفان له جهله بالوضوء ، بل يقولان له : بالله عليك يا شيخ أنظرنا أينما يحسن الوضوء : أنا أم أخي ؟ فبدأ الحسن فتوضأ ، ثم الحسين فتوضأ أيضاً . عندئذ قال الشيخ : سيدي ، أنا غلطان بالوضوء ، وأنا الذي لا يحسن الوضوء . أما



أنتما فإن وضوءكما قمة في الصحة والأداء . قالوا : إذن عدّل وضوءك قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(١)</sup> .

هذه هي التربية الصحيحة وهذا هو التوجيه السليم والحكيم . علينا إذن أيها الأخوة ، سلوك طريق أهل البيت عليهم الصلاة والسلام لأنه الطريق الأقوم والموصول إلى الحق والعدل والصواب في كل أمر . فأهل البيت على رفعة مكانتهم ، وسمو مقامهم وغزارة علمهم ورجاحة عقولهم وعمق إيمانهم وعظمة تقواهم فإنهم يقومون بخدمة الناس ، فيجهزون الطعام لفارس مثلاً إذا ما كان في عجلة من أمره كما فعل الإمام الحسن عليه السلام . رأى الإمام الحسن يوماً أحد الجالسين على مائدته يأخذ الطعام ويعزله إلى جانب آخر ، سأله الإمام الحسن : يا أخا العرب ، لمن هذا ؟ قال : والله مررت في طريقني فرأيت شيخاً كبيراً يضرب الأرض برجله ، جالساً على ترعة ماء ، فأخرج كسرةً من خبز الشعير ، فكسرها على ركبته وأكلها بعد أن بللها بالماء ، فانكسر له قلبي وأردت أن أحمل له هذا الطعام . قال : بارك الله فيك يا أخا العرب ، ولكن أتعرفه ؟ قال : لا والله لا أعرفه قال : هذا والدي وسيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . هكذا حاله أصراً أن يكون طعامه كما رأيت أنت ، وهو يقول : «كأنني بقائلكم يقول : إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن مقارعة الأبطال ومنازلة الشجعان ومواجهة الفرسان ، ألا وأن الشجرة البرية هي أقوى عوداً ، وأبطأ خموداً وأنا من أحمد كالضوء من الضوء أو الذراع من العضد ، والله لو تظاهرت العرب على قتالي ما وليت عنها» .

أيها الأخوة ! تذكروا أن الدنيا أيام تنتقل بأهلها من حال إلى حال ، والإنسان ضيف عنها راحل والعمر ظل زائل ، والإنسان الذي يعيش ويحيا في نور الإيمان ، في نور الله ، له مقعد صدق عند مليك مقتدر أي في روضات الجنّات . وما الدنيا إلا قنطرة وانها دار ممر لا دار مقر ، والذين

(١) سورة النحل ؛ الآية : ١٢٥ .

جعلوا الدنيا دار مقرهم ، خسروا الدنيا والآخرة ، بينما الذين جعلوا الدنيا دار ممر وحولوا عطاءهم وأمورهم وأعمالهم الصالحة إلى الله تعالى ، تجدهم في راحة من أمرهم ، إنهم عباد الرحمن والذين إذا جنَّ عليهم الليل ، فإنهم يصلون في جوفه والناس نيام ، ويقرأون القرآن ويطيلون السهر في ليالي عمرهم ، لأنهم تذكروا هول السهر الطويل في النار ، ويتدبرون آيات الله نظراً وتفكيراً وتسييحاً واستغفاراً واعتباراً .

والجدير بالذكر أن خولي بن يزيد الأصبحي ، أخذ الرأس من كربلاء أي رأس الحسين عليه السلام أخذه من شعره ، وأن أهل البيت عند دخولهم الشام ، أمر اللعين يزيد بإيقائهم خارجها لمدة ثلاثة أيام ، حتى تتزين الشام والناس ، وليستعد أهلها للاحتفال شماتة بأهل البيت عليهم السلام وليقيم العصاة الطغاة الأعياد والأفراح غناءً وطرباً ، ولأن تلك المناسبة هي عيد بالنسبة ليزيد وأتباعه من أهل الشام .

أيها الأخ المؤمن ! دع قلبك عند الحسين ، وليكن انتماؤك له ولأهل البيت جميعهم انتماءً صادقاً بإيمان راسخ وعمل صالح وتوجه سليم بنور الله . ونعود لنذكر مرة أخرى ، أن خولي بن يزيد اللعين الأصبحي ، أخذ الرأس : رأس الحسين ، إلى قصر الإمارة فكان مغلقاً ثم أخذه إلى بيته ، وفي اليوم الثاني أخذه وأدخله على ابن زياد اللعين ، وأول عمل قام به هذا الخبيث أنه راح يضرب الرأس على شفثيه وعلى ثناياه ، وكان يقول : إنه كان حسن الثغر . قام زيد بن أرقم - وهو صحابي جليل - قال له : يا ابن زياد ، إرفع سوطك عن هاتين الشفتين . والله الذي لا إله سواه ، لقد رأيت شفثي رسول الله تقبلهما بما لا أحصيه ، ثم انتحب باكياً ، فقال له ابن زياد : ويلك أتبكي لفتح الله . فقال له زيد : أبكى الله عينك ، وقال للناس : أيها الناس ! أنتم العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة الزهراء عليها السلام وأمرتم ابن مرجانة . فسكت عنه ، ثم بعد ذلك ، أمر ابن زياد اللعين برأس الحسين فعلق على باب قصره ثم أنزل ، ثم أمر به فطيف به في أحياء الكوفة وشوارعها ، ثم أمر به أن يعلق على شجرة ، وأمر الصبيان أن يضربوا الرأس

الشريف بالحصى والحجر ، وكل هذه المصائب تجري أمام عيني الحوراء زينب ، تلك المصائب التي جرت عليها وأصابتها ، فإنها لم تجر على أخيها الحسين ، بعد ذلك أخذ الرأس الشريف إلى الشام .

وأدخل أهل الكفر والفجور أهل البيت ، وعائلة الإمام الحسين عليه السلام إلى الشام وهم في تلك الهيئة التي يتصدّع لها الجماد إشفاقاً ، وما نسمعه فهو قليل ، نحن نسمع أن بعضاً من أطفال الحسين ماتوا شتقاً بحبال كانوا مربوطين بها ، فتأملوا حال أطفال الحسين : فمنهم من قتله الكفرة شتقاً ومنهم من أماتوه جوعاً ومنهم من أهلكوه عطشاً . إنهم يزيد اللعين وأتباعه عبدة الشياطين ، عبدة الدنيا .

والحوراء زينب عندما كانت تنظر وتشاهد تلك المشاهد : مشاهد الأطفال الضحايا كانت تتألم كثيراً وتبث أحزانها وأشجانها وتذرف الدموع سخينة سخية وهي الصابرة المحتسبة ، صاحبة المصيبة ، والمتحملة لكل ذلك برباطة جأش حتى يرضى الله تعالى . إنها المرأة العاقلة الحكيمة ، والفاضلة المناضلة المجاهدة في سبيل الحق والإسلام . وإنه لموقف صعب وشديد الوطأة تقفه مع أخيها الحسين الذي كان كل شيء يذكرها به ، فإنه يفجر أحزانها ، ويستثير أشجانها ويستذرف دموعها ، حتى إذا رجعت إلى المدينة ، إلى قبر جدها رسول الله ، وأخذت بقفص قبره عليه السلام ونادت يا جداه يا رسول الله ! لقد رجعت إليك وحيدة ، لقد قُتل أخي الحسين فليتك حاضر يا جداه ، لترى حسينك بالعراء ، مرملاً بالتراب ومضرجاً بالدماء ، وبعد قليل ، دخلت الحوراء إلى بيتها وأوقفت جاريتها بالباب وقالت لها : إياك أن تسمحي لأحد من النساء بالدخول عليّ ، فأنا أريد أن أشبع من البكاء في دار أخي الحسين .

بينما هي كذلك وإذا بالباب يُطرق ، قالت للجارية : اذهبي وانظري من بالباب . ذهبت الجارية ونظرت وعادت مسرعة . سيدتي ! إن على الباب أم البنين ، هذه أم العباس وأخوتها ، قالت : افتحي لها وادخليها . إنها

شريكنا في العزاء . فلما وقع بصرها على زينب صاحت : وا ولداه وا  
حسيناه ! أجابتها زينب : وا أخاه وا عباساه ! .

هذه هي أيها الأخوة مصيبة أهل البيت التي لم يسجل لها التاريخ  
مثيلاً بالقياس إلى هولها وفضاعتها ، والتي واجهها أهل البيت عليهم الصلاة  
والسلام بالصبر الجميل والشجاعة الأديبة وبعده النظر . بروح الإيمان  
العالية ، والتي ينبغي أن تكون لنا عبرة ودرساً نافعاً ، يدفعنا دائماً لرفض  
الظلم بكل أشكاله ، بحكمة وتدبّر ووعي وتبصّر للمسؤولية وحسن التفكير ،  
مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك بالتخلق بأخلاق أهل البيت  
عليهم الصلاة والسلام . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وسيعلم  
الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## محبة الله ومحبة أهل البيت

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾<sup>(١)</sup> .

فالحمد لله تبارك وتعالى الذي رزقنا حبّ أوليائه الصالحين وقد أجمع المسلمون على أنّ حبّ الله ورسوله وأهل البيت فرض منزل في القرآن الكريم . وفي هذا يقول الشافعي :

يا آل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله  
كفّاكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

عندما يطلب الله تعالى ، أو يفرض علينا شيئاً ، فلا بدّ من وجود هذا الشيء لأن الله لا يفعل العبث ، هذا من الناحية الفلسفية . وهكذا فإنّ حنينك للعدل ، وعطشك للماء ، وجوعك للطعام ، يعني أنّ في الأرض عدلاً وماءً وطعاماً . . . محبة الإنسان للعدل تعني وجود عدل وعدالة في هذا

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٥٤ .

الكون . وحبك العدل يعني حبك الحق ، إذن فالحق لا بد موجود . والله تعالى عندما يطلب منا حب الله والرسول وأهل البيت ، فهذا يعني أن الحب موجود في أعماقنا . فتعالوا نبحث عن هذا الحب ، وما علاقته بديننا وقرآنا . وكيف نوظفه .

حب الله ثمرة طبيعية للإيمان به ، والإيمان بالله نتيجة لإدراك الإنسان أن الله سبحانه وتعالى موجود وحق . وحب الإنسان لله متفاوت الدرجات ، فكلما كان الإيمان أكثر عمقاً وصدقاً كان حب الإنسان لله أعظم وأصدق . ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾<sup>(١)</sup> .

لقد ذهب بعض المفسرين إلى القول أن حب الله يعني طاعته ، وهذا غير صحيح ، فطاعة الله ثمرة من ثمار حبه . فمن الممكن أن نطيع رئيسنا في العمل ولا نحبه . وكم من شعب يطيع حاكمه ولا يحبه لأنه مستبد ظالم . وهذا ما يؤكد القرآن الكريم فطاعة الله منبعثة من حبه . فعندما يقوم الإنسان للصلاة يفعل ذلك طاعة لله . فإذا كان محباً لله حقاً ، فإنه يقوم إلى الصلاة بشوق ولهفة . أما إذا قام إلى الصلاة يجرّ إليها رجله جراً وكأن هناك حملاً ثقيلاً يريد أن يسقطه عن كاهله ، فهذا ليس مؤمناً حقاً وبالتالي ليس محباً لله حقاً ، فهو منافق يسعى بطاعته إلى إرضاء الناس وتأمين منفعتهم منهم ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس﴾<sup>(٢)</sup> . وكم من تاجر متمسك بالإيمان متظاهر به لتحقيق مصالحه بين الناس ، فهو إذا ما سكن في حيّ يحبّ أهله سماع القرآن ، فإنه لا ينفك يسمع الجوار تسجيلات المقرئ عبد الباسط ، فإذا ما انتقل إلى حيّ يحبّ أهله موسيقى البوب وأغاني الطرب والمجون ، فإنه لا ينفك يسمع الجوار تلك الموسيقى والأغاني : فطاعة هذا التاجر لله هي فقط لاجتلاب المنافع المادية الدنيوية .

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٦٥ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ١٤٢ .

وكم من متجشم لمشاق الحج ، فقط ليقال له «الحاج فلان» وهو لا  
يبغي من حجه إلاّ توظيف لقب «الحاج» في مزيد من المكاسب والأرباح .  
وفي هذا وأمثاله قال الإمام زين العابدين عليه السلام : «ما أكثر الضجيج وما أقلّ  
الحجيج» .

وقل ذلك بالنسبة للزكاة . فبعضهم يزكيّ مراعاة للناس لا طاعة لله .  
أما المؤمن حقاً فهو الذي يعطي الزكاة إيماناً بالله وحباً وطاعةً له . وقد قال  
الله في هذا وأمثاله من المؤمنين حقاً ، الذين يؤدون حقّ الزكاة بيد الرسول  
صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بيد أهل البيت عليهم السلام أو بيد من ينوب عنهم ﴿خذ من أموالهم  
صدقةً تطهّروا بها وصلّ عليهم إنّ صلاتك سكن لهم﴾ ﴿الابذكار الله  
تطمئنّ القلوب﴾ (١) فالزكاة تطهّر المزكي من النفاق والغش والغل  
والشحّ والبخل ومن جميع الأمراض النفسية كما أنّ الله تعالى يطلب من  
رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يدعو للمزكيّ وبهذا الدعاء يسكن قلبه ويشعر بسعادة  
وطمأنينة لا حدود لهما .

فالعبادات في الإسلام ميسرة لمن آمن بالله وأحبّه . ولذلك فإن من  
آمن بالله فأحبّه وأطاعه أقبل على العبادات بشوق وصدق . فلا إكراه في  
الدين ﴿هو اجتنابكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (٢) ﴿لا إكراه في  
الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (٣) .

### \* « لا تکرّھوا عبادة الله إلى عباد الله » :

قال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم حاضاً على تشويق الناس في الإسلام : «شوقوا  
الناس في الإسلام ، ولا تکرّھوا عبادة الله إلى عباد الله» . وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم :  
«يصلّي أحدكم فيطيل في ركوعه وسجوده - في صلاة الجماعة فإن في  
الناس من به القلّة وله الحاجة» . وهذا يعني أنه على الإمام في صلاة

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة الحجّ ؛ الآية : ٧٨ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٥٦ .

الجماعة أن لا يطيل في ركوعه وسجوده . ومن أراد أن يطيل في ركوعه وسجوده فليفعل ذلك عندما يصلّي منفرداً ، فإطالة السجود والركوع أمر محبّب في الإسلام . قال الرسول ﷺ : «من طال ركوعه وسجوده بين يدي الله ، أطال الله عمره وطال نوره في ساحة المحشر» ، وإطالة الركوع والسجود تبعث في النفس الإيمان والبهجة . أمّا في صلاة الجماعة ، وهي مظهر لوحدة المسلمين ودعاية للإسلام . لذا يجب الحفاظ على هذا المظهر بتجنّب كلّ ما ينفر الناس منه . عندما أرسل الرسول ﷺ الإمام عليّاً إلى اليمن أوصاه قائلاً : «يا عليّ ، صلّ بهم صلاة أضعفهم ولا تكونوا ختّانين» . وهذا ما أوصى به الإمام عليّ عليه السلام عبد الله بن عباس عندما عينه والياً .

بعض الناس يدخلون المسجد متأخرين عن صلاة الجماعة ، ويكون الإمام على وشك أن يرفع رأسه من الركوع ، فيبادر هذا المتأخر عن صلاة الجماعة إلى القول : «إن الله مع الصابرين» ، كي يبقى الإمام في ركوعه حتى ينضم القائل إلى صلاة الجماعة . ثمّ يأتي آخر ويقول ما قاله الأوّل وهكذا يحتمل المتأخرون عن صلاة الجماعة تبعة تقصيرهم للإمام وللمصلين وراءه . أليس في هذا إرهاب للإمام والمصلين ؟ . يا أخي صلّ براحتك ودعهم يتمون صلاتهم . أنا لا أدعو إلى صلاة خفيفة كنقر الغراب ، كما قد يزعم بعضهم ، فإنّ إطالة السجود والركوع أمر عظيم ورائع ، إنّما أقول : على الإمام في صلاة الجماعة أن يراعي حالات الناس وحاجاتهم .

### \* قال الامام علي عليه السلام «اللّٰه الله في نظم أمركم» :

الإسلام قائم على توحيد الله ووحدة المسلمين . ووحدة المسلمين تعني وحدة الموقف . وهذه الوحدة تتجلّى بأروع ما يكون في الصلاة والصوم والحجّ ، في الصلاة ، الأذان واحد وفي وقت واحد . والاتجاه إلى القبلة واحد ، والقيام والسجود والركوع واحد وفي وقت واحد إذا كانت الصلاة جماعة . والصلاة في وقت واحد لذا فإن الالتزام بأداء الصلاة في



أوقاتها واجب لا يجوز الخروج عليه إلا للضرورة . في الصوم ، الإمساك والإفطار يتمان في وقت واحد . في الحج ، إن تأدية فريضة الحج وتأدية مناسكه يتمان في وقت واحد . كل ذلك يجب أن يتم بنظام وانتظام . فالنظام مظهر أساسي في الإسلام . وهو مما يشد القلوب إليه .

### \* النظافة من الإيمان :

قال الرسول ﷺ : «النظافة من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» ولذا يجب على المسلم أن يتوضأ قبل أن يصلي ولا تجوز صلاته بدون وضوء وما يقوم مقامه . ولتعرفوا الأهمية الصحية للوضوء ، راجعوا كتاباً علمياً صدر حديثاً اسمه «المطهرات في الإسلام» ففي هذا الكتاب حقائق علمية مذهلة عن قدرة الماء على حفظ صحة الإنسان . كما أن هناك كتاباً آخر اسمه «الإسلام في عصر العلم» ويقع في ألف ومثي صفحة تقريباً ، يتحدث فيما يزيد على مئة صفحة منه عن فلسفة وأهمية الوضوء عامة والاستنشاق خاصة . ورد في هذا الكتاب أن جندياً أصيب في الحرب بشظية في رأسه ، فأخرج الأطباء هذه الشظية بعملية جراحية دقيقة . ولكن ذرات منها بقيت في الدماغ ، والدماغ بدقة وتعقد تركيبه ووظائفه آيات من آيات الله العظمى . وقد أصبح الجندي بعد شفائه من العملية في حالة غريبة . كان إذا مال إلى جهة اليمين استغرق في الضحك حتى تكاد مرارته تتمزق من شدة الضحك ، وإذا مال إلى جهة الشمال فلأنه يستغرق في البكاء . فحار الأطباء في أمره . وبعد الفحص والتدقيق وتصوير دماغ الجندي ، تبين لهم أن ميكروباً دخل الدماغ عن طريق الأنف وأدى إلى اختلال في أعصاب الضحك والبكاء في الدماغ ، فأعادوا فتح رأس الجندي المسكين وحاولوا أن يقضوا على ذلك الميكروب بأنواع مختلفة من العقاقير ، ولكن محاولاتهم ذهبت سدى . وبينما كان أحد الأطباء منهمكاً في علاج الميكروب تصبب عرقاً ، فوقعت قطرة من عرقه على الميكروب فقتلته ، وشفى الجندي ، فأعلن الطبيب أن الماء وحده هو القادر على قتل

ذلك الميكروب ، وقد توجه أحد العلماء المسلمين إلى هذا الطيب وحديثه عن الاستنشاق في الوضوء . فقال الطيب ، «لا إله إلا الله ، إن هذا الميكروب الخيث لا يصل إلى المخ إلا عن طريق الأنف ، وذرات الماء التي تصل إلى المخ بالاستنشاق تقضي على هذا الميكروب» فتأمل . ونحن إذ نتوضأ لا نعرف هذه الحقيقة العلمية ، وإنما نتوضأ كما علمنا الرسول ﷺ أن نتوضأ ، بقوله : «توضأوا كما رأيتموني أتوضأ» .

كما أن غسل اليدين والوجه والتشيت ومسح الرأس ينشط مادة الهيموغلوبين في الدم . أما غسل الجنابة وهو واجب فإنه يقي الجسم من شر كثير من الميكروبات التي ينفثها بدن الجنب . ولذلك فإن البقاء على الجنابة إلى الصباح في رمضان من المفطرات . إن الإسلام يريدنا أطهاراً لأن الله يحب المتطهرين : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>(١)</sup> .

التراب أيضاً من المطهرات لأن فيه نوعاً من البكتيريا يقتل الجراثيم . ولذلك جاز التيمم بالتراب إذا لم يتيسر الماء ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾<sup>(٢)</sup> . كما أن الوعاء الذي ولغ فيه كلب لا يسطهر إلا أن يغسل بالتراب ومن ثم بالماء . لأن في لعاب الكلب ميكروبات لا يقتلها إلا التراب والماء بعده . وكلنا نسمع بالأمراض التي تنتشر بين أولئك الذين يعايشون الكلاب . هذا لا يعني أننا ندعو إلى عدم الرفق بالحيوان ، فالرسول ﷺ قال لرجل سقى كلباً عطشان إنه دخل الجنة بفعله ذلك . وقال عن امرأة قتلت هرة بحسبها ومنعها من الطعام والشراب ، إنها دخلت النار بفعلتها .

لقد استشارني يوماً أحد الشباب بشأن ميكروب في وجهه فنصحته بالاستحمام بمياه البحر ومن ثم بطلي وجهه بطين الشاطيء .

إن الإسلام يركز على النظافة تركيزاً كبيراً ، فحتى تقليم الأظافر أمر

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٢٢ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٤٣ .

ضروري . . وفي الأخبار أنّ جبرائيل امتنع عن النزول إلى مسجد الرسول ﷺ . لأنّ في المسجد أناساً لا يقرءون أظافرهم . وإذا كان الإسلام يسمح للمرأة بإطالة أظافرها بشكل وصورة معقولين ، فإنه يشترط لذلك الإهتمام بنظافتها . والإمام الباقر عليه السلام يوصي المرأة بتلوين أظافرها طالما هي في بيتها ، فإذا خرجت من بيتها وأظافرها مصبوغة فعليها أن تلبس قفازاً إذ لا يجوز لها إبداء زينتها إلاّ لزوجها .

### \* الإيمان يعني حبّ الله لذاته لا طمعاً ولا خوفاً :

إنّ الإنسان ، مثلاً ، يحبّ الصّحة لذاتها ، بينما يحبّ الطيب لأنه واسطة لها . وعلى الإنسان أن يحبّ العلم لذاته ، وأن يحبّ المعلم لأنه واسطة للعلم . إننا نحبّ المحسن والعاقل والأمين لذواتهم عندما نحبهم مع أنّنا قد نتنفع مباشرة بإحسان المحسن وبعقل العاقل وبأمانة الأمين . وإننا نكره الظالم والبخيل والخائن لذواتهم ولو كانوا في أقصى الأرض . وهكذا فإنّ كل أمر يقربنا إلى الله محبوب لذاته . إنّ ارتياح النفس لرؤية الماء لا يعني العطش بالضرورة ، وارتياح النظر للخضرة لا يعني الحاجة إليها . فهل نحبّ الله لذاته ، أم طمعاً في جنّته وخوفاً من ناره ؟ قال الإمام عليّ عليه السلام متوجّهاً إلى الله : « ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك ، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك » . هذا لا يعني أنّ الإمام عليّ عليه السلام لا يخاف من النار ولا يرغب في الجنّة ، ولكنه عليه السلام أراد بحديثه الدقيق أن يفهمنا ماذا يعني حبّ الله لذاته . وكذلك حبّ الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام . فأبى اختلال في حبنا لله وللرسول ولأهل البيت يكبنا على وجوهنا في النار .

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترتبصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (١) . فمن قدّم حبّ الدنيا على حبّ الله كان فاسقاً كعمر بن

(١) سورة التوبة ؛ الآية : ٢٤ .

سعد الذي قدّم حبّ الولاية على حبّ الله وحبّ الرسول وحبّ الحسين .  
فارتدّ بنفسه وقاتل الحسين عليه السلام ، فهوى في النار .

قال الرسول ﷺ : «الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما  
تناكر منها اختلف» . والجنود في ملحمة وصراع ، والجندي لا يعرف رفيقه  
من عدوّه إلّا من خلال كلمة سرّ أو شعار معيّن . فالأرواح جنود مجنّدة  
ولكلّ منها شعار يُعرف به . فحبّ الله وحبّ الرسول وأهل البيت هو شعار  
المؤمنين ، وبغض الله وبغض الرسول وأهل البيت هو شعار الكافرين .

**\* قال الرسول ﷺ : «يا عليّ حبّك حبيّ وحبّي حبّ الله» :**

فحبّ الله والرسول وعليّ وحدة لا تتجزأ . وقال ﷺ : «يا عليّ ،  
لا يحبّك إلّا كلّ مؤمن ، ولا يبغضك إلّا كلّ كافر» وقال ﷺ : «يا عليّ ،  
أنت قسيم النار والجنة» . وقد أجمع المسلمون على أنّ من يناصب عليّاً  
العداء ويبغضه وهو المعروف بالناصبيّ ، كافر قولاً واحداً .

كان إبراهيم بن المهديّ ، وهو المغنيّ المعروف ناصبياً مغالياً في  
بغض الإمام عليّ عليه السلام إلى درجة أنه عندما أوصى بأن توزّع أمواله وأملاكه  
على المسلمين بعد وفاته ، استثنى ذريّة عليّ . وقد التقى بالمأمون ذات  
يوم فقال له : «تقولون أنّ عليّاً بن أبي طالب عبقرى عارف بكلّ الأمور؟»  
فأجابه المأمون قائلاً : «نعم إنه عبقرى وعارف بكلّ الأمور» فقال إبراهيم :  
كيف ذلك وقد رأيتّه البارحة في المنام فطرحت عليه أسئلة في الفلسفة  
والحياة والطبيعة ولم يجبني عليّ واحد منها، بل كان يكتفي بالقول بعد كلّ  
سؤال «سلاماً» . فقال المأمون : والله لقد أجابك بأبلغ الأجوبة . أما قرأت  
قوله تعالى : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(١)</sup> فالإمام عليّ عليه السلام  
كان لا يجيب على أسئلة إبراهيم لأنّه كان يعرف أنّ إبراهيم من أشدّ  
مبغضيه وأنّه من الجاهلين .

(١) سورة الفرقان ؛ الآية : ٦٣ .

لقد ركز الرسول ﷺ على حب أهل البيت واعتبره مع حب الله ورسوله وحدة لا تتجزأ . ومن أحب الله ورسوله وأهل البيت أبغض أعداءهم . قال الرسول ﷺ : «وهل الدين إلا الحب والبغض ؟» أي حب الله والرسول وأهل البيت وموالاتهم ، وبغض أعدائهم والتبري منهم ، إنه قانون التولي والتبري . ﴿ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه﴾<sup>(١)</sup> فكيف لامرئ أن يحب علياً عليه السلام ويحب معاوية أيضاً ؟ أليس الحق واحداً ؟ . قرأت في كتاب «حياة الحيوان» للدميري قولين متناقضين أشد التناقض ، فهو يقول عن الإمام علي عليه السلام «سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه» . وبعد صفحتين من هذا القول يقول : «سيدنا ومولانا معاوية بن أبي سفيان رضوان الله عليه» . فتأملوا هذا التناقض الواضح ، كيف يكون كل من علي ومعاوية سيدنا ومولانا وهما على طرفي نقيض ؟ هل يتجزأ الحق ؟ . قال تعالى : ﴿ولا تكونوا كآلتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾<sup>(٢)</sup> فعلى الإنسان أن يميز بين الحق والباطل . فالحق واحد لا يتجزأ ، وماذا بعد الحق غير الضلال ؟ ! .

\* قال تعالى : ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾<sup>(٣)</sup> . فالآية المباركة تخبر الرسول ﷺ بارتداد جماعة من أمته وصحابته بعد موته . ثم يقول الله تعالى لأولئك المرتدين المنقلبين على أعقابهم المارقين من دينهم : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾<sup>(٤)</sup> والذل هنا يعني اللين والرحمة ، وقد وردت كلمة الذل بهذا المعنى في قوله تعالى موصياً بالوالدين : ﴿واخفض

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٤ .

(٢) سورة النحل ؛ الآية : ٩٢ .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٤ .

(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ٥٤ .

لهما جناح الذل من الرحمة . وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴿١﴾ .  
والآية المباركة : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم . . .﴾ نزلت في الذين  
سوف يرتدون عن الدين وفي الذين يحبهم الله ويحبونه وهم أدلة على  
المؤمنين أعزة على الكافرين ، أما الذين ارتدوا عن الدين فأمرهم معروف .  
وأما الذين أحبهم الله وأحبوه وكانوا أدلة على المؤمنين أعزة على الكفار فهم  
أهل البيت عليهم السلام . وكان الإمام علي بن أبي طالب يفتأ يردد هذه الآية الكريمة أيام  
الجمال وصفين والنهروان وقال تعالى : ﴿محمد رسول الله والذين معه  
أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (٢) أي أشداء على الكفار في الحرب أما  
في السلم فيعاملونهم بالقسط والعدل بدون أن يوالوهم أو يأمنوا لهم ﴿ولا  
تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ (٣) .

يحبهم الله ويحبونه ، أدلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين . إن  
الصفات التي تعددها هذه الآية تتجسد تجسيدا حيا وتاماً في الإمام علي بن  
أبي طالب عليه السلام .

ففي قوله : «يحبهم ويحبونه» . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر : «إني  
لأعطي الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، كرار غير  
فرار» . لأن الذين أخذوا الراية قبل علي فرّوا أمام اليهود يتبادلون التهم  
بالجبن . ومؤرخو التاريخ الذين أزاغ الله قلوبهم يتعامون عن ذلك  
ويطمسون معالم بطولات الإمام علي عليه السلام ودوره العظيم والحاسم في  
الفتوح الإسلامية التي عاصرها ولم يتخلف عن واحدة منها . ولولا سيف  
علي عليه السلام في خيبر والخندق وقبلهما في بدر وأحد وحنين لما قامت للإسلام  
قائمة . والافتراءات التي يسوقها الدكتور النمر على الشيعة عامة والإمام علي  
عليه السلام خاصة لن تغير من الواقع التاريخي شيئاً . فالدكتور النمر هذا يسهب

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الفتح ؛ الآية : ٢٩ .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ٧٣ .

في الحديث عن صحابة الرسول ﷺ ، حتى إذا جاء الكلام عن عليّ تحدّث عنه وكأنه يتحدّث عن إنسان عاديّ . وكأنه لم يسمع أقوال الرسول ﷺ في بطولات عليّ ودورها الأساس في انتصار الإسلام . لولا سيف عليّ يوم الخندق لما انتصر المسلمون ولما ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ (١) وفي هذا الدور يقول الرسول ﷺ : «ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين» . فضربة عليّ يوم الخندق نصرت الإسلام كلّه على الشرك كلّه ، إذ قال الرسول ﷺ في يوم الخندق : «برز الإسلام كلّه إلى الشرك كلّه» .

أما عن بطولة الإمام عليّ عليه السلام في خيبر فحدّث ولا حرج . في صباح اليوم الرابع من حصار خيبر ، اصطفّ الصحابة ليعرفوا من هو صاحب الراية هذا اليوم ، فهو الذي يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، وهو الكرّار غير الفرّار ، كما قال الرسول ﷺ وكان كلّ واحد منهم يتوقّع أن يكون المقصود بكلام الرسول ﷺ ، أما عليّ عليه السلام فقد كان في خيمته بسبب صداع في رأسه ورمد في عينيه . وهنا تتضح حكمة ربّ العالمين . فلو كان الإمام عليّ سليماً معافى لحسم الأمر من أوّل يوم . ولكنّ حكمة الله قضت بأن يُصاب بالصداع والرمد ليتقدم غيره إلى المعركة ويفشل ولثلاثة أيام متوالية . ولو كان الإمام عليّ سليماً معافى لحمل الراية من أوّل يوم وحقق النصر على اليهود . وكان في ذلك فرصة للذين فشلوا يقولوا : «لقد أعطى الراية لابن عمه ولم يعطنا فرصة لتثبت جدارتنا» .

إنها حكمة ربّ العالمين . بعد أن اصطفّ المسلمون قال الرسول ﷺ : ما لي لا أرى ابن عمي ؟ أين عليّ ، أين من لودعته في الثريّا مروّعة لبّاه . أين أبو الحسنين ؟ ؟ فقيل له : «إنه يشتكي صداعاً في رأسه ورمداً في عينيه» . قال الرسول ﷺ : «عليّ به» . فذهب سلمان وجاء

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢٥ .

بعليّ وهو يقوده لأنه لا يبصر طريقه . فقال الرسول ﷺ : «يا أبا الحسن ما تشتكي؟» فقال عليّ ؓ : «حبيبي يا رسول الله ، إنني أشتكي صداعاً في رأسي ورمداً في عيني» فمسح الرسول ﷺ بلعابه الطاهر جبين عليّ وعينه فبرىء لساعته ، فأعطاه الرسول ﷺ الراية ، فحمل على الحصن ، فتصدى له مرحب الخيبري ، فقدّه الإمام عليّ ؓ إلى نصفين ، ثم عبر الخندق الكبير المحيط بالحصن .

فلما وصل إلى باب الحصن وهو من الحديد ، تترس به ثم اقتلعه .

يا قالع الباب الذي عن هزّه عجزت أكفّ أربعون وأربع  
أقول فيك سميدع كلاً ولا حاشا لمثلك أن يُقال سميدع

والأربع والأربعون هنا ضرورة شعريّة ، فالمئات بل الألوف من الأكفّ كانت عاجزة عن اقتلاع الباب ، ولما كان الباب مثبتاً في سور الحصن ، فاقتلعه يعني اقتلاع جزء من السور معه . بعد أن اقتلع الإمام عليّ ؓ باب خيبر حمله ووضع جسرأ فوق الخندق ليعبر جيش المسلمين عليه . يقول عبد الله بن عباس : «والله الذي لا إله غيره ، إنّ عليّاً لما وضع الباب على الخندق لم يكف الباب ، فوضع يده تحت الباب وأشار باليد الأخرى إلى الجيش ليعبر ، فعبر جيش المسلمين على يد عليّ بن أبي طالب» . والإمام عليّ ؓ يقول في «نهج البلاغة» : «ما خلعت باب خيبر بقوة جسمانيّة» . وفي هذا إشارة إلى قوّة الإيمان والتفاني في حبّ الله وإعلاء كلمته وفي ذلك ما فيه من كرامة ومعجزة ، هناك بطولات أخرى يذكرها التاريخ للإمام عليّ ؓ في حصار خيبر وفتحها واقتلاع بابه . وبعض الذين في قلبهم مرض يتعامون عن هذه البطولات ، فدعهم في ضلالهم يعمهون . قال تعالى : ﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾ (١) .

بعد الانتصار العظيم في خيبر ، تزوج الرسول ﷺ من صفية بنت

(١) سورة الزمر ، الآية : ١٩ .



حتى بن أخطب وهو من كبار زعماء اليهود . وعندما كان بلال يقتاد صفية إلى الرسول ﷺ مرّ بها على مصرع أبيها وأخيها ، فأخذت تئن وتبكي . سمعها الرسول ﷺ فقال لبلال : «هل نزع الله الرحمة من قلبك ؟ كيف تمرّ بالفتاة على مصرع أبيها وأخيها» . قارنوا هذا الموقف وما فيه من رحمة بموقف بني أمية في عاشوراء حيث مرّوا بينات رسول الله على مصارع القتلى من أهل البيت وأنصارهم .

أما قوله تعالى : ﴿أذلة على المؤمنين﴾ ، فهو في الإمام عليّ عليه السلام الذي وصف بأنه كان يعظم أهل الدين ويقرب المساكين .

وأما قوله تعالى : ﴿وأعزّة على الكافرين﴾ ففي بطولات عليّ وشدّته على الكفار إن في بدر وأحد وحنين وإن في الخندق وخيبر وجميع المعارك التي خاضها حباً لله ولرسوله وانتصاراً للإسلام والمسلمين . كما أن الله تعالى أعطى الإمام عليّاً عليه السلام مهابة سابغة أورثها لذريته . يقول أصحابه : «ما كنا نكاد ننظر إلى وجهه لهيبته . ومع تقريبه إيانا وقربه منا ، ما نكاد نكلّمه لهيبته . وكان الإمام الحسن عليه السلام إذا خرج وجلس عند باب داره عصراً ، تنقطع السابلة . لأنّ أحداً لن يمرّ كرامة للإمام الحسن وتهيباً له . فلما عرف الإمام الحسن عليه السلام بذلك ، ترك الجلوس على باب داره . وسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ، تهيبه أعداؤه حتى بعد أن خرّ شهيداً . فضلاً عن الشجاعة والمهابة ، فقد جعل الله في قلوب المؤمنين محبة صادقة لأهل البيت . فالمؤمنون دائماً وأبداً منجذبون إلى حبّ أهل البيت . تماماً كما ينجذب الحديد بالمغناطيس . قال تعالى : ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ (١) .

**\* قال الرسول ﷺ : «لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء» :**

إننا نعاود الحديث في هذا الموضوع للتأكيد على أهميته ونظراً لما في

(١) سورة مريم ؛ الآية : ٩٦ .

الإعادة من إفادة . وبإدء ذي بدء ثمة حقيقة لا بدء من تبيانها وهي أن حبّ الرسول ﷺ يشتمل على حبّ الأنبياء جميعاً . أما حبّ أهل البيت فله وجود كامل وقائم بذاته . قال الرسول ﷺ : « لا تصلّوا عليّ الصّلاة البتراء » . وهذا حديث في صحيح البخاري ومسلم وفي سائر كتب الحديث . سأله أصحابه قائلين : « وما الصّلاة البتراء يا رسول الله ؟ » قال ﷺ : « أن تصلّوا عليّ وتركوا أهل بيتي ، بل قولوا اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد . » . وبعض الناس ممن لا يدرك أهميّة الصّلاة على محمّد وآل محمّد يصلّي على الرسول ﷺ بالقول وبشكل عابر : « صعى وسلّم » . هكذا يلفظها مطلّساً « صلّي الله عليه وسلّم » . وكثيراً ما نسمع هذه الصّلاة لا أقول البتراء بل الممسوخة من الإذاعات وكأنّ وقت المتحدّث لا يتّسع للصّلاة على الرسول وآله ﷺ . فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

قال الله تعالى : ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (١) . أي أن الله سبحانه وتعالى يبارك الذي يصبر على المصيبة ولذا تجوز الصّلاة عليه أي الدعاء إلى الله أن يصلّي عليه . هذا بالنسبة لأيّ مسلم صبر على مصيبة . فكيف الأمر بالنسبة لأهل البيت ؟ ألا تجب الصّلاة عليهم ؟ . قبل ثمانمئة سنة ، كان العلامة الحلّي ، رضوان الله عليه ، في إيران ، ودار في حضرته نقاش في هذا الموضوع ، وكان في الحضور سيّد من الموصل فتدخّل في النقاش قائلاً للعلامة الحلّي : «بأيّ وجه تجيزون الصّلاة على آل النبيّ ؟ فردّ عليه العلامة الحلّي قائلاً : «إنّ في القرآن والحديث أدلة كثيرة توجب الصّلاة على آل النبيّ ، فقال السيّد أعطني دليلاً واحداً» - تصوّروا هذا سيّد أي من أهل البيت ومتضايق من الصّلاة عليهم - فقال العلامة : «قال الله تعالى : ﴿الذين أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم

(١) سورة البقرة ؛ الآيتان : ١٥٦ - ١٥٧ .

المهتدون ﴿ فقال السيد : «آية مصيبة أصابت أهل البيت» ؟ فقال له العلامة : «آية مصيبة أصابت أهل البيت ؟ ! إنَّ من أكبر المصائب التي أصابت أهل البيت كونك ابنهم ومع ذلك فإنك متضايق من الصلاة عليهم» .

إذن الصلاة على أهل البيت واجبة بنص كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ . وكذلك الأمر بالنسبة لمحبة أهل البيت . ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ (١) فحب أهل البيت هو أجر رسالة الرسول ﷺ . وأهل البيت هم المعصومون الذين طهرهم الله : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ (٢) . هؤلاء الذين أخرجهم رسول الله ﷺ معه يوم المباهلة ، لقد فعل ذلك على رؤوس الأشهاد وكأنه يقول : «فلينظر العالم أجمع وليعلم أن هؤلاء هم أهل بيتي» . ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ (٣) - ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ﴾ وقد أخرج معه الرسول ﷺ للمباهلة الحسن والحسين .

- ﴿ ونساءنا ونساءكم ﴾ أخرج معه فاطمة الزهراء .

- ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ أخرج معه علياً بن أبي طالب وهو نفس النبي

بنص القرآن .

فالأمر في منتهى الوضوح . فأمام العالم أجمع لم يخرج الرسول ﷺ معه من الأبناء سوى الحسن والحسين ﷺ . ولم يخرج من النساء سوى فاطمة الزهراء ﷺ . اقتصر عليها مع وجود أمهات المؤمنين ، ولم يخرج واحدة منهن . ومع وجود بنت شيبه الحمد صفيّة بنت عبد المطلب ، مع وجود هؤلاء جميعاً ، أخرج معه الزهراء والزهراء فقط ، لماذا ؟ لأنها

(١) سورة الشورى ؛ الآية : ٢٣ .

(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

تمثل نساء المسلمين جميعاً ، ولأنها سيّدة نساء العالمين ، فهي المطهّرة المعصومة بنصّ القرآن الكريم ، ومع وجود الكثيرين من الصحابة لم يخرج الرسول ﷺ معه إلاّ عليّاً بن أبي طالب عليه السلام فهو وحده يمثلّ نفس النبيّ ومنزلته منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام.

\* الباقر عليه السلام: «إنّ شرّ الآباء من دعاه الحبّ إلى الإفراط ، وشرّ الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق» :

يحمل الإنسان في قلبه حبّاً هو حبّ الفطرة ، وهو الحبّ الصافي الذي يغمر به زوجه وأبناءه ، وأقرباءه وأصدقاءه وأخوته المؤمنين وجميع الناس الذين يستحقّون حبه . ولكنّ لهذا الحبّ موازين وحدود يجب أن لا يتعدّها . مثلاً إن إفراط الأب في حبّ أولاده يفسدهم إذ يجعلهم اتكاليين نهمين كسالى ، كذلك فإنّ حرمانهم منه يفسدهم إذ يجعلهم حاقدين ناقمين مجرمين . وبكلمة واحدة ، إنّ مغالاة الأبوين في حبّ أولادهم تدمير للأولاد نفسياً وخلقياً . قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ شرّ الآباء من دعاه الحبّ إلى الإفراط ، وشرّ الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق» . فالأب الذي يقصّر في واجباته نحو أبنائه وبناته يدفعهم بذلك إلى العقوق . أما الأب الذي يبالغ في حبّ أولاده فيهرع لتلبية جميع ما يطلبونه فإنّه يدمر في نفوسهم فضيلة الاعتماد على النفس كما يجعلهم جاهلين بحقيقة الحياة التي تعلّمنا أنّ ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه .

ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه      تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

تصوّر طفلاً لم يتعلّم المشي بعد ، وهو إن مشى فإنّه يترنّح في مشيته ، وبعد بضع خطوات يقع أرضاً . تصوّره يلعب بكرة بين يديه وأبواه ينظران إليه . يضرب الكرة فتدحرج وتستقرّ بجانب أحد الجدران يحبو نحوها ليستعيدها ، وعندما يصل إليها ولأنّه لا يعرف كيف يمشي متوازناً يصطدم رأسه بالجدار ، في بادئ الأمر لا يصدر عنه أيّ ردّ فعل . بل ينظر إلى ردّ فعل أبويه ، فإذا بدا عليهما الفزع والإفراط في الحنان . وهرعا

إلى تلقّفه وضمّه صرخ وسالت دموعه وكأنّ روحه قد خرجت من جسده .  
أمّا إذا ابتسم الأبوان وشجعاه على المضيّ في اللعب فإنّ الولد يتسم  
ويمضي في لعبه ، وفي هذا الموقف درس تربويّ للولد له أبعاد الأثر في  
حياته ، إذ يعلمه أنّ في الحياة عوائق وعقبات وحواجز يجب أن يتبّه إليها ،  
وأنّ عليه أنّ لا يستسلم لليأس إذا ما اصطدم بها ، وهو معرّض للاصطدام  
بها في كثير من الظروف والأحوال . أمّا الأبوان اللذان لا يدركان دورهما  
التربويّ وخطره ، فإنّهما يتخذان الموقف الأوّل . وبموقفهما المغالي في  
الحنان يقضيان على شخصيّة الطفل وإمكانية تكيفه مع ظروف الحياة الأمر  
الذي يؤدي إلى فشله وسقوطه .

وردود فعلنا على ما نراه لها أهميتها إن داخل الأسرة وإن خارجها ،  
وهي متفاوتة من شخص إلى آخر . تصوّر جماعة من الناس في الشارع  
وثمة طفل يعبر الشارع ، وفجأة تمرّ سيارة بسرعة فتدهس الطفل . لاحظ  
ردود فعل الناس المتواجدين في مكان الحادث ترى أن بعضهم يمضي في  
سبيله وكأنّ شيئاً لم يكن . بينما تسمع بعضهم الآخر يكتفي بالتعليق على  
الحادث قائلاً : مسكين هذا الطفل ، ساعد الله أبويه ، وقبح الله سائقي  
السيّارات الذين لا يحسبون حساباً لسرعتهم وطيشهم ، وثمة فريق ثالث  
يهرع إلى الطفل فيحتضنه ويعمل على نقله إلى أقرب مستشفى وبأقصى  
سرعة ممكنة .

ولا جدال في أن ردّ الفعل الصحيح والإنساني حقاً هو ردّ فعل هذه  
الفئة . أمّا أولئك الذين لم يأبهوا للحادثة ومضوا في سبيلهم ، وكذلك  
أولئك الذين اكتفوا بالتعليق على الحادثة وبالرثاء لحالة الطفل وأهله وبالنقمة  
على السائقين الطائشين عليهم جميعاً أن يعودوا إلى أنفسهم فيحاسبوها  
ويصحّحوا مواقفها وردود فعلها .

ولنضرب مثلاً آخر . لتصوّر طفلاً يتيماً دخل إلى مجلسنا ، وأخذ  
يتصفح وجوهنا وكأنه يبحث عن أبيه . إنّ أحبّ موقف إلى الله في هذه

الحال . أن يقوم أحدنا فيحتضن الطفل ويمسح بيده على رأسه ويقبله قائلاً له : «أنا أبوك يا بني وهؤلاء إخوتك وأعمامك ، ونحن جميعاً في خدمتك ، فماذا تريد يا ولدي ؟» . وأبغض موقف إلى الله في هذه الحال ، هو أن ينظر أحدنا إلى هذا الطفل شزراً ، ثم لا يكتفي بذلك بل يُهرع إلى ضربه وانتهاره وطرده وكأنه لم يسمع بقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله جلّ القائل : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالذِّينِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾<sup>(٢)</sup> ، فقد جعل الله دعّ اليتيم أي لطمه بمنزلة الكفر . وقد يكتفي أحدنا بالثناء للطفل دون أية مبادرة تنفعه وتخفف من ألمه وبؤسه . إن هذا الموقف الوسط لا يجدي الطفل شيئاً . إن الموقف الصحيح هو الموقف الأول . قال رسول الله ﷺ : «من مسح على رأس طفل يتيم كتب الله له بكلّ شعرة مرّت عليها يده نوراً» .

﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾<sup>(٣)</sup> :

لا أجمل ولا أحبّ للإنسان ، من أن يحبّ الناس وأن يكون محبوباً منهم . فالحبّ ليس حراماً . والحبّ الذي أعنيه هو الحبّ الشريف البريء الطاهر . هذا الحبّ منطلقه الأساس هو حبّ الإنسان لله . وهو الحبّ الذي يقيم المجتمع ويشدّ وشائج القربى ويمكنّ دعائم الأسرة . هذا هو الحبّ الذي أعنيه وأدعو إليه . وليس الحبّ الذي يكون منطلقه حبّ الشيطان هذا الحبّ الذي يقوّض أسس المجتمع ويفتت وشائج القربى وينسف دعائم الأسرة . أن يحبّ المؤمن مؤمنة بغرض بناء أسرة مؤمنة وبمنأى عن كلّ ما يدنس هذا الحبّ ، ذلك من الأمور المستحبة وهو من أخلاق الأنبياء . قال الله تعالى : ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة الضحى ؛ الآيتان : ٩ و ١٠ .

(٢) سورة الماعون ؛ الآيتان : ١ و ٢ .

(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ٧١ .

(٤) سورة التوبة ؛ الآية : ٧١ .

﴿وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة﴾<sup>(١)</sup> :

عندما أنزل الله عزرائيل عليه السلام إلى الأرض ليقبض روح النبي إبراهيم الخليل عليه السلام قال إبراهيم متوجّهاً إلى الله : «يا ربّ أرأيت خليلاً يميت خليله ؟ !» . فسمع جواباً على قوله : «يا إبراهيم أرأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه ؟ !» . فقال إبراهيم عليه السلام : «يا عزرائيل ، يا ملك الموت ، لقد آن الآن ، خذ روحي فأنا راغب في لقاء وجه الله» .

إنّ المؤمن بالله ، الذي لم يقصر في واجباته نحو ربّه . فصلّى وصام وزكّى وحجّ إذا كان مستطيعاً ، ووصل الأرحام وحافظ على حقوق الآخرين ، ولم يغتب أحداً ولم يكذب ولم يشهد زوراً ، وقام بواجباته تجاه مجتمعه وأسرته ، وتجاه ذوي رحمه وجيرانه وزوجه وأولاده . إن هذا المؤمن يستبشر بلقاء ربّه . ومتى مات بكته الأرض وبكته السماء . قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا مات المؤمن بكاه كلّ شيء حتى السماء والأرض» .

إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يوم وفاته في أحسن أحواله ، إذ أنّه كان مستبشراً بلقاء ربّه . ولم تتغيّر حاله هذه إلّا عندما دخل عليه الحسين وهو لما يزل طفلاً صغيراً فاحتضنه وضمّه إلى صدره وبكى .

فاطمة الزهراء عليها السلام استبشرت وضحكت عندما أخبرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنّها أول من يلحق به من أهل بيته . وكانت قد بكت قبل ذلك . فلما سئلت لماذا بكيت ثمّ ضحكت ؟ . أجابت قائلة : «لقد بكيت لأنّ أبي أخبرني بأنه مفارق إيانا اليوم . ثمّ ضحكتُ واستبشرتُ لأنّه أسرّ لي وأخبرني بأنني أول من سيلحق به من أهل بيته» .

الإمام عليّ عليه السلام ، عندما رأى السيف يهوي عليه وهو ساجد في المحراب صاح ضقائلاً : «فزت وربّ الكعبة» .

الإمام الحسن عليه السلام . عندما سرى سمّ الغدر في جسده الطاهر وفعل

(١) سورة عبس ؛ الآيتان : ٣٨ و ٣٩ .

فعله فأخذ الإمام عليه السلام يبصق كبده دماً في طشت أمامه ، التفت إلى أخيه الإمام الحسين وقال له وهو مستبشر : «يا أبا عبد الله لا تهرق بسببي ملء محجمة دماً» . وعندما سمع طرقاتاً على الباب قال لأخيه : «نحّ الطشت عني وأبعده» . فقال له الحسين عليه السلام : لماذا يا أخي ؟ فأجابه قائلاً : «إنّ أختك الحوراء زينب قد جاءت ولا أريد لقلبها أن يتألم» .

قال الإمام زين العابدين عليه السلام : «كان أبي الحسين يوم عاشوراء يزداد تألقاً كلما تزايدت عليه البلايا والمصائب ، حتى قال بعض أعدائه : «والله لقد شغلني نور وجهه عن التفكير بقتله» .

بهذه الروح العالية والنفس المستبشرة يتوجه أهل البيت للقاء ربّهم .  
إنّهم المثل العليا التي على كلّ مؤمن أن يرنو إليها ويقتدي بها .



## خلق الإمام علي في التعامل (\*)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«واشعر قلبك الرحمة للرعية ، واللطف لهم ، والحنان لهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق» . هذه فقرة من كتاب الإمام علي ، صلوات الله وسلامه عليه ، إلى مالك الأشتر النخعي ، هذا الكتاب يعد وثيقة ذات أهمية كبرى لإقامة حكومة إسلامية ، ولنظام الدولة الإسلامية . ولكن ما يهمنا من الكتاب هذه الفقرة بالذات ، لأنها تعرفنا على حقيقة أهل البيت ، فقد اختار الله ، تبارك وتعالى ، لهم الأصباب الشامخة ، والأرحام المطهرة ، وخلقهم أنواراً قدسية تتلأأ حول العرش يوم خلق الله السموات والأرض ، وقال تعالى : ﴿إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس ، أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً﴾<sup>(١)</sup> .

ألست تخاطب الإمام الحسين ، سلام الله عليه ، في الزيارة إلى النجف الأشرف فتقول : «أشهد أنك طهر طاهر ، مطهر من طهر مطهر ، طهرت وطهرت بك البلاد ، وطهر حرمك ، وطهرت أرض أنت بها» . انتهى

(\*) أقيمت هذه المحاضرة في الليلة الحادية عشرة من شهر محرم سنة ١٤٠٠ هـ .

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

الطهارة ومنتهى الصفاء في أهل البيت سلام الله عليهم . فقد اختارهم الله ليكونوا مسيرة مكملة للقرآن الكريم ، ويكونوا رافداً من روافده يستقي منه المسلمون في العالم ، لأن التعاليم الإسلامية الصحيحة لا تصل إلا عن طريق أهل البيت ، ففي نظرهم أن السعادة البشرية يجب أن تشمل كل البشر ، حتى عبدة الأوثان والأصنام . . حتى هؤلاء لهم حق في الحياة . . لهم حق في السعادة التي يسببها الإسلام .

وشاهدنا على ذلك كلام الإمام ، أمير المؤمنين ، وهو يخاطب مالك الأشتر قائلاً : «يا مالك ، لقد وجهتك إلى مصر ، إلى بلاد خرجت عليها دول من قبلك ومن بعدك ، والناس ينظرون إليك في أمورهم ، فواجبك أن : «أشعر قلبك الرحمة للرعية» الرعية تعني المسيحي والمسلم واليهودي والمجوسي وأهل الكتاب . . . يقول له : «أشعر قلبك الرحمة للرعية واللفظ لهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ، ضارياً تغتتم أكلهم . . أي لا تعتد على أعراضهم أو أرزاقهم . والرعية صنفان : إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق» . . فإما أن يكون مسلماً أو يكون مسيحياً أو يهودياً أو وثنياً ، هذا الصنف هو نظير لك في الخلق ، فهو إنسان مثلك يحتاج إلى ما تحتاج إليه ، أما دينه فهو مسألة بينه وبين ربه ، ما دام لم يسء إلى الإسلام ، فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ، إِنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(١)</sup> .

ويقول الإمام الصادق : ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم . أي عامل المسيحي بالأخلاق الإسلامية ، طالما لم يقاتلك أو يخرجك من ديارك ، أما إذا أشهر عليك الحرب ، فلك الحق في إسقاطه من عصمتك ومن ذمة الإسلام ، فالإسلام يقاتل الكفار المعتدين ، أما الكفار المسالمون ، فلهم الحق في العيش تحت ظل الإسلام بأمان واطمئنان ، ولهم الحق في أن

(١) سورة الممتحنة ؛ الآية : ٨ .

يشعروا باللطف والرحمة . .

وإذا أردت أن تعرف أبعاد رحمة الله تعالى ، فتعال نبحث عنها في حياة أهل البيت ، وتعالوا نتعرف على حياتهم وعلى معاملتهم للناس .

ولنبداً أولاً بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه وخير الكلام ما قيل فيه :

خُلِقَ يُخْجَلُ النِّسِيمُ مِنَ اللَّطْفِ      وَبِأَسُّ يَذُوبُ مِنْهُ الْجِمَادُ  
صَوْرٌ مَا تَجْمَعُنَ فِي أَحَدٍ قَطْ      وَلَا حَازَ مِثْلَهُنَّ الْعِبَادُ

فقد جمع في حياته من البطولات والعظمة والشجاعة ما جعله أمير الحرب إلى جانب كونه أمير المؤمنين ، لكنه كان إذا جنّ الليل ترى دموعه تنساب من عينيه تقى وإيماناً وزهداً بهذه الحياة الدنيا ، فهو يملك في الحروب قلب البطل ، وفي الرأفة والرحمة قلب الطفل البريء .

ويصف ضرار الإمام فيقول : «كان غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، بعيد المدى ، إذا جنّ عليه الليل ، ذاب في خشية الله . . يطرق أبواب السماء باباً باباً» :

مَا لِي سِوَى قَرَعِي لِبَابِكَ حَيْلَةٌ      فَإِذَا رَدَدْتَ فَأَيُّ بَابٍ أَقْرَعُ  
جُمِعْتَ مِنْ صِفَاتِكَ الْأَضْدَادُ      فَلِهَذَا عَزَّتْ لَكَ الْأَنْدَادُ

فكل أهل البيت ، سلام الله عليهم ، تتميز حياتهم بالشدة مع الكفار وبالرقة مع المؤمنين ، فهم جمعاً وأفراداً يمثلون الإسلام الصحيح ويعكسون تعاليم القرآن الكريم . . انظر إلى قوله تعالى :

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ، رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> .

فهم ﴿أذلة على المؤمنين ، أعزّة على الكافرين﴾ .

فهذه الصفات لا تجدها إلا في أهل البيت ، وليست موجودة في

(١) سورة الفتح ؛ الآية : ٣٩ .

سواهم . يقول خَبْرُ الأُمَّةِ عبد الله بن عباس : «كنت مع سيدي علي بن أبي طالب في صفين ، فطلب الإمام ماءً ، فجثته بإناء فيه ماء ، فتناوله وأطال النظر فيه ثم امتنع عن الشرب منه ، فسألته عن السبب فقال : الإناء ليس نظيفاً ، والنظافة إيمان ، والصحة مهمة في الحروب . فهل لك بإناء آخر . وحين أحضرت له إناءً نظيفاً ، شرب ، ثم نظر إلى السماء ، فقلت له : عمّ تبحث يا سيدي ؟ فقال : ابحث عن الشمس ، وهو يعني وقت الصلوة . فقلت : يا أمير المؤمنين ، نحن في حرب ، ولا نعلم متى تنهال علينا السيوف والرماح والسهام ، ومع ذلك فأنت تبحث عن الصلوة . فقال : يا ابن عباس ، لا فرق بين الصلوة والصحة والجهاد» .

لقد جمع الإمام في قوله هذا بين ثلاثة أمور : الأمر الأول الصحة بالإناء ، والأمر الثاني الصلوة بمعنى الدين ، والأمر الثالث الجهاد . ألا ترى معي أن الإسلام جامع وأنه وحدة لا تتجزأ .

### **قصة سويدة الهمدانية :**

وإليكم هذه القصة عن امرأة من قبيلة همدان تدعى سويدة الهمدانية ، لتعرفوا ما هو الفرق بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبين أمير المارقين معاوية بن أبي سفيان . . ولكي تعرفوا ماذا يزرع الأول في نفوس رعيته ، وماذا يزرع الثاني .

ففي يوم صفين ، يوم تجمعت قوى الشر وعصائب الكفر لمنازلة علي بن أبي طالب وجمهور المؤمنين ، كاد جيش الإمام في هذا اليوم أن ينهار ، وهو لا يبلغ تعداده العشرة آلاف جندي غير مدرّبين تدريباً نظامياً كافياً ، أمام جيش معاوية المؤلف من جيش الروم النظامي والذي يتجاوز عدده الخمسين ألف جندي مدرّبين تدريباً عالياً ، ويتمتعون بخبرة عمرها أكثر من خمس مائة سنة وينفذون أوامر قادتهم بدقة متناهية ، بينما جيش الإمام كثيراً ما كان يخرج على أوامر قائدة ، وقد عبّر عن ذلك الإمام

بقوله : « لا رأي لمن لا يُطاع » .

في هذا الوقت العصيب ، وقفت سويدة الهمدانية على رأس قبيلتها وأخذت تنشد الأشعار والأهازيج الحماسية ، ترددها معها نساء القبيلة ، فدبّ الحماس في رجال القبيلة وهجموا هجمة واحدة على جيش معاوية ، وانزلوا به الهزيمة ، فأوغر ذلك صدر معاوية ، وسأل عن المرأة ، فسميت له ، فأقسم على الانتقام ولو بعد حين .

وكرت الأيام ، وتوفي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فأرسل معاوية بُسر بن أرطأة إلى البصرة والياً . ومنذ وصوله أخذ يسلب الناس أموالهم ويسجنهم ويقتلهم ويصادر ممتلكاتهم ، وكان ممن صادر أراضيهم سويدة الهمدانية التي كانت تملك ثلاثة بساتين مثمرة يعمل فيها عدد من الفلاحين .

وحين علمت سويدة بالأمر ، توجهت إلى بُسر وخاطبته قائلة : يا بُسر ، لقد استوليت على أرضي دون وجه حق ، فأنا أدفع الزكاة والخمس وكل الضرائب المفروضة ، فأنا أخيرك بين أن تعيدها إليّ أو أحمل عليك الناس بالخيل والعتاد حتى أخرجك من البصرة .

فلم يأبه بُسر لتهديدها ، وأصرّ على مصادرة البساتين ، فما كان من سويدة إلا أن اعتلت ناقتها وتوجهت إلى الشام لمقابلة معاوية . ولما علم معاوية بمجيئها تذكر حادثة صفين ، فطلب أن تمثل بين يديه .

فدخلت سويدة وأمارات التعب والغضب بادية على وجهها ، فبادرها معاوية : ما عندك يا سويدة ؟ فأخبرته بما فعله عامله بُسر . فسألها : ماذا تطلبين ؟ قالت : أن تعيدوا إليّ ما سلب مني . قال لها بسخرية : ألسنت أنت التي حرصت قبيلتك ضدنا في صفين ؟ فأجابت : أراك تجترّ الماضي وتخرج عن الموضوع . فاستشاط غضباً ، وطلب من الجلاد أن يحضر السيف والنطع . لكن سويدة حافظت على رباطة جأشها ، ولم ترتعد خوفاً ولم تطلب عفواً أو رحمة ، بل أخذت تنشد أبياتاً تذكر فيها أمير المؤمنين

وتعظمه وتعدّد مآثره وفضائله على الإسلام والمسلمين .

فهزّت هذه الأبيات مشاعر الحاضرين في المجلس ، وتجاهل معاوية في بداية الأمر ذكر علي ، وسألها : من هذا الذي تذكّرينه في شعرك ؟ فأجابت : هو سيدي ومولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال لها : كيف تجرئين على ذلك ؟ قالت : لأنني رأيت فيه موقفاً ، ورأيت منك موقفاً . قال لها : ماذا تعنين ، أفصحني أيتها المرأة . قالت : لما توجهت إلى علي اشكو ظلم عامله في البصرة ، ترك الصلاة وسألني : ما عندك يا سويذة ؟ فذكرت له ما كان من عامله ، فسالت دموع الإمام وأخرج ورقة من جيبه ، وهو يردد : «ما أرسلت إليكم حاكماً يظلمكم» . وكتب عليها أمراً بعزل الوالي حملته أنا بنفسي .

وها أنا أشكو ظلامتي ، فتأمر أنت بقتلي . فتأثر معاوية كثيراً حتى قيل إنه بكى وقال : رحمة الله عليك يا أبا الحسن . ثم أمر بإعادة البساتين إلى سويذة ، لكنها رفضت إلا أن تحمل معها أمر عزل بسر عن البصرة .

سويذة هذه هي واحدة من النساء اللواتي صنعهن الإمام علي بن أبي طالب : فأهل البيت هم وحدهم الذين يصنعون مثيلات سويذة في الشجاعة والإقدام والوقوف في وجه الباطل مهما كان صاحبه قوياً .

### «من مآثر علي عليه السلام» :

ومن مآثر أمير المؤمنين أيضاً أنه حين طلب منه مالك الأشتر في معركة صفين أن يمنع عن معاوية وجيشه الماء ، كما فعلوا هم حين قدروا على ذلك ، أجابه الإمام : لا ، يا مالك ، ذلك معاوية وأنا عليّ . نعم ، أين معاوية المنافق من علي المؤمن ، وأين يزيد الكافر من الحسين الزاهد ، وأين الوليد الفاسق من الإمام الباقر ؟ وهل تقارن العلم والمعرفة والإيمان بالجهل الفسق والمجون ؟ وما أصدق هذه الأبيات لشاعر يقول :

ليس الرشيدُ كموسى في القياس ولا مأمونكم كالرضا إن انصفَ الحكمُ

إذا تَلَّوْا آيَةً غَنَى خَطِيبُكُمْ      قَفَّ بِالْدِيَارِ الَّتِي لَمْ يَغْفِهَا الْقِدَمُ  
تَبَدُّو التَّلَاوَةَ مِنْ أَيْبَاتِهِمْ سَحَرًا      وَفِي يَبُوتِكُمْ الْأَوْتَارُ وَالنَّغَمُ

ويوم عاشوراء ، يوم الحادي عشر من المحرم ، فإن المسلمين كلهم على اختلاف مذاهبهم ومللهم يشعرون في هذا اليوم بخطورة الحدث في كربلاء ، هذا الحدث الذي ترك جرحاً بليغاً في الإسلام وشرخاً كبيراً بين المسلمين ، ومع ذلك فإن الجميع متفقون أن الذي حدث هو كفر وخروج على الإسلام ، لأن الذي يقتل الحسين حفيد النبي كأنه قتل النبي نفسه .. إن صرخة الحسين يوم كربلاء : « وحق جدي أنا عطشان » لا تعبر فقط عن حاجته للماء ، بل هي تذكير للمتقين من هو الحسين ، ومن هو جده ... لذلك وصلت صرخته أمس واليوم وستصل غداً إلى العالم لتظهر وحشية الأمويين وبعدهم عن الإسلام .

فماذا حدث في يوم الطف ، يوم الجرائم التي يندي لها الجبين خجلاً ؟ لقد قتلوا الإمام الحسين ، فبكى عليه الإنسان والجماد والحيوان ، نعم ، جواد الحسين ، الذي هو جواد الرسول ، سهل وبكى وأخذ يحوم حول الإمام ، وهو يضرب بحوافره وكأنه يندبه ، أحاط به الفرسان ، فصرخ عمر بن سعد : دعوه ، فإنه من جواد رسول الله . وقف فوق جسد الحسين يستجديه أن ينهض لأن ظهره محرم على غيره ، فحاول الإمام مرتين ولكنه سقط . وهجم الكفار على خيام النساء وأحرقوها ، فعلت أصوات الأطفال وهم يحتمون بأمهاتهم ، والنساء عطشى لا يدرّ حليبهن ، والأطفال غرثى جائعون لا حليب في أثداء أمهاتهم . ودوي صوت العقيلة زينب من فوق تل صغير وهي تصرخ : يا أخي حسين ، إن كنت حياً فأدركنا ، فهذه الخيل هجمت علينا ، وإن كنت ميتاً ، فأمرنا وأمرك إلى الله . سمع الحسين هذا النداء ، فحاول النهوض ثانية ، لكنه سقط من جديد ، فتوكأ على سيفه ونادى : يا شيعة آل أبي سفيان ، إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم ، ولا تأتوا على عائلتي ، ثم سقط السقطة الأخيرة ، فكبر المشركون ..

ويكبّرون بأن قتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلا

فاقترب منه جواده ، وأخذ يمرّغ ناصيته من دمه الطاهر الشريف ، ثم  
عضّ سرجه بضمه فقطعه ، واتجه نحو خيمة الحسين ، فخرجت زينب ورات  
الجواد دون راكمه ، فبكت حتى أغمي عليها .

ثم تسوجت هي والنساء والأطفال ، يتقدمهم الجواد إلى جسد  
الحسين ، وأخذت النساء يندبته ويلطنن صدورهن :

فواحدة تحنو عليه تضمه وأخرى تظلّله بالرداء .

وسأل عمر بن الحجاج عمر بن سعد : يا ابن سعد ، ماذا تفعل بهؤلاء  
الأطفال والنسوة ؟ هل تريدهم قتلى أم سبايا . فأجاب : غداً ، نرسلهم  
سبايا إلى مجلس ابن زياد ، فقال عمر بن الحجاج ، إذاً ، علينا أن نمّدهم  
ببعض الماء حتى يستطيعوا البقاء على قيد الحياة ، إنهم بأشدّ حالات  
العطش . وحين أحضرت قرب الماء ، أسرع الأطفال الأبرياء ينهلون منها  
قبل أن يقضي عليهم العطش ، إلا طفلةً واحدة هي رقية ابنة الثلاث سنوات  
وابنة إمام الشهداء ، الحسين عليه السلام ، فبدلاً من أن تحذو حذو رفاقها ،  
قامت تُحضر سجادة الصلاة لأبيها ، وكان قد عودها سلام الله عليه على  
هذا الأمر ، وسألت عمّتها زينب ، عمّتي ، أين والدي ؟ أما أختها فاطمة  
ابنة السبع سنوات ، فقد أخذت إناءً فيه ماء ، وأسرعت نحو أرض  
المعركة ، فنادت عمّتها زينب : إلى أين ، يا قرّة عيني ؟ فأجابتها فاطمة  
الصغيرة : إلى أبي الحسين ، أسقيه الماء . .

أما زينب ، فحين عرض عليها خول بن يزيد الماء ، قالت :

أنا أشرب لذيد الماء حاشي وأهلي قضوا كلهم عطاشي

وأما الرباب التي فقدت رضيعها عبد الله ، فقد تحجّر ثديها من كثرة  
ما درّا من لبن ، وراحت تبحث عن طفلها وهي تبكي وتنوح .

إنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم ، وآخر  
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



## منهج الإمام علي في تطهير المجتمع (\*)

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (١) .

لا بد من مقدمة قبل البحث في هذه الآية الكريمة . والمقدمة تقودنا إلى القول إن الإنسان مادي النزعة . هذا يعني أن الله تبارك وتعالى عندما خلق الإنسان خلقه من قبضة من الطين ونفحة من روحه . قبضة الطين تشدّه إلى الأرض لأنها تمثّل الغرائز ، والنفحة ترفعه إلى القمة لأنها من روح الله .

والمادة كما هو معروف طبيعتها الانحدار ، إنها قاعدة في علوم الفيزياء يعرفها جيداً المتخصّصون في هذه العلوم ، فالمادة طبيعتها الانحدار ما لم تدعم بقوة ضاغطة . ما معنى ذلك ؟ هل يمكنك أن تصوّر أن الماء الجاري يمكن أن يجري من أسفل إلى أعلى ؟ هل يمكن ذلك ؟ كلا ، فإذا أردنا ذلك نحتاج إلى قوّة ضاغطة تدفع الماء إلى الأعلى لأن الماء مادة ، والمادة طبيعتها الانحدار الذي يتمّ بواسطة قانون الجاذبية ، هكذا الإنسان وكل شيء في هذا الكون يخضع لهذا القانون .

(\*) أقيمت هذه المحاضرة في الليلة التاسعة من شهر محرم سنة ١٤٠٠ هـ .

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٩٠ .

والإنسان ينحدر وينحط بواسطة غرائزه ، ويرتفع ويسمو بواسطة عقله ، فهو إذاً يقف بين نقطتين متضادتين مختلفتين : القمة الشامخة ، والهاوية السحيقة . فهو إما مع الملائكة وإما مع الشيطان .

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ : ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ﴾<sup>(١)</sup> إذا تذكرنا القاعدة الفيزيائية نقول : إن كل شيء في خسر في هذا الكون : الكواكب ، والقمر ، والشمس ، الهواء ، العناصر الكيميائية ، الكرة الأرضية كلها في خسر ، لأن الكل يفقد من حرارته وطاقته وقوته . فالشمس مثلاً ، هذه الكتلة الملتهبة العملاقة التي تدور في الفضاء الشاسع تطرح في كل ثانية طاقة حرارية تفوق ما صرف الإنسان منها منذ آدم عليه السلام حتى اليوم . فأين تذهب هذه الطاقة ؟ إنها تنتشر في الفضاء لتصل إلينا ولكن بنسبٍ معينة ، وهذا من عجيب صنع الله تبارك وتعالى .

﴿وَالْعَصْرُ﴾ . لماذا يقسم الله بالعصر ؟ وما معنى العصر ؟ إنه الوقت ، إنه عمرك الذي به يمكن أن تدخل الجنة ، .

﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ . لاحظوا الاستثناء . الكل في خسر مهما جمع من أموال الأولين والآخرين ومهما بلغ من المراتب ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتعاملوا مع الله سبحانه وتعالى معاملة صادقة ، فالإيمان لا يكفي وتلاوة القرآن لا تكفي ، والدعاء لا يكفي ، والتصريح أمام الناس بعدم القيام بأعمال تمسّ جوهر الدين لا يكفي ، لأن الدين هو إيمان في القلب ونطق في اللسان وعمل بالأركان يظهر في سلوك الإنسان من خلال معاملته لأخيه الإنسان . وليعلم الجميع بأن الإيمان بلا عمل لا يساوي جناح بعوضة عند الله تعالى ، أما الإيمان والعمل فهما شأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يرفعهم الله تعالى إلى أعلى عليين : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

(١) سورة العصر ، الآية : ١ .

من سلالة من طين»<sup>(١)</sup> ، «ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين»<sup>(٢)</sup> .

لاحظوا الدقة : هناك أعلى عليين ، وهناك أسفل سافلين . والإستثناء نفسه يتكرر في كثير من الآيات : «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ، وهؤلاء تجاوزوا كل العقبات التي واجهتهم وبذلوا من أجل ذلك جهداً وعناءً ، فهل تستطيع أنت أن تصعد جبلاً مثلاً دون بذل مجهود وتعب ؟ كنا كثيراً ما نسمع أو نقرأ عن الذين يتسلقون قمم الجبال العالية في همالايا كانوا ينعنونهم بالأبطال العظام ، لماذا ؟ لأن الإنسان المتسلق مع وعورة الطريق وخطورته يبذل جهداً كبيراً ليصل إلى القمة إلى «أعلى عليين» على الأرض ليصبح بطلاً . وكذلك فإن الإيمان الصادق والعمل الصالح يصلان بك إلى «أعلى عليين» في الآخرة لأنك تتجاوز العقبات التي تعترضك وتبذل من أجل ذلك كل ما استطعت من طاقة وقوة .

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ : «فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة»<sup>(٣)</sup> كأنه يريدك أن تتساءل عن العقبة . وما أدراك ما العقبة ؟ إنها فك رقبة (تحرير رقبة) يريد القول إن الإنسان إذا حرر رقبة كأنه تجاوز العقبة . فالإنسان لا يستطيع تحرير الآخرين دون تحرير نفسه من الشهوات ، وإذا لم يستطع تحرير نفسه من الشهوة والغريزة والشيطان فلن يستطيع اقتحام العقبة لأن اقتحام العقبة تفسيرها : فك رقبة . وهل تستطيع أن تفك رقبة وأنت عبد شهواتك وغرائذك ؟ لا ، إذاً العقبة معناها أيضاً الغرائز التي تحول بينك وبين القمة .

تريد مثلاً أن تصلي صلاة الصبح فتأتيك غريزة النوم مع يد الشيطان الثقيلة لتقولاً لك : نم هنيئاً فالوقت ما زال متسعاً ، فنام ولا تصلي . إنها

(١) سورة المؤمنون ؛ الآية : ١٢ .

(٢) سورة التين ؛ الآية : ٥ .

(٣) سورة البلد ؛ الآية : ١١ .

العقبة . لم تفتحها ، لم تقم نشيطاً ، لم تصل ، والنتيجة أنك وقعت في العقبة .

تريد أن تبني مسجداً من أموال طائلة وهبك إياها الله ، يأتيك الشيطان الذي يقف عند الصراط المستقيم منتظراً يترصد بالمؤمنين ليغويهم ويردّهم ، لا ينتظر أمام الملاهي والحانات لأن أهلها لا لزوم لإغوائهم فهم يسرون أصلاً إلى الهاوية ولكنه لا ينتظر إلا في الصراط المستقيم ، في المساجد ومجالس الهداية فإذا وقفت للصلاة أتاك هذا الشيطان يوسوس لك ليحول بينك وبين صلاتك فتفكر في إيجار بيتك وقسط سيارتك وقضاء السهرة وديونك وغير ذلك من الأمور التي لم تكن تخطر على بالك قبل الصلاة لماذا ؟ لأن الشيطان مطمئن إليك قبل الصلاة ، لا يأتيك ولا يزورك إلا عند الهداية والوقوف أمام الله سبحانه وتعالى . ولذلك نردّد دائماً : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللعين .

فلا أقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة . هلى تعتقد أنها مسألة بسيطة ؟ هل تتصوّر أن هؤلاء الرجال ، رجال الإيمان والحقّ الذين ضحوا بدمائهم وأموالهم وكل ما يملكون من حطام هذه الدنيا ، هل تتصور أن المسألة كانت عندهم بسيطة ؟ يقول المتنبّي :

لولا المشقة ساد الناس كلّهم الجود يُفقر والإقدام قتال

شيء طبيعي ، لولا المشقة لأصبح كل الناس عباقرة ، لكن الذي يُتعب نفسه ويواصل السير ويذلل الصعاب لا بدّ أن يصل . فلا أقتحم العقبة . إنها الغرائز والشهوات والفتن واقتحامها يكون بالإيمان والإرادة الصلبة ، واقتحامها يعني فكك النفس من ربة العبودية . يقول الإمام علي عليه السلام : أشجع الناس من غلب هواه . ويقول غاندي محرّر الهند : إن قهر العالم يحدّ السيف أهون من قهر شهوات الإنسان .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ومن يُشرك بالله فكأنما خرّ من السماء

فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكانٍ سحيقٍ ﴿١﴾ .

من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار . لماذا ؟ لأن الشرك خيانة عظيمة إنه ليس ذنباً . الشرك خيانة كبرى ، فالله تبارك وتعالى أفاض عليك الوجود وأعطاك الحياة لتعبد إلهاً غيره ؟ ! إنها الخيانة بعينها .

﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ ﴿٢﴾ .

﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ﴿٣﴾ .

وقوله : ما دون ذلك يعني الذنوب البسيطة غير الشرك ، فالشرك خيانة . ﴿يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ ﴿٤﴾ ، القرآن الكريم يضع أمامنا سلسلة من المحرمات ويدعونا إلى تجنبها والابتعاد عنها من أجل سلامة المجتمع ، لأن المجتمع شأنه شأن جسم الإنسان إذا تعرّض للأمراض تظهر عليه علامات تدل على وجودها . قرحة المعدة مثلاً لها علامة الصفراء ، الدوار ، التقيؤ ، الألم . ، السلّ مثلاً ، أعاذكم الله من كل بلاء ، من علاماته النزف في الداخل ، الحمى المستمرة ، الصداع المستمر ، يذهب المريض إلى الطبيب فيكتشف من خلال الفحص السريري أن لديه نقصاً في العناصر الكيميائية وانحراف في قضايا أخرى فيعالج هذا الانحراف ويعيد الجسم إلى حالته السليمة . وهكذا المجتمع يُصاب بأمراض كثيرة تظهر علاماتها واضحة أمام أعين الجميع ، فما هي هذه الأمراض ؟ إنها الذنوب التي تكون سبباً لخروج صاحبها عن الخطّ الصحيح فتتهتك عصمته ، وهناك أيضاً أمراض اقتصادية تصيب المجتمع أو سياسية تفتك بالحكم أو عائلية تقضي على سلامة الأسرة .

(١) سورة الحج ؛ الآية : ٣١ .

(٢) سورة لقمان ؛ الآية : ١٣ .

(٣) سورة النساء ؛ الآية : ١١٦ .

(٤) سورة الزمر ؛ الآية : ٥٣ .

ففي دعاء كميل بن زياد المنسوب للخضر عبارات تقول : «اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم» كشراب الخمر : «اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم» كعدم قضاء حوائج الآخرين وعدم الإحساس بالمسؤولية وعدم الشعور بآلام المعذنين ، هذه كلها وغيرها تنزل النقم في المجتمع . لماذا ؟ لأن المحرومين في المجتمع يتحولون إلى مجرمين محترفين ينشرون الفوضى ويكونون سبباً لاستشراء الفساد . «اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تُغيّر النعم» كترك قوانين رب العالمين ، وترك قراءة القرآن الكريم ، وإبدال الإقتصاد الإسلامي بالإقتصاد الماركسي أو الرأسمالي ، وتنحية الثقافة الإسلامية والتزام الثقافة الغربية .

«اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء ، اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء» ومثلها قول الإمام زين العابدين في الصحيفة السجادية : «اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تدل الأعداء» أي تجعل للأعداء دولة كدولة إسرائيل التي نصّبوها لنا خنجراً في قلب المسلمين والإسلام ولم تزل حتى وقتنا الحاضر بسبب ذنوبنا ، نحن المسلمين ، حيث تركنا الله سبحانه وتعالى وهجرنا قرآنه ونسينا مبادئ أهل البيت : علماء النفس ، وعلماء الاجتماع ، وعلماء التربية وهؤلاء الذين يعرفون الحياة معرفة اليقين .

### كيف عالج الإسلام هذه الذنوب ؟ :

الإسلام عالج هذه الذنوب معالجة رائعة في بعديها الداخلي والخارجي . ففي البعد الداخلي زرع الإيمان في النفوس وأكد عليه بخلق رقابة داخلية عند الإنسان فانت في شهر رمضان مثلاً تعطش كثيراً وتجوع كثيراً ، تدخل الحجرة في بيتك فإذا الماء أمامك والأكل أمامك ، لكنك لا تشرب من هذا ولا تأكل من ذلك . لماذا ؟ لأن الرقابة الداخلية والتقوى والإيمان وأوامر الله كل ذلك يمنعك من ذلك .

أما في البعد الخارجي فقد حرم الإسلام الحانات التي تُرتكب فيها المعاصي وتكون سبباً لانتشار الفساد ، وأمر المرأة بالتزام الحجاب ﴿وإذا

سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ﴿١﴾ .

هذا الحجاب الذي يهزأ منه الغربيون وينعتوننا بسببه بأننا جهلة . إنهم لا يعلمون أن السفور يؤدي إلى الرذيلة ، إن نظرة واحدة إلى أجهزة التلفزيون كل مساء ترينا الدرك الذي وصل إليه الغرب من وراء أفلام الخلاعة والسفور ، والأنكى من ذلك أن المسؤولين عندنا يسمحون بعرض دعاية في التلفزيون كلها قبح وكلها فساد وكلها خلاعة وكلها زنا يمكن أن تؤدي بأجيالنا إلى إفسادهم وجرهم إلى الطرق التي لا يرضاها الشرفاء الأطهار ، الفضيلة هي الفضيلة والرذيلة هي الرذيلة ولا يمكن أن يأتي يوم من الأيام تتساوى فيه الفضيلة مع الرذيلة .

السفور حرام في الإسلام ، والحجاب أمر الله به . وسأتيك بعض الدسّاسين ليقولوا : فتيات الجامعات يتحجّبن ليتزوجن . وماذا يريد الدسّاسون والغياري على الإسلام ؟ هل يريدون ألا يتزوجن ؟ إذا كانت المحجبة تريد أن تتزوج ، فماذا تريد السافرة أن تفعل ؟ كلام بعيد عن المنطق ، بعيد عن الروح الإسلامية ، فنحن مسلمون لنا قرآنا الذي يشرع لنا أمور ديننا ومنها آيات الحجاب التي يتفق عليها المسلمون كافة في كل أرجاء العالم الإسلامي . هذا لا يعني أن ليس في هذا العالم بعض الجهلة الذين نهلوا من الثقافة الغربية والذين هم أنفسهم يلزمون نساءهم بترك الحجاب ، هؤلاء لا يُقاس عليهم ، هؤلاء ابتعدوا عن تعاليم دينهم وارتموا في أحضان أعداء الإسلام الذين لا يضمرون له إلا الشر والتأخر ، والذين يريدون امتصاص ونهب خيراتنا بطرق ملتوية غير أخلاقية يابها الإسلام والمسلمون ويجبرون ذوي النفوس المريضة على نشرها في مجتمعنا ليعيشوا فيه فساداً وخراباً وتدميراً ، إنكم ولا شك تشاهدون على شاشات التلفزيون السهرات العامرة حيث الرقص وهزّ البطون يُحييها مسلمون يتشدقون بالإسلام وهم منه براء ، حيث العربي سيّد الموقف .

(١) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٥٣ .

إن في مجتمعنا أيها الأخوة جرائم يسدى لها جبين الإنسان ولذلك علينا أن نشجع الفتيات على ارتداء الحجاب لأن فيه هبتها وكمالها وجمالها وأنوثتها ، إن ذلك أفضل ألف مرة من أن تذهب الفتاة إلى المزيّن يدغدغ شعرها وخذّيتها وأهدابها . نحن أهل غيرة وحمية ، نحن المسلمين لا نسمح بأن تذهب الفتاة إلى الخياط ليدخلها في الغرف السوداء لمعرفة قياس خصرها وأردافها وصدورها . . . أيّ كلام هذا ؟ ! أيّ أخلاق هذه ؟ ! أين الإسلام ؟ أين صلاتنا ؟ أين القرآن الكريم ؟ .

تريدون مني أن أوافقكم على مثل هذه الأمور يا مسلمين ؟ إن رسالة الإسلام واضحة لا لبس فيها ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر . عندنا الجنة وعندكم الجحيم . عندنا الله سبحانه وتعالى وتعاليمه وعندكم الشيطان الموسوس . عندنا طريق الحسين وطريق الإمام علي وطريق أهل البيت وعندكم طرق الكفار والزناديق والملاحدة . عندنا الأسرة المسلمة المحافظة التي تخاف الله وتصون كرامتها وكرامة أولادها ، وعندكم الأسرة المفككة الفاسدة التي يعمل أفرادها كل على ليله . عندنا المحتشمون وعندكم العهار . ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾<sup>(١)</sup> .

ويسألون على المصافحة ، فنقول إن المصافحة بين فتاة ورجل أو امرأة ورجل حرام ، وكل شاب يحق له أن يتزوج فتاة تحرم عليك أيتها الفتاة مصافحته إلا ما أمر الله به .

نعود لنقول إن الإسلام زرع رقابتين في مجتمعنا : واحدة داخلية وأخرى خارجية . فالداخلية هي قوة الإرادة والتقوى والضمير والإيمان والأخلاق ، والخارجية تنظيف المجتمع من الفساد . هويتنا أيها الأخوة إسلامنا ومتى فقدت الأمة هويتها سقطت واندثرت ، فإذا أردنا المحافظة على هويتنا يجب علينا أن نحافظ على إسلامنا ، ومبادئ إسلامنا من

---

(١) سورة النور : الآية : ٣٠ .



تراثنا نحن لا من تعاليم الغرب ولا من الشرق . نحن عندنا حضارة وحضارتنا عريقة ونحن صدّرنا الحضارات ، ألم تسمعوا بجابر بن حيّان ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، والشيخ الطوسي ، والبهائي وغيرهم وغيرهم . الغربيون أخذوا علومنا ولم يأخذوا أخلاقنا ونحن ، مع الأسف ، أخذنا أخلاقهم ولم نأخذ علومهم وهنا المفارقة .- نحن أخذنا الأخلاق المشوّهة القبيحة وأعطيناهم العلم الجميل الخلاق .

تحضرني الآن طرفة . كان برناردشو الفيلسوف الساخر قبيح الوجه والمنظر وكانت زوجته بارعة الجمال لكنها بليدة غيّبة . قالت له مرّة : يا برناردشو اطلب من الله أن يرزقنا ولدًا بجمالي وذكائك ، أي أن يكون جميلًا وعبقريًا في الوقت نفسه . فأجابها برناردشو بالسرعة المعهودة عنه : أخشى ، أيتها الزوجة ، أن تنقلب المسألة فيأتي الطفل بجمالي ويكون بذكائك أنتِ .

ونحن الآن ، في مجتمعنا هذه الأيام ، بهذا الشكل ، بذكاء زوجة برناردشو وجماله هو ، لأن أخلاقنا ضاعت واستبدلناها بأخلاق مشوّهة ، وعلومنا ضاعت فسرقها الغرب فلم نأخذ علوم الغربيين ولم نحافظ على أخلاقنا . أعطيناهم علومنا وأخذنا أخلاقهم . تلك قسمة ضيزى . أكثر من ذلك أننا نتلاعب بمبادئ ديننا ، نحرف ونجتهد من غير وازع أو ضمير .

### تحريم الخمر :

هناك من يقول : إن القرآن لم يحرم الخمر فهو يقول : ﴿فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ هذا قولهم ، فإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد الحرمة موجودة ومغلظة . فالله سبحانه وتعالى حرم علينا أشياء قليلة لأضرارها .

فالمحرمات كلّها إذا حسبناها تعدّ على أصابع اليدين : القتل ، الزنا ، شرب الخمر ، الكذب ، الربا ، القمار ، وإذا أكملت ربما تصل إلى العشرة أو تزيد لكن هناك مليار شيء موجود في الحياة يُعتبر مباحاً وحلالاً ، لأنه كما يقول الفقهاء : الأصل في الأشياء الإباحة ، أما الحرمة فيجب أن

يكون عليها نصّ . يعني أصل القاعدة هي الإباحة ، والحرمة استثناء من القاعدة . فالله سبحانه وتعالى أباح لنا ملايين الأطعمة والأشربة ولكنه حرّم علينا لحم الخنزير والخمر . . . لماذا ؟ لأضراره . فالخمرة مثلاً رأس كل خطيئة ، لأن مفتاح الشرّ في الخمر وهذه مسألة معروفة .

خبروا رجلاً بين ثلاثة أشياء ، قالوا له : إمّا أن تشرب الخمر أو تزني أو تقتل أباك .

وسلطوا عليه سلاحاً . ففكّر : هل يزني ؟ لا ، أ يقتل أباه ؟ وكيف يقتله ؟ ! قال : إذا أفضل شيء أن أشرب الخمر فهذا أهون شرّ . فشرّب الخمر فشمّل فزنا وقتل أباه . إذاً الخمر ، كما قلنا ، رأس كل شرّ ولذلك فإن الإسلام يحارب الخمرة محاربة شعواء ، فهي من الناحية الصحيحة تسبّب تشمّع الكبد ، وتؤدي إلى تصلّب الشرايين وانتفاخ خلايا الدماغ ، وتكون سبباً في اضطراب الجهاز العصبي ، وهناك أضرار كثيرة غيرها تنتج عنها تجدونها في كتب الطبّ ، ففي حالة الاتصال الجنسي إذاً كان الزوجان مخمورين تكون الولادة غير طبيعيّة إذ يُصاب الطفل في جهازه العصبي ، وهذه قاعدة معروفة لأن المادة الموجودة في الخمرة تسبّب رجّة عنيفة في الحمويين ، في النطفة ، في الخليّة ، في الكروموسومات ، في الجينات الوراثية . ولذلك يقول الرسول ﷺ ما معناه : أيما امرأة متزوجة لبّت طلب زوجها الجنسي وهو سكران لعنتها ملائكة السماء والأرض . وفي قول آخر : أيما امرأة نامت مع زوجها وهو شارب الخمر ، عليها بعدد نجوم السماء من اللعن . لماذا ؟ للحفاظ على النسل سليماً مُعافى من الأمراض العقلية وغير العقلية . والإسلام يريد أن يحافظ على سعادتنا عن طريق ضبط المسألة من البداية : من الأم والأب . ففي حديث : من زوّج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها . وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام : من زوّج كريمته من شارب خمر كأنما ساقها إلى الزنا . لأن شارب الخمر ليس لديه غيره ولا شرف . والآية الكريمة جمعت الأمور المحرّمة في هذه العبارة ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من

عمل الشيطان فاجتنبوه ﴿ فالأنصاب جمع نُصْب أي الأصنام التي تنصب وتقام على ظهر الكعبة ، والأزلام نوع من القمار يقسم به . أما الخمرة فكانت منتشرة في الجزيرة العربية ، وعندما جاء الإسلام رأى أن منعها وتحريمها مرة واحدة فيه صعوبة فاتخذ لها علاجاً تدريجياً ، علاجاً نفسياً وبالتدريج . فأول آية نزلت : بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ (١) هذه كانت أول آية نزلت ولوحت إلى تحريم الخمرة . كيف ؟ : من ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه ، يعني من ثمرات النخيل والأعناب سكرأ أي خمرة . . . ورزقاً حسناً : إنها أنارت الضوء الأحمر على حرمة الخمرة . فقد عزلت الرزق الحسن عن السكر ، كأنما الآية تريد أن تقول : إن السكر ليس برزق حسن . الرزق الحسن هو التمر والزبيب والخل والدبس الذي يستخرج من العنب ومن النخيل تتخذون منه سَكراً . ضممتها قرينة : تقابل لغوي . قال : ورزقاً حسناً . وهل للخمرة رزق حسن ؟ لا . إذن هنا إشارة إلى حرمة الخمر ولكن كما يُقال : من بعيد لبعيد . لماذا ؟ لأنها إلى الآن ما حُرِّمت . ثم قال : ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ لأن شارب الخمر لا يستطيع أن يحفظ عقله . ثم بعد فترة وجيزة نزلت الآية الأخرى . بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم : ﴿ ويسألونك (يا محمد) عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ (٢) لماذا فيهما منافع للناس ؟ لأنهم كانوا يبيعونها ، وكانت تجارة رابحة لكن الإثم أكبر من النفع ، لماذا ؟ لأن الخمر تؤدي إلى الأمراض النفسية والجسدية وتؤدي بالتالي إلى هدم العائلة وتمزيق المجتمع وإفساده . إنها إثم كبير .

هذه الآية الثانية التي تلوح إلى تحريم الخمرة ، وهي كما تلاحظون

(١) سورة النحل ؛ الآية : ٦٧ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢١٩ .

أشدّ من الأولى . هاتان الآيتان قسمتا المجتمع إلى شطرين : فمنهم من ترك الخمرة ، ومنهم من بقي بين بين . وبعد مرور عشرين يوماً نزلت الآية الثالثة : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سُكاري حتى تعلموا ما تقولون﴾<sup>(١)</sup> هنا تحديد للوقت . فإذا أراد شخص ما أن يشرب الخمر عليه ألاّ يصلّي وهو في هذه الحالة ، لأن القرآن يقول : لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى .

ثم نزل قوله تعالى في سورة واضحة ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾<sup>(٢)</sup> لِنَرْ هذه الآية وندقق فيها . فـ ﴿إنما﴾ أداة حصر أي أن الحكم الإسلامي ينحصر بها . والميسر (القمار) والأنصاب يعني الأصنام والأزلام نوع من القمار أيضاً . إن الآية الكريمة حصرت الخمرة بالأصنام . وهل الأصنام محلّلة ؟ يعني عبادة الصنم جائزة ؟ صحيح أن الآية لم تقل «حرام» إنما قالت : اجتنبوه . الإشكال نفسه يأتي على الأصنام ، فهل هذا يعني أنه يجب علينا أن نعبد الأصنام لأن الله لم يقل إنها حرام ؟ إذاً الآية حصرت الحرمة ، ثم قالت ﴿رجس من عمل الشيطان﴾ ولفظة رجس تشمل الخبائث كلّها والخبائث كلّها محرّمة ﴿ويُحلّ لهم الطيبات ويُحرّم عليهم الخبائث﴾<sup>(٣)</sup> وتضيف الآية : ﴿من عمل الشيطان﴾ الخمر من عمل الشيطان . وأنا أسألكم وأسأل كل المؤمنين : هل عمل الشيطان حلال أم حرام ؟ فقوله ﴿اجتنبوه﴾ يعني حرمة ومغلظة أيضاً ومؤكّدة في عبارة ﴿من عمل الشيطان﴾ إذاً عمل الشيطان حرام . وقوله ﴿اجتنبوه﴾ ربما تكون أشدّ من الحرمة . والدليل على ذلك إذا قلنا هذه الشجرة حرام فإننا نستطيع أن ننام تحتها مثلاً أو نجلس على جذعها ، لكننا لا نستطيع أن نقرب منها نهائياً إذا قيل لنا : اجتنبوا هذه الشجرة .

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٤٣ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٩٠ .

(٣) سورة الأعراف ؛ الآية : ١٥٧ .

لحم الخنزير حرام . إذا كنت مدعواً إلى مائدة عليها أصناف اللحوم وبينها لحم الخنزير ، وطلبوا منك لحمًا لتأكله فإنك تقول : أريد لحم غنمٍ مثلاً وأنا مسلم لا آكل لحم خنزير وتبقى جالساً حول المائدة . ولكن ، هل تستطيع أن تجلس إلى مائدة فيها خمرة ؟ أيقن لك ذلك ؟ هل تستطيع أن تقول أريد «بيسي كولا» وتبقى جالساً ؟ كلا . عليك في هذه الحال اجتناب المائدة لأن عليها خمرة التي لعن الله حاملها وبائعها ومشتريها والجالس إليها ، في حين لا يشترط ذلك في لحم الخنزير . إذاً لفظه ﴿اجتنبوه﴾ أشد قوة من لفظتي الحرمة والحرام . ثم قالت الآية : ﴿لعلكم تفلحون﴾ يعني إذا اجتنبت الخمرة والقمار واتجهتم إلى الله لعل الله يكتب لكم الفلاح .

وهناك آية تشير إلى حرمة الخمر أيضاً : ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾<sup>(١)</sup> الإثم يعني الخمر . فامرؤ القيس يقول :

شربت الإثم حتى زال عقلي      كذاك الإثم تذهب بالعقول

أيها الأخوة ، باختصار أقول : علينا أن نحفظ مجتمعنا وأولادنا وبناتنا ، علينا أن نحافظ على أخلاق الأسرة والمجتمع بشكل عام ، على حجاب المرأة ، على زواج الأولاد ، على التربية الصحيحة ، على طبع الكتب التي تدعو إلى تهذيب النفس والتحلّي بالفضائل ، علينا أن نلتفت حول الإسلام حتى نستطيع أن نتجه إلى الله سبحانه وتعالى ، وفي الوقت نفسه علينا ألا ننسى الصلاة التي هي ركن أساسي من أركان الإسلام ، علينا أن نتجاوز العقبة التي تحتاج إلى الإرادة والإيمان وقراءة القرآن ونهج البلاغة والسنة النبوية وأحاديث أهل البيت ، علينا الالتفاف حول العلماء ، حول منابر الحسين لأنها مدارس الإسلام التي توضح لكم كل ما غمض وكل ما استتر وخفي ، وعن الحسين يقول المرحوم محمد عبده رئيس الأزهر سابقاً : لولا الحسين لمابقي لهذا الدين من أثر . وهذا صحيح لأنك إذا دخلت إلى أي مسجد من مساجد المسلمين في أندونيسيا أو الهند أو

(١) سورة الأعراف ؛ الآية : ٣٣ .

باكستان أو تركيا أو إيران أو العراق أو القاهرة . . . إذا دخلت أي مسجد من مساجد المسلمين لتصلي فاعرف أنك مدين بصلاتك للإمام الحسين ، الذي منه نستمد القوة والشجاعة والإقدام ومحاربة البغي والظلم ، منه نستمد الفضائل والتقوى وليس من يزيد بن معاوية الذي يقول فيه الشاعر بولس سلامة :

وترفق بصاحب العرش مشغولاً عن الله بالقيان الملاح  
ألف الله أكبر لا تساوي بين كفيّ يزيد نهلة راح  
تتلظى في الكأس شعلة خميرٍ مثل طيّ اللهب في المصباح  
عنست في الدناني بكرة فلم تدنس بلثمٍ ولا بماءٍ قراح  
أيها المؤذن المبكر لا تهتف وإن شئت فاعتصم بالبحاح

فشتان ما بين هذا السكر الفاسق وبين صاحب النفس الطاهرة الحسين الشهيد صاحب مدرسة الفداء في الإسلام - إنه كان مثلاً للفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، هذا البطل العظيم الذي يقول :

عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فإنها لو بقيت لأحدٍ أو بقي عليها أحد لكانت للأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا ، غير أن الله خلق الدنيا للبلاء وخلق أهلها للفناء فجديدها بالٍ ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر فتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## في مصرع الإمام علي

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال إمامنا ومولانا عليّ أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوة وأزكى السلام : «والله لأن أبيت على حَسَكِ السَّعدانِ مُسَهِّداً وأجرّ في الأغلال مُصَفِّداً ، أحبُّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد أو غاصباً لشيء من الحطام . وكيف أظلم أحداً لنفسي يسرع إلى البلا قفولها ويطول في الشرى حلولها ؟ ! والله لقد رأيت أخي عقيلاً وقد أملت حتى استمأحني من بركم صاعاً ، ورأيت صبيانه شعث الشعور غُبرَ الألوان من فقرهم ، كأنما سُودت وجوههم بالعظم ؛ فعاودني مؤكداً وكرّر عليّ القول مردداً ، فأصغيتُ إليه سمعي فظنُّ أني أبيعُ ديني وأتبعُ هواه مفارقاً طريقي ، فأحمتُ له حديدةً فأذنتُها من بدنه ، فضجَّ ضجيج ذي دَنَفٍ من ألمها وكاد أن يحترق من مبسمها ، فقلت له : يا عقيل ثكلتكَ الثواكلُ ! أتئنُّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرتني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه ؟ أتئنُّ من الأذى ولا أئنُّ من لظى ؟ ! » .

عليك صلوات الله يا أبا الحسن والحسين ! ورد عنه عليه السلام أنه قال :  
«أنا عبدُ الله وأخو رسوله ، وأنا الصّدِّيقُ الأكبرُ» .

### الإيمان طاقة تشد بين القلوب :

الإمام عليّ أخٌ للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا لا إشكال فيه ، لأن المؤمنين

إخوة . فالإيمان طاقة هائلة تشدّ القلوب وتجمعها في بوتقة واحدة وتربط بينها بأواصر أقوى من أواصر الدم والنسب : ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> أَلَّفَ بين قلوبهم بالإيمان ؛ ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾<sup>(١)</sup> إخواناً برابط الإسلام . ويقول تعالى في آية أخرى : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> لماذا ؟ لأن كل ما في الأرض من ثروة لا اعتبار لها في ميزان الإيمان . . . ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> عزيز في أمره وتدبيره ، حكيم فيما اختاره لخلقه .

وسائل الدنيا لو اجتمعت لا تستطيع أن تشدّ قلب رجل إلى قلب رجل آخر ؛ قد تظن أن صاحبك يتبعك ويواليك من أجل أنك تُمدّه ببعض المال ؛ ولكنك متى توقفت عن عطائه انسحب عنك وكأن شيئاً لم يكن بينكما ، ولكن الرابطة الأخرى رابطة الإيمان بالله والأخوة في الإسلام هي التي تربط القلوب وتشدها برباط لا تنفصم عُراه . وهذه مسألة هامة من مسائل علم النفس البشرية في الإسلام التي أتقن أمير المؤمنين معرفتها وغاص في أعماقها وكشف أسرارها .

### تشبيه الطاقة الإيمانية بالطاقة الكهربائية :

ولأقرب لكم الأمر أكثر، أضرب لكم مثلاً بسيطاً: فطاقة الإيمان تشبه الطاقة الكهربائية التي نعرفها جميعاً ، فلو قمنا بتجربة فيزيائية فأمررنا تياراً كهربائياً في سلك نحاسي ، ثم علّقنا إبرة مغناطيسية في طرف السلك ، فإننا نلاحظ أن الإبرة المغناطيسية سوف تتحرك باتجاه مواز لاتجاه التيار ، فإذا كان اتجاه التيار إلى اليمين فإن الإبرة ستتحرك يمينا ، وإذا كان اتجاهه إلى اليسار فإنها ستتحرك يساراً . وهذه قاعدة فيزيائية وضعها الله تعالى كما

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة الأنفال ؛ الآية : ٦٣ .

(٣) سورة الأنفال ؛ الآية : ٦٣ .



وضع كل القواعد التي يسير بموجبها الكون من الذرة وحتى المجرة .  
المجال المغناطيسي يوافق المجال الكهربائي ، هناك سِنخٌ ووادٍ واحدٌ بين  
الكهرباء والمغناطيس ، فما يؤثر في الكهرباء يؤثر في المغناطيس والعكس  
صحيح ، فتكون هناك حالة تجاذب متوازية بينهما . وقلوب المؤمنين  
كذلك ، تحتوي على طاقات متجاذبة أكبر بكثير من الطاقات المادية  
المتواجدة في الكهرباء والمغناطيس ، إنها طاقة لا مادية غرسها الله في  
قلوب المؤمنين رحمةً بهم وعظفاً عليهم ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (١) فإذا كنت مؤمناً واتقيت  
بإنسان مؤمن ، فتشعر بقلبك ينجذب إليه دون أن تعرف سبباً واضحاً لهذا  
الإنجذاب . وفي المقابل ، فإنك إذا رأيت إنساناً آخر قلبه خالٍ من  
الإيمان فإنك ستتفر منه لا محالة ، فلا مجال هنا للتناسب والتجاذب لأن  
قلبيكما من طينة مختلفة .

### مؤاخاة الرسول ﷺ بينه وبين عليّ عليه السلام :

الإيمان هو الرابط الأعظم بين القلوب ، فعندما آخى الرسول بين  
المهاجرين والأنصار نظر إلى هذا الأمر ولم ينظر إلى أواصر النسب والدم  
والقربة . . . يا فلان ابن فلان أنت أخو فلان ابن فلان ، ويسا عبد الله أنت  
أخو عبد الله ، فجمع كل اثنين منهم في وحدة واحدة . وبقي عليّ سلام  
الله عليه واقفاً يلتفت يميناً ويساراً ، لم يؤاخ بينه وبين أحد من الأنصار ؛  
ولكن لم يَطلِ انتظاره ، فإذا بالرسول الأعظم يأخذ بيديه قائلاً : «يا عليّ  
وأنت أخي !» لماذا إذاً اصطفاه النبي ﷺ لنفسه ؟ لأن الانجذاب النوراني  
بين قلبيهما كان متكاملًا ، روحهما روح واحدة وقلبهما قلب واحد . . «أنا  
وأنت يا عليّ أبوا هذه الأمة . . . «أنا مدينة العلم وعليّ بأبها» فلا إمكان  
لدخول المدينة من دون المرور بالباب ؛ محمد وعليّ عصمة المؤمنين وملاذ  
الطالبين .

(١) سورة مريم ؛ الآية : ٩٦ .

## ملازمة أمير المؤمنين لرسول الله ﷺ :

القلوب النورانية إذاً تنجذب إلى بعضها البعض ؛ وإلى هذا يشير عليٌّ عليه السلام في نهج البلاغة حيث يقول : «أنا من رسول الله كالضوء من الضوء» وكلام أمير المؤمنين واضح ، إنه يريد أن يصوّر علاقته برسول الله تصويراً واضحاً لا لبس فيه ، تصويراً أوضح من النور . . . فكما تتحرك الإبرة المغناطيسية مع التيار الكهربائي أينما أتجه ، فكذلك عليٌّ كان يتحرك مع رسول الله أينما أتجه ؛ يقول : «قد علمتم موضعي من رسول الله عليه السلام بالقرب القريبة والمنزلة الخصيصة ، كان يضمّني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويُسْمِنِي عُرْفِهِ ، وما وجد لي كذبةً في قولٍ ولا خطلَةً في فعلٍ ، ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمّه . . .» . وَصَفَ دَقِيقٌ إِلَى أْبْعَدِ الْحُدُودِ ، وَتَشْبِيهِ فِي مَوْضِعِهِ الْمُنَاسِبِ . لَاحِظُوا النَّاقَةَ وَفَصِيلَهَا تَجِدُوا أَنَّهُ لَا يَضَعُ قَدَمَهُ إِلَى فِي مَوْضِعِ قَدَمِ أُمِّهِ ؛ وَهَذِهِ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَّةٌ مِنْ حُجَجِهِ عَلَى خَلْقِهِ . وَالْإِمَامُ يَقُولُ : «وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرِ أُمِّهِ ، يَدْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عِلْمًا مِنْ أَحْلَاقِهِ وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ» . إِذَا فَتَحَ الْبَابَ أَمَامَنَا لِنَدْخُلَ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ فَالْإِمَامُ عَلِيٌّ هُوَ مَنبَعُ الْإِيمَانِ وَبِحَرِهِ وَسَاحِلِهِ ، بَلْ صَارَ يَمْتَلِكُ الْإِيمَانَ وَكُلَّ الْإِسْلَامِ ؛ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِذَا قَالَ : «بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلَّهُ إِلَى الشَّرْكَ كُلَّهُ» .

## الإيمان يتمثل بأمر المؤمنين عليهم السلام :

فإذا كان أمير المؤمنين هو كلُّ الإيمان بعد رسول الله ، فهذا يعني أنه يملك طاقة جبارة تؤثر على قلب كل مؤمن أينما حلّ حتى ولو كان في أقصى الأرض ، يقول : «يا حارِ همدان من يَمُتْ يَرِنِ !» يخاطب الحارث الهمداني أحد أصحابه ، يقول له : أنا أحضر مع المؤمن حتى في سكرات الموت :

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرِنِ مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مَنْافِقٍ قُبُلًا

فالمؤمن يراني قريباً منه ، والمنافق يراني بعيداً عنه .

قد يطرح أحدكم سؤالاً : من أين جاءت هذه الطاقة الكهربائية التي تملكنا عنها ؟ هذه الطاقة أيها الأحبة لم يُبدعها أديسون ، بل مبدعها هو الله تعالى الذي أودعها في الكون ، وكل ما فعله أديسون هو أنه وضع يده عليها . الطاقة مصدرها الشمس ، ولولا الشمس لم نكن لنرى هذا النور . فهذه الطاقة من الشمس ، والحرارة من الشمس ، والذرات من الشمس ، فما من حركة الكترونية في هذه المجموعة الشمسية إلا والشمس وراءها تديرها وتحركها . إذاً كل حركة تحتوي على طاقة فمصدرها الشمس ، لماذا ؟ لأن الشمس هي هذا الجسم الهائل الذي خلقه الله ليكون مصدراً للطاقة والنور على الأرض . هذا هو ما أردت أن أمثّل به ، فإذا كان الإيمان كُله كامناً في عليّ - كما الطاقة كُلهَا كامنة في الشمس - والرسول ﷺ قال : «برز الإيمان كُله إلى الشُّرك كُله» فهذا يعني أن عليّاً يمثل الإيمان ، فيحرك قلوب المؤمنين في الأرض ويُمدها بالطاقة اللازمة لصالح الأعمال كما تُمدُّ الشمس باقي الأجسام بالطاقة اللازمة لها . يقول عبد الله بن عباس : «كُنَّا على عهد رسول الله نقيسُ إيمانَ الشخص بحبِّه لعلي بن أبي طالب» . وهذه الرواية متفق عليها بين جميع المسلمين ، ومروية في معظم كتب المسلمين من جميع المذاهب ؛ في صحيح البخاري ومسلم وفي الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرها من الصحاح . ونحن اليوم قد ابتلينا في ديننا فلا نكاد نسمع خطيباً يذكر حقائق الإسلام للناس ؛ كل ما يفعله هو أنه يصعد على منبره يوم الجمعة فيلقي موعظة يكون قد حفظها غيباً ، ثم ينزل وينتهي الأمر . ولكن هل هذا هو ما يجب أن يكون ؟ أنتم أيها الأحبة لو جلستم في مجلسنا هذا واستمعتم إليّ ساعة أو ساعتين أو ألف ساعة ، ألا تظنون أن هذه الساعة أو الألف الساعة لا يجب أن تذهب هدرًا ؟ ألا تظنون أن وقتكم له قيمة ؟ الله تعالى سيسألني غداً عن هذه الساعات التي جلستم تستمعون فيها إليّ ، هذه الساعات التي أخذتها من أعمار هؤلاء الناس ماذا أعطيتهم مقابلها ؟ هل بيّنت لهم الحق ؟ هل أطلعتهم على الواقع ؟ الله

تعالى سيسألني ، والرسول وآل البيت أيضاً ، وأنتم أيضاً تسألونني ؛ فأنا مسؤول وكلنا مسؤولون ، ألم يقل سبحانه وتعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾<sup>(١)</sup> ؟ علينا أن نعرف موضع الحقيقة ، وعندما نعرف موضع الحقيقة نستطيع حينئذ أن نأخذ منها ونعطي غيرنا . ابن عباس كان يقول : «كنا نقيس إيمان الشخص بحبه لعلّي بن أبي طالب ، وكان أحدنا يأتي بولده فيقول له : أي بني أتحبّ هذا ؟ ويشير إلى عليّ ، فإن قال : نعم يا أبتاه ! اعتزّ به وضّمه إلى صدره . . . » .

هذا هو أمير المؤمنين علي صلوات الله وسلامه عليه . ولكي تصل إلى قمة الإيمان عليك أن تفهم وتعيّ قوله عزّ وجلّ : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup> ، فربط تعالى الإيمان به بحبّ أهل البيت . فإذا كان الإيمان بالله هو الذي يربط قلوب المؤمنين بعضها ببعض ، فإن حبّهم المشترك لأهل بيت الرسول يشكل رابطاً عظيماً بين قلوبهم .

### علم الامام الباقر عليه السلام:

بالله عليكم انتبهوا إلى الحديث الذي سأرويّه وانظروا هل بإمكان فرويد أو آدلر وغيرهما من علماء النفس الغربيين أن يفسّروا هذه الظاهرة والحقيقة النفسية التي يشرحها الإمام الباقر عليه السلام ؟ ! دخل جابر الجعفي على الإمام الباقر ابن الإمام السجّاد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فقال : يا ابن رسول الله ! ربما أحسستُ بحزن من غير أمر ينزل بي ، فأشعر بكآبة لا أدري سببها ، حتى يظهر الحزنُ في وجهي ويبدو لكل من يعرفني . . . مع أن الصحة جيدة والمال موجود والأهل بخير . . . فما سبب هذا بالله عليك ؟ يقول : فأطرق الإمام الباقر برأسه هنيهة ثم رفعه وقال ! : «يا جابر ! أعلم أنّ الله عزّ وجلّ قد خلق كلّ أرواح المؤمنين من طينة الجنان . وهذه إشارة إلى رفعة حال المؤمن ، فطينة الإيمان من طينة الجنة ، تفوح

(١) سورة الصافات ؛ الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الشورى ؛ الآية : ٢٣ .

منها رائحة الجنة وتتصوّع بعطر الجنة - فهناك انجذاب واثتلاف بين هذه الأرواح ، فإذا أصيبت روحٌ من هذه الأرواح أو حزنت في بلد من البلدان ، حزنت لحزنها الروح الأخرى في بلد آخر من البلدان . . . » .

بالله عليكم ! أين يمكننا أن نتعلّم مثل هذا العلم إذا لم نرجع لأهل البيت ؟ هذا هو علم النفس الحقيقي ، لأنه يشير إل الحقيقة . فالإمام يربط العالم كله برباط الإيمان ، رباط النور . هؤلاء جميعاً مرتبطون برباط التقوى والخشية من الله ، فهذا المؤمن هنا مرتبط بحبّ ذاك المؤمن هناك ، إنه حب طاهر وصادفٍ وخالٍ من أكدار المادة والمصالح الدنيوية التي يشوبها الغشّ والنفاق والبغض والحسد . إنه مجتمع عظيم هذا الذي يشير إليه الباقر عليه السلام ، مجتمع أرضيّ يمثل مجتمع الجنة والنعيم في السماء . هذا الرابط الإيمانيّ هو الذي يحررنا من ربقة العبودية لغيرنا من البشر ، ويربطنا بعزّ العبودية لله تعالى وحده . . يقول الإمام : «من أراد عزّاً بلا عشيرة ، وهيبةً بلا سلطان ، فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عز طاعته !» .

### وصف القرآن للمنافقين والمؤمنين :

ولأذكر لكم هنا مثلاً ! فالقرآن الكريم عندما يتحدث عن المنافقين يصفهم بالخشب المسندة ، كأخشاب قُطعت من شجر الغابة وأسندت إلى الحائط حيث لم يجمعها جبل أو مسمار أو أي رابط آخر ، فإذا لمسها طفل صغير هدمها وفرّقها دون أي جهد ؛ فيقول تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْى يُؤَفِّكُونَ﴾<sup>(١)</sup> ؛ ويصف سبحانه المؤمنين فيقول : ﴿كَأَنْهُمْ بِنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة المنافقون ؛ الآية : ٤ .

(٢) سورة الصف ؛ الآية : ٤ .

## وجوب طاعة أهل البيت

### وبيان المراحل الثلاث في حياة أمير المؤمنين :

«من أراد عزاً بلا عشيرة وهيباً بلا سلطان ، فليخرج من ذلِّ معصية الله إلى عزِّ طاعته» ، معصية الله ذلٌّ لأنها تفرِّق المسلمين وتفتت المجتمع ، بينما طاعة الله عزٌّ ومنعة ، فالمجتمع يكون حينئذٍ «كالعضو الواحد ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» هذه دقة بالغة في التعبير . تقول الزهراء عليها السلام : «وجعل طاعتنا نظاماً للملَّة» عندما يطيع المسلمون أهل البيت ينتظم أمر الملَّة ؛ وهنا نستوعب القضية من جميع نواحيها . علي بن أبي طالب الذي هو أخو النبي وابن عمه وزوج ابنته وأبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، هذا الإمام الذي نتحدث عن جانب من شخصيته العظيمة - والحديث عنه واسع وشيق ورحب كما الحديث عن الحسين وغيره من الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - هذا الإمام علي بن أبي طالب نستطيع أن نميِّز في حياته ثلاثة محاور رئيسية :

المحور الأوَّل : حياته في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحبته .

المحور الثاني : حياته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

المحور الثالث : حياته بعد توليه الخلافة وإمرة المسلمين .

كيف نجد علياً في هذه المراحل الثلاث ؟ .

منذ البداية شاء الله تعالى أن يجعل ولادته عليه السلام في أقدس مكان وأطهر موضع ، فكان أن خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحياة في جوف الكعبة .

ثم أراد الله تعالى أن يُعده إعداداً ربانياً ، فعهد به إلى رسوله الأكرم . وبقي عليه السلام في عهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن بلغ سنَّه العاشرة ؛ وفي هذا الجوِّ الطاهر العابق بأريج الرسالة نشأ أمير المؤمنين ؛ ويقول في هذا

الصدد : «ليس على وجه الأرض بيت يجمع المسلمين غير بيت خديجة ، وما في البيت سوى رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما ؛ وكنت أرافق النبي كل سنة إلى غار حراء متحنثاً معه ، فكنت أستشوق عطر النبوة وأرى نور الوحي بعيني» .

وطيلة ثلاث عشرة سنة لم يفارق عليّ رسول الله لحظة واحدة ، فكان يرافقه أينما ذهب ويقيم معه أينما حلّ . وكان هو وأبوه أبو طالب بن عبد المطلب يزودان عن رسول الله عدوان المشركين في مكة ويدفعان عنه ضيم الأقارب والأبعد ، ولولا أبو طالب وابنه لم يقم للدين قائمة .

### اضطجاع أمير المؤمنين في فراش

#### رسول الله ﷺ ليلة الهجرة :

كان أمير المؤمنين يلازم ابن عمه رسول الله كظله ، وكان يزود عنه ويقيه بنفسه ؛ هكذا فعل ليلة هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة ، فاضطجع عليّ في فراشه معرضاً نفسه للقتل فداءً عن رسول الله الذي خاطبه قائلاً : «يا عليّ ، إن الله أمرني أن أخرج من هذه القرية الظالم أهلها ، وأمرني أن أضجعك في فراشي ، فإن القوم يأتمرون بي لقتلي !» فما كان من عليّ إلا أن أجابه قائلاً : «نفسي لنفسك الفداء ، وروحي لروحك الوقايا رسول الله !» .

وهكذا تلفع عليّ ببردّة النبي ﷺ واضطجع على فراشه منتظراً أمر

الله .

وَرَقَدْتُ مَثْلُوجَ الْفَوْادِ كَأَنَّمَا      يُهْدِي الْقِرَاعُ لِسَمْعِكَ التَّغْرِيدَا  
رَصَدُوا الصَّبَاحَ لِيَنْفَقُوا كَنْزَ الْهَدَى      أَوْ مَا دَرَّوْا كَنْزَ الْهَدَى مَرصُودَا ؟

واقترحهم مشركو مكة الدار وعلى رأسهم أبو جهل وأبو لهب وأبو سفيان وأمّية بن خلف ، وخالد بن الوليد يتقدمهم . وكانوا قد ارتأوا أن يقتلوه وهو مستيقظ ليكون القتل أكثر إيلاماً له ، فأيقظوا المضطجع في الفراش ، فإذا بهم يرون علياً وعلى فمه ابتسامة النصر والظفر ، فخاطبه

خالد : أين ابن عمك ؟ فقال : أجعلتموني رقيباً عليه ؟ حاول خالد أن يضغط على أمير المؤمنين ليعرف مكان رسول الله ﷺ ، فما كان من عليّ إلا أن أمسكه مسكاً واحدة كاد أن يطير منها قلب خالد . فلم يجد المشركون حينئذٍ بداً من العودة على أعقابهم صاغرين مهزومين . عندها هبط جبرئيل على رسول الله ﷺ بشهادة رب العالمين بعليّ بن أبي طالب : ﴿ومن الناس من يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> ، فهو تعالى يعرف أن عليّاً لم يبع نفسه إلا ابتغاء رضاه سبحانه ، لم يطلب أكثر من ذلك ؛ ولذلك كانت مواقفه كلها عظيمة ، لأن نفسه ﷺ كانت عظيمة ؛ وعن النفس العظيمة لا يصدر إلا الأمور العظيمة . وأشار هنا إلى آية نزلت في أهل البيت ، قال تعالى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُهُمْ مُسْتَطِيراً ، وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾<sup>(٢)</sup> ؛ هذه الآية نزلت في بيت عليّ ، فقد مرض الحسنان وجاء رسول الله ﷺ يعودهما برفقة ثلثة من أصحابه ، فقالوا : يا عليّ لو نذرت أن تصوم لله إذا شفي الحسنان ! فنذر ﷺ أن يصوم ثلاثة أيام ؛ وبعد شفاء الحسين أوفى علي بنذرهم فصام هو وفاطمة الحسن والحسين وفضة ، فنزلت هذه السورة فيهم ، سورة الدهر أو سورة الإنسان ، ولا تزال هذه السورة منذ أربعة عشر قرناً تمجد أهل البيت وتثني على مزاياهم الرسولية وأخلاقهم الربانية .

### لماذا لم تذكر الحور العين في سورة الانسان ؟ :

ونلاحظ في هذه السورة أنها أشارت إلى كل أنواع النعيم في الجنان ، ولكنها لم تأت على ذكر الحور العين ، وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن السبب . الإمام الصادق يبيّن لنا ذلك ، فيقول : إنما لم يذكر سبحانه وتعالى الحور العين في هذه السورة ، وقد قرنها بذكر أنواع النعيم في باقي السور التي تذكر فيها الجنة ونعيمها ، كرامة وإحتراماً لجديتي فاطمة الزهراء

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧ .

(٢) سورة الإنسان ؛ الآيتان : ٧ و ٨ .



عليها سلام الله .

يقول جعفر الصادق «جدتي فاطمة» ونحن عندما نسمع هذه اللفظة «جدة» يتبادر إلى أذهاننا امرأة قد تعدت الستين من عمرها . وليس كذلك فيما يتعلق بالزهراء ، فقد كان عمرها حين توفيت سلام الله عليها ثمانين عشرة سنة ؛ ومع ذلك فهي أمنا وأم جميع المؤمنين في العالم ، وكل مؤمن يفتخر بالانتساب إلى سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ابنة سيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام .

إذاً النفوس العظيمة لا يصدر عنها إلا الأمور العظيمة ؛ يقول النبي عليه السلام : «إن ضربة علي يوم الخندق تفضل عبادة الثقلين إلى يوم القيامة!» نعم ضربة واحدة فقط ، ولم يقل عليه الصلاة والسلام «تعادل» بل قال «تفضل» لماذا ؟ لأن نفس علي عظيمة ، فكل عمل يصدر عن هذه النفس لا بد وأن يكون على هذه الصفة .

لم يفارق علي رسول الله طيلة حياته ، فكان معه في السراء وفي الضراء ، وشاركه في جميع غزواته لم يتخلف عن غزوة قط إلا واحدة ، خلفه فيها رسول الله عليه السلام على المدينة ، فأطرق علي برأسه وانتابه الحزن ، فما كان من رسول الله إلا أن ربّت على كتفه قائلاً له : «أما ترضى يا أبا الحسن أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي !» فرضي علي . وكيف لا يرضى من كانت هذه منزلته من رسول رب العالمين ؟ ! . . .

### عفو أمير المؤمنين عن خصومه

#### من بني أمية بعد وقعة الجمل

سيف علي ذو الفقار هو الذي نصر الرسول عليه السلام ، وهو الذي أغلّب كلمة الإسلام وثبتها في قلوب المؤمنين ، وهو الذي نصر الإسلام والمسلمين على عدوهم : «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم

ويثبت أقدامكم»<sup>(١)</sup> ، فأين كانت السيوف الأخرى عندما كان سيف عليّ يشقّ هامّ المشركين ؟ بنو أمية منعوا الرواية عن عليّ ثمانين سنة ، وإذا أراد أحد فقهاء السلاطين أن يذكره كان يقول : «قال أبو زينب» ليتجنب أن يقول «قال عليّ» أو «قال أمير المؤمنين» لماذا ؟ لأن معاوية منعهم من ذكر اسم عليّ على المنابر ، بل تمادى في ذلك وفرض عليهم سبّه سلام الله عليه على المنابر !! يزيد بن سمية لم يكن يطيق أن يسمع اسمه أو اسم أحد من أبنائه الأظهار . آل مروان . . . آل أبي معيط . . . وغيرهم . هؤلاء عفا عنهم أمير المؤمنين يوم الجمل ، وكان بإمكانه أن يقتلهم جميعاً ؛ عندما قابلته النساء بعد معركة الجمل نادينه : يا قاتل الأحيّة ! فقال : لو كنت قاتل الأحيّة لقتلت من في هذه الغرف (وكان هناك أربع حُجَر فيها آل مروان وأتباعهم) ولكنني عفوت عنهم كما عفا رسول الله ﷺ عن أهل مكّة .

### موقفه ﷺ يوم بدر ويوم أحد :

انظر إلى وحدة الموقف بين عليّ وبين رسول الله ﷺ ! وراجع التاريخ ترّ أن نصف قتلى المشركين في بدر كانوا بسيف عليّ والنصف الآخر تكفل به باقي المسلمين . ثم عدّ إلى يوم أحد يوم نزلت المحنة بالمسلمين (ولا أقول هُزموا) ففترقوا عن رسول الله ، وبقي عليّ وحده ينافح عن رسول الله بسيفه وبنفسه . وعلى بعد خطوات وقفت امرأة ، وبألها من امرأة ! نسبية المازنية ، رأت ولدها يولّي هارباً فنادته : إلى أين تذهب ؟ أترك رسول الله ؟ أليس لك أسوة بسيف الله عليّ ؟ . . . والنبي ﷺ يقاتل كتائب المشركين ومعه عليّ ؛ جرح رسول الله وكُسرت ربايعيته ولم يفارقه عليّ ، وبعد انتهاء المعركة سارع عليّ ومعه الزهراء إلى تضميد جراح رسول الله . وانظرها ﷺ تصف شخصية عليّ مخاطبة المولّين يوم أحد : «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، ولكما فغرت فاعرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها (يعني رسول الله ﷺ قذف أخاه عليّاً) ، فلا ينكفيء

(١) سورة محمد ؛ الآية : ٧ .

(يعني الإمام علي) حتى يطاء صمّاخها بأخماصه ، ويخمد لها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمره ، سيداً في أولياء الله ، قريباً من رسول الله ، مُشَمَّراً ناصحاً ، مُجِدِّداً كادحاً . . . وأنتم في رفاهية من العيش ، وإدْعُونَ آمَنُونَ فاكهون ، تترَبِّصون بنا الدوائر ، تتوكَّفون الأخبار وتفرُّون عند القتال ! . . . » .

### فتح خيبر :

ويوم خيبر أيضاً ؛ التاريخ يذكر ، والطبري أيضاً يذكر : ينادي رسول الله أصحابه : هذه الراية تَلَقُّوها ! وهذه حصون خيبر أمامكم دُكُّوها ثم ادخلوها ! يتقدم فلان ، ثم يتقدم فلان وفلان ، ثم يعودون كما ذهبوا وكل واحد منهم يُجَبِّنُ صاحبه . . . فَيُعَلِّنُ رسول الله في القوم : «لَأُعْطِينَ الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ويحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ ، كَرَّارٌ غيرَ فرَّارٍ ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه . . . » فتطلَّعت النفوس واشراَّبَت الأعناق ، كل منهم يرجو أن يكون هو الذي ذكره رسول الله . وعليّ لم يكن فيهم يومئذ ، فقد كان في خيمته يشكو صداعاً في رأسه ورمداً في عينه . يلتفت رسول الله يميناً وشمالاً ثم يقول : «مالي لا أرى عليّاً؟» فيجيبونه : إنه يشكو صداعاً في رأسه ورمداً في عينيه : يقول : «عليّ به !» . فجاءوا به لا يبصر طريقه . فأخذ عليه السلام من ريقه ومسح به عينيه ، فشُفِّيتا في الحال . ثم أعطاه الراية ، فتقدم أمير المؤمنين بها وفتح حصن خيبر .

رواية فتح خيبر نقرأها في جميع المراجع ، باب الحصن لم يكن أربعون رجلاً ليستطيعوا قلعه من مكانه . يروي عبد الله بن عباس فيقول : «تترسَّ عليّ باب الحصن فاقتلعه بيده ثم وضعه على الخندق فكان معبراً للمسلمين إلى داخل الحصن ، وفتح الله على يديه» .

يا قالع الباب الذي عن هزّه عجزت أكفُّ أربعون وأربعُ  
أقول فيك سُمِّيدعُ ؟ كلاً ولا حاشا لمثلك أن يُقال سَمِّيدعُ

أقول إنك أسد ؟ كلاً أنت عليّ . . أنت أمير المؤمنين ، أنت الإمام

العابد التقيّ الزاهد العادل . . . أنت الذي لازمت رسول الله وتخلّقت  
بأخلاقه وأتبعته سيرته . . . أنت الذي أعليت الإسلام ودككت حصون  
الكفر . . . أنت الذي وُلدت في جوف الكعبة وجرت دماؤك على شفّتيك  
في المحراب . . . فكيف أقول إنك سميدع ؟ ! هذا عليّ يوم الخندق ،  
وذاك عمرو بن عبد وّد العامري بطل الأحزاب ، جاء يهتز وينادي :

ولقد بُحِثْتُ من النُّدا هل من مبارز ؟

فما كان إلّا أن خرق صماخ أذنيه صوت يجيبه :

لا تعجلنّ فلقد أتاك مجيبٌ صوتك غير عاجز  
إني لأرجو أن أقيم عليك اليوم نائحة الجنائز  
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

وتقابلا ؛ قال عليّ : قيل عنك إنك كنت تتمسك بأستار الكعبة  
وتقول : ما دعاني أحد إلى واحدة من ثلاث إلّا أجبته . فأنا أدعوك اليوم  
إلى واحدة من ثلاث : الأولى أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول  
الله ! .

(لاحظوا هنا عظم نفس أمير المؤمنين ؛ إنه لا يضمّر حقداً على  
عدوّه ، بل يريد بدعوته إلى الإسلام أن ينجيه من النار . إنه كرسول الله  
رحمة للعالمين ؛ وهكذا أهل بيت النبوة . ففي الخبر أنّ الشمر لما جلس  
على صدر الحسين سلام الله عليه ، قال له عليّ ؛ لو تركتني يا شمر كما أنا  
عليه الآن فسأمت من النزف ، ولكن عليك نفسك فخلّصها من النار ولا  
تتحمّل تبعّة لقاءك جدي رسول الله وأنت ملطّخ اليدين بدمي ! . . . هؤلاء  
هم أهل البيت ، في أصعب المواقف تراهم لا ينسون أن يوجهوا الناس كلّ  
الناس إلى الله ؛ ولهذا نحن نتعلّق بحبهم ونشرف بموالاتهم) .

يجيب عمرو بن عبد وّد أمير المؤمنين بعد أن دعاه إلى كلمة  
الإسلام : دَعَ هذه عنك ، فواللات والعزى لحفّر الأبار باهر أهون عليّ من

هذه الكلمة ! ثم يسأل أمير المؤمنين عن اسمه ، فيقول : علي بن أبي طالب . يقول : أما يخاف ابنُ عمِّك أن أختطفك بسيفي هذا فأجعلك لا للسماء ولا للأرض؟ يقول : قد علم ابن عمي بذلك . يقول عمرو : إن أبا طالب كان صديقي فيما مضى وإني أكره أن أقتلك . فيجيبه أمير المؤمنين : ولكنني والله أحبُّ أن أقتلك ! .

ثم يدعوهُ إلى الثانية : أن تترك القتال وترجع فتسَلِّم . فيقول : وماذا تقول العرب عني ؟ أتقول إن عمرو بن عبد ودَّ جبن عن قتال غلام ؟ لا والله لا أفعلها أبداً ! فما هي الثالثة ؟ قال عليُّ : أدعوك إلى المبارزة وأنا راجل وأنت فارس . قال عمرو : والله ما ظننت أن أحداً غيرك يطلبها مني ! . . . ثم ترَجَّل عن فرسه فضرب قوائمها ثم جندلها في أرضها حتى لا يركبها أحدٌ بعده ، فقد كان يشعر في قرارة نفسه أن علياً لا بُدَّ قاتله . وهكذا كان ، ضربه أمير المؤمنين ضربةً قطعت فخذه فهوى إلى الأرض يتخبط بدمه ، ثم جلس على صدره واحترَّ رأسه وعاد به إلى معسكر رسول الله متبختراً . يراه أحد المسلمين فيخاطب رسول الله قائلاً : يا رسول الله عليُّ يتبختر !! فيقول صلوات الله وسلامه عليه : «التبختر غير محمود ، ولكنه هنا مع عليٍّ عبادة» فإن تُعليَّ كلمة الله وتكبت عدوّه وتفرح بذلك ، فهذه عبادة .

بموقف واحد لخص أمير المؤمنين عظمة الإسلام ؛ أولاً : عرض قول الشهادتين على عمرو بن عبد ودَّ ، فأشار بذلك إلى الدعوة بالقول الحسن . ثانياً : بعد امتناع عمرو عن اللفظ بالشهادتين عرض عليه أمير المؤمنين الانسحاب من القتال ؛ وذلك تأكيد لموقف الإسلام المسالم وتحقيق لمقولة رسول الله : لا أحبُّ أن أبدأهم بقتال . ثالثاً : تباطأ المسلمون علياً ، وعندما سئل عن ذلك قال : لقد بصق في وجهي فأثار غيظي وغضبي ، فلم أريد أن أسارعه بالقتل حتى لا يُقال إنني قتلته حميئةً لنفسي ، فتباطأت إلى أن سكن غضبي فقتلته لله وحده . وهذا الموقف يصور أمير المؤمنين كما هو ، لا يرضى إلا بالله ولا يغضب إلا لله . رابعاً : لم يسلبه

أمير المؤمنين بعد قتله ، فسئل عن ذلك فقال : إنه كان عزيزاً في قومه فلم أرغب في هتك حرمة بعد قتله . (قارن هذا الموقف بموقف بني أمية مع سبط رسول الله وأهل بيته يوم عاشوراء . . . ) .

هذا هو الموقف الذي وقفه ﷺ يوم الخندق ، كيف لا وهو من هو من رسول الله ﷺ ! قال أمير المؤمنين : «لقد علمني رسول الله ألف بابٍ من العلم ، يفتح لي من كل باب ألف باب» .

### بحث حول الخلافة :

ولكن ما الذي حدث بعد وفاة الرسول الأعظم ؟ هنا لا بد لنا أن ندخل في بحث حول الخلافة . قيل إنه ﷺ لم يوص لأحد من بعده . ولكن هل تقبل العقول هذا ؟ فنحن نعلم أن ما من نبي إلا وله وصي ، فهل يعقل أن يتوفى سيد الأنبياء والرسول دون أن يوصي لأحد ؟ هل يستطيع الراعي أن يترك قطيعه دون رقيب ؟ ! أضف إلى ذلك أن الرسالة لا تموت بموت صاحب الرسالة ، ورسالة الإسلام لا بد وأن تستمر بعد موت رسول الله ، وهذه الاستمرارية لا تتحقق إلا بوجود القيادة المعصومة من الخطأ التي تمثلت بعد النبي بعلي ثم من بعده بخلفائه . ونحن نؤمن إيماناً راسخاً أن الله أمر نبيه بأن ينص علي إثنى عشر خليفة من بعده ، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم الحجة المهدي المنتظر . وحديث غدير خم لم ينكره أحد من المسلمين ، وكيف يمكن إنكاره وقد نقله بالتواتر جماعة عن جماعة عن جماعة ؟ ! كيف يمكن إنكاره وقد سمع آلاف المسلمين رسول الله يخطب فيهم في حجة الوداع ممسكاً علياً بذراعه قائلاً : «أيها الناس، من كنت مولاه فعلي مولاه . . . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من أخذله وأدر الحق معه حيثما دار !» ؟ . فكان علي مقياساً للحق يحط في ركابه ويدور في رحابه .

الرسول والإمام صنوان ، موافقهما متماثلة ، ومواقف كل أهل البيت متشابهة ومتماثلة لا تجد فيها من اختلاف أو تناقض ، وهنا تتجلى العظمة

وينتصب الإسلام صافياً نقيّاً نصب عينيك . لا يمكن أن تجد حديثاً أو موقفاً أو حكماً عند أحد من أهل البيت ثم تجد حديثاً أو موقفاً أو حكماً مخالفاً له عند رجل آخر من أهل البيت . فالمواقف كلها واحدة ، لأنها تنبع من مصدر واحد وتتجه إلى هدف واحد ، فكُلُّها تنبع من القرآن وتتوجه لإعلاء كلمة الله . قد تختلف الأدوار والظروف ولكن لا تختلف المواقف ، فكل إمام له ظرفه الخاص وعصره المختلف ، وكلهم يعبر عن نفس الموقف ولكن بمظهر قد يكون مختلفاً ، فالعبرة باللّب وليس بالقشر ؛ وفي النهاية جميع المواقف تصبّ في مجرى واحد هو مجرى الإسلام ومصلحته ، وجميع المواقف تتخذ تبعاً للأوامر الإلهية وليس بناءً على اجتهاد شخصي من هذا الإمام أو ذاك . لقد هادن الإمام الحسن لأن الله أراد منه أن يفعل ذلك ، ورفع الإمام الحسين السيف في وجه الظلم لأن الله أيضاً أراد منه ذلك ، وأسس الإمام السّجاد الجامعة العلمية ، وأرسى الإمام الباقر قواعدهما ، وأطلقها الإمام الصادق في كل أرجاء المعمورة ؛ كلّ ذلك بناء على أمر إلهي وليس تبعاً لاجتهاد شخصي . فالفكر واحد والعقيدة واحدة ، ولا بدّ أن يكون الهدف واحداً .

قُلْ لِمَن حَجَّنا بقول سوانا	حيث فيه لم يأتنا بدليل
نحن قومٌ إذا روينا حديثاً	بعد آيات محكم التنزيل
عن أبينا عن جدّنا ذي المعالي	سيّد المرسلين عن جبريل
وكذا قال جبريل عن الله	بلا شبهة ولا تأويل

### من هم أولو الأمر الذين أمرنا الله بطاعتهم ؟ :

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾<sup>(١)</sup> فمن هم أولو الأمر الذين أمرنا الله بطاعتهم ؟ هل هم الأمراء والولاة ؟ يزيد كان من الأمراء ، فهل أمرنا الله بطاعته ؟ ! ومروان بن الحكم أيضاً كان من الأمراء ، والسفّاح كان خليفة ، والهادي العباسي وهارون

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

الرشيد . . . ! فهل يعقل أن يأمرنا الله تعالى بإطاعة هؤلاء ؟ فإذا لم يكن هؤلاء هم أولي الأمر المعنيين في الآية فمن يكونون إذاً ؟ القرآن لم يذكر أسماءهم ولم يحدددهم بأعيانهم ، فكيف نعرفهم إذاً ؟ ليس الأمر بهذه الصعوبة ، فكلنا يعلم أن القرآن مُجْمَلٌ وأما التفصيل فتتكفل به سنة الرسول عليه الصلاة والسلام . القرآن أمرنا بالصلاة والصوم والزكاة والحج ، ولكنه لم يبين لنا كيفية الصلاة والصوم ، ولن يبين لنا مقادير الزكاة وشعائر الحج ، الذي بين كل ذلك هو الرسول ﷺ ، فكما أن القرآن هو كلام الله ، فإن كلام الرسول موحى به من الله ، فلا فرق بينهما من هذه الناحية ، ونحن كمسلمين نتعبد بنص القرآن كما نتعبد بنص الحديث النبوي .

فإذا عرفنا هذا ، نرى بوضوح أن رسول الله ﷺ هو الذي بين لنا من هم أولو الأمر ، وهو الذي أشار إليهم بأعيانهم دون أي لبس أو غموض فقال : «هؤلاء أهل بيتي فيكم ، مثلهم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى» . قد يقول البعض إن هناك من هو أحق بالخلافة من علي بن أبي طالب ؛ ولكننا إذا نظرنا إلى الأمر من وجهة نظر عقلية فقط ، دون التطرق إلى النصوص الواضحة التي تعين علياً خليفة ، نرى أن علياً فقط كان المؤهل الوحيد بعد وفاة الرسول لتولي أمور المسلمين . فالخليفة يجب أن يتمتع بصفات لا تجتمع إلا في أحادٍ من الناس عبر العصور ، يجب أن يكون أعلم الناس وأعدل الناس وأتقى الناس وأزهد الناس وأشجع الناس ، وعليّ كان هو الوحيد بعد النبي الذي اجتمعت فيه هذه الصفات . أحد الخلفاء كان يحمل الدرّة بيده ويهوي بها على كل من يتجرأ أن يطرح عليه سؤالاً ! يقولون : كان ذا هيبة عظيمة . . . هل الهراوة في اليد هي التي توفر الهيبة للرجال ؟ ! يقول عبد الله بن عباس : «كنا نخشى في مجلس من مجالسه أن نطرح سؤالاً ، لأن الهراوة كانت تتربص لنا دائماً ؛ في حين أن علياً كان ينادي على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني ! سلوني عن طرق السماء فأنا أعلم بها من طرق الأرض !» . هذا هو الواقع ، ففي عقيدتنا وإيماننا الراسخ أنه ليس هناك من هو أحق من



علي بالإمامة والخلافة . فالإمام علي هو نفس النبي ﷺ بنص القرآن ، قال تعالى : ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ (١) ولا يفعل بين النبي والإمام إلا درجة النبوة .

فبالله عليكم هل يتجرأ مسلم أن يقول إن أحداً كان أحق بالإمامة من الرسول ؟ فكيف يتجرأون على القول بأن أحداً كان أحق بالإمامة من نفس الرسول وهو علي بن أبي طالب ؟ ! ومع ذلك استمر عليّ خارج إمرة المسلمين بعد وفاة النبي خمسة وعشرين عاماً ، ويأتي من يقول كان هناك من هو أولى من عليّ بالخلافة !! .

### قتال أمير المؤمنين للناكثين والقاسطين والمارقين :

نحن نؤمن أن الفرقة التي أصابت المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ كانت بسبب ابتعاد الناس عن عليّ وجحودهم حقّه ؛ وكيف لا يتفرقون وقد تنازلوا عن كنز كان بمتناول أيديهم ، فعليّ كان الرجل المؤهل لجمع القلوب لأنه كان الرجل الوحيد المؤهل لفهم القرآن وتفسيره ولشرح سنة رسول الله ونقلها على حقيقتها . ولكن الذي حدث هو أنه كما قلنا بقي خمسة وعشرين عاماً مستبعداً عن الخلافة ، وعندما تولّاها بإصرار وإلحاح من الجميع ، ظهر الناكثون والمارقون والقاسطون : الناكثون في البصرة ، والقاسطون في الشام ، والمارقون الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، الخوارج . هذه الفئات الثلاث لم تترك علياً وشأنه ، فما كان منه <sup>عليه السلام</sup> إلا أن واجههم وظهر عليهم .

وأودّ أن ألفتكم هنا إلى أمر قد يكون جديداً على مسامعكم ؛ فقد أجمع المسلمون من كافة المذاهب ، سنةً وشيعةً ، ولا فرق بين السنة والشيعة ، أن قوانين مقاتلة البغاة والمارقة لم يضعها إلا علي بن أبي طالب . الإمام أحمد بن حنبل صنّف كتاباً كبيراً أشار فيه إلى أنه ما ابتلي

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

أحد في الإسلام بقتال البغاة كما ابتلي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .  
والإمام الشافعي يقول في رسالته الكبيرة «الأم» : لم يبتل في تاريخ  
الإسلام شخصٌ بقتال البغاة وأهل البغي والمنحرفين عن الإسلام إلا  
علي بن أبي طالب . . . ابتلي بأصحاب الجمل وصفين والنهروان . وكل  
المسلمين في جميع البقاع أجمعوا على ذلك .

### تواضع أمير المؤمنين :

وقد انتصر أمير المؤمنين في جميع حروبه كما نجح في إدارة البلاد ؛  
وعندما طلبته الخلافة لم يتربّع على عرشه في قصره ، بل استأجر داراً  
متواضعة في الكوفة وجلس على الأرض يستمع إلى شكاوى المسلمين  
ويحكم أرضاً واسعة لم تصل إلى عظمتها دولة في ذلك الزمن . هذا الرجل  
الذي حكم نصف الدنيا لم يكن يملك من الدنيا إلا قطيفة ؛ يخاطب أهل  
الكوفة قائلاً : «إني خرجت من المدينة بهذه القطيفة وإن خرجت منكم  
بغيرها فأنا خائن» . يتوجه إلى السوق مع خادمه قنبر ليشتري ثوبين ، فيقف  
أمام البائع ويسأله عن ثوبين بخمسة دراهم ، فيجيبه البائع : عندي يا أمير  
المؤمنين . فيتركه الإمام ويذهب إلى آخر ، لماذا ؟ لأن البائع عرفه فخاطبه  
بـ «أمير المؤمنين» فخشي الإمام أن يرائيه فيخفض له من السعر ، والإمام  
يريد أن يُعامل من قِبَل رعاياه كما يعامل أيّ مسلم آخر . ثم انظروا إلى  
هذا التواضع الذي لا يتحلّى به سوى الأنبياء والأولياء ؛ حاكم أكبر دولة  
على وجه الأرض يخرج مع خادمه الإفريقي إلى السوق جنباً إلى جنب ، لا  
يكاد أحد يفرّق بينهما إلا من عرفهما مسبقاً ، يقف عليّ وخادمه قنبر عند  
أحد التجار ، فيسأله عليّ عن ثوبين للبيع بخمسة دراهم ، فيجيبهم هذا :  
نعم عندي ولكن أحد الثوبين أجدّ من الآخر ، فهو بثلاثة دراهم والآخر  
بدرهمين . فيشتريهما أمير المؤمنين ويحتفظ لنفسه بالثوب ذي الدرهمين  
ويخصّ الآخر بخادمه قنبر ، فيلتفت إليه قنبر قائلاً : أنت أحقّ بالثوب  
الجديد يا مولاي ، لأنك تصعد المنبر وتخطب الناس ! فيجيبه أمير

المؤمنين : لا يا قبر ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون» وأنت شابٌ ولك شِرةُ الشباب ، وإني لاستحي من ربي أن أفضل نفسي عليك باللبسة . . .

### زهد أمير المؤمنين :

هكذا كان أمير المؤمنين ، كان يحكم نصف الأرض ، وكانت أموال الدنيا بين يديه ويشتري ثوباً له بدرهمين ؛ كان يقول : «يا صفراء يا بيضاء غري غري» . ضرار أحد أصحاب أمير المؤمنين يصفه قائلاً : «كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يحكم فضلاً ، ويقول عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته ؛ كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ويدنينا إذا أتناه وينبئنا إذا استبأناه . ونحن والله مع قربه منا وقرينا منه لا نكاد نكلمه هية له . يعظم أهل الدين ويرحم المساكين ، يعجبه من الطعام ما جشِبَ ومن اللباس ما خشن» .

هذه كانت صفة أمير المؤمنين وطريقة حياته :

كوخٌ وجبةٌ صوفٌ ثم في طَبَقٍ قرص شعير بكفّ الطَّهر مطحونٌ

كان ﷺ يقول : «والله لو شئت لاهتديت الطريق إلى مُصَفَّى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القزّ ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيير الأطعمة ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشعب . . . أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي ، أو أكون كما قال القائل :

حسبك دائماً أن تبيت ببطنيةٍ وحولك أكباد تحنّ إلى القدِّ

وما خلقتُ ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها ، أو المرسلة شغلها تقمّمها !» ويقول سلام الله عليه : «لأنّ أبيت على حسك السعدان مُسَهِّداً وأجرّ في الأغلال مصفّداً ، أحبُّ إليّ من أن ألقى الله

ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد أو غاصباً لشيء من الحطام . وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلاقُفولها ، ويطول في الثرى حُلولها ؟ !» .

كانت السياسة الاقتصادية في زمن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام مطبقة تماماً كما شرعها الله تعالى ، لذلك لم يكن في المجتمع آنذاك من فقراء . وأما ما يشير إليه أمير المؤمنين بقوله : «لقد رأيت أخي عقيلاً قد أملق حتى استماحني من بُركم صاعاً ، ورأيت صبيانه شعثَ الشعور غير الألوان من فقرهم . . .» فإن ذلك كان بسبب كرم عقيل وتبديده كل ما كان يملك من مال لمن يطلب منه ، لذلك كان في حاجة دائمة . والإمام نفسه لم يكن فقيراً على الإطلاق ، كان يملك الأراضي الواسعة والبساتين الشاسعة ، ولكنه كان يفرق كل مدخولها في سبيل الله وفي مساعدة المحتاجين . في أيام عثمان بن عفان باع أمير المؤمنين بستاناً له بأربعين ألف دينار ، فتسامع به فقراء المدينة فتراكضوا إليه ، فوزع عليهم جميع ما حصل عليه من ثمن البستان وعاد إلى داره لا يحمل في جيبه درهماً واحداً .

ما قال أمير المؤمنين «لا» قط ، كان إذا جاءه السائل يقول له : «اكتب حاجتك على التراب لأحفظ ماء وجهك» . سأله مرة سائل فقال لعبد الله بن أبي رافع : «أعطه مائتين !» فقال ابن أبي رافع : «أعطيه مائتي دينارٍ أو درهم ؟ فقال : «أعطه أنفعهما له ، كلاهما عندي حجر» . هكذا كان عليّ الخليفة ، وهكذا كان عليّ الإنسان ، وهكذا كانت الأموال بالنسبة إليه لا تمثل عنده أكثر من قيمتها الحقيقية كأحجار .

### علم أمير المؤمنين :

أما عليّ العالم فحدّث عنه ولا حرج . . . سئل مرة : كم المسافة بين السماء والأرض يا أمير المؤمنين ؟ فأجاب : «دعوةٌ مستجابة» . هذا جواب دقيق إلى أبعد الحدود ؛ أينشتاين ونيوتن وغيرهما من علماء العصور المتأخرة لم يتمكنوا من تحديد المسافة ، كانوا يقولون : كلما اكتشفنا جزءاً من هذا الكون وجدنا أن السماء تمتدّ وأن هناك مجرّات جديدة تخلق كل

يوم . . . نعم ، هذا هو الكون ، قال تعالى : ﴿والسمااء بيناها بأيدي وإنا لموسعون﴾<sup>(١)</sup> . فليس أدق من تعبير أمير المؤمنين عن المسافة بين السمااء والأرض بقوله : «دعوة مستجابة» لأن الدعوة لا يعترضها معترض وتصل إلى السمااء دون عوائق . وسأل رجلُ أمير المؤمنين عن رقم يقبل القسمة على الأعداد من اثنين إلى عشرة دون أن يبقى لدينا كسور ، فقال أمير المؤمنين : «أضرب أيام سنتك بأيام أسبوعك فتحصل على هذا الرقم !» والنتيجة من ضرب أيام السنة بأيام الأسبوع هو الرقم الوحيد الذي يمكن أن يقسم على الأعداد من ٢ إلى ١٠ دون أن يبقى منه كسور .

يقول : «اسألوني قبل أن تفقدوني ! اسألوني عن طرق السمااء فأنا أعلم بها من طرق الأرض» .

### ليلة مقتل أمير المؤمنين :

هكذا كان أمير المؤمنين في تقاه وعلمه وأخلاقه ، وبقي هكذا إلى آخر لحظة من حياته . ويحدثنا الأصمغ بن نباتة عن تلك الليلة التي ضرب فيها الإمام سلام الله عليه ، فيقول : كان من عادة أمير المؤمنين أن يتناول طعام إفطاره ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبد الله بن جعفر زوج ابنته زينب ، ولم يكن يزيد على ثلاث لقمات ، وكان يقول : «إني أحب أن ألقى الله وأنا خميص البطن» . وفي تلك الليلة المشؤومة كان إفطاره عند زينب ، تقول زينب : تلك الليلة رأيت أبي على غير حالته المعهودة ، قدمت له الطعام خبز شعير وملح جريش ولبن ، فقال : «أي بنية ، تقدمين لي إدامين في طبق واحد ؟ ! أتريدين أن يطول وقوفي بين يدي الله تعالى ؟» تقول زينب : فرفعت اللبن فأكل خبز الشعير والملح الجريش ، ثم قام إلى الصلاة ، وبعد الصلاة أخذ يقلب طرفه في السمااء ويقول : «هي الليلة التي وعدني بها حبيبي رسول الله» أراد أن يفتح الباب فانحل مئزره ، فشده وأخذ يقول :

(١) سورة الذاريات : الآية : ٤٧ .

أشدد حيازيمك للموت      فإن الموت لاقيكما  
ولا تجزع من الموت      إذا حلّ بواديكما

ثم خرج إلى المسجد :

أخبرت زينب أباها الحسن بما رأت من أبيها ، فتبعه الحسن <sup>بنيته</sup> إلى المصلّى . في المسجد التفت أمير المؤمنين فرأى ابنه الذي سأله : لماذا خرجت في هذا الوقت يا أبتاه ؟ فقال : «عُدْ يا ولدي إلى نومك !» فألح عليه الحسن فأجابه قائلاً : «لقد رأيت رؤياً أن جبرائيل <sup>عليه السلام</sup> هبط على جبل أبي قبيس وتناول منه حجرتين فضرب أحدهما بالآخر حتى صاراً كالرميم ، ثم ذرهما في الهواء ، فلم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا ودخله من ذلك الرمداء شيء ..» قال الحسن : وما تأويل ذلك يا أبتاه ؟ قال : «إن صدقت رؤياي فإن أباك مقتولٌ لا محالة» قال : ومن يقتلك يا أبتاه ؟ قال : «يقتلني ابن ملجم المرادي» قال : ولم لا تقتله قبل ذلك ؟ قال : «أي بني سمعت جدك رسول الله يقول : لا يجوز القصاص قبل الجناية ؛ والجناية لم تحصل بعد» .

وهكذا كان ؛ بينما أمير المؤمنين في السجدة الثانية إذ بابن ملجم اللعين يضربه بالسيف على رأسه ويقول : سيفي بألف والسمّ بألف . سقط أمير المؤمنين في محرابه وهو يقول : «فزت وربّ الكعبة !» وإذا بجبرائيل بين السماء والأرض ينادي : «تهدّمت والله أركان الهدى .. قُتل عليّ المرتضى ... قتله أشقى الأشقيا ...» .

تناهت الضجّة إلى مسامع الناس ، فهرعوا إلى المسجد بينهم أبناء الإمام الحسن والحسين وزينب . دخلوا المسجد فرأوا أمير المؤمنين في محرابه مخضلاً بدمائه ، وكان أمير المؤمنين مغمى عليه ، فأخذ ابنه الحسن رأسه بيده ووضعها في حجره وبكى ، فتساقطت قطرات من دموعه على وجه أبيه ، ففتح عينيه وخاطب ابنه قائلاً : «أي بني ، صلّ بالمسلمين صلاة الصبح ! فأنت إمامهم اليوم ، وبعد الصلاة احملوني إلى داري !» قال

الحسن : من الذي أفجعني بك يا أبتاه ؟ قال : «ابن ملجم المرادي ... لا تطلبوا الرجل فإنه سيخرج عليكم من هذا الباب» وأشار إلى باب يُقال له باب كندة ، وإذا بالناس قد أحاطوا بابن ملجم يكادون يمزقونه بأسنانهم وأظافرهم ، ورجل واحد يدفع عنه الناس وهو الرجل الذي ألقى القبض عليه . ولما أوقف ابن ملجم بين يدي أمير المؤمنين التفت عليه السلام إلى ابنه قائلاً : «الله الله في أسيركم يا بني !» ثم دفع أمير المؤمنين بقدر من لبن جيء به له إلى ولده الحسن وقال : «أعط؟ هذا ابن ملجم حتى يشرب !» فقال الحسن : هذا قاتلك يا أبي ! فقال : «أي بني ، هكذا أدبنا الله ، بالله عليك إلا ما أطعمته مما تأكل وسقيته مما تشرب . يا بني ، لا تقيّد له رجلاً ولا تغلّ له يداً ، فإذا قضيت من ضربته هذه فاضربوه بها ضربة مثلها ، ولا تُمثلنّ به ، فإني سمعت رسول الله يقول : «إياك والمثلة ولو بالكلب العقور ! وإذا أنا عشت فأنا أتولى أمره ...» .

صلى الإمام الحسن بالمسلمين ، ثم حمل أباه إلى دار . لما اقتربوا من الدار التفت أمير المؤمنين إلى ولديه وقال : «أنزلوني يا أحبتي !» فقالا له : سيضنيك السير يا أبتاه . قال : «أختكم زينب بياب الدار ولعلها لا تستطيع أن تتحمل صدمة رؤيتي محمولاً على أكفكم» .

أدخل أمير المؤمنين الدار ، ثم اجتمع النساء في القسم المخصّص لهم من الدار ، واجتمع الرجال في القسم الآخر ، وبقي الوضع هكذا إلى ليلة عشرين . يقول محمد بن الحنفية : بتنا عند أمير المؤمنين ووجهه معصب بعصاة صفراء لا نكاد نميز لونها من شدة إصفرار وجهه ، وقد سرى السم في بدنه الشريف ، فقال له الناس : اعهد عهدك وأمل وصيتك يا أمير المؤمنين ، فإن الضربة وصلت إلى موضع سجودك ! ليلة الحادي والعشرين أملى عليه السلام وصيته : «الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ! الله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ! الله الله في القرآن فلا يسبقنكم بالعمل به أحد ! الله الله في بيت ربكم ! الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم !» كان أمير المؤمنين في حياته يطبق ما يقول تطبيقاً ناجزاً ، فكل ما فعله عند موته

هو أنه ذكرهم بسيرته الشريفة .

لما رجع الإمامان الحسن والحسين من دفن أبيهما ، وقفا عند خربة بيباب الكوفة سمعا منها أنيناً ، دخل الحسن الخربة فرأى شيخاً طاعناً في السن يفحص الأرض برجليه ، وكان يبدو عليه المرض ، فعالجاه وأطعماه وسقياه ، ثم سألاه : من أين أنت يا عمّ ؟ قال : أنا غريب والله ، وقد جئت إلى هذه الخربة حيث ضعفت ومرضت ، ومنذ أيام كان هناك رجل بهيّ الطلعة له نور الأنبياء وسيما الصالحين والأولياء ، يمرّ عليّ كل يوم ويأتيني بالطعام والشراب ويجلس عندي يحدثني ويؤنسني ، وقد انقطع عني منذ ثلاثة أيام ولا أدري لماذا ، هل نسيتني أم وقع به أمر ؟ ! فلم يتمالك الإمام الحسن نفسه من البكاء ، فخاطبه الشيخ قائلاً : لماذا تبكي يا سيدي ؟ قال : أتعرف يا عمّ هذا الرجل الذي كان يأتي إليك ؟ قال : لا والله لا أعرفه ، فأنا لم أسأله وهو لم يعرفني بنفسه ، كل ما في الأمر أنه كان يخدمني ويؤنسني . قال : عظم الله لك الأجر يا عمّ ! هذا كان إمامك عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين . قال الشيخ : وأين هو الآن ؟ قال : الآن رجعنا من دفنه .

عظم الله أجور جميع المسلمين بفقد أمير المؤمنين سلام الله عليه ؛  
والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله  
الطيبين الطاهرين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وإلى هنا تمّ إنجاز ما أردنا عرضه عليكم من فكر الإمام علي وسيرته  
الحضارية ونسأل الله أن يتقبل منا بأحسن القبول إنه سميع مجيب .



## محتويات الكتاب

٥	..... الليلة السادسة والعشرون
٥	..... منهاج التربية
١٩	..... الليلة السابعة والعشرون
١٩	..... رؤية الإمام (ع) في المحكم والمتشابه
٢٥	..... سبب وجود الآيات المتشابهات في القرآن
٢٩	..... الليلة الثامنة والعشرون
٢٩	..... علي (ع) وعلم النفس
٣٢	..... المعتصم ووزيره الحسود
٣٤	..... الحسد لا ينفع مع الإمام علي (ع)
٣٨	..... الحسد في قصة يوسف
٤٣	..... الليلة التاسعة والعشرون
٤٣	..... في مدرسة الإمام (ع)
٤٧	..... أجوبة على بعض الأسئلة
٥٥	..... في ولادة الإمام علي (ع)
٥٦	..... الحفاظ على العقيدة
٥٧	..... من هم أهل البيت ؟

٥٩	..... لماذا نتولى أمير المؤمنين (ع)
٦٢	..... الرسول وأهل البيت (ع)
٦٤	..... كتاب بني أمية وكتاب القرآن وأهل البيت (ع)
٦٧	..... قسم النار والجنة
٦٩	..... المؤمن لا يخاف إلا الله
٧١	..... الإسلام دين اللين والسلام
٧٢	..... المودة لأهل البيت واجبة
٧٣	..... كيف نعرف المؤمن الموالي لأهل البيت (ع)
٧٧	..... علي (ع) في مواجهة الطغاة
٧٧	..... صفات الحكام الطغاة المنافقين
٨١	..... أين وكيف ينشأ الطغاة الظالمون ؟
٨٦	..... الأئمة (ع) أوجه متعددة لحقيقة واحدة
٩١	..... المجالس الحسينية وزيارة قبر الحسين (ع)
٩٣	..... خروج الحسين (ع) من المدينة
٩٤	..... دخول السبايا إلى مجلس يزيد
٩٧	..... نظرية الإمام علي (ع) في التربية
١٠٠	..... النصر للرسول (ع) وللمؤمنين
١٠٥	..... كيف نحفظ هؤلاء الشباب
١٠٨	..... رسالة المنبر
١١٣	..... الإمام الحسين (ع) والشباب يوم عاشوراء
١١٧	..... الإمام علي (ع) والإيمان
١١٩	..... الانفصام الإنساني
١٢٢	..... العمل في الإسلام شرف وواجب
١٢٣	..... الإسلام والغريزة الجنسية
١٣٥	..... من آلام وتضحيات أهل البيت
١٣٧	..... الإمامة والعقل

١٣٧	..... لكل مأموم إمام
١٤٠	..... من هم الأئمة (ع)
١٤٢	..... أهمية الإمامة
١٤٥	..... الساكت عن الحق شيطان أخرس
١٤٩	..... دور العبادة في تربية العقل
١٥٠	..... خلاصة القول في العقل
١٥٣	..... مفهوم الخمس
١٥٤	..... قمر بني هاشم
١٥٧	..... نظرية الإمام علي (ع) في الجهاد
١٥٩	..... أنواع الجهاد
١٦٠	..... منزلة الشهادة والشهيد
١٦٢	..... العبرة من يوم أحد
١٦٣	..... مواقف جهادية
١٦٤	..... بيعة علي (ع)
١٦٥	..... جبهة المعارضة : أولاً الناكثون
١٦٩	..... ثانياً : القاسطون
١٧٠	..... التحكيم
١٧٠	..... ثالثاً : المارقون
١٧١	..... جهاد النفس
١٧٣	..... وظائف الجوارح
١٧٥	..... التأمل مظهر من مظاهر العبادة
١٧٦	..... موقف الإسلام من العلم والعلماء
١٧٦	..... هجرة الأدمغة
١٧٧	..... هولاءكو والشيخ الطوسي
١٧٨	..... حاجة المجتمع إلى المجالس الحسينية
١٨٣	..... الإقتصاد الإسلامي في حكومة علي (ع)

١٨٣	وقت قيام الساعة في علم الله
١٨٤	المحشر في عالم غير هذا العالم
١٨٦	مصير المؤمنين ومصير الكافرين
١٨٩	تفسير الرسول (ص) : في أي صورة ما شاء ربك
١٩٠	النشأة الأخرى
١٩١	لكل إنسان ملائكة كاتبون
١٩٣	رحمة الله تعالى تسبق غضبه
١٩٤	الجواب على بعض الأسئلة
١٩٦	كيف نكسب الدنيا والآخرة معاً
١٩٨	الفرق بين الإقتصاد الإسلامي والقائم
١٩٩	معنى المساواة في الإسلام
٢٠٠	الربا جريمة عظيمة
٢٠١	لا فقر في ظل النظام الاقتصادي الإسلامي
٢٠٥	العمل الصالح وفكر أهل البيت (ع)
٢٠٥	ملحمة مسلم بن عقيل
٢٠٩	علي (ع) ومفهوم العصمة
٢١١	آية التحريم وسبب نزولها
٢١٢	فشل بني أمية في تحوير الآية
٢١٣	للمعصوم جانبان : غيبي وبشري
٢١٤	الجانب البشري في حياة أهل البيت والأنبياء (ع)
٢١٧	قدرة الله تتجلى في خلقه
٢١٩	الغريزة في الإنسان لا تحتاج إلى موجه
٢٢٠	حاجة العقل إلى موجه
٢٢١	ما هو العقل
٢٢٢	الأسرة الإسلامية في خطر
٢٢٣	ظهور المهدي (عج)

٢٢٨	..... صور من آلام أهل البيت (ع)
٢٣١	..... رؤية الإمام علي (ع) ليوم غد
٢٣٣	..... رجال الأعراف
٢٤٠	..... نداء موجه لأهل الجنة
٢٤١	..... حوار بين أهل الجنة وأهل النار
٢٤٩	..... الإمامة والعصمة
٢٥٠	..... العصمة بالدليل العقلي
٢٥٢	..... لماذا الوصي
٢٥٧	..... أهل البيت يخشون الله في السر والعلن
٢٦٥	..... علي (ع) في مواجهة الطغاة
٢٦٥	..... الإسلام دين الرحمة والتسامح
٢٦٨	..... أصول التربية
٢٧١	..... الإيمان والحرية الدينية
٢٧٣	..... إتهام الرسول ودفاعه (ص)
٢٧٤	..... المباهلة وتكذيب المشركين
٢٧٥	..... قوة الرسول (ص) في أهل بيته (ع)
٢٧٦	..... انتصار الحق وأهله واندحار أعدائه
٢٧٧	..... سنة النبي (ص) هي سبيل انتصار المسلمين
٢٧٧	..... الأزياء وسيطرة الغرب
٢٧٨	..... الاقتداء بالمؤمنات المسلمات فوز عظيم
٢٨٠	..... منزلة علي (ع) من النبي (ص)
٢٨٢	..... عناية الله بأنبيائه (ع)
٢٨٥	..... أهل البيت رحمة للعالمين
٢٨٧	..... الأحاديث الملققة
٢٩٠	..... علم الإمام الحسن (ع)
٢٩٠	..... الافتراء على الرسول

٢٩٠	..... وصية الإمام الحسن لأخيه الحسين (ع)
٢٩٢	..... فضائل الإمام الحسين (ع)
٢٩٧	..... علي (ع) رمز الحضارة
٣٢٣	..... محبة الله ومحبة أهل البيت (ع)
٣٢٥	..... لا تكررّوا عبادة الله إلى عباد الله
٣٢٩	..... الإيمان يعني حب الله لذاته
٣٣٠	..... الرسول : يا عليّ حبك حبيّ وحبّي حب الله
٣٣٥	..... الرسول : لا تصلّوا عليّ الصّلاة البتراء
٣٤٣	..... خلق الإمام علي (ع) في التعامل
٣٤٦	..... قصة سويده الهمدانية
٣٤٧	..... من مآثر علي (ع)
٣٥١	..... منهج الإمام علي (ع) في تطهير المجتمع
٣٥٦	..... كيف عالج الإسلام الذنوب
٣٥٩	..... تحريم الخمر
٣٦٥	..... في مصرع الإمام علي (ع)
٣٦٦	..... تشبيه الطاقة الايمانية بالطاقة الكهربائية
٣٦٧	..... مؤاخاة الرسول (ص) بينه وبين علي (ع)
٣٦٨	..... ملازمة أمير المؤمنين لرسول الله (ص)
٣٦٨	..... الإيمان يتمثل بأمر المؤمنين
٣٧٠	..... علم الإمام الباقر
٣٧١	..... وصف القرآن للمنافقين والمؤمنين
٣٧٢	..... وجوب طاعة أهل البيت (ع)
٣٧٣	..... اضطجاع أمير المؤمنين (ع) في فراش رسول الله (ص)
٣٧٤	..... لماذا لم تُذكر الحور العين في سورة الإنسان
٣٧٥	..... عفو أمير المؤمنين (ع) عن خصومه
٣٧٦	..... موقفه يوم بدر ويوم أحد

٣٧٧	.....	فتح خيبر
٣٨٠	.....	بحث حول الخلافة
٣٨١	.....	من هم أولو الأمر
٣٨٣	.....	قتال أمير المؤمنين (ع) للناكثين والقاسطين والمارقين
٣٨٤	.....	تواضع أمير المؤمنين (ع)
٣٨٥	.....	زهده (ع)
٣٨٦	.....	علمه (ع)
٣٨٧	.....	ليلة مقتله (ع)
٣٩١	.....	محتويات الكتاب



١٠٠  
١٠١  
١٠٢  
١٠٣  
١٠٤  
١٠٥  
١٠٦  
١٠٧  
١٠٨  
١٠٩  
١١٠





